تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٢

حققه وخرج أحاديثه
محمود محمد شاكر

راجع أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠



تفسير الطبري

الجزء الثاني عشر

فيه

تفسير سورة الأنعام

من ١٠٠ — ١٦٥

وتفسير سورة الأعراف

من ١ — ١٠٠

والآثار من : ١٣٦٨٠ — ١٤٩٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله باسطِ الرَّحْمة على العُصَاةِ من خَلْقه ، وقابِضِ النِّقْمة عن الطُّغَاةِ فى أرضه ، يُمْهلهم حتى يتوبَ عاصِيهِمْ من مَعْصيتِه ، وحتّى ينزع طَاغيهم عن طُغْيانِه ، وأعدَّ لمنْ تابَ مِنْهم مغفرةً تُنْجيه من عقابه ، وثواباً يُدْخله فى رضوانِه .

وصلّى الله على محمّدٍ عبدِه ورسولِه ، آتَاه ربُّه ما لم يُؤْتِ أحدًا من العالَمينِ ، فيسَّر له بلسَانِه كتاباً لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِهِ ، وجعل تِلاوتَه قُرْبَى إليه ، وتدبُّرَه هاديًا إلى الحقّ ، وبَيانَه منزلةً من منازلِ أهل الجنّة .

فالحمدُ لله الذى جعلنَا لنبيّه تبَعاً ، وجعل لنَا فى تِلاوَة كتابه بلسانِه نَصيباً ، والحمدُ لله الذى شرَّفنَا بالمشاركة فى تدبُّر آياتِه ، وكرَّمنا بسبب من أسباب بيانِه .

اللهم ثبِّت قَدَمى حيث تزلُّ الأقدامُ ، وأنِرْ بَصيرتى حيث تعمَى البصائر ، وأيِّدنى بِحَوْلك حيث تتشعّثُ قُوَّة الأقوياء ، اللهم اُجعل عزيمتى إليك ماضِية بلَا عِثار ، واجعل قلبى خالصاً لك بِلاَ تردُّدٍ ، وهَبْ لى من لدُنْك مَعرِفةً تُدْنينى من أهلِ رضوانك ، ويسِّرْ لى بَاباً يُفضِى بى إلى الخير الذى عندك .

اللهمّ إني ضعيفٌ فقوِّني بحولك وقوَّتك ، وضَائِـعٌ فاجْمع شَتاتِي بالمأمولِ من هدايتِك ، وغافِلٌ فأيْقظ قَلْبي بزَوَاجِرِ الخيرِ من رحمتك ، ومُنكِرٌ نفسِي فارفعْ خَسِيستِي بفواضِلِ البرّ التي قَامَتْ بها سَمٰواتُك . لا إلٰه إلا أنتَ ، لا شريكَ لك في ملكك ، ولا منازِعَ لكَ في سلطانك .

اللهمَّ أنت ربِّي وأنا عبدُك ، لا أستشفِع إليك إلا بكَ ، لا أخافُ أحدًا غيرك ، ولا أرضَى ربًّا سِواك ، فاغفر لي خطيئتي ، وقِني شرَّ نَفْسي ، وخُذْنِي إلى مرضاتك ، ولا تجعلْ لأحدٍ من خلقِك سلطاناً عليَّ ، مالكَ الملك تُؤْتِي الملك من تشاء وتَنْزِعُ الملك ممَّن تشاء ، وتعزُّ من تشاء وتذلُّ من تَشَاء ، بيدك الخيرُ ، إنَّك على كُلّ شيء قديرٌ .

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهةَ والأندادَ ، لله شركاء ، الجنَّ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾، [سورة الصافات : ١٥٨] .

* * *

وفى « الجن » وجهان من النصب .

أحدهما : أن يكون تفسيراً للشركاء .[1]

والآخر : أن يكون معنى الكلام : وجعلوا لله الجن شركاء ، وهو خالقهم .

* * *

واختلفوا فى قراءة قوله : « وخلقهم » .

فقرأته قرأة الأمصار : ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ ، على معنى أن الله خلقهم ، منفرداً بخلقه إياهم .[2]

* * *

وذكر عن يحيي بن يعمر ما :—

١٣٦٨٠ — حدثنى به أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن واصل مولى أبى عيينة ، عن يحيي بن عقيل ، عن يحيي بن يعمر : أنه قال : ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلْقَهُمْ﴾ .

* * *

(١) « التفسير » ، هو البدل .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٨ .

بجزم « اللام » بمعنى أنهم قالوا : إنّ الجنّ شركاء لله فى خلقه إيّانا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك : ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة عليها .

* * *

وأما قوله : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، فإنه يعنى بقوله : « خرقوا » . اختلقوا .

* * *

يقال : « اختلق فلان على فلان كذباً » و« اخترقه » ، إذا افتعله وافتراه .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٨١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : وجعلوا لله شركاء الجن والله خلقهم = « وخرقوا له بنين وبنات » ، يعنى أنهم تخرّصوا .

١٣٦٨٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : جعلوا له بنين وبنات بغير علم .

١٣٦٨٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : كذبوا .

١٣٦٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٦٨٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٣ .

قوله : « وجعلوا لله شركاء الجن » ، كذبوا = «سبحانه وتعالى عما يصفون » ، عما يكذبون . أما العرب فجعلوا له البنات ، ولهم ما يشتهون من الغلمان = وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضَرُون .[1]

١٣٦٨٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : خرصوا له بنين وبنات .

١٣٦٨٧ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، يقول : قطعوا له بنين وبنات .[2] قالت العرب : الملائكة بنات الله = وقالت اليهود والنصاري : المسيح وعزير ابنا الله . ١٩٨/٧

١٣٦٨٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : « خرقوا » ، كذبوا ، لم يكن لله بنون ولا بنات = قالت النصارى : المسيح ابن الله = وقال المشركون : الملائكة بنات الله = فكلٌّ خرقوا الكذب ، « وخرقوا » ، اخترقوا .

١٣٦٨٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله: « وجعلوا لله شركاء الجن »، قال قول : الزنادقة = « وخرقوا له » ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « خرقوا » ، كذبوا .

١٣٦٩٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وخرقوا له بنين وبنات » ، قال : وصفوا له .

١٣٦٩١ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث ، عن أبي عمرو :

---

(١) اقرأ آية سورة الصافات : ١٥٨ .

(٢) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « قطعوا » بمعنى : اختلقوا وادعوا ونسبوا ، ولم أجد هذا المجاز فى شيء من كتب اللغة ، فإن صح ، وهو عندى قريب الصحة ، فهو بالمعنى الذى ذكرت . إلا أن يكون محرفاً عن شيء لم أتبينه .

« وخرقوا له بنين وبنات » ، قال : تفسيرها : وكذبوا .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وجعلوا لله الجنَّ شركاءَ فى عبادتهم إياه ، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير = « وخرقوا له بنين وبنات » ، يقول : وتخرَّصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات ، بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته ، وأنه لا ينبغى لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ، ولا أن يشركه فى خلقه شريك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : تنزه الله ،[1] وعلا فارتفع عن الذى يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه ، فى ادّعائهم له شركاء من الجن ، واختراقهم له بنين وبنات ، وذلك لا ينبغى أن يكون من صفته ، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذى يحدث عنه الأولاد ، والذين تضطرّهم لضعفهم الشهواتُ إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات ، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شىء إلى شىء ، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة .

* * *

وقوله : « تعالى » ، « تفاعل » من « العلوّ » ، والارتفاع .[2]

* * *

وروى عن قتادة فى تأويل قوله : « عما يصفون » ، أنه : يكذبون .

١٣٦٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١١ : ٢٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العلو » فيما سلف ٥ : ٤٠٥ .

« سبحانه وتعالى عما يصفون » ، عما يكذبون .

* * *

وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك ، أنهم يكذبون فى وصفهم الله بما كانوا يصفونه به ، من ادعائهم له بنين وبنات= لا أنه وجه تأويل « الوصف » ، إلى الكذب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله، الذى جعل هؤلاء الكفرة به له الجنّ شركاءَ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم = « بديع السموات والأرض » ، يعنى : مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن ،[1] كما : —

١٣٦٩٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « بديع السموات والأرض » ، قال : هو الذى ابتدع خلقهما جل جلاله ، فخلقهما ولم يكونا شيئاً قبله .

* * *

= « أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » ، والولد إنما يكون من الذكر من الأنثى ، ولا ينبغى أن يكون لله سبحانه صاحبة ، فيكون له ولد . وذلك أنه هو الذى خلق كل شىء . يقول : فإذا كان لا شىء إلا اللهُ خلقه ، فأنّى يكون لله ولد ، ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد ؟

* * *

(١) انظر تفسير « بديع » فيما سلف ٢ : ٥٤٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والله خلق كل شيء ، ولا خالق سواه . وكلُّ ما تدَّعون، أيها العادلون بالله الأوثان من دونه، خلقُه وعبيده مِلكاً، كان الذى تدعونه ربًّا وتزعمون أنه له ولد ، أوجنيًّا أو إنسيًّا = « وهو بكل شيء عليم »، يقول : والله الذى خلق كل شيء،لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه ، ولا يعزب عنه مثقالُ ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، عالم بعددكم وأعمالكم ، وأعمال من دعوتموه ربًّا أو لله ولداً ، وهو محصيها عليكم وعليهم ، حتى يجازى كلاًّ بعمله .[1]

١٩٩/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذى خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو الله ربكم، أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء ، وآلهتكم التى لا تملك نفعاً ولا ضرًّا ، ولا تفعل خيراً ولا شرًّا = « لا إله إلاّ هو» .

وهذا تكذيبٌ من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله . يقول جل ثناؤه لهم : أيها الجاهلون ، إنه لاشيء له الألوهية والعبادة ، إلا الذى خلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، فإنه لا ينبغى أن تكون عبادتكم وعبادةُ جميع من فى السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها ، فإنه خالق

---

(١) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

كل شيء وبارئه وصانعه . وحقٌّ على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة= « فاعبدوه » ، يقول : فذلُّوا له بالطاعة والعبادة والخدمة ، واخضعوا له بذلك[1] = « وهو على كل شيء وكيل » ، يقول : والله على كل ما خلق من شيء رقيبٌ وحفيظ ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

فقال بعضهم : معناه لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٩٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ، يقول : لا يحيط بصر أحدٍ بالملك .

١٣٦٩٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ، وهو أعظم من أن تدركه الأبصار .

١٣٦٩٦ — حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا خالد ابن عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عرفجة ، عن عطية العوفى فى قوله :

---

(١) انظر تفسير « العبادة » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .

(٢) انظر تفسير « وكيل » فيما سلف ١١ : ٤٣٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، [سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ، قال : هم ينظرون إلى الله ، لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره يحيط بهم . فذلك قوله : « لا تدركه الأبصار »، الآية . [1]

* * *

قال أبو جعفر : واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم هذا ، بأن قالوا : إن الله قال : ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾،[2] [سورة يونس : ٩٠] . قالوا : فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون . ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً . قالوا: فمعنى قوله : « لا تدركه الأبصار » ، بمعنى : لا تراه ، بعيد . لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه ، كما قال جل ثناؤه مخبرًا عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم لموسى حين قرُب منهم أصحاب فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، [سورة الشعراء : ٦١] ، لأن الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أنهم لا يُدْرَكون ، لقوله : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾، [سورة طه : ٧٧] .

قالوا : فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ، ويدركه ولا يراه ، فكان معلوماً بذلك أن قوله : « لا تدركه الأبصار » ، من معنى : لا تراه الأبصار ،

---

(١) الأثر : ١٣٦٩٦ — « سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى»، ثقة، روى عنه آنفاً برقم : ٤٣٦ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا « يونس بن عبد الله بن الحكم » ، وهو خطأ ، والصواب ما سيأتى فى التفسير ٢٩ : ١٢٠ (بولاق) ، حيث روى هذا الخبر نفسه ، بإسناده عن « سعد ابن عبد الله بن عبد الحكم » .

و « خالد بن عبد الرحمن الخراسانى المروروذى »، روى عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وأخوه « سعد » . قال أبو حاتم: « شيخ ، ليس به بأس » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٤١ .

وأما « أبو عرفجة » ، فلم أعرف من يكون .

و « عطية العوفى » ، هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفى » ، وهو ضعيف ، مضى مراراً ، واستوفى أخى السيد أحمد الكلام فيه فى رقم : ٣٠٥ .

وهذا الخبر سيرويه أبو جعفر مرة أخرى فى التفسير ٢٩ : ١٢٠ (بولاق) .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلما أدركه الغرق » ، وهو سهو ، فإن نص التلاوة ما أثبت .

بمعزل = وأن معنى ذلك : لا تحيط به الأبصار ، لأن الإحاطة به غير جائزة .

قالوا : فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ، ولا تدركه أبصارهم ، بمعنى : أنها لا تحيط به ، إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به . ٧/٢٠٠

قالوا : ونظير جواز وصفه بأنه يُرَى ولا يُدْرَك ، جوازُ وصفه بأنه يعلم ولا يحاط بعلمه ،[1] وكما قال جل ثناؤه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٥٥] . قالوا : فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . قالوا : ومعنى « العلم » فى هذا الموضع ، المعلوم . قالوا : فلم يكن فى نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء ، نَفْىٌ عن أن يعلموه . قالوا: فإذا لم يكن فى نفى الإحاطة بالشيء علماً نَفْىٌ للعلم به ، كان كذلك ، لم يكن فى نفى إدراك الله عن البصر ، نفيُ رؤيته له . قالوا : وكما جاز أن يعلم الخلق أشياءَ ولا يحيطون بها علماً، كذلك جائزٌ أن يروا ربَّهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم ، إذ كان معنى « الرؤية » غير معنى « الإدراك » ، ومعنى « الإدراك » غير معنى « الرؤية » ، وأن معنى « الإدراك » ، إنما هو الإحاطة ، كما قال ابن عباس فى الخبر الذى ذكرناه قبل .

قالوا : فإن قال لنا قائل : وما أنكرتم أن يكون معنى قوله : « لا تدركه الأبصار » ، لا تراه الأبصار ؟

قلنا له: أنكرنا ذلك، لأن الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه أن وجوهاً فى القيامة إليه ناظرة،[2] وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة، كما يُرَى القمر ليلة البدر ، وكما ترونَ الشمس ليسَ دونها سحاب .[3] قالوا : فإذ كان الله قد أخبر فى كتابه بما أخبر ، وحققتْ أخبارُ رسول الله صلى الله عليه

(١) فى المطبوعة : « ولا يحاط به » ، وصواب السياق يقتضى ما أثبت .
(٢) يعنى آيتى سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) فى المخطوطة ، أسقط « البدر » ، والصواب إثباتها .

وسلم بما ذكرنا عنه من قيله صلى الله عليه وسلم: أن تأويل قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، [سورة القيامة: ٢٢، ٢٣]، أنه نظر أبصار العيون لله جل جلاله،[1] وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحدُ هذين الخبرين ناسخاً للآخر، إذ كان غير جائز في الأخبار = لما قد بينا في كتابنا: ﴿ كتاب لطيف البيان، عن أصول الأحكام ﴾، وغيره = [2]علم، أن معنى قوله: «لا تدركه الأبصار»، غير معنى قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله، ولا يدركونه بها، تصديقاً لله في كلا الخبرين، وتسليماً لما جاء به تنزيله على ما جاء به في السورتين.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تراه الأبصار، وهو يرى الأبصار.

* ذكر من قال ذلك:

١٣٦٩٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «لا تدركه الأبصار»، لا يراه شيء، وهو يرى الخلائق.

١٣٦٩٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن إسمعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة قالت: من حدّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه فقد كذب! «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾، [سورة الشورى: ٥١]، ولكن قد رأى جبريل في صورته مرتين.

---

(١) انظر الأحاديث الصحاح في رؤية ربنا سبحانه يوم القيامة في صحيح البخاري (الفتح ١٣ : ٣٥٦، وما بعدها)، وصحيح مسلم ٣ : ٢٥، وما بعدها. والخبران اللذان ذكرهما أبو جعفر خبران صحيحان.

(٢) قوله: «علم» جواب قوله آنفاً: «فإذ كان الله قد أخبر في كتابه ...».

١٣٦٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله، لقد قَفَّ شعري مما قلت! ثم قرأت : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . (١)

١٣٧٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا عبد الأعلى وابن علية ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، بنحوه . (٢)

١٣٧٠١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن الشعبي قال، قالت عائشة : من قال إن أحداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ! قال الله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

* * *

فقال قائلو هذه المقالة : معنى « الإدراك » في هذا الموضع ، الرؤية = وأنكروا أن يكون الله يُرَى بالأبصار في الدنيا والآخرة = وتأوّلوا قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابَه . ٢٠١/٧

* * *

قال أبو جعفر : وتأول بعضهم في الأخبار التي رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربَّهم يوم القيامة تأويلات، وأنكر بعضهم مجيئها ، ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردُّوا القول فيه إلى عقولهم، فزعموا أن عقولهم تُحيل جواز الرؤية على الله عز وجل بالأبصار ، وأتوا في ذلك بضرُوب من التمويهات ، وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات .

---

(١) الأثران : ١٣٦٩٨ ، ١٣٦٩٩ — حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، رواه مسلم في صحيحه ٣ : ١٠ ، مختصراً .

« قف شعرى » : إذا وقف من الفزع .

(٢) الأثر : ١٣٧٠٠ — حديث داود ، عن الشعبي ، رواه مسلم مطولا ٣ : ٨ — ١٠ ، وقد مضى جزء من هذا الخبر المطول فيما سلف برقم : ١٢٢٨٠ — ١٢٢٨٣ . فانظر تخريجه هناك .

وكان من أجلّ ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل ، أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئاً إلاّ ما باينها دون ما لاصقها ، فإنها لا ترى ما لاصقها . قالوا : فما كان للأبصار مبايناً مما عاينته، فإن بينه وبينها فضاءً وفرجةً . قالوا : فإن كانت الأبصار ترى ربها يوم القيامة ، على نحو ما ترى الأشخاص اليوم ، فقد وجب أن يكون الصانع محدوداً . قالوا: ومن وصفه بذلك، فقد وصفه بصفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان .

قالوا : وأخرى، أن من شأن الأبصار أن تدرك الألوان ، كما من شأن الأسماع أن تدرك الأصوات ، ومن شأن المتنسِّم أن يدرك الأعراف .[١]قالوا : فمن الوجه الذى فسد أن يكون جائزاً أن يُقْضَى للسمع بغير إدراك الأصوات ، وللمتنسِّم إلاّ بإدراك الأعراف ،[١] فسد أن يكون جائزاً القضاءُ للبصر إلاّ بإدراك الألوان.[٢] قالوا : ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفاً بأنه ذو لون ، صح أنه غير جائز أن يكون موصوفاً بأنه مرئىٌّ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: لا تدركه أبصار الخلائق فى الدنيا، وأما فى الآخرة فإنها تدركه . وقال أهل هذه المقالة : « الإدراك » ، فى هذا الموضع ، الرؤية .

واعتلّ أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : « الإدراك » ، وإن كان قد يكون فى بعض الأحوال بغير معنى الرؤية ، فإن الرؤية من أحد معانيه . وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصرُه شيئاً فيراه ، وهو لما أبصره وعاينه غير مدرك ، وإن لم يحط بأجزائه كلها رؤية . قالوا : فرؤية ما عاينه الرائى إدراك له ، دون ما لم

---

(١) فى المطبوعة : « المتنشم » بالشين ، وهو خطأ صرف ، والصواب بالسين كما فى المخطوطة . يقال : « تنسم النسيم » ، إذا تشممه . و « الأعراف » جمع « عرف » (بفتح فسكون) : الرائحة ، طيبة كانت أو خبيثة . يقال : « ما أطيب عرفها » ، أى : رائحتها .

(٢) فى المخطوطة : « انقضاء البصر » ، والصواب ما فى المطبوعة .

يره . قالوا : وقد أخبر الله أن وجوهاً يوم القيامة إليه ناظرة . قالوا ، فمحالٌ أن تكون إليه ناظرة وهى له غير مدركة رؤيةً . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون فى أخبار الله تضادٌ وتعارض ، وجب وصحّ أن قوله : « لا تدركه الأبصار » ، على الخصوص لا على العموم ، وأن معناه : لا تدركه الأبصار فى الدنيا ، وهو يدرك الأبصار فى الدنيا والآخرة ، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

* * *

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : الآية على الخصوص ، إلا أنه جائز أن يكون معنى الآية : لا تدركه أبصارُ الظالمين فى الدنيا والآخرة ، وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله . قالوا : وجائز أن يكون معناها : لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة، وأما بالرؤية فَبَلَى.[1] قالوا: وجائز أن يكون معناها: لا تدركه الأبصار فى الدنيا ، وتدركه فى الآخرة = وجائز أن يكون معناها : لا تدركه أبصارُ من يراه بالمعنى الذى يدرك به القديم أبصارَ خلقه = فيكون الذى نفى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه ، هو الذى أثبته لنفسه ، إذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ إلاّ فيما قوّاها جل ثناؤه على النفوذ فيه، وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شىء . قالوا : ولا شك فى خصوص قوله : « لا تدركه الأبصار » ، وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم ، غير أنا لا ندرى أىَّ معانى الخصوص الأربعة أريد بالآية . واعتلّوا لتصحيح القول بأن الله يرى فى الآخرة ، بنحو علل الذين ذكرنا قبل .

٢٠٢/٧

* * *

وقال آخرون: الآية على العموم، ولن يدرك الله بصرٌ أحد فى الدنيا والآخرة، ولكن الله يُحدث لأوليائه يوم القيامة حاسّة سادسة سوى حواسّهم الخمس، فيرونه بها .

---

(١) « بل » استعمالها مع غير الجحد ، قد سلف بيانه ودليله ٢ : ٢٨٠ ، ٥١٠ ، ثم ١٠ : ٩٨ ، تعليق : ٤ .

واعتلوا لقولهم هذا بأنّ الله تعالى ذكره نفى عن الأبصار أن تدركه ، من غير أن يدلّ فيها أو بآية غيرها على خصوصها . قالوا: وكذلك أخبرَ فى آية أخرى أن وجوهاً إليه يوم القيامة ناظرة . قالوا : فأخبار الله لا تتنافى ولا تتعارض ،[١] وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل . واعتلُّوا أيضاً من جهة العقل بأن قالوا : إن كان جائزاً أن نراه فى الآخرة بأبصارنا هذه وإن زيد فى قواها ، وجب أن نراه فى الدنيا وإن ضعفت ، لأن كل حاسة خلقت لإدراك معنًى من المعانى ، فهى وإن ضعفت كل الضعف ، فقد تدرك مع ضعفها ما خلقت لإدراكه وإن ضعف إدراكها إياه ، ما لم تُعْدَم . قالوا : فلوكان فى البصر أن يُدرك صانعه فى حال من الأحوال أو وقت من الأوقات ويراه ، وجب أن يكون يدركه فى الدنيا ويراه فيها وإن ضعف إدراكه إياه . قالوا : فلما كان ذلك غير موجود من أبصارنا فى الدنيا ، كان غير جائز أن تكون فى الآخرة إلا بهيئتها فى الدنيا فى أنها لا تدرك إلا ما كان من شأنها إدراكه فى الدنيا . قالوا : فلما كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أنّ وجوهاً فى الآخرة تراه ، علم أنها تراه بغير حاسة البصر ، إذ كان غير جائز أن يكون خبرُه إلا حقًّا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر » = « وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب » ،[٢] فالمؤمنون يرونه ، والكافرون عنه يومئذ محجوبون ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ ، [سورة المطففين : ١٥] .

فأما ما اعتلّ به منكرُو رؤية الله يوم القيامة بالأبصار ، لما كانت لا ترى إلا ما باينها وكان بينها وبينه فضاءٌ وفُرجة ، وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون

(١) فى المطبوعة : « لا تتباين » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب قراءتها .
(٢) انظر ص : ١٦ ، تعليق : ١ .

رؤية الله بالأبصار كذلك ، لأن فى ذلك إثبات حدٍّ له ونهايةٍ ، فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه = فإنه يقال لهم :[١] هل علمتم موصوفاً بالتدبير سوى صانعكم ، إلا مماساً لكم أو مبايناً ؟

فإن زعموا أنهم يعلمون ذلك ، كُلِّفوا تبيينه ، ولا سبيل إلى ذلك .

وإن قالوا : لا نعلم ذلك .

قيل لهم : أو ليس قد علمتموه لا مماساً لكم ولا مبايناً ، وهو موصوف بالتدبير والفعل، ولم يجب عندكم إذْ كنتم لم تعلموا موصوفاً بالتدبير والفعل غيره إلا مماساً لكم أو مبايناً ، أن يكون مستحيلاً العلم به ، وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مماس ولا مباين ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك .

قيل لهم : فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك لا ترى إلا ما باينها وكانت بينه وبينها فرجة ، قد تراه وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء ، كما لا تعلم القلوب موصوفاً بالتدبير إلا مماساً لها أو مبايناً ، وقد علمتْه عندكم لا كذلك ؟ وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفاً بالتدبير والفعل معلوماً، إلا مماساً للعالم به أو مبايناً = وأجاز أن يكون موصوفاً برؤية الأبصار ، لا مماساً لها ولا مبايناً ، فرق ؟

ثم يسألون الفرقَ بين ذلك ، فلن يقولوا فى شيء من ذلك قولاً إلا ألزموا فى الآخر مثله .

وكذلك يسألون فيما اعتلوا به فى ذلك: أن من شأن الأبصار إدراك الألوان ، كما أن من شأن الأسماع إدراك الأصوات ، ومن شأن المتنسِّم دركَ الأعراف ، فمن الوجه الذى فسد أن يُقضى للسمع بغير درك الأصوات ، فسد أن يقضى للأبصار بغير درك الألوان .[٢] ٢٠٣/٧

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «وإنه يقال لهم» بالواو ، وصواب السياق ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : «أن يقتضى السمع لغير» ، و «أن تقتضى الأبصار لغير» ، وأما المخطوطة ، ففيها «أن يقضى السمع ...» ، و «أن يقضى للأبصار» ، والصواب ما أثبت .

فيقال لهم : ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم ، موصوفاً بالتدبير والفعل إلا ذا لون ، وقد علمتموه موصوفاً بالتدبير لا ذا لون ؟

فإن قالوا : « نعم » = لا يجدون من الإقرار بذلك بدًّا ، إلا أن يكذبوا فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفاً بالتدبير والفعل غير ذى لون ، فيكلفون بيان ذلك ، ولا سبيل إليه .[1]

فيقال لهم : فإذ كان ذلك كذلك ، فما أنكرتم أن تكون الأبصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك إلاّ الألوان ، كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفاً بالتدبير إلا ذا لون ، وقد وجدتموها علمته موصوفاً بالتدبير غير ذى لون . ثم يسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا فى أحدهما شيئاً إلا ألزموا فى الآخر مثله .

ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس ، كرهنا ذكرها وإطالة الكتاب بها وبالجواب عنها ، إذ لم يكن قصدنا فى كتابنا هذا قصدَ الكشف عن تمويهاتهم ، بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آى الفرقان . ولكنا ذكرنا القدرَ الذى ذكرنا ، ليعلم الناظرُ فى كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم إلاّ إلى ما لبَّس عليهم الشيطان ، مما يسهل على أهل الحق البيانُ عن فساده ، وأنهم لا يرجعون فى قولهم إلى آية من التنزيل محكمة ، ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة ، فهم فى الظلمات يخبطون ، وفى العمياء يتردّدون ، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة .

* * *

وأما قوله : « وهو اللطيف الخبير » ، فإنه يقول : والله تعالى ذكره المتيسر له من إدراك الأبصار ،[2] والمتأتِّى له من الإحاطة بها رؤيةُ ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه وإحاطتها به ويتعذر عليها = « الخبير » ، يقول : العليم بخلقه

---

(١) فى المطبوعة : « فيكلفوا بيان ذلك » ، وفى المخطوطة : « فيدلقوا بيان ذلك » ، وهى غير مقروءة ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « الميسر له » ، والصواب من المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها .

وأبصارهم ، والسبب الذى له تعذر عليها إدراكه ، فلطف بقدرته فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه ، وخبرَ بعلمه كيف تدبيرها وشؤونها وما هو أصلح بخلقه ،(١) كالذى : —

١٣٧٠٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن أبى جعفر الرازى، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله : « اللطيف الخبير » ، قال : « اللطيف » باستخراجها = « الخبير » ، بمكانها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبَّههم بهذه الآيات من قوله(٢) : « إن الله فالق الحب والنوى » إلى قوله : « وهو اللطيف الخبير » ، على حججه عليهم ، وعلى سائر خلقه معهم ،(٣) العادلين به الأوثان والأنداد ، والمكذبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله = قل لهم يا محمد : « قد جاءكم » ، أيها العادلون بالله ،

---

(١) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لهذه الآيات » باللام ، وصواب السياق يقتضى ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة « وعلى تبيين خلقه معهم » ، وهو كلام لا معنى له ، وهو فى المخطوطة سيء الكتابة ، وصواب قراءته ما أثبت . وقوله : « وعلى سائر خلقه معهم » ، معطوف على قوله : « عليهم » قبله .

وقوله : « على حججه » ، السياق : « أن يقول لهؤلاء الذين نبههم بهذه الآيات ... على حججه عليهم » .

وقوله بعد : « العادلين به الأوثان » ، صفة لقوله آنفاً « أن يقول لهؤلاء الذين نبههم بهذه الآيات ... » .

والمكذبون رسوله = « بصائر من ربكم » ، أى : ما تبصرون به الهدى من الضلال ، والإيمان من الكفر .

* * *

= وهى جمع « بصيرة » ، ومنه قول الشاعر :[1]

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِى يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى[2]

* * *

= يعنى بالبصيرة : الحجة البينة الظاهرة ،[3] كما : —

١٣٧٠٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ، قال : « البصائر » الهدى ، بصائر فى قلوبهم لدينهم ، وليست ببصائر الرؤوس . وقرأ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ، [سورة الحج : ٤٦] . وقال : إنما الدَّيِّنُ بصره وسمعه فى هذا القلب .[4] ٢٠٤/٧

١٣٧٠٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ، أى بينة .

* * *

(١) هو الأسعر الجعفى .

(٢) الأصمعيات : ٢٣ (وطبعة المعارف : ١٥٧) ، والوحشيات رقم : ٥٨ ، المخصص ١ : ١٦٠ ، اللسان (بصر) (عتد) (وأى) . وغيرها كثير . وهى من قصيدة عير فيها إخوته لأبيه ، وذلك أن أباه قتل وهو غلام ، فأخذ إخوته لأبيه الدية فأكلوها ، فلما شب الأسعر ، أدرك بثأر أبيه ، وقال قبله :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ ، عَلَى تَجَشُّمِىَ الرَّدَى أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدَرُ الْقُرَى

وفسر أصحاب اللغة « البصيرة » هنا بأنها الدم ما لم يسل ، يعنى : دماءهم فى أبدانهم ، يعير إخوته . وقال غيرهم : « البصائر » دم أبيهم ، يقول : تركوا دم أبيهم خلفهم ولم يثأروا به ، وطلبته أنا . و « عتد » (بفتح العين ، وفتح التاء أو كسرها) : الفرس الشديد التام الخلق ، السريع الوثبة ، المعد للجرى ، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة . و « الوأى » ، الفرس السريع الطويل المقتدر الخلق .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٣ .

(٤) « الدين » (بتشديد الياء وكسرها) : المتدين ، صاحب الدين .

وقوله : « فمن أبصره فلنفسه »، يقول : فمن تبين حجج الله وعرّفها وأقرّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به ، فإنما أصاب حظ نفسه ، ولنفسه عمل ، وإياها بَغَى الخير = « ومن عمى فعليها » ، يقول : ومن لم يستدلّ بها ، ولم يصدق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله ، ولكنه عمى عن دلالتها التى تدل عليها ، يقول : فنفسَه ضر ، وإليها أساء لا إلى غيرها .

* * *

وأما قوله : « وما أنا عليكم بحفيظ » ، يقول : وما أنا عليكم برقيب أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والله الحفيظ عليكم ، الذى لا يخفى عليه شىء من أعمالكم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كما صرفت لكم، أيها الناس، الآيات والحجج فى هذه السورة ، وبينتها ، فعرفتكموها ،(٢) فى توحيدى وتصديق رسولى وكتابى ووقّفتكم عليها ،(٣) فكذلك أبيِّن لكم آياتى وحججى فى كل ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمرى ونهيى ، كما : —

١٣٧٠٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) انظر تفسير « الحفيظ » فيما سلف ٨ : ٥٦٢ .

(٢) انظر تفسير « تصريف الآيات » فيما سلف ١١ : ٤٣٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « ووصيتكم عليها » ، وهو لا معنى له ، صوابه فى المخطوطة ، وإن كانت سيئة الكتابة .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذلك نصرف الآيات»، لهؤلاء العادلين بربهم ، كما صرفتها فى هذه السورة ، ولئلا يقولوا : درسْتَ .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ،يعنى : قرأت ، أنت ، يا محمد ، بغير « ألف » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين ، منهم ابن عباس ، على اختلاف عنه فيه ، وغيرُه وجماعة من التابعين ،وهو قراءة بعض قرأة أهل البصرة : ﴿وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ﴾ ، بألف ، بمعنى : قارأت وتعلمت من أهل الكتاب .

* * *

وروى عن قتادة : أنه كان يقرؤه : ﴿ دُرِسَتْ ﴾ ، بمعنى : قرئت وتليت .[1]

* * *

وعن الحسن أنه كان يقرؤه : ﴿ دَرَسَتْ ﴾ ، بمعنى : انمحت .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأه : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ، بتأويل : قرأتَ وتعلمت ، لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ ﴾ ، [سورة النحل : ١٠٣] . فهذا خبرٌ من الله ينبيء عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره . فإذ كان ذلك كذلك ، فقراءة : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ، يا محمد ، بمعنى : تعلمت من أهل الكتاب ، أشبهُ

---

(١) فى المطبوعة : « قرأت وتليت » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المخطوطة . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٩ ، وفسره بقوله : « تقادمت ، أى : هذا الذى تتلوه علينا شيء قد تطاول ، ومر بنا » .

بالحق ، وأولى بالصواب من قراءة من قرأه : «دارسْتَ » ، بمعنى : قارأتهم وخاصمتهم ، وغير ذلك من القراءات .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القرأة فى قراءته .(١)

* ذكر من قرأ ذلك: ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ، من المتقدمين ، وتأوله بمعنى : تعلمت وقرأت .

١٣٧٠٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح قال ، حدثنى على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وليقولوا درست » ، قالوا : قرأت وتعلمت . تقول ذلك قريش .

١٣٧٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : « وليقولوا درست » ، قال : قرأت وتعلمت .

١٣٧٠٨ — حدثنا هناد قال،حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن إسرائيل وافقه، عن أبى إسحق، عن التميمى ، عن ابن عباس : « وليقولوا درست » ، قال : قرأت وتعلمت . ٢٠٥/٧

١٣٧٠٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وليقولوا درست » ، يقول : قرأت الكتب .

١٣٧١٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنى عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « درست » ، يقول : تعلمت وقرأت .

١٣٧١١ — حدثنا أبو كريب قال،حدثنا ابن عطية قال، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحق ، عن التميمى قال : قلت لابن عباس : أرأيت قوله : « درست »؟ قال : قرأت وتعلمت .

---

(١) انظر تفسير « الدرس » فيما سلف ٦ : ٥٤٤ — ٥٤٦ .

١٣٧١٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ، مثله .

* * *

* ذكر من قرأ ذلك: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، وتأوله بمعنى : جادلت ، من المتقدمين .

١٣٧١٣ — حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث، عن حميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « دارست » ، يقول : قارأت .

١٣٧١٤ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ،عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: ﴿ وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ ﴾،أحسبه قال : قارأت أهل الكتاب .

١٣٧١٥ — حدثني محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن التميمي ، عن ابن عباس : « وليقولوا دارست » ، قال : قارأت وتعلمت .

١٣٧١٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال ، سمعت التميمي يقول : سألت ابن عباس عن قوله : « وليقولوا دارست » ، قال : قارأت وتعلّمت .

١٣٧١٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير قال ، كان ابن عباس يقرؤها: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ .

١٣٧١٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو المعلى قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : كان ابن عباس يقرأ: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، بالألف ، بجزم السين ، ونصب التاء .

١٣٧١٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال ، أخبرني عمرو بن كيسان : أن ابن عباس

كان يقرأ : ﴿ دَارَسْتَ ﴾، تلوت ، خاصمت ، جادلت .

١٣٧٢٠ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن كيسان ، قال ابن عباس فى : « دارست » ، قال : تلوت ، خاصمت ، جادلت .

١٣٧٢١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية: « وليقولوا دارست » ، قال : قارأت .

١٣٧٢٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ : ﴿ دَارَسْتَ ﴾، بالألف أيضاً، منتصبة التاء، وقال : قارأت .

١٣٧٢٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، أى : ناسخت.

١٣٧٢٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « دارست » » ، قال : فاقهت ، قرأت على يهود ، وقرأوا عليك .

١٣٧٢٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وليقولوا دارست» ، قال : قارأت ، قرأت على يهود ، وقرأوا عليك .

١٣٧٢٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله: « دارست » ، يعنى ، أهلَ الكتاب .

١٣٧٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « دارست » ، قال : قرأت على يهود ، وقرأوا عليك .

١٣٧٢٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى ٢٠٦/٧

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « وليقولوا دارست » ، قال : قالوا : دارستَ أهل الكتاب ، وقرأت الكتب وتعلّمتها .

* * *

* ذكر من قرأ ذلك: ﴿ دُرِسَتْ ﴾ بمعنى : تُليت وقُرئت ،[١] على وجه ما لم يسمَّ فاعله .

١٣٧٢٩ — حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا الحسين المعلم وسعيد ، عن قتادة : « وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دُرِسَتْ » ، أي : قرئت وتعلمت .

١٣٧٣٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال، قال قتادة : « دُرِست » ، قرئت = وفي حرف ابن مسعود : ﴿ دَرَسَ ﴾.

* * *

* ذكر من قرأ ذلك ، ﴿ دَرَسَتْ ﴾ ، بمعنى : انمحت وتقادمت ، أي : هذا الذي تتلوه علينا قد مرَّ بنا قديماً ، وتطاولت مدته .[٢]

١٣٧٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقرأ : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ ﴾، أي : انمحت .

١٣٧٣٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إسحق الهمداني قال : في قراءة ابن مسعود :﴿ دَرَسَتْ ﴾، بغير ألف ، بنصب السين ، ووقف التاء .[٣]

١٣٧٣٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقول : إن صبياناً ههنا يقرأون :﴿ دَارَسْتَ ﴾، وإنما هي : ﴿ دَرَسَتْ ﴾ .

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « نبثت » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت ، كما سلف ، ص : ٢٦ س : ٩ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٤٩ .

(٣) « الوقف » في اصطلاحهم قديماً ، هو « السكون » عند النحويين .

١٣٧٣٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الحسن ، « وليقولوا دَرَسْت » : يقول : تقادمت وانمحت .

* * *

* وقرأ ذلك آخرون : ﴿ دَرَسَ ﴾ : من « درس الشيء » ، تلاه .

١٣٧٣٥ – حدثني أحمد بن يوسف التغلبي قال، حدثنا أبو عبيدة قال، حدثنا حجاج ، عن هرون قال : هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَ ﴾ ، قال : يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، قرأ .

* * *

وإنما جاز أن يقال مرة: « دَرَسْتَ »، ومرة: « دَرَسَ » ، فيخاطب مرة ، ويخبر مرة ، من أجل القول .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أولى هذه القراآت في ذلك الصواب عندنا ، والدلالة على صحة ما اخترنا منها .

* * *

وأما تأويل قوله : « ولنبينه لقوم يعلمون » ، يقول تعالى ذكره : كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها ، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم: « إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب » ، فينزجروا عن تكذيبهم إياه ، وتقوُّلهم عليه الإفك والزور ،ولنبين بتصريفنا الآيات الحقَّ لقوم يعلمون الحق إذا تبيَّن لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بيِّن لهم عَمُوا عنه فلم يعقلوه ، وازدادوا من الفهم له بعداً .[1]

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « من الفهم به » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : اتبع ، يا محمد ، ما أمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه إليك ، فاعمل به ، وانزجر عما زجرك عنه فيه ، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله إلا هو . يقول : لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلاّ الله الذى هو فالق الحب والنوى ، وفالق الإصباح ، وجاعلُ الليل سكناً ، والشمسَ والقمر حسباناً = « وأعرض عن المشركين » ، يقول : ودع عنك جدالهم وخصومتهم.[1] ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله فى براءة : ﴿ ٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، الآية ، [سورة التوبة : ٥] ، كما : —

١٣٧٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أما قوله : « وأعرض عن المشركين » ونحوه ، مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين ، فإنه نسخ ذلك قوله : ﴿ ٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ . ٢٠٧/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿١٠٧﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أعرض عن هؤلاء المشركين بالله ، ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابّتهم = « ولو شاء

---

(١) انظر تفسير « أعرض » فيما سلف ١١ : ٤٣٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الله ما أشركوا »، يقول : لو أراد ربُّك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم، للطف لهم بتفيوقه إياهم فلم يشركوا به شيئاً ، ولآمنوا بك فاتبعوك وصدّقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك = « وما جعلناك عليهم حفيظاً »، يقول جل ثناؤه : وإنما بعثتك إليهم رسولاً مبلِّغاً ، ولم نبعثك حافظاً عليهم ما هم عاملوه ، تحصى ذلك عليهم ، فإن ذلك إلينا دونك[1] =« وما أنت عليهم بوكيل » ، يقول : ولست عليهم بقيِّم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحفظهم، فيما لم يُجْعل إليك حفظه من أمرهم .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٣٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولو شاء الله ما أشركوا » ، يقول سبحانه : لو شئتُ لجمعتهم على الهدى أجمعين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به : ولا تسبُّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد ، فيسبَّ المشركون اللهَ جهلاً منهم بربهم ، واعتداءً بغير علم ، كما : —

١٣٧٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تسبوا الذين

(١) انظر تفسير « حفيظ » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « وكيل » فيما سلف ص : ١٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » ، قال : قالوا : يا محمد ، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجوَنَّ ربك ! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ، فيسبوا الله عدوًّا بغير علم .

١٣٧٣٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » ، كان المسلمون يسبون أوثان الكفار ، فيردّون ذلك عليهم ، فنهاهم الله أن يستسبُّوا لربهم ،[1] فإنهم قومٌ جهلة لا علم لهم بالله .

١٣٧٤٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًّا بغير علم » ، قال : لما حضر أبا طالب الموتُ ، قالت قريش : انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه ،فإنا نستحى أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : « كان يمنعه ، فلما مات قتلوه »! فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأمية وأبيّ ابنا خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمرو بن العاص، والأسود بن البخترى ، وبعثوا رجلاً منهم يقال له: « المطلب »، قالوا: استأذن على أبي طالب! فأتى أبا طالب فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخولَ عليك ! فأذن لهم ، فدخلوا عليه فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإنّ محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا ، فنحبّ أن تدعوه فتنهاهُ عن ذكر آلهتنا ، ولندَعْه وإلهه ! فدعاه ، فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ، وندعك وإلهك ! قال له أبو طالب :

---

(١) « استسب له » ، عرضه للسب وجره إليه. وفى حديث أبي هريرة: ﴿ لَا تَمْشِيَنَّ أَمَامَ أَبِيكَ ، ولا تجلِسْ قَبْلَهُ ، ولا تَدْعُه باسْمه ، ولا تَسْتَسِبَّ لهُ ﴾ ، أى: لا تعرضه للسب وتجره إليه ، بأن تسب أبا غيرك ، فيسب أباك مجازاة لك = وهذا أدب يفتقده الناس يوماً بعد يوم .

قد أنصفك قومك ، فاقبل منهم ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن أعطيتكم هذا ، هل أنتم معطيَّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ، ودانت لكم بها العجم ، وأدَّت لكم الخراج ؟[1] قال أبو جهل : نعم وأبيك ، لنعطينكها وعشرَ أمثالها ، فماهي؟ قال: قولوا : « لا إله إلا الله » ! فأبوا واشمأزُّوا . قال أبو طالب : يا ابن أخي ، قل غيرها ، فإن قومك قد فزعوا منها ! قال : يا عم ، ما أنا بالذى أقول غيرها حتى يأتونى بالشمس فيضعوها فى يدىّ ،[2] ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدىّ ما قلت غيرها ! إرادةَ أن يُؤْيِسهم ، فغضبوا وقالوا : لتكفَّنَّ عن شتمك آلهتنا ، أولنشتمنك ولنشتمن من يأمرك . فذلك قوله : « فيسبوا الله عدواً بغير علم ». ٢٠٨/٧

١٣٧٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ، فيسب الكفار الله عدواً بغير علم ، فأنزل الله : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » .

١٣٧٤٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « فيسبوا الله عدواً بغير علم »، قال : إذا سببت إلهه سبَّ إلهك ، فلا تسبوا آلهتهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأجمعت الحجة من قرأة الأمصار على قراءة ذلك :[3] ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ،بفتح العين ، وتسكين الدال ،وتخفيف الواو من قوله : « عدواً » ، على أنه مصدر من قول القائل : « عدا فلان على فلان » ،

---

(١) فى المطبوعة : « ودانت لكم بها العجم بالخراج » ، وفى المخطوطة : « ودانت لكم بها العجم الخراج » غير منقوطة ، وفى تفسير ابن كثير ٣ : ٣٧٤ ، ما أثبته ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « حتى يأتوا بالشمس » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « وأجمعت الأمة من قراء الأمصار » ، لم يحسن قراءة ما فى المخطوطة .

إذا ظلمه واعتدى عليه، «يعدو عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا» . و« الاعتداء»، إنما هو: « افتعال » ، من ذلك .[١]

* * *

روى عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك :﴿ عُدُوًّا ﴾ مشددة الواو .

١٣٧٤٣ — حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون، عن عثمان بن سعد: ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عُدُوًّا﴾ ، مضمومة العين ، مثقّلة .[٢]

* * *

وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك[٣] :﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا ﴾ ، يوجِّه تأويله إلى أنهم جماعة، كما قال جل ثناؤه :﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، [سورة الشعراء: ٧٧] ، وكما قال :﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، [سورة الممتحنة: ١] ، ويجعل نصب « العدوّ » حينئذ على الحال من ذكر « المشركين » في قوله : « فيسبوا» ، =فيكون تأويل الكلام: ولا تسبوا، أيها المؤمنون، الذين يدعو المشركون من دون الله، فيسب المشركون الله ، أعداءَ الله ، بغير علم . وإذا كان التأويل هكذا ، كان « العدوّ» ، من صفة « المشركين» ونعتهم، كأنه قيل : فيسب المشركون أعداء الله، بغير علم= ولكن« العدوّ » لما خرج مخرج النكرة وهو نعت للمعرفة، نصب على الحال.

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندى فى ذلك، قراءةُ من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو ، لإجماع الحجة من القرأة على قراءة ذلك كذلك . وغير جائز خلافُها فيما جاءت به مجمعة عليه .[٤]

* * *

(١) انظر تفسير « عدا » فيما سلف ١٠ : ٥٢٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٣٧٤٣ — « عثمان بن سعد التميمى » ، أبو بكر الكاتب المعلم . روى عن أنس ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وعكرمة ، ومجاهد . تكلموا فيه . مترجم فى التهذيب .

(٣) نسبها ابن خالويه فى شواذ القراءات: ٤٠، إلى بعض المكيين، ولم يبينه . وقال أبو حيان فى تفسيره ٤ : ٢٠٠ « وقال ابن عطية : وقرأ بعض المكيين ، وعينه الزمخشرى فقال : عن ابن كثير » .

(٤) فى المطبوعة أسقط « به » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره : كما زيّنا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام، عبادةَ الأوثان وطاعةَ الشيطان بخذلاننا إيّاهم عن طاعة الرحمن ،[١] كذلك زيَّنا لكل جماعةٍ اجتمعت على عملٍ من الأعمال من طاعة الله ومعصيته ، عملَهم الذى هم عليه مجتمعون ،[٢] ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم[٣] = «فينبئهم بما كانوا يعملون» . يقول : فيُوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التى كانوا يعملون بها فى الدنيا ،[٤] ثم يجازيهم بها، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شرًّا فشرًّا، أو يعفو بفضله، ما لم يكن شركاً أو كفراً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٩)

٢٠٩/٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وحلف بالله هؤلاء العادلون بالله جَهْدَ حَلِفهم ، وذلك أوكدُ ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبُها وأشدُّها[٥] = «لئن جاءتهم

(١) انظر تفسير «زين» فيما سلف ١١ : ٣٥٧
(٢) انظر تفسير «أمة» فيما سلف ١١ : ٣٥٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير «المرجع» فيما سلف ١١ : ٤٠٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير «أنبأ» فيما سلف ١١ : ٤٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر «أقسم» و «جهد أيمانهم» فيما سلف ١٠ : ٤٠٧ – ٤٠٩ ، ولم يفسرها .

آية » ، يقول : قالوا: نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدِّق ما تقول ، يا محمد، مثل الذى جاء مَن قبلنا من الأمم= « ليؤمنن بها »، يقول: قالوا : لنصدقن بمجيئها بك ، وأنك لله رسولٌ مرسل ، وأنّ ما جئتنا به حقٌّ من عند الله .

وقيل : « ليؤمنن بها » ، فأخرج الخبر عن « الآية »، والمعنى لمجىء الآية .

يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: « قل إنما الآيات عند الله » ، وهو القادر على إتيانكم بها دون كل أحد من خلقه = « وما يشعركم » ، يقول : وما يدريكم[1]= « أنها إذا جاءت لا يؤمنون » ؟

* * *

وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه ، هم الذين آيس الله نبيَّه من إيمانهم من مشركى قومه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٤٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها » ، إلى قوله : « يجهلون » ، سألت قريش محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية ، واستحلفهم : ليؤمننّ بها .

١٣٧٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن نجيح : « لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها » ، ثم ذكر مثله .

١٣٧٤٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظى قال : كلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ،[2] ٢١٠/٧

---

(١) انظر تفسير « أشعر » فيما سلف ١١ : ٣١٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٤ .

(٢) فى المطبوعة : « قريش » بالرفع ، والصواب من المخطوطة .

فقالوا : يا محمد ، تخبرنا أن موسى كان معه عصاً يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أنّ عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثَمُود كانت لهم ناقة ، فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أيَّ شيء تحبُّون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعَلُ لنا الصَّفَا ذهباً . فقال لهم: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا : نعم والله ، لئن فعلت لنتبعنّك أجمعين ![1] فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له : لك ما شئت ،[2] إن شئتَ أصبح ذهباً ، ولئن أرسل آيةً فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنّهم ، وإن شئت فأنْدِحْهُم حتى يتوب تائبهم .[3] فقال : بل يتوب تائبهم . فأنزل اللهُ : « وأقسموا بالله » إلى قوله : « يجهلون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المخاطبين بقوله : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » .

فقال بعضهم : خوطب بقوله : « وما يشعركم » المشركون المقسمون بالله ،

---

(١) فى المطبوعة : « أجمعون » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة أسقط « له » ، وهى فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فاتركهم حتّى يتوب تائبهم » ، وفى المخطوطة : « مارحهم » ، غير منقوطة ، ورجحت أن صواب قراءتها ما أثبت ، وإن كنت لم أجد هذا الحرف فى كتب اللغة ، وهو عندى من قولهم : « ندحت الشىء ندحاً » ، إذ أوسعته وأفسحته ، ومنه قيل : « إن لك فى هذا الأمر ندحة » (بضم النون وفتحها وسكون الدال) و « مندوحة » ، أى : سعة وفسحة . فقولهم : « أندحهم » ، أى : أفسح لهم ، واجعل لهم مندوحة فى هذا الأمر حتّى يتوب تائبهم . وهو حق المعنى إن شاء الله ، والقياس يعين عليه .

لئن جاءتهم آية ليؤمنن = وانتهى الخبر عند قوله : « وما يشعركم » ، ثم استُؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافاً مبتدأ . ٢١١/٧

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٤٧ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وما يشعركم » ، قال : ما يدريكم . قال : ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون .

١٣٧٤٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما يشعركم » ، وما يدريكم = « إنها إذا جاءت » ، قال : أوجب عليهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون .

١٣٧٤٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، سمعت عبد الله بن يزيد يقول : « إنما الآيات عند الله » ، ثم يستأنف فيقول : إنها إذا جاءت لا يؤمنون .

١٣٧٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ،عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إنما الآيات عند الله وما يشعركم » ، وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت . ثم استقبل يخبر عنهم فقال : إذا جاءت لا يؤمنون .

* * *

وعلى هذا التأويل قراءةُ من قرأ ذلك بكسر ألف ﴿ إِنَّهَا ﴾ ،على أن قوله : ﴿ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، خبر مبتدأ منقطعٌ عن الأول .

* * *

وممن قرأ ذلك كذلك ، بعضُ قرأة المكيين والبصريين .

* * *

وقال آخرون منهم: بل ذلك خطابٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قالوا : وذلك أنّ الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآيةٍ ، المؤمنون به . قالوا :وإنما كان سببَ مسألتهم إيّاه ذلك، أنّ المشركين حلَفوا أنّ الآية ٢١٢/٧

إذا جاءت آمنوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل ، يا رسول الله ، ربّك ذلك . فسأل ، فأنزل الله فيهم وفى مسألتهم إياه ذلك : « قل » للمؤمنين بك يا محمد = « إنما الآيات عند الله وما يشعركم » ، أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله ، أنهم لا يؤمنون به = ففتحوا « الألف » من « أنّ » .

* * *

وممن قرأ ذلك كذلك ، عامة قرأة أهل المدينة والكوفة . وقالوا : أدخلت « لا » فى قوله : « لا يؤمنون » صلة ، (١) كما أدخلت فى قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٢] ، وفى قوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ، [سورة الأنبياء : ٩٥] ، وإنما المعنى : وحرام عليهم أن يرجعوا = وما منعك أن تسجد .

* * *

وقد تأوّل قوم قرأوا ، ذلك بفتح « الألف » من « أنها » بمعنى : لعلها . وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبىّ بن كعب .

* * *

وقد ذكر عن العرب سماعاً منها : « اذهب إلى السوق أنّك تشترى لى شيئاً » ، بمعنى : لعلك تشترى . (٢)

وقد قيل : إن قول عدى بن زيد العِبَادىّ :

أَعَاذِلَ ، مَا يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتِي ... إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ (٣)

---

(١) « الصلة » . الزيادة ، والإلغاء ، انظر فهارس المصطلحات

(٢) انظر فى هذا معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٤ .

(٣) جمهرة أشعار العرب ١٠٣ ، اللسان (أنن) ، وغيرهما . من قصيدة له حكيمة ، يقول قبله :

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ، ... فَلَمَّا غَلَتْ فِي اللَّوْمِ قُلْتُ لَهَا : اقْصِدِي

أَعَاذِلَ ، إِنَّ اللَّوْمَ فى غير كُنْهِهِ ... عَلَيَّ ثُنًى ، مِنْ غَيِّكِ الْمُتَرَدِّدِ

بمعنى : لعل منيَّتى . وقد أنشدوا فى بيت دريد بن الصمة :[١]

٢١٣/٧ ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلَادِ ، لَأَنَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ ، أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا[٢]

بمعنى : لعلنى . والذى أنشدنى أصحابُنا عن الفراء : «لعلّنى أَرَى ما تَرَيْن» .
وقد أنشد أيضاً بيتُ توبة بن الحميرّ :

لَعَلَّكَ يَا تَيْساً نَزَا فِي مَرِيرَةٍ مُعَذِّبُ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا[٣]

أَعَاذِلَ ، إِنَّ الجَهْلَ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى وَإِنَّ المَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصَدِ
أَعَاذِلَ ، مَا أَدْنَى الرَّشَادَ مِنَ الفَتَى وأَبْعَدَهُ مِنْهُ إِذَا لَمْ يُسَدَّدِ
أَعَاذِلَ ، من تُكْتَبْ لَهُ النَّارُ يَلْقَهَا كِفَاحاً ، وَمَنْ يُكْتَبْ لَهُ الفَوْزُ يُسْعَدِ
أَعَاذِلَ ، قَدْ لَاقَيْتُ مَا يَزَعُ الفَتَى وَطَابَقْتُ فى الحِجْلَيْنِ مَشْىَ المُقَيَّدِ

(١) فى المطبوعة : «وقد أنشدونى» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هكذا جاء البيت فى المخطوطة والمطبوعة ، وهو خطأ من أبى جعفر ، أو من الفراء ، بلا شك فإن الشطر الأخير من هذا الشعر ، هو من شعر حطائط بن يعفر ، وقد خرجته آنفاً ٣ : ٧٨ ، واستوفيت الكلام عنه هناك ، وأشرت إلى هذا الموضع من اختلاف الشعر . وأما قوله : «ذرينى أطوف فى البلاد لعلنى» ، فهو كثير فى أشعارهم ، وأما شعر دريد بن الصمة الذى لاشك فيه ، فهو هذا :

ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلَادِ لَعَلَّنِي أُلَاقِي بِإِثْرٍ ثُلَّةً من مُحَارِبِ

ولعل أبا جعفر نسى ، فكتب ما كتب . وشعر دريد هذا مروى فى الأصمعيات ص ١٢ (ص : ١١٩ ، طبعة المعارف) ، من قصيدة قالها بعد مقتل أخيه عبد الله ، ذكر فيها ما أصاب خضر محارب من القتل والاستئصال ، يقول قبله :

فَلَيْتَ قُبُوراً بِالمَخَاضَةِ أَخْبَرَتْ فَتُخْبِرَ عَنَّا الخُضْرَ ، خُضْرَ مُحَارِبِ
رَدَسْنَاهُمُ بِالخَيْلِ حَتَّى تَمَلَّأَتْ عَوَافِى الضِّبَاعِ وَالذِّئَابِ السَّوَاغِبِ
ذَرِينِى أُطَوِّفْ . . . .

(٣) من قصيدة فيما جمعته من شعره ، وسيبويه ١ : ٣١٢ . يقول ذلك لزوج ليلى الأخيلية صاحبته ، يتوعده لمنعه من زيارتها ، وتعذيبها فى سببه ، ويجعله كالتيس ينزو فى حبله . وقوله «فى مريرة» ، «المريرة» الحبل المفتول المحكم الفتل .

« لهَنَّك ياتيساً» ، بمعنى : «لأنَّك» التى فى معنى « لعلك »،وأنشد بيت أبى النجم العجلىّ :

قُلْتُ لِشَيْبَانَ ادْنُ مِنْ لِقَائِهِ أَنَّا نُغَدِّى القَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ[1]

بمعنى :[2] لعلنا نغدِّى القوم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات فى ذلك بتأويل الآية ، قولُ من قال : ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله = أعنى قوله : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » = وأن قوله : « أنها» ، بمعنى : لعلَّها .

وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لاستفاضة القراءة فى قرأة الأمصار بالياء من قوله : « لا يؤمنون » .

ولو كان قوله : « وما يشعركم » خطاباً للمشركين ، لكانت القراءة فى قوله : « لا يؤمنون » ، بالتاء ، وذلك ، وإن كان قد قرأه بعض قرأة المكيين كذلك ، فقراءةٌ خارجة عما عليه قرأة الأمصار. وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على ذهابها وشذوذها .[3] ٢١٤/٧

* * *

وإنما معنى الكلام: وما يدريكم،أيها المؤمنون ، لعل الآيات إذ جاءت هؤلاء المشركين لايؤمنون ، فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ، ولا يؤخَّروا به.

* * *

---

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة : ٣٩٣ ، الخزانة ٣ : ٥٩١ ، وروايتهما « كما نغدى » قال ابن قتيبة : (قال أبو النجم وذكر ظليما . . . « شيبان » ابنه ، قلت له : اركب فى طلبه . « كما » بمعنى « كيما » ، يقول : كيما نصيده فنغدى القوم به مشوياً) .

وكان البيت فى المخطوطة غير منقوط ، وفى المطبوعة : « قلت لسيبان » ، وهو خطأ . وفيها وفى المخطوطة : « من سرابه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « يعنى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) قوله : « ذهابها » ، أى هلاكها وفسادها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك: لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ، ما آمنوا ، كما لم يؤمنوا بما قبلها أوّل مرة، لأن الله حال بينهم وبين ذلك :

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥١ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة » الآية ، قال : لما جحد المشركون ما أنزل الله ، لم تثبت قلوبهم على شىء ، ورُدَّتْ عن كل أمر .

١٣٧٥٢ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » ، قال : نمنعهم من ذلك ، كما فعلنا بهم أول مرة . وقرأ : « كما لم يؤمنوا به أول مرة » .

١٣٧٥٣ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » ، قال : نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية، فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو رُدُّوا من الآخرة إلى الدنيا فلا يؤمنون ، كما فعلنا بهم ذلك ، فلم يؤمنوا فى الدنيا . قالوا : وذلك نظير قوله ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ ، [سورة الأنعام : ٢٨].

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

معاوية بن صالح، عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: أخبر الله سبحانه ما العبادُ قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه. قال: ولا ينبئك مثلُ خبير: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، [سورة الزمر: ٥٦ – ٥٨]، يقول: من المهتدين. فأخبر الله سبحانه أنهم لو رُدُّوا [إلى الدنيا، لما استقاموا] على الهدى، [وقال]: ﴿لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾،(١) وقال: «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة»، قال: لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم فى الدنيا.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات فى ذلك عندى بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه، أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها: أنَّه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرِّفها كيف شاء، وأنّ ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد = وأنّ قوله: «كما لم يؤمنوا به أول مرة»، دليل على محذوف من الكلام = وأنّ قوله: «كما» تشبيه ما بعده بشىء قبله. ٢١٥/٧

وإذْ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتَهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارَهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التى سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبلَ مجيئها مرَّة قبل ذلك.

* * *

(١) فى المطبوعة: «فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه...» حذف بعض ما فى المخطوطة. وفى المخطوطة: «فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا على الهدى وقال: ولو ردوا لعادوا لما انهوعنه...»، فأثبت نص المخطوطة، وزدت ما زدته بين القوسين حتى يستقيم الكلام.

وإذا كان ذلك تأويله، كانت « الهاء » من قوله : « كما لم يؤمنوا به » ، كنايةَ ذكر « التقليب » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم : لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها عند مجيئها [١] = فى تمرُّدهم على الله واعتدائهم فى حدوده ،[٢] يتردَّدون، لا يهتدون لحق ، ولا يبصرون صواباً،[٣] قد غلب عليهم الخِذْلان ، واستحوذ عليهم الشيطانُ .

* * *

٢/٨ القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد، آيسْ من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام، القائلين لك : «لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك»، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عياناً ، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حُجَّةً لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنك محقٌّ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقٌّ من عند الله ، وحشرنا عليهم كل شىء فجعلناهُم لك قبلاً ،

---

(١) انظر تفسير « يذر » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الطغيان » فيما سلف ١٠ : ٤٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « العمه » فيما سلف ١ : ٣٠٩ - ٣١١ .

ما آمنوا ولا صدّقوك ولا اتبعوك إلاّ أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم = « ولكن أكثرهم يجهلون » ، يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك ، يحسبون أن الإيمان إليهم ، والكفرَ بأيديهم ، متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا كفروا . وليس ذلك كذلك، ذلك بيدى ، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته ، ولا يكفر إلاّ من خذلته عن الرشد فأضللته .

* * *

وقيل إن ذلك نزل فى المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله ، من مشركى قريش .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت فى المستهزئين الذين سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم الآية ، فقال : « قل » ، يا محمد ، « إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » ، ونزل فيهم : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » .

* * *

وقال آخرون: إنما قيل : « ما كانوا ليؤمنوا » ، يراد به أهل الشقاء ، وقيل : « إلاّ أن يشاء الله » ، فاستثنى ذلك من قوله : « ليؤمنوا » ، يراد به أهل الإيمان والسعادة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا » ، وهم أهل الشقاء = ثم قال : « إلا أن يشاء الله » ، وهم أهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه أن يدخلوا فى الإيمان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ ابن عباس ، لأن الله جل ثناؤه عمّ بقوله : « ما كانوا ليؤمنوا »، القوم الذين تقدّم ذكرهم فى قوله: « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها » .

وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج أنهم عُنوا بهذه الآية ، ولكن لا دلالة فى ظاهر التنزيل على ذلك ، ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك. والخبر من الله خارجٌ مخرجَ العموم ، فالقول بأنّ ذلك عنى به أهل الشقاء منهم أولى ، لما وصفنا .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وحشرنا عليهم كل شىء قبلاً » .

فقرأته قرأة أهل المدينة : ﴿ قِبَلاً ﴾ ، بكسر « القاف » وفتح « الباء » ، بمعنى : معاينةً = من قول القائل: « لقيته قِبَلاً » ، أى معاينة ومُجاهرةً .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين والبصريين : ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ ، بضم « القاف » ، و « الباء » .

وإذا قرئ كذلك ، كان له من التأويل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون « القبل » جمع « قبيل » ، كالرُّغُف التى هى جمع « رغيف »، و « القُضُب » التى هى جمع « قضيب »، ويكون « القبل »، الضمناء والكفلاء = وإذا كان ذلك معناه، كان تأويل الكلام: وحشرنا عليهم كل شىء كُفَلاء يكفلون لهم بأن الذى نعدهم على إيمانهم بالله إن آمنوا ، أونوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم ، ما آمنوا إلاّ أن يشاء الله .

والوجه الآخر : أن يكون « القبل » بمعنى المقابلة والمواجهة ، من قول القائل : « أتيتُك قُبُلاً لا دُبُرًا » ، إذا أتاه من قبل وجهه .

والوجه الثالث : أن يكون معناه : وحشرنا عليهم كل شىء قبيلةً قبيلةً ، صنفاً صنفاً ، وجماعة جماعةً، فيكون « القبل » حينئذ جمع « قبيل » ، الذى هو

جمع « قبيلة » ، فيكون « القبل » جمع الجمع .[١]

* * *

وبكل ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال : معنى ذلك : معاينةً .

١٣٧٥٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح، قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة،عن ابن عباس: «وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، يقول: معاينة .

١٣٧٥٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، حتى يعاينوا ذلك معاينة = « ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله » .

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : قبيلة قبيلة ، صنفاً صنفاً .

١٣٧٥٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ « قُبُلاً » ، معناه : قبيلاً قبيلاً .

١٣٧٦٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال مجاهد : « قُبُلاً » ، أفواجاً، قبيلاً قبيلاً .

١٣٧٦١ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أحمد بن يونس ، عن أبي خيثمة قال ، حدثنا أبان بن تغلب قال، حدثني طلحة :أن مجاهداً قرأ في « الأنعام » : « كل شيء قُبُلاً » ، قال : قبائل ، قبيلاً وقبيلاً وقبيلاً .

* * *

* ذكر من قال : معناه : مقابلةً .

١٣٧٦٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، يقول : لو استقبلهم ذلك كله ، لم يؤمنوا إلاّ أن يشاء الله .

١٣٧٦٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، قال : حشروا إليهم جميعاً ، فقابلوهم وواجهوهم .

١٣٧٦٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد : قرأ عيسى : « قُبُلاً » ، ومعناه : عياناً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندنا ، قراءةُ من قرأ: ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ﴾ ، بضم «القاف» و « الباء » ، لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجهَ التى بينّا من المعانى ،وأن معنى « القِبَل » داخلٌ فيه ، وغير داخل فى « القِبَل » معانى « القُبُل » .

* * *

وأما قوله : « وحشرنا عليهم » ، فإن معناه : وجمعنا عليهم ، وسقنا إليهم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مسلِّيه بذلك عما لقى من كفرة قومه فى ذات الله ، وحاثًّا له على الصبر على ما نال فيه : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوًّا » ، يقول : وكما ابتليناك ، يا محمد ، بأن جعلنا لك من مشركى قومك أعداء شياطينَ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ، ٨/٤

(١) انظر تفسير « حشر » فيما سلف ٤٥٧ : ١١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

ليصدُّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربّك ، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرّسل، بأن جعلنا لهم أعداءً من قومهم يؤذُونهم بالجدال والخصومات. يقول : فهذا الذى امتحنتك به ، لم تخصص به من بينهم وحدك ، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم ، مع قدرتى على منع من آذاهم من إيذائهم ، فلم أفعل ذلك إلاّ لأعرف أولى العزم منهم من غيرهم . يقول : فاصبر أنتَ كما صبر أولو العزم من الرسل .

* * *

وأما «شياطين الإنس والجنّ » ، فإنهم مَرَدتهم ، وقد بينا الفعل الذى منه بُنِى هذا الاسم، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

ونصب « العدوّ » و « الشياطين » بقوله : « جعلنا » .(٢)

* * *

وأما قوله : « يُوحِى بعضُهم إلى بعض زخرفَ القول غروراً » ، فإنه يعنى أنّه يلقى الملقى منهم القولَ ، الذى زيّنه وحسَّنه بالباطل إلى صاحبه، ليغترّ به من سمعه ، فيضلّ عن سبيل الله .(٣)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « شياطين الإنس والجن » .

فقال بعضهم : معناه شياطين الإنس التى مع الإنس ، وشياطين الجن التى مع الجنّ ، وليس للإنس شياطين .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس

(١) انظر تفسير « الشيطان » فيما سلف ١ : ١١١ ، ١١٢ ، ٢٩٦ .
(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥١ .
(٣) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) .

والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زُخْرُفَ القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه»، أما « شياطين الإنس » ، فالشياطين التى تضلّ الإنس = « وشياطين الجن » ، الذين يضلون الجنّ ، يلتقيان ، فيقول كل واحد منهما : « إنى أضللت صاحبى بكذا وكذا ، وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا » ، فيعلم بعضُهم بعضاً .

١٣٧٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة : « شياطين الإنس والجن » ، قال : ليس فى الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن .(١)

١٣٧٦٧ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن السدى فى قوله : « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » ، قال : للإنسان شيطان ، وللجنىّ شيطان، فيلقَى شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

* * *

قال أبو جعفر : جعل عكرمة والسدى فى تأويلهما هذا الذى ذكرت عنهما ، عدوّ الأنبياء الذين ذكرهم الله فى قوله : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّاً » ، أولادَ إبليس ، دون أولاد آدم ، ودون الجن = وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول غروراً ، ولدَ إبليس ،وأن مَنْ مع ابن آدم من ولد إبليس يوحى إلى مَنْ مع الجن من ولده زخرفَ القول غروراً .

وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ، لأن الله جعل إبليس وولده أعداءَ ابن آدم، فكل ولده لكل ولده عدوّ . وقد خصّ الله فى هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداءً . فلو كان معنيًّا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدى ، الذين هم ولد إبليس ، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبرِ عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداءً ، وجهٌ . وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه ، مثل الذى جعل

(١) الأثر : ١٣٧٦٦ — «سعيد بن مسروق الثورى» ، ثقة ، مضى برقم : ٧١٦٢ .

لهم . ولكن ذلك كالذى قلنا ، من أنه معنىٌّ به أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدوًّا يوحى بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٣٧٦٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، قال ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف ابن مالك ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا ذر ، هل تعوَّذت بالله من شرّ شياطين الإنس والجنّ ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم ![1]

٥/٨

١٣٧٦٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاويه ابن صالح ، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ، عن أبي ذر أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال فقال : يا أبا ذر ،هل صلَّيت ؟ قال قلت :لا ، يا رسول الله. قال : قم فاركع ركعتين . قال : ثم جئت فجلستُ إليه فقال : يا أبا ذر ، هل تعوَّذت بالله من شرّ شياطين الإنس والجن ؟ قال قلت : يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم ، شرٌّ من شياطين الجن ![2]

---

(١) الأثر : ١٣٧٦٨ — « حميد بن هلال العدوى » ، ثقة ، متكلم فيه . سمع من « عوف ابن مالك » ، ولكنه رواه هنا بالواسطة ، عن مجهول : « رجل من أهل دمشق » . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٤٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٣٠ .

و « عوف بن مالك بن نضلة الجشمى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦١٧٢ ، ١٢٨٢٥ ، ١٢٨٢٦ . لم يذكر أنه سمع من أبي ذر .

وهذا الخبر فيه مجهول . ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٨٠ .

(٢) الأثر : ١٣٧٦٩ — كان في إسناد هذا الخبر خطأ فاحش ، وقع بلا شك من سهو الناسخ وعجلته ، فإنه كتب « حدثني معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة ، عن أبي عن ابن عباس ، أبي عبد الله محمد بن أيوب » ، ثم ضرب على « ابن عباس » . ولكنه ترك « عن على بن أبي طلحة » ، وهو خطأ لاشك فيه كما سترى بعد . وسبب ذلك إسناد أبي جعفر المشهور وهو : « حدثني المثنى ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس »

١٣٧٧٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : بلغني أن أبا ذر قام يوماً يُصَلّي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: تعوَّذ يا أبا ذر ،من شياطين الإنس والجن . فقال : يا رسول الله ، أوَ إنّ من الإنس شياطين؟ قال : نعم ![1]

* * *

وقال آخرون فى ذلك بنحو الذىقلنا : من أن ذلك إخبارٌ من الله أنّ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض .

* ذكر من قال ذلك :

وهو إسناد دائر فى التفسير ، آخره رقم : ١٣٧٥٦ ، فعجل فكتب الإسناد المشهور ، ثم استدرك فضرب على « ابن عباس » ، والصواب أن يضرب أيضاً على « على بن أبى طلحة»، لأن هذا إسناد مختلف عن الأول كل الاختلاف ، ولذلك حذفت «عن على بن أبى طلحة » ، مع ثبوته فى المخطوطة والمطبوعة ، ولكن ابن كثير ذكره فى التفسير على الصواب ٣ : ٣٧٩ ، كما أثبته .

و «أبو عبد الله محمد بن أيوب »، كأنه أيضاً خطأ من الناسخ ، صوابه : «أبو عبد الملك محمد بن أيوب » لما سترى .

« محمد بن أيوب الأزدى » ، « أبو عبد الملك » ، قال البخارى فى الكبير ١/١/٢٩ ، ٣٠ : « محمد بن أيوب أبو عبد الملك الأزدى ، عن ابن عائذ ، عن أبى ذر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : آدم نبى مكلم . قال لنا : عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن محمد بن أيوب ، حديثه فى الشاميين . سمع منه معاوية بن صالح » وترجمه ابن أبى حاتم ٣/٢/١٩٦ ، ١٩٧ ، فذكر مثله .

و « ابن عائذ » هو « عبد الرحمن بن عائذ الثمالى » ، ويقال : الأزدى الكندى ، ويقال : اليحصبى . روى له الأربعة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٧٠ ، وكان ابن عائذ من حملة العلم ، يطلبه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب أصحابه . روى عن عمر وعلى مرسلا . وفى التهذيب أنه روى عنهما وعن أبى ذر ، وعن غيرهم من الصحابة ، ولم يذكر « مرسلا » .

وذكر ابن كثير هذا الأثر والذى يليه فى تفسيره ٣ : ٣٧٩ ثم قال : « وهذا أيضاً فيه انقطاع » ، وتبين من تفسير إسناده أنه غير منقطع . ثم قال : « وروى متصلا كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا المسعودى ، أنبأنى أبو عمر الدمشقى ، عن عبيد بن الخشخاش ، عن أبى ذر قال : ... » وذكر الحديث ، وهو بطوله فى مسند أحمد ٥ : ١٧٨ ، ١٧٩ .

ثم ذكر ابن كثير طرقاً أخرى للحديث ثم قال : « فهذه طرق لهذا الحديث ، ومجموعها يفيد قوته وصحته ، والله أعلم » .

(١) الأثر : ١٣٧٧٠ ــ هذا أثر منقطع ، انظر التعليق على الخبر السالف ، وما قاله ابن كثير .

١٣٧٧١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال،أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « شياطين الإنس والجن » ، قال : من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، يوحى بعضهم إلى بعض = قال قتادة : بلغنى أن أبا ذر كان يوماً يصلّى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : تعوَّذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن . فقال : يا نبي الله ، أوَ إن من الإنس شياطين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم !

١٣٧٧٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن » ، الآية ، ذكر لنا أنّ أبا ذر قام ذات يوم يصلى ، فقال له نبي الله : تعوّذ بالله من شياطين الجن والإنس.فقال : يا نبي الله ، أوَ للإنس شياطين كشياطين الجن ؟ قال : نعم ، أوَ كذَبْتُ عليه ؟[1]

١٣٧٧٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن» ،فقال: كفار الجنّ شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس، كفارِ الإنس ، زخرفَ القول غروراً .

* * *

وأما قوله : « زُخرف القول غروراً » ، فإنه المزيَّن بالباطل ، كما وصفت قبل.يقال منه: « زخرف كلامه وشهادته»، إذا حسَّن ذلك بالباطل ووشّاه ، كما:—

١٣٧٧٤ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبو نعيم، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة قوله : « زخرف القول غروراً » ، قال : تزيين الباطل بالألسنة .

---

(١) قوله : « أو كذبت عليه » ، استنكار من رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال أبي ذر ، فإن نص التنزيل دال على ذلك ، ورسول الله هو الصادق المصدق المبلغ عن ربه الحق الذى لا كذب فيه .

١٣٧٧٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : أما « الزخرف »، فزخرفوه، زيّنوه .

١٣٧٧٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « زخرف القول غروراً »، قال : تزيين الباطل بالألسنة .

١٣٧٧٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله .

١٣٧٧٨ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمى قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « زخرف القول غروراً »، يقول : حسَّن بعضهم لبعضٍ القولَ ليتّبعوهم في فتنتهم .

١٣٧٧٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « زخرف القول غروراً »، قال : « الزخرف »، المزيَّن، حيث زيَّن لهم هذا الغرور، كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه له لمن الناصحين . وقرأ : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ﴾، [سورة فصلت : ٢٥] . قال : ذلك الزخرف .

* * *

٦/٨ وأما « الغرور »، فإنه ما غرّ الإنسان فخدعه فصدّه عن الصواب إلى الخطأ، وعن الحق إلى الباطل[1] = وهو مصدر من قول القائل : « غررت فلاناً بكذا وكذا، فأنا أغرُّه غروراً وغرًّا »،[2] كالذى : —

١٣٧٨٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « غروراً »، قال : يغرّون به الناسَ والجنّ .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ومن الحق »، والجيد ما أثبت كما ترى .

(٢) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ٧ : ٤٥٣/٩ : ٢٢٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو شئت ، يا محمد ، أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائى أعداءً من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم ، فعلتُ ذلك ، ولكنى لم أشأ ذلك ، لأبتلى بعضهم ببعض ، فيستحق كل فريق منهم ما سبق له فى الكتاب السابق = « فذرهم » ، يقول : فدعهم[1] = يعنى الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركى قومك ويخاصمونك بما يوحى إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن = « وما يفترون » ، يعنى : وما يختلقون من إفك وزور .[2]

يقول له صلى الله عليه وسلم : اصبر عليهم ، فإنى من وراء عقابهم على افترائهم على الله ، واختلاقهم عليه الكذبَ والزور .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » = « ولتصغى إليه » ، يقول جل ثناؤه : يوحى بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المزيَّن من القول

(١) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ص : ٤٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف : ١١ : ٥٣٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بالباطل ، ليغرّوا به المؤمنين من أتباع الأنبياء فيفتنوهم عن دينهم = « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، يقول : ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة .

* * *

= وهو من «صغَوْت تَصْغَى وتصغُو» = والتنزيل جاء بـ «تصغَى» = «صَغْواً ، وصُغُوًّا » ، وبعض العرب يقول : « صغيت » ، بالياء ، حكى عن بعض بنى أسد : «صَغيت إلى حديثه ، فأنا أصغَى صُغِيًّا» بالياء ، وذلك إذا ملت . يقال : « صَغْوِى معك » ، إذا كان هواك معه وميلك ، مثل قولهم : «ضِلَعِى معك» .
ويقال : « أصغيت الإناء » ، إذا أملته ليجتمع ما فيه ، ومنه قول الشاعر :[١]

تَرَى السَّفِيهَ بِهِ عَنْ كُلِّ مُحْكَمَةٍ زَيْغٌ ، وفيهِ إلَى التَّشْبِيهِ إصْغَاءُ[٢]

ويقال للقمر إذا مال للغيوب : « صغا » و « أصغى » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٨١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولتصغى إليه أفئدة » ، يقول : تزيغ إليه أفئدة .

١٣٧٨٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس فى قوله : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، قال : لتميل .

١٣٧٨٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) اللسان (صغا) ، وأيضاً فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٠٥ ، والقرطبى ٧ : ٦٩ ، وفى اللسان والقرطبى : « عن كل مكرمة » ، وكأن الصواب ما فى تفسير ابن جرير ، وأبى حيان ، وكأن الشاعر يريد الذين يتبعون ما تشابه من آيات كتاب الله ، ويعرضون عن المحكم من آياته .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، يقول : تميل إليه قلوبُ الكفار ، ويحبونه ، ويرضون به .

١٣٧٨٤ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، قال : « ولتصغى » ، وليهووا ذلك وليرضوه . قال: يقول الرجل للمرأة : « صَغَيْتُ إليها »، هَوِيتها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وليكتسبوا من الأعمال ما هم مكتسبون .

* * *

حكى عن العرب سماعاً منها :«خرج يقترف لأهله» ، بمعنى يكسب لهم .
ومنه قيل : «قارف فلان هذا الأمر » ، إذا واقعه وعمله .

وكان بعضهم يقول : : هو التهمة والادعاء . يقال للرجل:« أنت قَرَفْتَنى »، أى : اتّهمتنى . ويقال : « بئسما اقترفتَ لنفسك » ، وقال رؤبة : ٧/٨

أَعْيَى اقْتِرَافُ الكَذِبِ المَقْرُوفِ   تَقْوَى التَّقِي وعِفَّـةَ العَفِيفِ[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « وليقترفوا » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٨٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وليقترفوا ما هم مقترفون » ، وليكتسبوا ما هم مكتسبون

(١) ليسا فى ديوانه ، وهما فى مجاز القرآن ١ : ٢٠٥ .

١٣٧٨٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وليقترفوا ما هم مقترفون » ، قال : ليعملوا ما هم عاملون .

١٣٧٨٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وليقترفوا ما هم مقترفون » ، قال: ليعملوا ما هم عاملون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، القائلين لك : « كفّ عن آلهتنا، ونكف عن إلهك » : إن الله قد حكم علىّ بذكر آلهتكم بما يكون صدًّا عن عبادتها = « أفغير الله أبتغى حكماً » ، أى : قل: فليس لى أن أتعدّى حكمه وأتجاوزه، لأنه لا حَكَم أعدل منه ، ولا قائل أصدق منه[1] = « وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » ، يعنى القرآن = « مفصَّلاً » ، يعنى : مبيناً فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم .

* * *

وقد بينا معنى : « التفصيل » ، فيما مضى قبل .[2]

---

(١) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .
(٢) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١١ : ٣٩٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك توحيدَ الله ، وأشركوا معه الأندادَ ، وجحدوا ما أنزلته إليك ، وأنكروا أنْ يكون حقاً وكذّبوا به = فالذين آتيناهم الكتاب ، وهو التوراة والإنجيل من بنى إسرائيل = « يعلمون أنه منزل من ربّك » ، يعنى القرآن وما فيه = « بالحق » يقول : فصلاً بين أهل الحق والباطل ، يدلُّ على صدق الصادق على الله ،[1] وكذبِ الكاذب المفترى عليه = « فلا تكونن من الممترين » ، يقول : فلا تكونن ، يا محمد ، من الشاكين فى حقيقة الأنباء التى جاءتك من الله فى هذا الكتاب ، وغيرِ ذلك مما تضمنه ، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنّه منزل من ربك بالحق .

* * *

وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله : « فلا تكونن من الممترين » ، بما أغنى عن إعادته ، مع الرواية المروية فيه ،[2] وقد : —

١٣٧٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فلا تكونن من الممترين » ، يقول : لا تكونن فى شك مما قصّصنا عليك .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « الصادق فى علم الله » ، وفى المخطوطة : « الصادق علم الله » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الامتراء » فيما سلف ٣ : ١٩٠ — ١٩٢/٦ : ٤٧٢ ، ٢٦٠ : ١١/٤٧٣

القول فى تأويل قوله ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكملت= « كلمة ربك » ، يعنى القرآن .

* * *

سماه « كلمة » ، كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر : « هذه كلمة فلان » .(١)

* * *

= « صدقاً وعدلاً » ، يقول : كملت كلمة ربك من الصدق والعدل .

* * *

و « الصدق » و « العدل » نصبا على التفسير للكلمة ، كما يقال : « عندى عشرون درهماً » .(٢)

* * *

= « لا مبدل لكلماته » ، يقول : لا مغيِّر لما أخبر فى كتبه أنه كائن ، من وقوعه فى حينه وأجله الذى أخبر الله أنه واقع فيه ، (٣) وذلك نظير قوله جل ثناؤه ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، [سورة الفتح : ١٥] . فكانت إرادتهم تبديل كلام الله ، مسألتهم نبيَّ الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه ، وقولهم له ولمن معه من المؤمنين : ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ ، بعد الخبر الذى كان الله أخبرهم تعالى ذكره فى كتابه بقوله : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ الآية ، [سورة التوبة : ٨٣] ، فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا

٨/٨

---

(١) انظر تفسير « الكلمة » فيما سلف ٣ : ٧ — ٦/١٧ : ٣٧١ ، ٤١٠ — ٤١٢ / ٨ : ٩/٤٣٢ : ١٠/٤١٠ : ١٢٩ ، ٣١٣ .

(٢) « التفسير » ، هو « التمييز » ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

(٣) انظر تفسير « التبديل » فيما سلف ١١ : ٣٣٥ ، وفهارس اللغة (بدل) .

مع نبي الله فى غَزاةٍ ، ولن يقاتلوا معه عدوًّا بقولهم لهم: « ذرونا نتبعكم » ، فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: « يريدون أن يبدلوا » = بمسألتهم إياهم ذلك = كلامَ الله وخبره : « قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل » . فكذلك معنى قوله : « لا مبدِّل لكلماته » ، إنما هو لا مغيِّر لما أخبرَ عنه من خبر أنه كائن ، فيبطل مجيئه وكونه ووُقُوعه على ما أخبرَ جل ثناؤه، لأنه لايزيد المفترون فى كتب الله ولا ينقصون منها . وذلك أن اليهود والنصارى لا شك أنهم أهلُ كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرِّفون غيرَ الذى أخبر أنَّه لا مبدِّل له .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٨٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته » ، يقول : صدقاً وعدلاً فيما حكَم .

* * *

وأما قوله : « وهو السميع العليم» ، فإن معناه : والله « السميع » ، لما يقول هؤلاء العادلون بالله ، المقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، وغير ذلك من كلام خلقه= «العليم » ، بما تؤول إليه أيمانهم من برٍّ وصدق وكذب وحِنْثٍ ، وغير ذلك من أمور عباده .[1]

* * *

(١) انظر تفسير « السميع » و « العليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) و (علم) .

* * *

وعند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد ، يا محمد ، فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم ، وأهلُّوا به لغير ربهم ، وأشكالـهم من أهل الزيغ والضلال ، فإنك إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن دين الله ، ومحجة الحق والصواب ، فيصدّوك عن ذلك .

وإنما قال الله لنبيه : « وإن تطع أكثر من فى الأرض » ، من بنى آدم ، لأنهم كانوا حينئذ كفاراً ضلاّلاً ، فقال له جل ثناؤه : لا تطعهم فيما دعوك إليه ، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم ، وكنتَ مثلهم ، لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه . ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نَهَى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه فى أنفسهم ، فقال : « إن يتبعون إلاّ الظن » ، فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم ، وحسبان على صحة عزمٍ عليه ،[١] وإن

« يتلوه القول فى تأويل قولة :
وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ
وصلى الله على محمد النبى وآله وصحبه وسلم كثيراً »

ثم يتلو ما نصه :

« بِسْمِ الله الرحمن الرحيم
رَبِّ وَفِّقْ وأَعِنْ »

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وأنا فى شك من صوابه .

كان خطأً فى الحقيقة = « وإن هم إلا يخرصون » ، يقول: ما هم إلا متخرّصون ، يظنون ويوقعون حَزْرًا ، لا يقينَ علمٍ .[١]

* * *

يقال منه: « خرَصَ يخرُصُ خَرْصاً وخروصاً » ،[٢] أى كذب ، و«تخرّص بظن» ، و «تخرّص بكذب» ، و «خرصتُ النخل أخرُصه » ، و «خَرِصَتْ إبلك » ، أصابها البردُ والجوع .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عن سبيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن ربك الذى نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ ، لئلا يُضلوك عن سبيله ، هو أعلم منك ومن جميع خلقه أىُّ خلقه يَضلّ عن سبيله بزخرف القول الذى يوحِي الشياطين بعضُهم إلى بعض، فيصدُّوا عن طاعته واتباع ما أمر به = « وهو أعلم بالمهتدين » ، يقول : وهو أعلم أيضاً منك ومنهم بمن كان على استقامة وسدادٍ ، لا يخفى عليه منهم أحد . يقول: واتبع ، يا محمد ، ما أمرتك به ، وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته ، فإنى أعلم بالهادى والمضلّ من خلقى ، منك .

* * *

واختلف أهل العربية فى موضع : « مَن » فى قوله : « إن ربك هو أعلم من يضل » .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٦ .

(٢) فى المطبوعة : « خرصا وخرصا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولم أجد « خروصاً » ، مصدراً لهذا الفعل ، فى شىء مما بين يدى من كتب اللغة ، ولكن ذكره أبو حيان فى تفسيره أيضاً ٤ : ٢٠٥ .

٩/٨ فقال بعض نحويي البصرة: موضعه خفض بنيّة « الباء» . قال: ومعنى الكلام: إن ربك هو أعلم بمن يضِلُّ . [١]

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : موضعه رفع ، لأنه بمعنى « أيّ » ، والرافع له « يضلّ » . [٢]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أنه رفع بـ« يضل »، وهو في معنى « أيّ » . وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض، فيكون هذا له نظيراً .

* * *

وقد زعم بعضهم أن قوله : « أعلم » ، في هذا الموضع بمعنى « يعلم » ، واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائي :

فَحَالَفَتْ طَيِّئٌ مِنْ دُونِنَا حِلِفاً ... وَاللهُ أَعْلَمُ ما كُنَّا لَهُمْ خُذُلاَ [٣]

وبقول الخنساء :

القَوْمُ أَعْلَمُ أَنَّ جَفْنَتَهُ ... تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تَسرى [٤]

---

(١) انظر ما سلف ١١ : ٥٦٠ ، تعليق : ١، وأن قائله هو الأخفش .

(٢) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٢ ، وهذا قول الفراء .

(٣) البيت ليس في ديوان حاتم ، وهو في تفسير القرطبي ٧ : ٧٢ ، عن هذا الموضع من تفسير أبي جعفر : وقوله : « حلف » هو بكسر الحاء واللام ، ألحق اللام كسرة الحاء لضرورة الشعر . ولو قال « حلفا » (بفتح الحاء وكسر اللام) وهو مصدر « حلف يحلف » مثل « الحلف » (بكسر فسكون) ، لكان صواباً ، لأن « الحلف » الذي هو العهد ، إنما سمي « حلفاً » بمصدر « حلف » بمعنى أقسم ، لأن العهد يوثق باليمين والقسم .

(٤) ديوانها : ١٠٤ ، في رثاء أخيها صخر ، وبعده :

فَإِذَا أَضَاءَ وَجَاشَ مِرْجَلُهُ ... فَلَنِعْمَ رَبُّ النَّارِ وَالقِدْرِ

وقولها : «تغدو» ، أي تغدو على قومه وضيوفه . و « غداة الريح » ، أي غدوة في زمن الشتاء ، في زمان القحط وقلة الألبان ، « وتسرى » . يعني في الليل . وقولها : « أضاء » ، أي أوقد ناره لتوضع عليها القدور ، ويراها الضيفان .

وهذا الذى قاله قائل هذا التأويل ، وإن كان جائزاً فى كلام العرب ، فليس قولُ الله تعالى ذكره : « إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله »، منه. وذلك أنه عطف عليه بقوله: « وهو أعلم بالمهتدين »، فأبان بدخول « الباء » فى « المهتدين » أن « أعلم » ليس بمعنى «يعلم»، لأن ذلك إذا كان بمعنى « يفعل »، لم يوصل بالباء، كما لا يقال : « هو يعلم بزيد » ، بمعنى : يعلم زيداً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته: « فكلوا »، أيها المؤمنون، مما ذكّيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذى بينت لكم أنه تحلّ به الذبيحة لكم ، وذلك ما ذبحه المؤمنون بى من أهل دينكم دين الحق ، أو ذبحه من دان بتوحيدى من أهل الكتاب ، دون ما ذبحه أهل الأوثان ومن لا كتاب له من المجوس = « إن كنتم بآياته مؤمنين » ، يقول : إن كنتم بحجج الله التى أتتكم وأعلامه ، بإحلال ما أحللت لكم، وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل ، مصدّقين . ودَعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم ، وتلبيس دينكم عليكم غروراً .

* * *

وكان عطاء يقول فى ذلك ما : —

١٣٧٩٠ — حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال، قلت لعطاء قوله: « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه »، قال: يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح . وكل شىء يدلّ على ذكره يأمر به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العلم بكلام العرب فى تأويل قوله : « وما لكم أن لا تأكلوا » .

فقال بعض نحويي البصريين : معنى ذلك: وأىّ شىء لكم فى أن لا تأكلوا. قال : وذلك نظير قوله : ﴿ وَمَا لَنَا أَنْ لَا نُقَاتِلَ ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٤٦]. يقول : أىّ شىء لنا فى ترك القتال ؟ قال : ولو كانت « لا » ، زائدة لا يقع الفعل.(١) ولو كانت فى معنى : « وما لنا وكذا » ، لكانت : وما لنا وأن لا نقاتل .

* * *

وقال غيره : إنما دخلت « لا » للمنع ، لأن تأويل « مالك » ، « وما منعك » واحد . « ما منعك لا تفعل ذلك »، و«ما لك لا تفعل » ، واحد . فلذلك دخلت « لا » . قال : وهذا الموضع تكون فيه « لا » ، وتكون فيه « أنْ » ، مثل قوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٦] ، و«أن لا تضلوا »، يمنعكم من الضلال بالبيان .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ، قولُ من قال : معنى قوله : « وما لكم » ، فى هذا الموضع : وأىُّ شىء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه . وذلك أنّ الله تعالى ذكره تقدّم إلى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه ، وإباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه

---

(١) قوله : « لا يقع الفعل » ، أى لا يتعدى ، « الوقوع » ، التعدى .

(٢) استوفى أبو جعفر بحث هذا فيما سلف ٥ : ٣٠٠ — ٣٠٥ ، والفراء فى معانى القرآن ١ : ١٦٣ — ١٦٦ ، ولم يشر إلى ذلك أبو جعفر كعادته فيما سلف .

المعروفة ، وتحريم ما أهلّ به لغيره ، من الحيوان = وزجرهم عن الإصغاء لما يوحى ١٠/٨
الشياطين بعضهم إلى بعض من زخرف القول فى الميتة والمنخنقة والمتردية ، وسائر
ما حرم الله من المطاعم . ثم قال : وما يمنعكم من أكل ما ذبح بديني الذى
ارتضيته ، وقد فصّلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون، وبينته لكم بقولي:[1]
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ، إلى قوله:
﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾، [سورة المائدة : ٣] ، فلا لبس عليكم
فى حرام ذلك من حلاله ، فتتمنعوا من أكل حلاله حذراً من مواقعة حرامه .

فإذ كان ذلك معناه، فلا وجه لقول متأوّلى ذلك : « وأى شىء لكم فى أن لا
تأكلوا » ، لأن ذلك إنما يقال كذلك ، لمن كان كف عن أكله رجاء ثواب
بالكفّ عن أكله ، وذلك يكون ممن آمن بالكفّ فكف اتّباعاً لأمر الله وتسليماً
لحكمه . ولا نعلم أحداً من سلف هذه الأمة كفَّ عن أكل ما أحل الله من
الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك ، واعتقاداً منه أن الله حرمه عليه . فبيّنٌ
بذلك ، إذ كان الأمر كما وصفنا ، أن أولى التأويلين فى ذلك بالصواب ما قلنا .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله: « فصَّل » ، و« فصلنا » ، و« فُصِّل »
بيّن أو بُيِّن، بما يغنى عن إعادته فى هذا الموضع[2] كما : —

١٣٧٩١ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ،
عن قتادة : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » ، يقول : قد بين لكم ما حرم
عليكم .

١٣٧٩٢ — حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد ، مثله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « بقوله » ، وفى المخطوطة : « بقول » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص: ٦٠، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك ، وانظر فهارس اللغة (فصل)

واختلفت القرأة فى قول الله جل ثناؤه : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » .

فقرأه بعضهم : بفتح أول الحرفين من : ﴿ فَصَّلَ ﴾ و ﴿ حَرَّم ﴾ ، أى : فصّل ما حرّمه من مطاعمكم ، فبيّنه لكم .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ ﴾ بفتح فاء « فصل » وتشديد صاده ، ﴿ مَا حُرِّم ﴾ ، بضم حائه وتشديد رائه ، بمعنى : وقد فصل الله لكم المحرَّم عليكم من مطاعمكم .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين : ﴿ وَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ ﴾ ، بضم فائه وتشديد صاده ، ﴿ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، بضم حائه وتشديد رائه ، على وجه ما لم يسمَّ فاعله فى الحرفين كليهما .

* * *

وروى عن عطية العوفى أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ وَقَدْ فَصَلَ ﴾ ، بتخفيف الصاد وفتح الفاء ، بمعنى : وقد أتاكم حكم الله فيما حرَّم عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن كل هذه القراءات الثلاث التى ذكرناها ، سوى القراءة التى ذكرنا عن عطية ، قراءات معروفات مستفيضةٌ القراءةُ بها فى قرأة الأمصار ، وهن متّفقات المعانى غير مختلفات ، فبأىِّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ فيه الصوابَ .

* * *

وأما قوله : « إلا ما اضطررتم إليه » ، فإنه يعنى تعالى ذكره : أن ما اضطررنا إليه من المطاعم المحرّمة التى بيّن تحريمها لنا فى غير حال الضرورة ، لنا حلال ما كنا إليه مضطرين ، حتى تزول الضرورة ، [1] كما : —

---

(١) انظر تفسير « اضطر » فيما سلف ٣ : ٥٦ ، ٣٢٢ / ٩ : ٥٣٢

١٣٧٩٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا ما اضطررتم إليه » ، من الميتة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وإن كثيراً من الناس [الذين] يجادلونكم فى أكل ما حرم الله عليكم،(١) أيها المؤمنون بالله ، من الميتة ، ليُضلون أتباعهم بأهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون ، إلا ركوباً منهم لأهوائهم ، واتباعاً منهم لدواعى نفوسهم ، اعتداءً وخلافاً لأمر الله ونهيه ، وطاعة للشياطين (٢) =« إن ربك هو أعلم بالمعتدين » ، يقول : إن ربك ، يا محمد ، الذى أحل لك ما أحل وحرم عليك ما حرم ، هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها إلى خلافها ، وهو لهم بالمرصاد .(٣)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ليضلون » .

فقرأته عامة أهل الكوفة : ﴿ لَيُضِلُّونَ ﴾ ، بمعنى : أنهم يضلون غيرهم . ١١/٨

* * *

وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين : ﴿ لَيَضِلُّونَ ﴾ ، بمعنى : أنهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه .

* * *

(١) الزيادة بين القوسين ، يقتضيها السياق .

(٢) انظر تفسير «الأهواء» فيما سلف من فهارس اللغة (هوى)
= وتفسير « الضلال » فى فهارس اللغة (ضلل)

(٣) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا)

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ، قراءةُ من قرأ : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ ﴾ ، بمعنى : أنهم يضلون غيرهم . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبرَ نبيه صلى الله عليه وسلم عن إضلالهم من تبعهم ، ونهاه عن طاعتهم واتباعهم إلى ما يدعونه إليه ، فقال : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ ، ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذى أخبره عنهم ، ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذى نهاه عنه ، فقال لهم : وإن كثيراً منهم ليضلونكم بأهوائهم بغير علم = نظيرَ الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ودعوا ، أيها الناس ،(١) علانية الإثم ، وذلك ظاهره = وسرّه ، وذلك باطنه ، كذلك : —

١٣٧٩٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، أى : قليله وكثيره ، وسرّه وعلانيته .

١٣٧٩٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال : سره وعلانيته .

١٣٧٩٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، يقول : سره وعلانيته = وقوله : ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٣] ، قال : سره وعلانيته .

١٣٧٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى

(١) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ص : ٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال : نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه ، أن يعمل به سرًّا أو علانية ، وذلك ظاهره وباطنه .

١٣٧٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، معصية الله فى السر والعلانية .

١٣٧٩٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ،عن مجاهد : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال : هو ما ينوى مما هو عامل .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالظاهر من الإثم والباطن منه ، فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : « الظاهر منه » ، ما حرم جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾، [سورة النساء : ٢٢] ، وقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ الآية ، [سورة النساء : ٢٣] ، و« الباطن منه »، الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال : الظاهر منه: ﴿ ولاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ والأمهات والبنات والأخوات = و « الباطن » ، الزنا .

* * *

وقال آخرون : «الظاهر » ، أولات الرايات من الزوانى ،[1] «والباطن» ، ذوات الأخدان.

---

(١) « أولات الرايات » ، البغايا فى الجاهلية ، كن ينصبن رايات عند خيامهن أو عند بيوتهن ، يعرفن بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠١ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » أما « ظاهره » ، فالزوانى فى الحوانيت ،وأما « باطنه » ، فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرًّا .

١٣٨٠٢ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثني عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾، [سورة الأنعام : ١٥١] . كان أهل الجاهلية يستسرُّون بالزنا، ويرون ذلك حلالاً ما كان سرًّا. فحرّم الله السر منه والعلانية =«ما ظهر منها » ، يعنى العلانية = « وما بطن » ، يعنى : السر .

١٣٨٠٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن أبى مكين وأبيه ، عن خصيف،عن مجاهد : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾،قال : « ما ظهر منها » ، الجمع بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده = « وما بطن » ، الزنا . ١٢/٨

* * *

وقال آخرون : « الظاهر » ، التعرّى والتجرد من الثياب ، وما يستر العورة فى الطواف = و« الباطن » ، الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٤ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ، قال : ظاهره العُرْيَة التى كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت ،[1] وباطنه الزنا .

* * *

(١) « العرية » (بضم العين وسكون الراء) ، مصدر « عرى من ثوبه يعرى عرياً وعرية » ، يقال : « جارية حسنة العرية ، وحسنة المعرى والمعراة » ، أى حسنة عند تجريدها من ثيابها .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه ، وذلك سره وعلانيته . و«الإثم» كل ما عُصِيَ الله به من محارمه ،[1] وقد يدخل فى ذلك سرُّ الزنا وعلانيته ، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهن ، ونكاحُ حلائل الآباء والأمهات والبنات ، والطواف بالبيت عرياناً ، وكل معصية لله ظهرت أو بطنت . وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميعُ ذلك « إثماً »،وكان الله عمّ بقوله:« وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن = لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئاً دون شيء ، إلا بحجة للعذر قاطعة .

غير أنه لو جاز أن يوجَّه ذلك إلى الخصوص بغير برهان ، كان توجيهه إلى أنه عنى بظاهر الإثم وباطنه فى هذا الموضع ، ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم ، وما بين الله تحريمه فى قوله : « حرمت عليكم الميتة » ، إلى آخر الآية ، أولى ، إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى ، وهذه فى سياقها . ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك ، وأدخل فيها الأمر باجتناب كل ما جانسه من معاصى الله ، فخرج الأمر عامًّا بالنهى عن كل ما ظهر أو بطن من الإثم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: إن الذين يعملون بما نَهاهم الله عنه ،

(١) انظر تفسير « الإثم » فيما سلف من فهارس اللغة (أثم)

ويركبون معاصىَ الله، ويأتون ما حرَّم الله = « سيجزون »، يقول: سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا فى الدنيا يعملون من معاصيه .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه »، لا تأكلوا، أيها المؤمنون، مما مات فلم تذبحوه أنتم، أو يذبحه موحِّدٌ يدين لله بشرائع شرَعها له فى كتاب منزل، فإنه حرام عليكم = ولا ما أهل به لغير الله مما ذبَحه المشركون لأوثانهم ، فإن أكل ذلك « فسق » ، يعنى : معصية كفر .[٢]

* * *

فكنى بقوله : « وإنه » ، عن « الأكل » ، وإنما ذكر الفعل ،[٣] كما قال: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ ، [سورة آل عمران ١٧٣] يراد به ، فزاد قولهُم ذلك إيماناً ، فكنى عن « القول » ، وإنما جرى ذكره بفعلٍ .[٤]

* * *

(١) انظر تفسير « كسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب)
= وتفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزا)
= وتفسير « اقترف » فيما سلف ص : ٥٩ ، ٦٠

(٢) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١١ : ٣٧٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) « الفعل » ، هو المصدر .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٢ .

= « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .(١)

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، فقال بعضهم : عنى بذلك شياطين فارسَ ومن على دينهم من المجوس = « إلى أوليائهم » ، من مردة مشركى قريش، يوحون إليهم زخرف القول ، بجدالِ نبي الله وأصحابه فى أكل الميتة .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٥ — حدثنى عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى قال، حدثنا موسى بن عبد العزيز القنبارىّ قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة : لما نزلت هذه الآية ، تحريم الميتة ، قال : أوحت فارس إلى أوليائها من قريشٍ أنْ خاصموا محمداً = وكانت أولياءهم فى الجاهلية(٣) = وقولوا له : أوَ ما ذبحتَ فهو حلال ، وما ذَبح الله (٤) = قال ابن عباس : بِشِمْشَارٍ من ذهب(٥) = فهو حرام ! ! فأنزل الله هذه الآية : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، قال الشياطين : فارس ، وأولياؤهم قريش .(٦)

١٣/٨

---

(١) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى)

(٢) فى المطبوعة : « يوحون إليهم زخرف القول ليصل إلى نبى الله وأصحابه فى أكل الميتة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فاجتهد اجتهاداً ضرب على الجملة فساداً لا تعرف له غاية . وكان فى المخطوطة : « . . . زخرف القول يحد إلى نبى الله » ، غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها .

(٣) يعنى : وكانت قريش أولياء فارس وأنصارهم فى الجاهلية ، وهى جملة معترضة وضعتها بين خطين .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « إن ما ذبحت » ، كأنه خبر ، وهو استفهام واستنكار أن تكون ذبيحة الخلق حلالا ، وذبيحة الله — فيما يزعمون ، وهى الميتة — حراماً .

(٥) « شمشار » ، وفى تفسير ابن كثير ٣ : ٣٨٩ : « بشمشير » ، وتفسيره فى خبر آخر يدل على أن « الشمشار » أو « الشمشير » ، هو السكين أو النصل، انظر رقم : ١٣٨٠٦ ، وكأن هذا كان من عقائد المجوس ، أن الميتة ذبيحة الله ، ذبحها بشمشار من ذهب ! !

(٦) الأثر : ١٣٨٠٥ — « عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدى النيسابورى » ، ثقة ، صدوق من شيوخ البخارى وأبى حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢١٥ .

و « موسى بن عبد العزيز اليمانى العدنى القنبارى» ، لا بأس به ، متكلم فيه . مترجم فى التهذيب ،

١٣٨٠٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عمرو بن دينار ، عن عكرمة : إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس ، وكتبت فارسُ إلى مشركي قريش : « إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه = للميتة = وأمّا ما ذبحوا هم يأكلون » ! وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه السلام ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء ، فنزلت : « وإنه لفسقٌ وإن الشياطين ليوحون » الآية ، ونزلت : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ﴾ ، [سورة الأنعام: ١١٢] .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بالشياطين الذين يغرُون بني آدم : أنهم أوحوا إلى أوليائهم من قريش .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة قال : كان ممّا أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الإنس : كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون مما قتَل ، وتأكلون أنتم ما قتلتم ؟ فرُوِي الحديث حتى بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨٠٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، قال : إبليسُ الذي يُوحي إلى مشركي قريش = قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قال : شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس : « يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » = قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير

والكبير للبخاري ٤/١/٢٩٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٥١ .
و « القنباري » نسبة إلى « القنبار » وهي حبال تفتل من ليف شجر النارجيل ، الذي يقال له : الجوز الهندي ، وتجر بحبال القنبار السفن لقوته .

قال : سمعت أنَّ الشياطين يوحون إلى أهل الشرك ، يأمرونهم أن يقولوا : ما الذى يموتُ، وما الذى تذبحون إلاَّ سواء ! يأمرونهم أن يخاصِمُوا بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم = « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، قال : قولُ المشركين أمّا ما ذبح الله ، للميتة ، فلا تأكلون ، وأمّا ما ذبحتم بأيديكم فحلال !

١٣٨٠٩ — حدثنا محمد بن عمار الرازى قال، حدثنا سعيد بن سليمان قال ، حدثنا شريك، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : إن المشركين قالوا للمسلمين : ما قتل ربّكم فلا تأكلون ، وما قتلتم أنتم تأكلونه ! فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ».[1]

١٣٨١٠ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما حرم الله الميتة ، أمر الشيطان أولياءَه فقال لهم : ما قتل الله لكم ، خيرٌ مما تذبحون أنتم بسكاكينكم ! فقال الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨١١ — حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ، حدثنا إسحق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : جادل المشركون المسلمين فقالوا : ما بال ما قتلَ الله لا تأكلونه ، وما قتلتم أنتم أكلتموه ! وأنتم تتبعون أمر الله ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » ، إلى آخر الآية .

١٣٨١٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ،

(١) الأثر : ١٣٨٠٩ — « محمد بن عمار بن الحارث الرازى » ، أبو جعفر ، روى عن إسحق ابن سليمان والسندى بن عبدويه ، ومؤمل بن إسماعيل ، وكتب عنه ابن أبى حاتم ، وقال : « وهو صدوق ثقة » . مترجم فى ابن أبى حاتم ٤ / ١ / ٤٣ .

« سعيد بن سليمان » ، لم أعرف من يكون فيمن يسمى بذلك ، وأخشى أن يكون صوابه : « إسحق بن سليمان الرازى » ، الذى ذكر ابن حبان أن « محمد بن عمار يروى عنه » .

يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨١٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة : إن ناساً من المشركين دخلُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الشاة إذا ماتت ، من قَتَلها ؟ فقال : اللهُ قتلها. قالوا : فتزعم أن ما قتلتَ أنت وأصحابُك حلالٌ ، وما قتله الله حرام ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ». ١٤/٨

١٣٨١٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرميّ : أن ناساً من المشركين قالوا : أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه !

١٣٨١٥ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين » ، قال : قالوا : يا محمد، أمّا ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه ،وأمّا ما قتل ربُّكم فتحرِّمونه ! فأنزل الله: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه ، إنكم إذاً لمشركون .

١٣٨١٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : قال المشركون : ما قتلتم فتأكلونه ، وما قتل ربكم لا تأكلونه ! فنزلت : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨١٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، قول المشركين : أما ما ذبح الله = للميتة = فلا تأكلون منه ، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال !

١٣٨١٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٨١٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » ، قال : جادلهم المشركون فى الذبيحة فقالوا : أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه ! يعنون « الميتة » ، فكانت هذه مجادلتهم إياهم .

١٣٨٢٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » الآية ، يعنى عدوّ الله إبليس ، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة فقال لهم : خاصموا أصحاب محمد فى الميتة فقولوا : « أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون ، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمرَ الله » ! فأنزل الله على نبيه: « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، وإنا والله ما نعلمه كان شركٌ قط إلاّ بإحدى ثلاث : أن يدعو مع الله إلهاً آخر ، أو يسجد لغير الله ، أو يسمى الذبائح لغير الله .

١٣٨٢١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، إن المشركين قالوا للمسلمين : كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله، وما ذبح الله فلا تأكلونه ، وما ذبحتم أنتم أكلتموه ؟ فقال الله : لئن أطعتموهم فأكلتم الميتة ، إنكم لمشركون .

١٣٨٢٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » ، قال: كانوا يقولون : ما ذكر الله عليه وما ذبحتم فكلوا ! فنزلت: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .

١٣٨٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » إلى قوله :

« ليجادلوكم » ، قال يقول : يوحى الشياطين إلى أوليائهم : تأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون مما قتل الله ! فقال : إن الذى قتلتم يذكر اسم الله عليه ، وإن الذى مات لم يذكر اسم الله عليه .

١٣٨٢٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » ، هذا فى شأن الذبيحة . قال : قال المشركون للمسلمين : تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة ، وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم ، وحرم عليكم ما ذبح هو لكم ؟ وكيف هذا وأنتم تعبدونه ! فأنزل الله هذه الآية : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، إلى قوله : « لمشركون » . ١٥/٨

* * *

وقال آخرون : كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوماً من اليهود .

• ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا عمران ابن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس = قال ابن عبد الأعلى : خاصمت اليهودُ النبي صلى الله عليه وسلم = وقال ابن وكيع : جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم = فقالوا : نأكل ما قتلنا ، ولا نأكل ما قتل الله ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنّ الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى تحريمهم أكل الميتة ، بما ذكرنا من جدالهم إياهم = وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم = وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس = وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك ، كما أخبر الله عنهما فى الآية

الأخرى التي يقول فيها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ، [سورة الأنعام: ١١٢]. بل ذلك الأغلب من تأويله عندى ، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس ، كما جعل لأنبيائه من قبله ، يوحى بعضهم إلى بعض المزيَّنَ من الأقوال الباطلة ، ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرمَ الله من الميتة عليهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه .

فقال بعضهم : هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٦ — حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما قوله : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » ؟ قال : يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح . قلت لعطاء : فما قوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ؟ قال : ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان ، كانت تذبحها العرب وقريش .

* * *

وقال آخرون : هى الميتة .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٧ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : حدثنا جرير ، عن عطاء

---

(١) هذه الترجمة : « وقال آخرون : هى الميتة » ، ليست فى المخطوطة ، ولكن إثباتها كما فى المطبوعة هو الصواب إن شاء الله .

ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، قال: الميتة .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك كلَّ ذبيحة لم يذكر اسمُ الله عليها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن جَهير بن يزيد قال : سُئِل الحسن ،سأله رجل قال له : أُتِيتُ بطيرِ كَرَّى ، (١) فنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ، ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه ، واختلط الطير ؟ فقال الحسن : كُلْه ، كله ! قال : وسألت محمد بن سيرين فقال : قال الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » . (٢)

١٣٨٢٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن أيوب وهشام ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال : كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه .

١٣٨٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبد الله بن يزيد قال ، كنت أجلس إليه فى حلقة ، فكان يجلس فيها ناس من الأنصار هو رأسهم ، فإذا جاء سائل فإنما يسأله ويسكتون. قال : فجاءه رجل فسأله ، فقال : رجل ذبح فنسى أن يسمِّى؟ فتلا هذه الآية :

١٦/٨

(١) فى المطبوعة : « بطير كذا » ، وهو خطأ لا شك فيه . وفى المخطوطة : « بطير كدى » برسم الدال ، وهو خطأ لا معنى له . والصواب ما أثبت « كرى » (بفتحتين) جمع « الكروان » وهو طائر بين الدجاجة والحمامة ، حسن الصوت، يؤكل لحمه . ذكر صاحب لسان العرب أنه يدعى الحجل والقبج ، والصحيح أنه ضرب من الطير شبيه به . ويقال له عند صيده « أطرق كرى ، أطرق كرى ، إن النعام فى القرى » ، فيجبن ويلتصق بالأرض ، فيلقى عليه ثوب فيصاد .

(٢) الأثر : ١٣٨٢٨ — « جهير بن يزيد العبدى » ، حدث عن معاوية بن قرة، وابن سيرين. روى عنه أبو أسامة ، وموسى بن إسماعيل ، والقعنبى . وثقه يحيى بن معين وابن حبان ، وغيرهما . ولم يذكر فيه البخارى جرحاً . مترجم فى تعجيل المنفعة : ٧٤ ، والكبير ١/٢/٢٥٣ ، وابن أبى حاتم ١/١/٥٤٧ قال ابن حجر : « جهير ، بصيغة التصغير ، وقيل : بوزن عظيم » .

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، حتى فرغ منها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله عنى بذلك ما ذُبح للأصنام والآلهة ، وما مات أو ذبحه من لا تحلّ ذبيحته .

وأما من قال : « عنى بذلك : ما ذبحه المسلم فنسى ذكر اسم الله » ، فقول بعيد عن الصواب ، لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله ، وكفى بذلك شاهداً على فساده . وقد بينا فساده من جهة القياس فى كتابنا المسمى : ﴿لطيف القول فى أحكام شرائع الدين﴾ ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

* * *

وأما قوله : « وإنه لفسق » ، فإنه يعنى : وإنّ أكْل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة ، وما أهل به لغير الله ، لفسق .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى : « الفسق » ، فى هذا الموضع .[1]

فقال بعضهم : معناه : المعصية .

فتأويل الكلام على هذا : وإنّ أكلَ ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله وإثم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإنه لفسق » ، قال : « الفسق » ، المعصية .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : الكفر .

* * *

وأما قوله : « وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، فقد ذكرنا اختلاف

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

المختلفين فى المعنىّ بقوله : « وإن الشياطين ليوحون» ، والصوابَ من القول فيه = وأما إيحاؤهم إلى أوليائهم ، فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه : إما بقول ، وإما برسالة ، وإما بكتاب .

* * *

وقد بينا معنى : « الوحى » فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

وقــــد : —

١٣٨٣٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا عكرمة ، عن أبى زُميل قال: كنت قاعداً عند ابن عباس، فجاءه رجل من أصحابه فقال: يا أبا عباس ، زعم أبو إسحق أنه أوحى إليه الليلة ! = يعنى المختار بن أبى عبيد= فقال ابن عباس : صدق ! فنفرت فقلت : يقول ابن عباس « صدق » ! فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحى الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد ، ووحى الشياطين إلى أوليائهم . ثم قرأ: « وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .[2]

* * *

وأما « الأولياء » ، فهم النصراء والظهراء ، فى هذا الموضع .[3]

* * *

ويعنى بقوله : « ليجادلوكم »، ليخاصموكم، بالمعنى الذى قد ذكرت قبل .[4]

* * *

وأما قوله : « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، فإنه يعنى : وإن أطعتموهم

---

(١) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف ٩ : ٣٩٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٣٨٣٢ — « أبو زميل » هو : « سماك بن الوليد الحنفى » ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، ومالك بن مرثد ، وعروة بن الزبير . روى عنه شعبة ، ومسعر ، وعكرمة بن عمار . وهو ثقة . مترجم التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٧٤ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٨٠ .

و « المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى »، كذاب متنبىء خبيث ، قتله الله بيد مصعب بن الزبير وأصحابه سنة ٦٧ من الهجرة ، وله خبر طويل فيه كذبه وما فعل ، وما فعل الناس به .

(٣) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ١٠ : ٤٩٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الجدال » فيما سلف من فهارس اللغة (جدل) .

فى أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم ، كما : —

١٣٨٣٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وإن أطعتموهم » ، يقول : وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه .

١٣٨٣٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن أطعتموهم » ، فأكلتم الميتة .

* * *

وأما قوله : « إنكم لمشركون » ، يعنى : إنكم إذاً مثلهم ، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً . فإذا أنتم أكلتموها كذلك ، فقد صرتم مثلهم مشركين .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العلم فى هذه الآية ، هل نسخ من حكمها شى أم لا ؟

فقال بعضهم : لم ينسخ منها شىء ، وهى محكمة فيما عُنيت به . وعلى هذا قول عامة أهل العلم .(١)

* * *

وروى عن الحسن البصرى وعكرمة ، ما : —

١٣٨٣٥ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ابن واقد ، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصرى قالا ، قال : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين * ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق »، فنسخ واستثنى من ذلك فقال: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٥] .

١٧/٨

* * *

(١) انظر « الناسخ والمنسوخ » ، لأبى جعفر النحاس ص : ١٤٤ ، قال : « وفى هذه السورة = يعنى سورة الأنعام = شىء قد ذكره قوم هو عن الناسخ والمنسوخ بمعزل ، ولكنا نذكره ليكون الكتاب عام الفائدة . . . » ثم ذكر الآية ، وما قيل فى ذلك ، إلى ص : ١٤٦ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت ، لم ينسخ منها شىء ، وأن طعام أهل الكتاب حلال ، وذبائحهم ذكيّة . وذلك مما حرم الله على المؤمنين أكله بقوله: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، بمعزل . لأن الله إنما حرم علينا بهذه الآية الميْتة ، وما أهلّ به للطواغيت ، وذبائحُ أهل الكتاب ذكية سمَّوا عليها أولم يسمُّوا ، لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله ، يدينون بأحكامها ، يذبحون الذبائح بأديانهم ، كما يذبح المسلم بدينه ، سمى الله على ذبيحته أو لم يسمِّه ، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل، أو بعبادة شىء سوى الله ، فيحرم حينئذ أكل ذبيحته ، سمى الله عليها أو لم يسم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدلّ على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة ، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به ، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافراً، فهداه جلّ ثناؤه لرشده، ووفقه للإيمان. فقال لهم : أطاعة من كان ميتاً ، يقول: من كان كافراً ؟ فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته ، وجهله بتوحيده وشرائع دينه ، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته، بمنزلة «الميت» الذى لا ينفع نفسه بنافعة ، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة = « فأحييناه »، يقول : فهديناه للإسلام ، فأنعشناه ، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها ، ويعمل فى خلاصها من سَخَط

الله وعقابه فى معاده . فجعل إبصاره الحق تعالى ذكره بعد عَمَاه عنه ، ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك ، حياة وضياء يستضىء به فيمشى على قصد السبيل ، ومنهج الطريق فى الناس[1]= «كمن مثله فى الظلمات » ، لا يدرى كيف يتوجه ، وأى طريق يأخذ ، لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق . فكذلك هذا الكافر الضال فى ظلمات الكفر ، لا يبصر رشداً ، ولا يعرف حقًّا ، = يعنى فى ظلمات الكفر . يقول : أفَطَاعة هذا الذى هديناه للحق و بصَّرناه الرشاد ، كطاعة من مثله مثل من هو فى الظلمات متردّد ، لا يعرف المخرج منها ، فى دعاء هذا إلى تحريم ما حرم الله ، وتحليل ما أحل ، وتحليل هذا ما حرم الله ، وتحريمه ما أحلّ ؟

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين بأعيانهما معروفين : أحدهما مؤمن ، والآخر كافر .

ثم اختلف أهل التأويل فيهما .

فقال بعضهم : أما الذى كان مَيْتاً فأحياه الله ، فعمر بن الخطاب رضى الله عنه . وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، فأبو جهل بن هشام .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا سليمان بن أبى هوذة ، عن شعيب السراج ، عن أبى سنان ، عن الضحاك فى قوله : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، قال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه = « كمن مثله فى الظلمات » ، قال : أبو جهل بن هشام .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الموت » ، و « الإحياء » فيما سلف من فهارس اللغة (موت) و (حيى) .

(٢) الأثر : ١٣٨٣٦ — « سليمان بن أبى هوذة » ، روى عن حماد بن سلمة ، وأبى هلال الراسبى ، وعمرو بن أبى قيس . لم يذكر فيه البخارى جرحاً . وقال أبو زرعة : « صدوق لا بأس به » . مترجم فى الكبير ٤٢/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ١٤٨/١/٢ .

وأما « شعيب السراج » ، فلم أجد له ذكراً فيما بين يدى من الكتب .

وقال آخرون : بل الميت الذى أحياه الله ، عمار بن ياسر رحمة الله عليه . وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، فأبو جهل بن هشام .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن بشر بن تيم ، عن رجل ، عن عكرمة : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، قال : نزلت فى عمار بن ياسر .[١] ١٨/٨

١٣٨٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن بشر بن تيم ، عن عكرمة : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، عمار بن ياسر = « كمن مثله فى الظلمات » ، أبو جهل بن هشام .[١]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى الآية قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أومن كان ميتاً فأحييناه » ، قال : ضالاً فهديناه = « وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، قال : هدى = « كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » ، قال : فى الضلالة أبداً .

١٣٨٤٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) الأثران : ١٣٨٣٧ ، ١٣٨٣٨ — « بشر بن تيم بن مرة » ، ويقال : « بشير ابن تيم بن مرة » .

وهو فى الإسناد الأول ، بينه وبين عكرمة « عن رجل » . وقد قال البخارى فى الكبير ١/٢/٩٦ : « بشير بن تيم بن مرة » عن عكرمة ، قاله لنا الحميدى ، عن ابن عيينة . مرسل . ولم يذكر فيه جرحاً ، وجعله « بشيراً » . وأما ابن أبى حاتم ١/١/٣٧٢ فقد ترجمه فى « بشير » ، كمثل ما قال البخارى ، ولم يذكر « بشرا » ، ولكنه ترجمه قبل ١/١/٣٥٢ فى « بشر بن تيم » وقال : « مكى » ، روى عنه ابن جريج ، وابن عيينة . سمعت أبى يقول ذلك . وابن عيينة يقول : « بشير » .

ولكنه هنا فى المخطوطة فى الموضعين « بشر بن تيم » ، فى رواية ابن عيينة ، فتركت ما كان فى المخطوطة على حاله ، لئلا يكون اختلافاً على ابن عيينة .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو من كان ميتاً فأحييناه » ، هديناه = « وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات » ، في الضلالة أبداً .

١٣٨٤١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « أو من كان ميتاً فأحييناه » ، قال : ضالاً فهديناه .

١٣٨٤٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أومن كان ميتاً فأحييناه » ، يعني : من كان كافراً فهديناه = « وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس » ، يعني بالنور، القرآنَ، من صدّق به وعمل به = « كمن مثله في الظلمات » ، يعني : بالظلمات ، الكفرَ والضلالة .

١٣٨٤٣ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس »، يقول: الهدى =« يمشي به في الناس »، يقول: فهو الكافر يهديه الله للإسلام . يقول : كان مشركاً فهديناه = « كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » .

١٣٨٤٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أو من كان ميتاً فأحييناه » ، هذا المؤمن معه من الله نور وبيِّنة يعمل بها ويأخذ ، وإليها ينتهي ، كتابَ الله = « كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » ، وهذا مثل الكافر في الضلالة ، متحير فيها متسكع ، لا يجد مخرجاً ولا منفذاً .

١٣٨٤٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس » ، يقول : من كان كافراً فجعلناه مسلماً ، وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس، وهو الإسلام . يقول : هذا كمن هو في الظلمات ، يعني : الشرك .

١٣٨٤٦ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، قال : الإسلام الذى هداه الله إليه = « كمن مثله فى الظلمات» ، ليس من أهل الإسلام . وقرأ : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾، [سورة البقرة: ٢٥٧]. قال : والنور يستضىء به ما فى بيته ويبصره ، وكذلك الذى آتاه الله هذا النور ، يستضىء به فى دينه ويعمل به فى نوره ،[١] كما يستضىء صاحب هذا السراج . قال : « كمن مثله فى الظلمات » ، لا يدرى ما يأتى ولا ما يقع عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كما خذلت هذا الكافر الذى يجادلكم = أيها المؤمنون بالله ورسوله ، فى أكل ما حرّمت عليكم من المطاعم = عن الحق، فزينت له سوءَ عمله فرآه حسناً ، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب ، كذلك زيّنت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ، ما كانوا يعملون من معاصى الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النّكال.[٢] ١٩/٨

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه فى أعمالهم، فلا صنع له فى أفعالهم،[٣] وأنه قد سوّى بين جميعهم فى

(١) فى المطبوعة : « فى فرره » بالفاء ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « التزيين » فيما سلف : ص : ٣٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « التفويض » ، هو زعم القدرية والمعتزلة والإمامية من أهل الفرق ، أن الأمر قد فوض إلى العبد، فإرادته كافية فى إيجاد فعله ، طاعة كان أو معصية ، وهو خالق أفعاله ، والاختيار ، ينفون أن تكون أفعال العباد من خلق الله . وانظر ما سلف ١ : ١٦٢ تعليق : ٣/١١ : ٣٤٠، تعليق : ٢ ، وانظر ما سيأتى ص : ١٠٨ ، تعليق : ١

الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية . لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان قد زيَّن لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر ، نظيرَ ما زيَّن من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به ، وزيّن لأهل الكفر به من الإيمان به ، نظيرَ الذى زيّن منه لأنبيائه وأوليائه . وفى إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله ، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان ، وخصَّ أعداءه وأهل الكفر ، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان ، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون ، كذلك جعلنا بكل قرية عظماءَها مجرميها = يعنى أهل الشرك بالله والمعصية له = « ليمكروا فيها »، بغرور من القول أو بباطل من الفعل، بدين الله وأنبيائه = « وما يمكرون » ، أي ما يحيق مكرهم ذلك إلا بأنفسهم ، لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدِّهم عن سبيله = « وهم لا يشعرون » ، يقول : لا يدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه ،[1] فهم فى غيِّهم وعتوِّهم على الله يتمادَوْن .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « شعر » فيما سلف : ص : ٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٣٨٤٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أكابر مجرميها » ، قال : عظماءها .

١٣٨٤٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله

١٣٨٤٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أكابر مجرميها » ، قال : عظماءها .

١٣٨٥٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : نزلت في المستهزئين = قال ابن جريج ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عكرمة : « أكابر مجرميها » ، إلى قوله : « بما كانوا يمكرون » ، بدين الله ، وبنبيه عليه السلام وعباده المؤمنين .

* * *

و « الأكابر » جمع « أكبر » ، كما « الأفاضل » جمع « أفضل » . ولو قيل: هو جمع « كبير » ، فجمع « أكابر » ، لأنه قد يقال : « أكبر » ، كما قيل : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ ، [سورة الكهف : ١٠٣] ، واحدهم « الخاسر » ، لكان صواباً. وحكي عن العرب سماعاً « الأكابرة » و « الأصاغرة » و « الأكابر » ، و « الأصاغر » ، بغير الهاء ، على نية النعت ، كما يقال : « هو أفضل منك » . وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على « أفعل » ، إذا أخرجوها إلى الأسماء ، مثل جمعهم « الأحمر » و « الأسود » ، « الأحامر » و « الأحامرة » ، و « الأساود » و « الأساودة » ، ومنه قول الشاعر :[1]

إِنَّ الأَحَامِرَةَ الثَّلاَثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِي ، وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْماً مُولَعَا

---

(١) هو الأعشى .

الخَمْرُ ، واللَّحْمُ السَّمِينُ إدَامُهُ ، والزَّعْفَرَانُ ، فَلَنْ أَرُوحَ مُبَقَّمَا[١]

* * *

وأما « المكر » ، فإنه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ، ليورِّطه الماكر به مكروهاً من الأمر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ، ليصدّوا عن سبيل الله = « آية » ، يعنى حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته[٢] = قالوا لنبي الله وأصحابه : = « لن نؤمن » ، يقول : يقولون : لن نصدق بما دعانا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان به ، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أنّ الله حرّمه علينا = « حتى نؤتى » ، يعنون : حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذى أعطى موسى من فلق البحر ، وعيسى من إحياء الموتى ، ٢٠/٨

(١) ديوانه ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، وهى فى نسختى المصورة من ديوان الأعشى رقم : ٢٩ ، واللسان (حمر) وهو أول الشعر . وكان فى المطبوعة هنا : « السمين أديمه » ، و « فلن أزال مبقما » ، وأثبت ما فى المخطوطة وفى مخطوطة الأعشى : « السمين ، وأطلى بالزعفران وقد أروح مبقماً » .

وهكذا جاء فى المخطوطة : « السمين إدامه » ، والإدام ما يؤتدم به مع الخبز ، أى شيء كان . وعجيب إضافة الإدام إلى اللحم . ويروى : « أديمه » ، ضبطه فى اللسان بفتح الألف ، وهو غير مرتضى ، بل الصواب إن شاء الله « أُديمه » من « أدام الشيء » ، إذا أطال زمانه واستمر به . ورواية أبي جعفر هنا « فلن أروح مبقماً » ، ورواية مخطوطة ديوانه : « وقد أروح مبقماً » ، وهى أجودها . و « المبقم » الذى فيه لون يخالف لونه ، أو لون ما أصابه الماء أو الزعفران أو ما شابههما . يعنى أنه يكثر من الزعفران حتى يبرك فى بشرته لمعا . وأكثر ما كانوا يستعملون الزعفران فى أعراسهم ، إذا أعرس الرجل تزعفر . فكنى بذلك عن كثرة زواجه .

وفى البيت روايات أخرى ، راجعها فى حواشى ديوانه ، فى ذيل الديوان .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبي) .

وإبراء الأكمه والأبرص .[1] يقول تعالى ذكره: « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ آيات الأنبياء والرسل لن يُعطاها من البشر إلاّ رسول مرسل ،[2] وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها . يقول جل ثناؤه : فأنا أعلم بمواضع رسالاتى ، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيَّروا ذلك علىّ أنتم، لأن تخيُّر الرسول إلى المرسِلِ دون المرسَل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالةً بموضع رسالاته.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، معلِّمَه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه: « سيصيب »، يا محمد،[3] الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره = « صغار » ، يعنى : ذلة وهوان ، كما : —

١٣٨٥١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله » ، قال : « الصغار » ، الذلة .

* * *

وهو مصدر ، من قول القائل : « صَغِرَ يصغَرُ صَغاراً وصَغَراً » ، وهو أشدّ الذلّ .

* * *

(١) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .

(٢) فى المطبوعة : « لم يعطها » ، وفى المخطوطة : ما أثبت ، وهو صواب محض .

(٣) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف : ١١ : ١٧٠ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « صغار عند الله » ، فإن معناه : سيصيبهم صغارٌ من عند الله ، كقول القائل : « سيأتيني رزقى عند الله » ، بمعنى : من عند الله ، يراد بذلك : سيأتيني الذي لى عند الله . وغير جائز لمن قال : « سيصيبهم صغار عند الله » ، أن يقول : « جئت عند عبد الله » ، بمعنى : جئت من عند عبد الله ، لأن معنى : « سيصيبهم صغارٌ عند الله » ، سيصيبهم الذى عند الله من الذل ، بتكذيبهم رسوله . فليس ذلك بنظير : « جئت من عند عبد الله » .[1]

* * *

وقوله : « وعذاب شديد بما كانوا يمكرون » ، يقول : يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله ، المستحلين ما حرَّم الله عليهم من الميتة ، مع الصغار عذابٌ شديد ، بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل ، والزخرف من القول ، غروراً لأهل دين الله وطاعته .[2]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٣ = وتفسير « عند » فيما سلف ٢ : ٥٠١/٧ : ٤٩٠/٨ : ٥٥٥ .

(٢) انظر تفسير « المكر » فيما سلف قريباً ص : ٩٥

* * *

وعند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت منه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تأويل قوله :
فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهَ لِلإسْلَامِ .
وصلّى الله على محمد النبي وآله وصحبه وسلم كثيرًا »

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
رَبِّ يَسِّر »

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾

قال أبو جعفر : ويقول تعالى ذكره : فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه ، فيوفقه له[1] = « يشرح صدره للإسلام » ، يقول : فسح صدره لذلك وهوّنه عليه ، وسهّله له ، بلطفه ومعونته ، حتى يستنير الإسلام فى قلبه ، فيضىء له ، ويتسع له صدره بالقبول ، كالذى جاء الأثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى :—

١٣٨٥٢ — حدثنا سوّار بن عبد الله العنبرىّ قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أبى يحدث ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبى جعفر قال : لما نزلت هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قالوا : كيف يشرح الصدر ؟ قال : إذا نزل النور فى القلب انشرح له الصدر وانفسح . قالوا : فهل لذلك آية يعرف بها ؟ قال : نعم ، الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت .[2]

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٢) الأثر : ١٣٨٥٢ — « عبد الله بن مرة » ، هكذا هو فى المخطوطة والمطبوعة وتفسير ابن كثير ، وأنا أستبعد أن يكون كذلك لأسباب .

الأول — أنى أستبعد أن يكون هو « عبد الله بن مرة الخارفى » ، الذى يروى عن ابن عمر ، ومسروق ، وأبى كنف ، والذى يروى عنه الأعمش ، ومنصور . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٦٥/٢/٢ ، وهو ثقة .

الثانى — أن الخبر رواه أبو جعفر الطبرى بأسانيد ، هذا ورقم : ١٣٨٥٣ ، ١٣٨٥٤ ، وهى تدور على « عمرو بن مرة » .

الثالث — أنه سيتبين بعد من « أبو جعفر » الذى روى هذا الخبر ، ومذكور هناك أنه روى عنه « عمرو بن مرة » ، ولم يذكر « عبد الله بن مرة » .

فمن أجل ذلك أرجح أن صوابه « أبو عبد الله بن مرة » ، أو « أبو عبد الله عمرو بن مرة » ، فسقط من النساخ .

١٣٨٥٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر قال : سئل

وأما « أبو جعفر » الذى يدور عليه هذا الخبر ، فهو موصوف فى الخبر رقم ١٣٨٥٤ : « رجل يكنى أبا جعفر ، كان يسكن المدائن » ، ثم جاءت صفة أخرى فى تخريج السيوطى لهذا الخبر فى الدر المنثور ، قال : « رجل من بنى هاشم ، وليس هو محمد بن على » = يعنى الباقر .

وقد وقفت أولا عند « أبى جعفر » هذا ، وظننت أنه مجهول ، لأنى لم أجد له ذكراً فى شىء مما بين يدى من الكتب ، ولكن لما جئت إلى الخبر رقم : ١٣٨٥٦ من رواية « خالد بن أبى كريمة ، عن عبد الله بن المسور » ، تبين لى على وجه القطع ، أن « أبا جعفر » هذا ، الذى كان يسكن المدائن ، وكان من بنى هاشم ، هو نفسه « عبد الله بن المسور » ، الذى روى عنه رقم : ١٣٨٥٦ .

وإذن ، فهو « أبو جعفر » : « عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبى طالب » « أبو جعفر الهاشمى المدائنى » . روى عنه عمرو بن مرة، وخالد بن أبى كريمة . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٦٩/٢/٢ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ١٧ ، وميزان الاعتدال للذهبى ٢ : ٧٨ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٦٠ . قال الخطيب . « سكن المدائن ، وحدث بها عن محمد بن الحنفية » ، وذكر فى بعض ما ساقه من أسانيد أخباره : « عن خالد بن أبى كريمة (وهو الآتى برقم : ١٣٨٥٦) ، عن أبى جعفر وهو عبد الله بن المسور ، رجل من بنى هاشم ، كان يسكن المدائن » .

و « أبو جعفر » ، « عبد الله بن المسور » ضعيف كذاب . قال جرير بن رقبة : « كان أبو جعفر الهاشمى المدائنى ، يضع أحاديث كلام حق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلط بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمله الناس » . وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل : « قال أبى : أبو جعفر المدائنى ، اسمه عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبى طالب . قال أبى : اضرب على حديثه ، كان يضع الحديث ويكذب ، وقد تركت أنا حديثه . وكان عبد الرحمن بن مهدى لا يحدثنا عنه » . وقال ابن أبى حاتم : « سألت أبى عن أبى جعفر الهاشمى فقال : الهاشميون لا يعرفونه ، وهو ضعيف الحديث ، يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل فى أحاديث الثقات » .

وإذن ، فالأخبار من رقم : ١٣٨٥٢ — ١٣٨٥٤ ، ورقم : ١٣٨٥٦ — أخبار معلولة ضعاف واهية ، كما ترى .

وهذه الأخبار الثلاثة : ١٣٨٥٢ — ١٣٨٥٤ ، ذكرها ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وخرجها السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٤٤ ، ونسب الخبر لابن المبارك فى الزهد، وعبد الرزاق ، والفريابى ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات .

وقال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٩٥ ، وذكر هذه الأخبار ، وخبر ابن مسعود الذى رواه أبو جعفر برقم : ١٣٨٥٥ ، ١٣٨٥٧ ، ثم قال : « فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة ، يشد بعضها بعضاً، والله أعلم » .

وأخطأ الحافظ جداً كما ترى ، فإن حديث أبى جعفر الهاشمى ، أحاديث كذاب وضاع لا تشد شيئاً ولا تحله ! ! وكتبه محمود محمد شاكر .

النبي صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً . قال : وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قالوا : كيف يشرح صدره ، يا رسول الله ؟ قال : نور يُقذف فيه ، فينشرح له وينفسح . قالوا : فهل لذلك من أمارة يُعرف بها ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت . ٢١/٨

١٣٨٥٤ — حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل يكنى « أبا جعفر » ، كان يسكن المدائن قال : سئل النبي صلى عليه وسلم عن قوله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قال : نور يقذف فى القلب فينشرح وينفسح . قالوا : يا رسول الله ، هل له من أمارة يعرف بها ؟ = ثم ذكر باقى الحديث مثله .(١)

١٣٨٥٥ — حدثنى هلال بن العلاء قال ، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحرّانى قال ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبى عبد الرحيم ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قال : إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح . قالوا : فهل لذلك من أمارة يعرف بها ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتنحّى عن دار الغرور ، والا تعداد للموت قبل الموت .(٢)

---

(١) الأثران : ١٣٨٥٣ ، ١٣٨٥٤ — حديثان واهيان ، كما سلف فى التعليق على الخبر السالف .

و « عمرو بن مرة المرادى » ، ثقة مأمون . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٣٩٦ .

(٢) الأثر : ١٣٨٥٥ — « هلال بن العلاء بن هلال الباهلى الرقى » ، شيخ أبى جعفر ، مضى برقم : ٤٩٦٤ ، وأنه صدوق ، متكلم فيه .

وكان فى المطبوعة : « محمد بن العلاء » ، وهو شىء لا أصل له هنا . وفى المخطوطة : « لعلى

١٣٨٥٦ — حدثني سعيد بن الربيع الرازي قال، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن خالد بن أبي كريمة ، عن عبد الله بن المسور قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل النور القلبَ انفسح وانشرح . قالوا : يا رسول الله ، وهل لذلك من علامة تعرف ؟ قال : نعم ، الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت .(١)

ابن العلاء » ، غير منقوطة ، كأنها تقرأ « يعلى بن العلاء » ، ولم أجد في شيوخ أبي جعفر ، ولا في الرواة ، من سمى بذلك . ورأيت ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٩٥ ، نقل عن هذا الموضع من ابن جرير قال : « حدثني هلال بن العلاء ، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد » ، فأيد هذا أن أبا جعفر روى آنفاً عن شيخه « هلال بن العلاء » ، أن الذي في المخطوطة تحريف على الأرجح ، ولذلك أثبته كما هو في ابن كثير : « هلال بن العلاء » .

و « سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني » . ضعيف ، ضعفه ابن أبي حاتم ، والدارقطني ، وقال : « لا يحتج به » . قال أبو حاتم : « يتكلمون فيه ، يقال إنه أخذ كتبا لمحمد بن سلمة ، فحدث بها . ورأيت فيما حدث أكاذيب ، كذب » . مترجم في ابن أبي حاتم ٢/١/٤٥ ، ميزان الاعتدال ١ : ٣٨٧ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٧ .

و « محمد بن سلمة الحراني » ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٥ .

و « أبو عبد الرحيم » ، هو « خالد بن أبي يزيد الحراني » ، روى عنه ابن أخته « محمد بن سلمة الحراني » ، حسن الحديث متقن . مضى له ذكر في التعليق على الأثر رقم : ٨٣٩٦ .

و « زيد بن أبي أنيسة الجزري » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٩٦٤ ، ٨٣٩٦ .

و « عمرو بن مرة المرادي » ، مضى آنفاً في رقم : ١٣٨٥٣ ، ١٣٨٥٤ .

و « أبو عبيدة » ، هو « أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، مضى مراراً كثيرة جداً ، وهو لم يسمع من أبيه ، كما سلف مراراً .

وهذا خبر ضعيف أيضاً ، لضعف أحاديث « سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني » ، عن محمد بن سلمة » ، كما ذكر أبوحاتم .

ثم لأن أبا عبيدة ، لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود . وسيأتي خبر عبد الله بن مسعود برقم : ١٣٨٥٧ ، من طريق أخرى . فالعجب لابن كثير ، كيف تكون هذه أحاديث متصلة ، ثم كيف تشدها أخبار كذاب وضاع . وانظر ما أسلفت في التعليق على رقم : ١٣٨٥٢ .

(١) الأثر : ١٣٨٥٦ — « خالد بن أبي كريمة الأصبهاني » ، « أبو عبد الرحمن الإسكاف » . وثقه أحمد وأبو داود ، وأبو حاتم وابن حبان وقال : « يخطىء » ، وضعفه ابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/١٥٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٣٤٩ ، قال البخاري : « عن معاوية

١٣٨٥٧ - حدثني ابن سنان القزاز قال ، حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي ، عن يونس ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف يُشرح صدره ؟ قال : يدخل فيه النور فينفسح . قالوا : وهل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ قال : التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت .[١]

* * *

ابن قرة ، وأبي جعفر عبد الله بن مسور المسورى » ، ولم يذكر فيه جرحاً .

و « عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي المدائني » ، سلف برقم : ١٣٨٥٢ ، وأنه هو « أبو جعفر » المدائني ، وأنه كذاب وضاع . وانظر تخريج الخبر والتعليق عليه هناك .

(١) الأثر : ١٣٨٥٧ - « ابن سنان القزاز » ، شيخ الطبرى ، هو : « محمد بن سنان القزاز » مضى برقم : ١٥٧ ، ١٩٩٩ ، ٢٠٥٦ ، ٥٤١٩ ، ٦٨٢٢ .

و « محبوب بن الحسن الهاشمي البصرى » ، « محبوب » لقب ، وهو به أشهر ، واسمه : « محمد بن الحسن بن هلال بن أبي زينب فيروز القرشي » ، مولى بني هاشم . ثقة ، وضعفوه . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/٦٧ ، في « محمد بن الحسن البصرى » ، وابن أبي حاتم في « محمد ابن الحسن البصرى » ٣/٢/٢٢٨ ، ثم في « محبوب بن الحسن بن هلال » ٤/١/٣٨٨ ، ولم يشر إلى أن اسمه « محمد بن الحسن » .

و « يونس » هو : « يونس بن عبيد بن دينار العبدى » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٦١٦ ، ٤٩٣١ ، ١٠٥٧٤ .

و « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة » ، هذا إشكال شديد ، فإن « عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن عبد الله بن مسعود » ، متأخر جداً ، روى عن أبي إسحق السبيعي وطبقته ومات سنة ١٦٠ أو سنة ١٦٥ . و « يونس بن عبيد » ، أعلى طبقة منه ، روى عن إبراهيم التيمي ، والحسن البصرى ، وابن سيرين . ومات سنة ١٤٠ ، فهو في طبقة شيوخه ، فلو كان يونس روى عنه ، لذكر مثل ذلك في ترجمة « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة » .

وأنا أرجح أن صواب الإسناد : « عن يونس ، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عتبة » .

وهو « عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي » ، كنيته « أبو عبد الرحمن » ، وهو الذى يروى عن عمه « عبد الله بن مسعود » ، وولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ورآه ، ومات سنة ٧٤ . فهو الخليق أن يروى عنه « يونس بن عبيد » .

وهذا أيضاً خبر ضعيف ، لضعف « محبوب بن الحسن » ، وإذن فكل ما قاله الحافظ ابن كثير من أن هذه الأخبار جاءت بأسانيد مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً ، قول ينفيه شرح هذه الأسانيد كما رأيت ، والله الموفق للصواب ، وكتبه محمود محمد شاكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٥٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدرَه للإسلام » ، أما « يشرح صدره للإسلام » ، فيوسع صدره للإسلام .[1]

١٣٨٦٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله: « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام »، بلاإله إلاّ الله .

١٣٨٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة: « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، بلا إله إلاّ الله ، يجعل لها فى صدره متَّسعاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى، يَشغله بكفره وصدِّه عن سبيله، ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه،[2] حرجاً.[3]

* * *

و « الحرج »، أشد الضيق، وهو الذى لا ينفذه،[2] من شدة ضيقه،[4] وهو ههنا الصدر الذى لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان ، لرَيْن الشرك عليه. وأصله من « الحرج » ، و « الحرج » جمع « حرَجة »، وهى الشجرة الملتف بها

---

(١) تخطيت فى الترقيم رقم : ١٣٨٥٨ : خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « لشغله بكفره . . . يجعل صدره » ، الأخيرة بغير واو ، وفى المخطوطة كما أثبتها ، وبغير واو فى « يجعل صدره » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الإضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٤) فى المطبوعة : « لا ينفذ » بغير هاء ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها ،[1] كما : —

١٣٨٦٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا عبد الله بن عمار = رجل من أهل اليمن = عن أبي الصلت الثقفي : أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية : ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ، بنصب الراء . قال : وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ضَيِّقًا حَرِجًا﴾ . قال صفوان : فقال عمر : ابغوني رجلاً من كنانة ، واجعلوه راعياً ،[2] وليكن مُدْلِجيًّا.[3] قال : فأتوه به . فقال له عمر : يا فتى ، ما الحرجة ؟ قال : « الحرجة » فينا ، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيّة ولا شيء . قال : فقال عمر : كذلك قلبُ المنافق ، لا يصل إليه شيء من الخير .[4]

٢٢/٨

١٣٨٦٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، يقول : من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقاً ، والإسلام واسع . وذلك حين يقول : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ، [سورة الحج : ٧٨] ، يقول : ما جعل

---

(١) انظر تفسير « الحرج » فيما سلف ٨ : ٥١٨/١٠ : ٨٥ .

(٢) قوله : « واجعلوه راعياً » ، أي التمسوه ، وليكن راعياً ، ليس من معنى « الجعل » الذي هو التصيير . وهذا استعمال عربي عريق في « جعل » ، ولكنهم لم يذكروه في المعاجم ، وهو دائر في كلام العرب ، وهذا من شواهده ، فليقيد في مكانه من كتب العربية .

(٣) « مدلج » قبيلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة ، وهم القافة المشهورون ، ويدل هذا الخبر على أن أرض مرعاهم كانت كثيرة الشجر .

(٤) الأثر : ١٣٨٦٢ — «عبد الله بن عمار اليمامي » ، قال ابن أبي حاتم : « مجهول » ، وذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٢٩/٢/٢ .
و « أبو الصلت الثقفي » ، روى عن عمر ، وروى عنه عبد الله بن عمار اليمامي ، هذا الحديث . مترجم في التهذيب ، والكنى للبخاري : ٤٤ ، وابن أبي حاتم ٣٩٤/٢/٤ .
وهذا خبر عزيز جداً . في بيان رواية اللغة وشرحها ، وسؤال الأعراب والرعاة عنها .

عليكم فى الإسلام من ضيق .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال : بعضهم معناه : شاكًّا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٦٤ — حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا حميد ، عن مجاهد : « ضيقاً حرجاً » ، قال : شاكًّا .

١٣٨٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ضيقاً حرجاً » ، أما « حرجاً » فشاكًّا .

* * *

وقال آخرون : معناه : ملتبساً .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٦٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، قال : ضيقاً ملتبساً .

١٣٨٦٧ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن الحسن ، عن قتادة أنه كان يقرأ : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ، يقول : ملتبساً .

* * *

وقال آخرون : معناه : أنه من شدة الضيق لا يصل إليه الإيمان .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٦٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن سعيد بن جبير : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، قال : لا يجد مسلكاً إلاّ صُعُداً .

١٣٨٦٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى : « ضيقاً حرجاً » ، قال : ليس للخير فيه منفَذٌ .

١٣٨٧٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى ، مثله .

١٣٨٧١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، بلا إله إلا الله ، لا يجد لها فى صدره مَسَاغاً .

١٣٨٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءةً فى قوله : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً » ، بلا إله إلا الله ، حتى لا تستطيع أن تدخله .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعضهم : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ، بفتح الحاء والراء من « حرجاً » ، وهى قراءة عامة المكيين والعراقيين ، بمعنى جمع « حرجة » ، على ما وصفت .[1]

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة : ﴿ ضَيِّقًا حَرِجًا ﴾ ، بفتح الحاء وكسر الراء .

* * *

ثم اختلف الذين قرأوا ذلك فى معناه .

فقال بعضهم : هو بمعنى : « الحَرَج » . وقالوا : « الحرَج » بفتح الحاء والراء ، « والحرِج » بفتح الحاء وكسر الراء ، بمعنى واحد ، وهما لغتان مشهورتان ، مثل : « الدَّنَف » و « الدَّنِف » ، و « الوَحَد » و « الوَحِد » ، و « الفَرَد » و « الفَرِد » .

* * *

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثم ، من قولهم : « فلان آثِمٌ حَرِجٌ » ، وذكر عن العرب سماعاً منها : « حَرِجٌ عليك ظُلْمى » ، بمعنى ضيقٌ وإثم .[2]

* * *

(١) انظر ص : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٣ ، ٣٥٤

قال أبو جعفر : والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد ، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ، لاتفاق معنييهما . وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب فى « الوحَد » و « الفرَد » بفتح الحاء من «الوحد» والراء من « الفرد » ، وكسرهما ، بمعنى واحد .

* * *

وأما « الضيِّق » ، فإن عامة القرأة على فتح ضاده وتشديد يائه ، خلا بعض المكيين فإنه قرأه : ﴿ ضَيْقًا ﴾ ، بفتح الضاد وتسكين الياء ، وتخفيفه . ٨/٢٣

وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان :

أحدهما : أن يكون سكنه وهو ينوى معنى التحريك والتشديد، كما قيل : « هَيْنٌ لَيْنٌ »، بمعنى : هيِّنٌ ليِّنٌ .

والآخر : أن يكون سكنه بنية المصدر ، من قولهم: « ضاق هذا الأمر يضيق ضَيْقاً » ، كما قال رؤبة :

قَدْ عَلِمْنَا عِنْدَ كُلِّ مَأْزِقِ ضَيْقٍ بِوَجْهِ الأَمْرِ أَوْ مُضَيَّقِ [1]

ومنه قول الله : ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ،[سورة النحل : ١٢٧].

وقال رؤبة أيضاً :

* وَشَفَّهَا اللَّوحُ بِمَأْزُولٍ ضَيَقْ * [2]

---

(١) ليسا فى ديوانه، ولم أجدهما فى مكان آخر ، ومنها أبيات فى الزيادات: ١٧٩ ، ١٨٠ ، ولم يذكرا معها . وكان فى المطبوعة : « وقد علمنا » بزيادة الواو . وكان فيها : « أى مضيق » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب إن شاء الله .

(٢) ديوانه : ١٠٥ ، والوساطة : ١٤ . « مأزول » من « الأزل » (بسكون الزاى) ، وهو الضيق والجدب وشدة الزمان ، وفى حديث الدجال : « أنه يحصر الناس بيت المقدس ، فيؤزلون أزلا » ، أى: يقحطون ويضيق عليهم . ومعنى : « مأزول »، أصابه القحط ، يعنى مرعى ، ومثله قول الراجز :

بمعنى ضيّق . وحكى عن الكسائى أنه كان يقول : « الضَّيقُ » ، بالكسر فى المعاش والموضع ، وفى الأمر « الضَّيْق » .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه الآية أبينُ البيان لمن وُفّق لفهمهما ، عن أن السبب الذي به يُوصل إلى الإيمان والطاعة ، غير السبب الذي به يُوصل إلى الكفر والمعصية ، وأن كلا السببين من عند الله . [1] وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدرَ من أراد هدايته للإسلام ، ويجعل صدرَ من أراد إضلاله ضيّقاً عن الإسلام حرَجاً كأنّما يصعد فى السماء . ومعلومٌ أن شرح الصدر للإيمان خِلافُ تضييقه له ، وأنه لو كان يوصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه ، لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق ، ولكان من ضُيِّق صدره عن الإيمان ، قد شُرِح صدره له ، ومن شرح صدره له ، فقد ضُيِّق عنه ، إذ كان مَوْصولاً بكل واحد منهما = أعنى من التضييق والشرح = إلى ما يُوصَل به إلى الآخر . ولو كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدرَ أبى جهل للإيمان به ، وضيّق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه . وهذا القول من أعظم الكفر بالله . وفى فساد ذلك أن يكون كذلك ، الدليلُ الواضح على أن السَّبب الذى به آمن المؤمنون بالله ورسله ، وأطاعه المطيعون ، غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون ، وأن كِلاَ السببين من عند الله وبيده ، لأنه أخبر جل ثناؤه أنه هو

إنَّ لَهَا أَرَاعِيًا جَرِيًّا ... أَبْلاً بِمَا يَنْفَعُهَا قَوِيًّا
لَمْ يَرْعَ مَأْزُولاً وَلاَ مَرْعِيًّا ... حَتَّى عَلاَ سَنَامُهَا عُلِيًّا

و « شفها » أنحل جسمها ، وأذهب شحمها . و « اللوح » (بضم اللام) وهو أعلى اللغتين ، و « اللوح » (بفتح فسكون) : وهو العطش الذى يلوح الجسم ، أى يغيره . وقوله : « ضيق » حرك « الياء » بالفتح . وعده القاضى الجرجانى فى أخطاء رؤبة .

(١) هذا رد على المعتزلة ، وانظر ما سلف ص : ٩٢ ، تعليق : ٣ ، وهو من أجود الردود على دعوى المعتزلة .

الذى يشرح صدرَ هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته، ويضيِّق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد ضلالتَه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا مثل من الله تعالى ذكره ، ضربه لقلب هذا الكافر فى شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه من الصُّعود إلى السماء وعجزه عنه ، لأن ذلك ليس فى وسعه .

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك ، قال أهلُ التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٧٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى : « كأنما يصعد فى السماء » ، يقول : مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد فى السماء .

١٣٨٧٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى ، مثله .

١٣٨٧٥ — وبه قال، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج قراءةً : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، بلا إله إلا الله ، حتى لا تستطيع أن تدخله ، « كأنما يصعد فى السماء » ، من شدّة ذلك عليه .

١٣٨٧٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

١٣٨٧٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كأنما يصعد فى السماء » ، من ضيق صدره .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والعراق: ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ﴾، بمعنى: « يتصعّد »، فأدغموا التاء فى الصاد ، فلذلك شدّدوا الصاد .

* * *

وقرأ ذلك بعض الكوفيين : ﴿ يَصَّاعَدُ ﴾ ، بمعنى « يتصاعد » ، فأدغم التاء فى الصاد ، وجعلها صاداً مشدّدة . ٨/٢٤

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المكيين : ﴿ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ ﴾ ، من « صَعِد يصعَد » .

* * *

وكل هذه القراءات متقاربات المعانى ، وبأيّها قرأ القارئ فهو مصيب ، غير أنى أختار القراءة فى ذلك بقراءة من قرأه : ﴿ كأَنَّما يَصَّعَّدُ ﴾ ، بتشديد الصاد بغير ألف ، بمعنى : « يتصعد » ، لكثرة القرأة بها ،[1] ولقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « مَا تَصَعَّدَنى شَىْءٌ مَا تَصَعَّدَتْنِى خُطْبَةُ النِّكاح » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يقول : تعالى ذكره : كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد فى السماء من ضيقه عن الإيمان فيجزيه بذلك ، كذلك يسلّط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبَى الإيمان بالله ورسوله ، فيغويه ويصدّه عن سبيل الحق .

* * *

(١) انظر تفسير « الصعود » فيما سلف ٧ : ٢٩٩ - ٣٠٢ .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى « الرجس » .

فقال بعضهم : هو كل ما لا خير فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٧٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « الرجس »، ما لا خير فيه .

١٣٨٧٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » ، قال : ما لا خير فيه .

* * *

وقال آخرون: « الرجس » ، العذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٨٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » ، قال : الرجس عذابُ الله .

* * *

وقال آخرون : « الرجس » ، الشيطان .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٨١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « الرجس » ، قال : الشيطان .

* * *

وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول : « الرِّجْس » ، « والنِّجْس » لغتان . ويحكى عن العرب أنها تقول : «ما كان رِجْساً، ولقد رَجُس رَجَاسة » و « نَجُس نَجَاسة » .

وكان بعض نحويي البصريين يقول : « الرجس » و« الرّجز » ، سواء ، وهما العذاب .[١]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس ، ومن قال إن « الرجس » و« النجس » واحد ، للخبر الذي رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا دخل الخلاء : « اللهُمَّ إنّي أعوذ بك من الرِّجْس النِّجْس الخبيث المُخْبِثِ الشيطان الرَّجيم » .[٢]

١٣٨٨٢ — حدثني بذلك عبد الرحمن بن البختري الطائي قال ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسمعيل بن مسلم ، عن الحسن وقتادة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .[٣]

* * *

وقد بيَّن هذا الخبر أن « الرِّجْس » هو « النِّجْس » ، القذر الذي لا خير فيه ، وأنه من صفة الشيطان .

* * *

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٠٦ ، فهذا قوله .

(٢) قال أبو عبيد : « الخبيث » ذو الخبث في نفسه ، و « المخبث » (بكسر الباء) : الذي أصحابه وأعوانه خبثاء = وهو مثل قولهم : « فلان ضعيف مضعف ، وقوي مقو » ، فالقوي في بدنه ، والمقوي الذي تكون دابته قوية = يريد هو الذي يعلمهم الخبث ويوقعهم فيه .

(٣) الأثر : ١٣٨٨٢ — « عبد الرحمن بن البختري الطائي » ، شيخ أبي جعفر ، لم أجد له ذكراً فيما بين يدي من الكتب ؛ وأخشى أن يكون في اسمه خطأ .

و « عبد الرحمن بن محمد المحاربي » ، سلف مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٠٣٣٩ .

و « إسماعيل بن مسلم المكي البصري » ، مضى برقم : ٥٤١٧ ، ٨٨١١ .

وهذا إسناد صحيح ، ولكني لم أجد هذا الخبر في حديث أنس ، في المسند أو غيره ، ووجدته بهذا اللفظ في حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف ، من طريق يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، رواه ابن ماجة في سننه ص : ١٠٩ رقم : ٢٩٩ . قال ابن حبان : « إذا اجتمع في إسناد خبر ، عبيد الله بن زحر ، وعلي بن يزيد ، عن القاسم ، فذاك مما عملته أيديهم ! » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿١٢٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا الذي بيّنّا لك ، يا محمد ، فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن = هو صراطُ ربك ، يقول : طريق ربّك ، ودينه الذى ارتضاه لنفسه ديناً ، وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه .[1] فاثبُتْ عليه ، وحرِّم ما حرمته عليك ، وأحلل ما أحللته لك ، فقد بيّنّا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته[2] = « لقوم يذكرون » ، يقول : لمن يتذكر ما احتجّ الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها .[3] وخص بها «الذين يتذكرون»، لأنهم هم أهل التمييز والفهم ، وأولو الحجى والفضل=وقيل : « يذّكرون» . . . .[4]

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٨٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وهذا صراط ربك مستقيماً » ، يعنى به الإسلام .

٢٥/٨

* * *

(١) انظر تفسير : « الصراط المستقيم » فيما سلف ١٠ : ١٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « فصل » فيما سلف ص : ٦٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .

(٣) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .

(٤) فى المطبوعة « فقيل يذكرون » ، وفى المخطوطة : « وقيل يذكرون » ، كأنه أراد أن يكتب شيئاً ، ثم قطعه . ولعله أراد أن يبين إدغام التاء فى الذال من « يتذكرون » ، ثم سقط منه أو من الناسخ ، فوضعت نقطاً لذلك ، وإن كان إسقاطها لا يضر شيئاً .

القول في تأويل قوله ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « لهم » ، للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ، ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ومن نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، فيصدّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذاك .

* * *

وأما « دار السلام » ، فهي دار الله التي أعدّها لأوليائه في الآخرة ، جزاءً لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله ، وهي جنته . و« السلام » ، اسم من أسماء الله تعالى ،[1] كما قال السدي :—

١٣٨٨٤ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لهم دار السلام عند ربهم » ، الله هو السلام ، والدار الجنة .

* * *

وأما قوله : « وهو وليُّهم »، فإنه يقول : والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله[2] = « بما كانوا يعملون » ، يعني : جزاءً بما كانوا يعملون من طاعة الله ويتبعون رضوانه .

* * *

(١) انظر تفسير « السلام » فيما سلف ١٠ : ١٤٥/١١ : ٣٩٢ .
(٢) انظر تفسير « ولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ويوم يحشرهم جميعاً » ، ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ وغيرَهم من المشركين ، مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يُوحون إليهم زخرف القول غروراً ليجادلوا به المؤمنين ، فيجمعهم جميعاً فى موقف القيامة(١) = يقول للجن : « يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس» ، وحذف « يقول للجن » من الكلام ، اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه .

* * *

وعنى بقوله : « قد استكثرتم من الإنس» ، استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم ، كما : —

١٣٨٨٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس » ، يعنى : أضللتم منهم كثيراً .

١٣٨٨٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس » ، قال : قد أضللتم كثيراً من الإنس .

١٣٨٨٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « قد استكثرتم من الإنس » ، قال : كثُر من أغويتم .

---

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٥٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٣٨٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٨٨٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن : « قد استكثرتم من الإنس » ، يقول : أضللتم كثيراً من الإنس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فيجيب أولياءُ الجن من الإنس فيقولون : « ربنا استمتع بعضنا ببعض فى الدنيا ».[1] فأما استمتاع الإنس بالجن، فكان كما :—

١٣٨٩٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ربنا استمتع بعضنا ببعض » ، قال : كان الرجل فى الجاهلية ينزل الأرض فيقول : « أعوذ بكبير هذا الوادى » ، فذلك استمتاعهم ، فاعتذروا يوم القيامة .

* * *

= وأما استمتاع الجن بالإنس ، فإنه كان ، فيما ذكر ، ما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إيّاهم فى استعاذتهم بهم ، فيقولون : «قد سدنا الجِنّ والحِنّ»[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الاستمتاع » فيما سلف ٨ : ١٧٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « قد سدنا الجن والإنس » ، غير ما فى المخطوطة ، لم يحسن قراءتها لأنها غير منقوطة . وأثبت ما فى المخطوطة . و « الحن » (بكسر الحاء) ، حى من أحياء الجن ، وقد سلف بيان ذلك فى الجزء ١ : ٤٥٥ ، تعليق : ١ ، فراجعه هناك . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٤ ، والذى هناك مطابق لما فى المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالوا : بلغنا الوقتَ الذى وقّتّ لموتنا.(١) وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك: أنهم قالوا: استمتع بعضنا ببعض أيّام حياتنا إلى حال موتنا ، كما : —

١٣٨٩١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : أما قوله: « وبلغنا أجلنا الذى أجّلتَ لنا» ، فالموت . ٢٦/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عمّا هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به فى الدنيا الأوثان، ولقُرَنائهم من الجن، فأخرج الخبر عما هو كائنٌ ، مُخْرَجَ الخبر عما كان ، لتقدُّم الكلام قبلَه بمعناه والمراد منه، فقال: قال الله لأولياء الجن من الإنس الذين قد تقدَّم خبرُه عنهم: «النار مثواكم» ، يعنى نار جهنم= «مثواكم» ، الذى تثوون فيه ، أى تقيمون فيه .

* * *

و« المثوى» هو«المَفْعَل» من قولهم: «ثَوَى فلان بمكان كذا»، إذا أقام فيه.(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ص: ١١ : ٢٥٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المثوى » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ .

= « خالدين فيها » ، يقول : لابثين فيها [١] = « إلاّ ما شاء الله » ، يعنى إلا ما شاء الله من قَدْرِ مُدَّة ما بين مبعثهم من قبورهم . إلى مصيرهم إلى جهنم ، فتلك المدة التى استثناها الله من خلودهم فى النار = « إن ربك حكيم » ، فى تدبيره فى خلقه ، وفى تصريفه إياهم فى مشيئته من حال إلى حال ، وغير ذلك من أفعاله = « عليم » ، بعواقب تدبيره إياهم ، [٢] وما إليه صائرةٌ أمرهم من خير وشر . [٣]

* * *

وروى عن ابن عباس أنه كان يتأول فى هذا الاستثناء : أنّ الله جعل أمرَ هؤلاء القوم فى مبلغ عَذَابه إيّاهم إلى مشيئته .

١٣٨٩٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : « النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء الله إن ربك حكيم عليم » ، قال : إن هذه الآية : آيةٌ لا ينبغى لأحدٍ أن يحكم على الله فى خلقه ، لا ينزلْهم جنّةً ولا ناراً . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل « نُوَلّى » .

فقال بعضهم : معناه : نجعل بعضهم لبعض وليًّا ، على الكفر بالله .

---

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٢) انظر تفسير « حكيم » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) و (علم) .

(٣) فى المطبوعة : « صائر » بغير تاء فى آخره ، والصواب ما فى المخطوطة . « صائرة » مثل « عاقبة » لفظاً ومعنى ، ومنه قبل : « الصائرة » ، ما يصير إليه النبات من اليبس » .

(٤) فى المطبوعة : « أن لا ينزلهم » فزاد « أن » ، فأفسد المعنى إفساداً حتى ناقض بعضه بعضاً . وإنما قوله : « لا ينزلهم جنه ولا ناراً » ، نهى للناس أن يقول : « فلان فى الجنة » و « فلان فى النار » . « ينزلهم » مجزومة اللام بالناهية .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٣ — حدثنا يونس قال، حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » ، وإنما يولى الله بين الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولىُّ المؤمن أين كان وحيث كان ، والكافر ولىُّ الكافر أينما كان وحيثما كان . ليس الإيمان بالتَّمنِّى ولا بالتحلِّى .

* * *

وقال آخرون : معناه : نُتْبع بعضهم بعضاً فى النار = من « الموالاة » ، وهو المتابعة بين الشىء والشىء ، من قول القائل : « واليت بين كذا وكذا » ، إذا تابعت بينهما .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٤ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً »، فى النار ، يتبع بعضهم بعضاً .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، نسلط بعضَ الظلمة على بعض .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً »، قال : ظالمى الجن وظالمى الإنس . وقرأ: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾، [سورة الزخرف : ٣٦] . قال : نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس .

* * *

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معناه : وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء . لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين ، فقال جل ثناؤه : « وقال أولياؤهم من الإنس ربّنا استمتع بعضنا ببعض » ، وأخبر جل ثناؤه : أنّ بعضهم أولياء بعض ، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضاً بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض ، كذلك نجعل بعضَهم أولياء بعض فى كل الأمور = « بما كانوا يكسبون» ، من معاصى الله ويعملونه . (١)

* * *

٢٧/٨

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركى الإنس والجن ، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ : «يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى » ، يقول يخبرونكم بما أوحى إليهم من تنبيهى إياكم على مواضع حججى ، وتعريفى لكم أدلّتى على توحيدى ، وتصديق أنبيائى ، والعمل بأمرى ، والانتهاء إلى حدودى = « وينذرونكم لقاء يومكم هذا » ، يقول : يحذّرونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا ، وعقابى على معصيتكم إيّاى ، فتنتهوا عن معاصىّ . (٢)

وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم فى الدنيا من الفسوق والمعاصى . ومعناه : قد أتاكم رسلٌ منكم ينبّهونكم على خطأ ما كنتم

---

(١) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف : ١١ : ٤٤٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الإنذار » فيما سلف من فهارس اللغة (نذر) .

عليه مقيمين بالحجج البالغة ، وينذرونكم وعيدَ الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين ، فلم تقبلوا ذلك ، ولم تتذكروا ولم تعتبروا .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الجن » ، هل أرسل منهم إليهم ، أم لا ؟

فقال بعضهم : قد أرسل إليهم رسل ، كما أرسل إلى الإنس منهم رسلٌ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيي بن واضح قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال : سئل الضحاك عن الجن ، هل كان فيهم نبيّ قبل أن يُبْعث النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ألم تسمع إلى قول الله : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتى » ، يعنى بذلك : رسلاً من الإنس ، ورسلاً من الجن ؟ فقالوا : بلَى !

* * *

وقال آخرون : لم يرسل منهم إليهم رسولٌ ، ولم يكن له من الجنّ قطُّ رسول مرسل ، وإنما الرسل من الإنس خاصّة ، فأما من الجن فالنُّذُر . قالوا : وإنما قال الله : « ألم يأتكم رسل منكم » ، والرسل من أحد الفريقين ، كما قال : ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ، [سورة الرحمن : ١٩] ، ثم قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ، [سورة الرحمن : ٢٢] ، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما ، وإنما معنى ذلك : يخرج من بعضهما ، أو من أحدهما . (١) قال : وذلك كقول القائل لجماعة أدؤُرٍ : « إن فى هذه الدُّور لشرًّا » ، وإن كان الشر فى واحدة منهن ، فيخرج الخبر عن جميعهن ، والمراد به الخبر عن بعضهن ، وكما يقال : « أكلتُ خبزاً ولبناً » ، إذا اختلطا ، ولو قيل : « أكلت لبناً » ، كان

(١) هذه مقالة الفراء ، انظر معانى القرآن ١ : ٣٥٤ ، وظاهر أن الذى بعده من كلام الفراء أيضاً من موضع آخر غير هذا الموضع .

الكلام خطأً ، لأن اللبن يشرب ولا يؤكل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم » ، قال : جمعهم كما جمع قوله : ﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ، [سورة فاطر : ١٢] ، ولا يخرج من الأنهار حلية = قال ابن جريج ، قال ابن عباس : هم الجن الذين لقُوا قومهم ، وهم رُسُل إلى قومهم .

* * *

فعلى قول ابن عباس هذا : أنّ من الجنّ رسلاً للإنس إلى قومهم = فتأويل الآية على هذا التأويل الذى تأوّله ابن عباس : ألم يأتكم ، أيها الجن والإنس ، رسل منكم ، فأما رسل الإنس فرسل من الله إليهم ، وأما رسل الجن ، فرسُل رُسُل الله من بنى آدم ، وهم الذين إذا سَمِعوا القرآنَ وَلّوا إلى قومهم منذرين .[١]

* * *

وأما الذين قالوا بقول الضحاك ، فإنهم قالوا : إن الله تعالى ذكره أخبرَ أنّ من الجن رسلاً أرسلوا إليهم ، كما أخبر أنّ من الإنس رسلاً أرسلوا إليهم . قالوا : ولو جاز أن يكون خبرُه عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الإنس ، جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنهم رُسُل الجنّ .[٢] قالوا : وفى فساد هذا المعنى ما يدلُّ على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنهم رُسُل الله ، لأن ذلك هو المعروف فى الخطاب دون غيره .

٢٨/٨

* * *

(١) اقرأ آيات سورة الأحقاف : ٢٩ — ٣٢ .

(٢) يعنى بهذا أن المنذرين الذين ذهبوا إلى قومهم ، لو جاز أن يسموا « رسلا » أرسلهم الإنس إلى الجن ، جاز أن يسمى « رسل الإنس » = وهم رسل الله إلى الإنس والجن = « رسل الجن » ، أرسلهم الجن إلى الإنس . وهذا ظاهر البطلان .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركى الجن والإنس عند تقريعه إياهم بقوله لهم : « ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا »، أنهم يقولونه . . . .[1]= « شهدنا على أنفسنا»، بأن رسلك قد أتتنا بآياتك، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا ، فكذبناها وجحدنا رسالتها، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها .

قال الله خبراً مبتدأ : وغرَّت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام ، وأولياءَهم من الجن[2] = « الحياة الدنيا » ، يعنى : زينة الحياة الدنيا ، وطلبُ الرياسة فيها والمنافسة عليها ، أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله ، فاستكبروا وكانوا قوماً عالين . فاكتفى بذكر « الحياة الدنيا » من ذكر المعانى التى غرَّتهم وخدَعتهم فيها، إذ كان فى ذكرها مكتفىً عن ذكر غيرها ، لدلالة الكلام على ما تُرك ذكره = يقول الله تعالى ذكره : « وشهدوا على أنفسهم » ، يعنى : هؤلاء العادلين به يوم القيامة = أنهم كانوا فى الدنيا كافرين به وبرسله ، لتتم حجَّة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليمَ عذابه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « أنهم يقولون : شهدنا على أنفسنا » ، وصل الكلام ، وفى المخطوطة بياض ، جعلت مكانه هذه النقط ، وأمام البياض فى المخطوطة حرف (ط) دلالة على أنه خطأ ، وأنه كان هكذا فى النسخة التى نقل عنها .

(٢) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ص : ٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، أى : إنما أرسلنا الرسل ، يا محمد ، إلى من وصفتُ أمرَه ، وأعلمتك خبره من مشركى الإنس والجن ، يقصون عليهم آياتى وينذرونهم لقاء معادهم إلىّ ، من أجل أن ربَّك لم يكن مهلك القرى بظلم .

* * *

وقد يتَّجه من التأويل فى قوله : « بظلم » ، وجهان :

أحدهما : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، أى : بشرك مَن أشرك ، وكفر مَن كفر من أهلها ، كما قال لقمان : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، [سورة لقمان : ١٣] = « وأهلها غافلون » ، يقول : لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم ، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه ، ولم يكن بالذى يأخذهم غَفْلة فيقولوا : « ما جاءنا من بَشِيرٍ ولا نذير » .

* * *

والآخر : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، يقول : لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرُّسل والآيات والعبر ، فيظلمهم بذلك ، والله غير ظلاّمٍ لعبيده .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب عندى ، القولُ الأول : أن يكون معناه : أن لم يكن ليهلكهم بشركهم ، دون إرسال الرسل إليهم ، والإعذار بينه وبينهم . وذلك أن قوله : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، عقيب قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « للعبيد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

« ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتى » ، فكان فى ذلك الدليل الواضحُ على أن نصَّ قوله : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القري بظلم » ، إنما هو : إنما فعلنا ذلك من أجل أنّا لا نُهلك القرى بغير تذكيرٍ وتنبيه .(١)

* * *

وأما قوله : « ذلك » ، فإنه يجوز أن يكون نصباً ، بمعنى : فعلنا ذلك = ويجوز أن يكون رفعاً ، بمعنى الابتداء، كأنه قال : ذلك كذلك .

* * *

وأما « أنْ » ، فإنها فى موضع نصب ، بمعنى : فعلنا ذلك من أجل أنْ لم يكن ربك مهلك القرى = فإذا حذف ما كان يخفضها ، تعلق بها الفعل فنصب .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولكل عامل فى طاعة الله أو معصيته ، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها ، ويثيبه بها ، إن خيراً فخيراً ، إن شرًّا فشرًّا(٣) = « وما ربك بغافل عما يعملون »، يقول جل ثناؤه: وكل ذلك من عملهم، يا محمد ، بعلم من ربِّك ، يحصيها ويثبتها لهم عنده ، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٥ ، فهذا رد على الفراء ، وهو صاحب القول الثانى .
(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٥ .
(٣) انظر تفسير « درجة » فيما سلف: ١١ : ٥٠٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

٢٩/٨

القول فى تأويل قوله ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « وربك » ، يا محمد ، الذى أمر عباده بما أمرهم به ، ونهاهم عما نهاهم عنه ، وأثابهم على الطاعة ، وعاقبهم على المعصية = « الغنى » ، عن عباده الذين أمرهم بما أمر ، ونهاهم عما نهى ، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه ، وهم المحتاجون إليه ، لأنه بيده حياتهم ومماتهم ، وأرزاقهم وأقواتهم ، ونفعهم وضرهم .[1] يقول عز ذكره : فلم أخلقهم ، يا محمد ، ولم آمرهم بما أمرتهم به ، وأنههم عما نهيتهم عنه ، لحاجة لى إليهم ، ولا إلى أعمالهم ، ولكن لأتفضَّل عليهم برحمتى ، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا ، فإنى ذو الرَّأفة والرحمة .[2]

* * *

وأما قوله : « إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء » ، فإنه يقول : إن يشأ ربُّك ، يا محمد ، الذى خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم وإلى طاعتهم إياه = « يذهبكم » ، يقول : يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم[3] = « ويستخلف من بعدكم ما يشاء » ، يقول : ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم ، يخلفونكم فى الأرض = « من بعدكم » ، يعنى : من بعد فنائكم وهلاككم = « كما أنشأكم من ذرّية قوم آخرين » ، كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم .

* * *

(١) انظر تفسير « الغنى » فيما سلف ٥ : ٥٢١ ، ٩/٥٧٠ : ٢٩٦ .
(٢) انظر تفسير « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .
(٣) انظر تفسير « الإذهاب » فيما سلف ٩ : ٢٩٨ .

ومعنى « مِنْ » فى هذا الموضع التعقيب ، كما يقال فى الكلام : « أعطيتك من دينارك ثوباً » ، بمعنى : مكانَ الدينار ثوباً ، لا أن الثوب من الدينار بعض .
كذلك الذين خوطبوا بقوله : « كما أنشأكم » ، لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنَّهم أنشئوا مكان خَلْقٍ خَلَفَ قوم آخرين قد هلكوا قبلهم .

* * *

و «الذرية» «الفُعْلِيّة»، من قول القائل: : « ذرأ الله الخلق »، بمعنى خلقهم، « فهو يذرؤهم »، ثم ترك الهمزة فقيل « ذرا الله » ، ثم أخرج « الفُعْلِيّة » بغير همز ، على مثال « العُبِّيَّة » .(١)

* * *

وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ: ﴿مِنْ ذُرِّيئَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ على مثال « فُعِّيلة » .(٢)

* * *

وعن آخر أنه كان يقرأ: ﴿وَمِنْ ذِرِّيَّةٍ﴾، على مثال « عِلِّيَّة » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى عليها القرأة فى الأمصار : ﴿ذُرِّيَّةٍ﴾ ، بضم الذال ، وتشديد الياء ، على مثال « عُبِّيَّة » .(٣)

* * *

(١) فى المطبوعة : « العلية » ، وهو خطأ ، لأن هذه بكسر العين . وفى المخطوطة : « العليه » ، غير منقوطة ، واجتهدت قراءتها كذلك . وفى الحديث : « إن الله وضع عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها » ، و « العبية » فخر الجاهلية وكبرها ونخوتها . يقال إنها من « التعبية » ، وقالوا بعضهم : هى « فعولة » ، وجائز أن تكون « فعلية » ، كما قال هذا القائل فى « ذرية» ، وانظر مادة (عبب) فى لسان العرب .

(٢) كان فى المخطوطة : « من ذرية » ، كما هى التلاوة السالفة ، ولكن ظاهر أن الذى فى المطبوعة هو الصواب . لأن « ذرية » أصلها « ذريئة » ، من « ذرأ الله الخلق » ، فكان ينبغى أن تكون مهموزة ، فكثرت ، فأسقط الهمز ، وتركت العرب همزها . وانظر لسان العرب (ذرأ) .

(٣) انظر التعليق السالف رقم : ١ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « علية » ، ومثلها فى المخطوطة ، والصواب الراجح ما أثبته .

وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ههنا .(١)

* * *

وأصل « الإنشاء » ، الإحداث. يقال : « قد أنشأ فلان يحدّث القوم » ، بمعنى ابتدأ وأخذ فيه .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمشركين به : أيها العادلون بالله الأوثانَ والأصنامَ ، إن الذى يُوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم ، واقعٌ بكم = « وما أنتم بمعجزين » ، يقولُ : لن تعجزوا ربّكم هرباً منه فى الأرض فتفوتوه ، لأنكم حيث كنتم فى قبضته ، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إيّاه قادر . يقول : فاحذرُوه وأنيبوا إلى طاعته ، قبل نزول البلاء بكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد، لقومك من قريش الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر= : « اعملوا على مكانتكم» ، يقول : اعملوا على حِيالكم وناحيتكم ، كما : —

---

(١) انظر تفسير « الذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٥/٧٣ : ٦/٥٤٣ : ٣٢٧ ، ولم يفسرها فى هذه المواضع ، ثم فسرها فى ٦ : ٨/٣٦٢ : ١١/١٩ : ٥٠٧ .

(٢) انظر تفسير « الإنشاء » فيما سلف : ١١ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٥٦٢ .

١٣٨٩٨ — حدثني على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يا قوم اعملوا على مكانتكم » ، يعنى : على ناحيتكم .

* * *

يقال منه : « هو يعمل على مكانته ، ومَكِينته » .

* * *

وقرأ ذلك بعض الكوفيين : ﴿ عَلَى مَكَانَاتِكُمْ ﴾ ، على جمع « المكانة » .

* * *

قال أبو جعفر : والذي عليه قرأة الأمصار : ﴿ عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ ، على التوحيد .

* * *

= «إني عامل» ، يقول جل ثناؤه ، لنبيه : قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون ، فإني عامل ما أنا عامله مما أمرني به ربي = « فسوف تعلمون » ، يقول : فسوف تعلمون عند نزول نقمة الله بكم ، أيُّنا كان المحقّ في عمله ، والمصيب سبيلَ الرشاد ، أنا أم أنتم . ٨/٣٠

وقوله تعالى ذكره لنبيه : قل لقومك ، « يا قوم اعملوا على مكانتكم » ، أمرٌ منه له بوعيدهم وتهدّدهم ، لا إطلاقٌ لهم في عمل ما أرادُوا من معاصي الله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « من تكون له عاقبة الدار » ، فسوف تعلمون ، أيها الكفرة بالله ، عند معاينتكم العذابَ ، مَن الذي تكون له عاقبة الدار منا ومنكم .[١] يقول : من الذي تُعقبه دنياه ما هو خير له منها أو شر

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١١ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

منها ،[١] بما قدم فيها من صالح أعماله أو سيئها .

ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه فقال : « إنه لا يفلح الظالمون »، يقول : إنه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله مَنْ عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل فى الدنيا[٢]= وذلك معنى : « ظلم الظالم » ، فى هذا الموضع .[٣]

* * *

وفى « من » التى فى قوله : « من تكون له »، وجهان من الإعراب :

= الرفع على الابتداء .

= والنصبُ بقوله : « تعلمون » ، ولإعمال « العلم » فيه .

والرفع فيه أجود ، لأن معناه : فسوف تعلمون أيُّنا له عاقبة الدار ؟ فالابتداء فى « من »، أصحُّ وأفصح من إعمال « العلم » فيه .[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثانَ والأصنام لربهم = « مما ذرأ » خالقهم ، يعنى : مما خلق من الحرث والأنعام .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « من الذى يعقب دنياه » ، والذى فى المخطوطة هو الصواب .

(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١١ : ٢٩٦ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٥ .

يقال منه : « ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْءًا ، وذَرْوًا » ،[1] إذا خلقهم .

* * *

= « نصيباً » ، يعنى : قسماً وجزءاً .[2]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة النصيب الذى جعلوا الله ، والذى جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان .

فقال بعضهم : كان ذلك جزءاً من حروثهم وأنعامهم يُفْرِزُونه لهذا ،[3] وجزءاً آخر لهذا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٩ — حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله » ، الآية ، قال : كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حُزَماً ، جعلوا منها لله سَهْماً ، وسهماً لآلهتهم . وكان إذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لآلهتهم إلى الذى جعلوه لله ، ردُّوه إلى الذى جعلوه لآلهتهم . وإذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لله إلى الذى جعلوه لآلهتهم ، أقرُّوه ولم يردُّوه . فذلك قوله : « ساءَ ما يحكمون » .

١٣٩٠٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » ، قال : جعلوا

---

(١) فى المخطوطة أيضاً « وذروا » ، كأنه يعنى تسهيل الهمزة ، ولم أجد ذكر ذلك فى مصادر هذا الفعل ، ولا أظنه أراد : « وذرواً » ، فإن أحداً لم يذكر ذلك .

(٢) انظر تفسير « نصيب » فيما سلف ٩ : ٣٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « يقررونه » ، وفى المخطوطة : « يفررون » غير تامة النقط ، وصواب قراءتها ما أثبت . « فرزت الشىء » و « أفرزته » ، إذا عزلته عن غيره ، ومزته . و « الفرز » (بكسر فسكون) : النصيب المفروز لصاحبه ، واحداً كان أو اثنين .

لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً . فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله فى نصيب الشيطان تركوه ، وإن سقط مما جعلوه للشيطان فى نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سِقْى ما جعلوه لله فى نصيب الشيطان تركوه،(١) وإن انفجر من سِقْى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله سدّوه . فهذا ما جعلوا من الحروث وسِقْى الماء . وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام فهو قول الله : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾، [سورة المائدة: ١٠٣].

١٣٩٠١ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله بزعمهم » ، الآية ، وذلك أن أعداءَ الله كانوا إذا احترثوا حرثاً، أو كانت لهم ثمرة ، جعلوا لله منها جزءاً وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شىء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه . فإن سقط منه شىء فيما سُمِّى لله ردّوه إلى ما جعلوا للوثن . وإن سبقهم الماء إلى الذى جعلوه للوثن ، فسقى شيئاً جعلوه لله ، جعلوا ذلك للوثن . وإن سقط شىء من الحرث والثمرة التى جعلوا لله . فاختلط بالذى جعلوا للوثن ، قالوا : « هذا فقير » ! ولم يردوه إلى ما جعلوا لله ، وإن سبقهم الماء الذى جعلوا لله فسقى ما سُمِّى للوثن ، تركوه للوثن . وكانوا يحرّمون من أنعامهم البَحيرة والسائبة والوصيلةَ والحام ، فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يحرّمونه لله . فقال الله فى ذلك : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، الآية .

٨/٢١

١٣٩٠٢ ــ حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، قال : يسمون لله جزءاً من الحرث ، ولشركائهم وأوثانهم

(١) « السقى » (بكسر السين وسكون القاف) : والشرب (بكسر فسكون) ، وهو مورد الماء كالجدول ، يسقى به الزرع .

جزءاً ، فما ذهبت به الريح مما سمّوا لله إلى جزء أوثانهم تركوه ، وما ذهب من جزء أوثانهم إلى جزء الله ردُّوه ، وقالوا : « الله عن هذا غنيّ » ! و « الأنعام » السائبة والبحيرة التي سمَّوا .

١٣٩٠٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٣٩٠٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، الآية ، عَمَدَ ناس من أهل الضلالة فجزّأوا من حروثهم ومواشيهم جزءاً لله وجزءاً لشركائهم . وكانوا إذا خالط شيء مما جزّأوا لله فيما جزأوا لشركائهم خلَّوه . فإذا خالط شيء مما جزأوا لشركائهم فيما جزأوا لله ردّوه على شركائهم . وكانوا إذا أصابتهم السَّنةُ استعانوا بما جزأوا لله ، وأقرّوا ما جزأوا لشركائهم ، قال الله : « ساء ما يحكمون » .

١٣٩٠٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، قال : كانوا يجزأون من أموالهم شيئاً فيقولون : « هذا لله ، وهذا للأصنام » ، التي يعبدون . فإن ذهب بعيرٌ مما جعلوا لشركائهم ، [1] فخالط ما جعلوا لله ، ردُّوه . وإن ذهب مما جعلوه لله فخالط شيئاً مما جعلوه لشركائهم تركوه . وإن أصابتهم سنة أكلوا ما جعلوا لله ، وتركوا ما جعلوا لشركائهم ، فقال الله : « ساء ما يحكمون » .

١٣٩٠٦ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » إلى « يحكمون » ، قال : كانوا يقسمون من أموالهم قِسْماً فيجعلونه لله ، ويزرعون زَرْعاً فيجعلونه لله ، ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك . فما خرج للآلهة أنفقوه عليها ، وما خرج

---

(١) في المطبوعة : « فإذا ذهب مما جعلوا » غير ما كان في المخطوطة لغير طائل .

لله تصدقوا به . فإذا هلك الذى يصنعون لشركائهم ، وكثر الذى لله قالوا : « ليس بُدٌّ لآلهتنا من نفقة » ، وأخذوا الذى لله فأنفقوه على آلهتهم . وإذا أجدب الذى لله ، وكثر الذى لآلهتهم ، قالوا : « لو شاء أزكى الذى له » ! فلا يردُّون عليه شيئاً مما للآلهة . قال الله : لو كانوا صادقين فيما قسموا ، لبئس إذًا ما حكموا : أن يأخذوا منى ولا يعطونى . فذلك حين يقول : « ساء ما يحكمون » .

* * *

وقال آخرون : « النصيب » الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم : أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسمّوا الآلهة ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٠٧ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » حتى بلغ « وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » ، قال : كل شىء جعلوه لله من ذِبْح يذبحونه ،[1] لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلهة . وما كان للآلهة لم يذكروا اسمَ الله معه ، وقرأ الآية حتى بلغ : « ساء ما يحكمون » . ٣٢/٨

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ما قال ابن عباس ومن قال بمثل قوله فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسماً مقدراً ، فقالوا : « هذا لله » وجعلوا مثله لشركائهم ، وهم أوثانهم ، بإجماع من أهل التأويل عليه ، فقالوا : « هذا لشركائنا » = وأن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله ، بمعنى : لا يصل إلى نصيب الله ، وما كان لله وصَل إلى نصيب شركائهمَ . فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية ، كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم

---

(١) « الذبح » (بكسر فسكون) ، هو « الذبيح » ، و « المذبوح » ، وهو كل ما أعد للذبح من الأضاحى ، وغيرها من الحيوان .

يصل ، جائزاً أن تكون قد وصلت ، وما أخبر عنه أنه قد وصل ، لم يصل . وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر الكلام ، لأن الذبيحتين تُذبح إحداهما لله ، والأخرى للآلهة ، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت ، وخلطوها إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحاً للآلهة ، دون اختلاط الأعيان واتصال بعضها ببعض .

* * *

وأما قوله : « ساء ما يحكمون » ، فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم . يقول جل ثناؤه : وقد أساءوا فى حكمهم ،[1] إذ أخذوا من نصيبى لشركائهم ، ولم يعطونى من نصيب شركائهم . وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبرَ عن جهلهم وضلالتهم ، وذهابهم عن سبيل الحق ، بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم ، وأنعم عليهم بالنعم التى لا تحصى ، ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، حتى فضّلوه فى أقسامهم عند أنفسهم بالقَسْم عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكما زيّن شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زينوا لهم ، من تصييرهم لربهم من أموالهم قَسْماً بزعمهم ، وتركهم ما وَصل من القَسْم الذى جعلوه لله إلى قسم شركائهم فى قسمهم ، وردّهم ما وَصَل من القسم الذى جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله ، إلى قسم شركائهم=

(١) انظر تفسير « ساء » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .
= وتفسير « يحكم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

« كذلك زين لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم » ، من الشياطين ، فحسنوا لهم وأد البنات [١] = « ليردوهم » ، يقول: ليهلكوهم = « وليلبسوا عليهم دينهم » ، فعلوا ذلك بهم ، ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس ، فيضلوا ويهلكوا ، بفعلهم ما حرم الله عليهم [٢] = ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه ، بأن كان يهديهم للحق ، ويوفقهم للسداد ، فكانوا لا يقتلونهم ، ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم ، وأطاعوا الشياطين التى أغوتهم .

يقول الله لنبيه ، متوعداً لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون فى الأنصباء التى يقسمونها : « هذا لله وهذا لشركائنا » ، وفى قتلهم أولادهم = « ذرهم » ، يا محمد ، [٣] « وما يفترون » ، وما يتقوّلون علىّ من الكذب والزور ، [٤] فإنى لهم بالمرصاد ، ومن وراء العذاب والعقاب .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم » ، زينوا لهم ، من قَتْل أولادهم .

١٣٩٠٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « قتل أولادهم شركاؤهم » ، شياطينهم ، يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العَيْلة . [٥]

---

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ص : ٩٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « اللبس » فيما سلف : ١١ : ٤٩٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير ذر فيما سلف : ٧٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف : ٥٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٥) « العيلة » (بفتح فسكون) ، الفقر وشدة الحاجة .

١٣٩١٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ٨/ ٣٣
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٣٩١١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم » الآية ، قال : شركاؤهم زينوا لهم ذلك = « ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » .

١٣٩١٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » ، قال : شياطينهم التى عبدوها، زينوا لهم قتلَ أولادهم .

١٣٩١٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم » ، أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات . وأما « ليردوهم » ، فيهلكوهم . وأما « ليلبسوا عليهم دينهم » ، فيخلطوا عليهم دينهم .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته قرأة الحجاز والعراق: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ ﴾، بفتح الزاى من « زين » ، ﴿ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتلَ أَوْلَادِهِمْ ﴾ ، بنصب «القتل»، ﴿ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ ، بالرفع = بمعنى : أن شركاء هؤلاء المشركين ،الذين زينوا لهم قتلَ أولادهم = فيرفعون « الشركاء » بفعلهم ، وينصبون « القتل » ، لأنه مفعول به .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل الشأم ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ ﴾ بضم الزاي ﴿ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ ﴾ بالرفع ﴿ أَوْلَادَهُمْ ﴾ بالنصب ﴿ شُرَكَائِهِمْ ﴾ بالخفض=بمعنى : وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ شركائهم أولادَهم، ففرّقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم . وذلك فى كلام العرب قبيح غير فصيح . وقد

روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيِّد قراءة من قرأ بما ذكرت من قرأة أهل الشأم ، رأيتُ رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه ، وذلك قول قائلهم :

فَزَجَجْتُهُ مُتَمَكِّنًا زَجَّ القَلُوصَ أَبِى مَزَادَهْ[1]

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز غيرها: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾، بفتح الزاى من « زين »، ونصب « القتل » بوقوع « زين » عليه، وخفض « أولادهم » بإضافة « القتل » إليهم، ورفع « الشركاء » بفعلهم ، لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتلَ أولادهم ، على ما ذكرتُ من التأويل .

وإنما : قلت : « لا أستجيز القراءة بغيرها » ، لإجماع الحجة من القرأة عليه ، وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد ، ففى ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة .

* * *

ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ، ثم قرأ قارئ : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ ، بضم الزاى من « زين »، ورفع « القتل »، وخفض « الأولاد » و « الشركاء »، على

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٨ ، الإنصاف : ١٧٩ ، الخزانة ٢ : ٢٥١ ، والعينى (بهامش الخزانة) ٣ : ٤٦٨ ، وغيرها كثير . « زج » : دفع بالزج ، وهو الحديدة التى فى أسفل الرمح . و « القلوص » الناقة الفتية ، و « أبو مزادة » اسم رجل . وهذا البيت شاهد على ما ذهب إليه الكوفيون من جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض ، لضرورة الشعر . والتقدير : زج أبى مزادة القلوص ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالقلوص ، وهو مفعول ، وليس بظرف ولا حرف خفض . وهذا وإن كان مقالة الكوفيين ، فإن الفراء قد رده فى معانى القرآن ١ : ٣٥٨ ، وقال هو ليس بشىء .

أن « الشركاء » مخفوضون بالردّ على « الأولاد » ، بأنّ « الأولاد » شركاء آبائهم فى النسب والميراث = كان جائزاً .[1]

* * *

ولو قرأه كذلك قارئ ، غير أنه رفع « الشركاء » وخفض « الأولاد » ، كما يقال : « ضُرِبَ عبدُ الله أخوك » ، فيظهر الفاعل ، بعد أن جرى الخبر بما لم يسمَّ فاعله = كان ذلك صحيحاً فى العربية جائزاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قِبَل أنفسهم ، من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك .

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء العادلون بربهم من المشركين ، جهلاً منهم ، لأنعام لهم وحرث : هذه أنعامٌ وهذا حرث حجر = يعنى : بـ « الأنعام » و « الحرث » ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم ، التى قد مضى ذكرها فى الآية قبل هذه . ٣٤/٨

* * *

وقيل : إن « الأنعام » ، السائبة والوصيلة والبحيرة التى سمَّوا.[2]

١٣٩١٤ — حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « الأنعام » ، السائبة والبحيرة التى سمَّوا .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٧ .

(٢) انظر تفسير « الأنعام » فيما سلف ٦ : ٩/٢٥٧ : ٤٥٧ .

= وتفسير « الحرث » فيما سلف ٤ : ٢٤٠ — ٢٤٣ ، ٦/٣٩٧ : ٧/٢٥٧ : ١٣٤ .

و « الحِجْر » فى كلام العرب ، الحرام .[١] يقال : « حَجَرت على فلان كذا » ، أي حرَّمت عليه ، ومنه قول الله ، ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٢] ، ومنه قول المتلمس :

حَنَّتْ إلَى النَّخْلَةِ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا : حِجْرٌ حَرَامٌ ، أَلاَ ثَمَّ الدَّهَارِيس[٢]

(١) المخطوطة ، ليس فيها « الحرام » ، وزيادتها فى المطبوعة هى الصواب الموافق لما فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٧ .

(٢) ديوانه قصيدة ٤ ، ومختارات ابن الشجرى : ٣٢ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٠٧ ، وسيأتى فى التفسير ١٩ : ٣٠٢ (بولاق) ، اللسان (دهرس) ، ومعجم ، استعجم : ١٣٠٤ ، ومعجم ياقوت (نخلة القصوى) ، ونسبه لجرير وهو المتلمس ، جرير بن عبد المسيح ، من قصيدته التى قالها فى مهربه إلى الشأم من عمرو بن هند ، وقصة المتلمس وطرفة ، وعمرو بن هند ، مشهورة . وهكذا جاء هنا « النخلة القصوى » ، وهى رواية ، والرواية الأخرى « نخلة القصوى » بغير تعريف كما سيأتى برواية أبى جعفر فى التفسير ١٩ : ٣٠٢ (بولاق) . وقد ذكروا أن « نخلة القصوى » المذكورة هنا ، هى : « نخلة اليمانية » ، وهو واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة . وظاهر هذا الشعر ، فيما أداني إليه اجتهادى ، يدل على أن « نخلة القصوى » بأرض العراق ، مفضياً إلى الحيرة ، ديار عمرو بن هند ، فإنه قال هذا الشعر ، وقد حرم عليه عمرو بن هند أرض العراق ، فحنت ناقته إلى ديارها بالعراق ، فقال لها :

أَنَّى طَرِبْتِ ، وَلَمْ تُلْحَىْ عَلَى طَرَبٍ ، وَدُونَ إِلْفِكِ أَمْرَاتٌ أَمَالِيسُ

يقول : كيف تشتاقين إلى أرض فيها هلاكى ؟ ثم عاد يقول : ولست ألومك على الشوق الذى أثار حنينك ، فإنه لابد لمن حالت بينه وبين إلفه الفلوات ، أن يحن . ثم بين العلة فى استنكاره حنينها فقال لها : وكأنه يخاطب نفسه ، ويعتذر إليها من ملامة هذه البائسة !

حَنَّتْ إلَى نَخْلَةَ القُصْوَى ، فَقُلْتُ لها : بَسْلٌ عَلَيْكِ ، أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ

« بسل عليك » : حرام عليك ، وهذه رواية أخرى . و « الدهاريس » ، الدواهى . يقول : ما ألومها على الحنين إلى إلفها ، ولكنى ألومها على الحنين إلى أرض فيها هلاكى . وقال لها : إن نخلة القصوى التى تحنين إليها ، حرام عليك ، فإن فيها الدواهى والغوائل . فتبين بهذا أنه يعنى ديار عمرو بن هند الذى فر منه ، ثم قال لها بعد ذلك :

أُمِّى شَآمِيَةً ، إِذْ لاَ عِرَاقَ لَنَا ، قَوْمًا نَوَدُّهُمُ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ

يقول : اقصدى نخلة الشآمية ، فإن العراق قد حرم علينا ، وفى الشأم أحبابنا ، وأهل مودتنا ، وأما قومنا بالعراق فإنهم ينظرون إلينا بأعين شوس من البغضاء . فثبت بقوله : « إذ لا عراق لنا » أن « نخلة القصوى » من أرض العراق .

وفى هذا كفاية فى تحقيق الموضع إن شاء الله .

وقول رؤبة ، [العجاج] : (١)

* وَجَارَةُ البَيْتِ لَهَا حُجْرِىُّ * (٢)

يعني المحرّم ، ومنه قول الآخر : (٣)

فَبِتُّ مُرْتَفِقاً ، وَالعَيْنُ سَاهِرَةٌ كَأَنَّ نَوْمِى عَلَىَّ اللَّيْلَ مَحْجُورُ (٤)

أى : حرام . يقال : « حِجْر » و« حُجْر » ، بكسر الحاء وضمها .

* * *

وبضمها كان يقرأ ، فيما ذُكر ، الحسنُ وقتادة . (٥)

١٣٩١٥ — حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي [قال ، حدثني عمي] قال ، حدثني أبي ، عن الحسين ، عن قتادة أنه : كان يقرؤها : ﴿وَحَرْثٌ حُجْرٌ﴾ ، يقول : حرام ، مضمومة الحاء . (٦)

* * *

(١) هكذا نسبه هنا إلى « رؤبة » والصواب أنه « العجاج » أبوه ، بلاشك فى ذلك ، ولذلك وضعته بين الأقواس ، وكأنه سهو من الناسخ ، أو من أبي جعفر .

(٢) ديوان العجاج : ٦٨ ، واللسان (حجر) من رجز له طويل مشهور ، ذكر فيه نفسه بالعفاف والصيانة فقال :

إِنِّى امْرُؤٌ عَنْ جَارَتِى كَفِىُّ عَنِ الأَذَى ، إِنَّ الأَذَى مَقْلِىُّ
وَعَنْ تَبَغِّى سِرِّهَا غَنِىُّ

ثم قال بعد أبيات :

وَجَارَةُ البَيْتِ لَهَا حُجْرِىُّ وَمَحْرُمَاتٌ هَتْكُهَا بُجْرِىُّ

وفسره صاحب اللسان فقال : « لها خاصة » .

(٣) ينسب إلى أعشى باهلة ، نسبه ابن برى فى اللسان (رفق) ، ولم أجده فى مكان آخر .

(٤) اللسان (رفق) . « مرتفقاً » ، أى : متكئاً على مرفق يده .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « الحسين » ، وهو خطأ ، صوابه « الحسن » ، وهو البصرى .

(٦) الأثر : ١٣٩١٥ — هذا إسناد فيه إشكال .

«عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبرى» ، مضى مراراً ، وهو يروى عن أبيه : « عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان » وأبوه : « عبد الصمد

وأما القرأة من الحجاز والعراق والشأم، فعلى كسرها. وهى القراءة التى لا أستجيز خلافها، لإجماع الحجة من القرأة عليها، وأنها اللغة الجُودَى من لغات العرب.[1]

* * *

وروى عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: ﴿ وَحَرْثٌ حِرْجٌ ﴾، بالراء قبل الجيم.

١٣٩١٦ — حدثنى بذلك الحارث قال، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها كذلك.

* * *

وهى لغة ثالثة، معناها ومعنى «الحجر» واحد. وهذا كما قالوا: «جذب» و«جبذ»، و «ناء» و «نأى».

فنى «الحجر»، إذاً، لغات ثلاث: «حجر» بكسر الحاء، والجيم قبل الراء = «وحُجر» بضم الحاء، والجيم قبل الراء = «وحِرْج»، بكسر الحاء، والراء قبل الجيم.

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل «الحجر» قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

ابن عبد الوارث»، يروى عن أبيه: «عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان»، و«عبد الوارث بن سعيد ابن ذكوان»، يروى عن «حسين المعلم»، وهو «حسين بن ذكوان العوذى»، و «حسين المعلم»، يروى عن «قتادة»، فالأرجح إذن أن يكون الإسناد هكذا:

«حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد، قال حدثنى أبى، قال حدثنى أبى، عن الحسين، عن قتادة» بإسقاط «قال حدثنى عمى»، التى وضعتها بين قوسين، وبذلك يكون الإسناد مستقيما، فإنى لم أجد «عبد الصمد بن عبد الوارث» يروى عن «عمه»، ولم أجد له عما يروى عنه. وأيضاً فإن قوله: «حدثنى عمى» يقتضى أن يكون «سعيد بن ذكوان» جدهم، هو الراوى عن «حسين المعلم»، ولم تذكر قط رواية عن «سعيد بن ذكوان»، ولا له ذكر فى كتب الرجال. فصح بذلك أن الصواب إسقاط ما وضعته بين القوسين. هذا وأذكر أن هذا الإسناد قد مر قبل كما أثبته، ولكنى لم أستطع أن أعثر عليه بعد. والزيادة إن شاء الله خطأ من الناسخ، واختلط عليه إسناد «محمد بن سعد عن أبيه، عن عمه...» رقم: ٣٠٥. فعجل وزاد: «قال حدثنى عمى».

(١) «الجودى»، تأنيث «الأجود»، وهى قليلة الاستعمال فيما بعد طبقة أبى جعفر، كما أسلفت فى التعليق على أول استعمال لها فيما مضى ٦: ٤٣٧، تعليق: ١، وهذه هى المرة الثانية التى استعملها فيها أبو جعفر.

١٣٩١٧ — حدثني عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث ، عن حميد ، عن مجاهد وأبي عمرو : «وحرث حجر » ، يقول : حرام .

١٣٩١٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وحرث حجر » ، فالحجر ، ما حرّموا من الوصيلة ، وتحريم ما حرموا .

١٣٩١٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وحرث حجر »، قال : حرام .

١٣٩٢٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « هذه أنعام وحرث حجر » الآية ، تحريمٌ كان عليهم من الشياطين في أموالهم ، وتغليظ وتشديد . وكان ذلك من الشياطين ، ولم يكن من الله .

١٣٩٢١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما قوله : « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر » ، فيقولون : حرام ، أن نطعم إلا من شئنا .

١٣٩٢٢ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « هذه أنعام وحرث حجر » ، نحتجرها على من نريد وعمن نريد ، لا يطعمها إلا من نشاء، بزعمهم . قال : إنما احتجروا ذلك لآلهتهم، وقالوا : لا يطعمها إلاّ من نشاء ، بزعمهم . قالوا ، نحتجرها عن النساء ، ونجعلها للرجال .

١٣٩٢٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أنعام وحرث حجر » ، أما « حجر » ، يقول: محرَّم . وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها ، كانوا يحرّمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ، ويعزلون من حرثهم شيئاً معلوماً لآلهتهم ، ويقولون : لا يحل لنا ما سمّينا لآلهتنا . ٨/٣٥

١٣٩٢٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد : « أنعام وحرث حجر » ، ما جعلوه لله ولشركائهم .

١٣٩٢٥ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وحرّم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهورَ بعض أنعامهم ، فلا يركبون ظهورها ، وهم ينتفعون برِسْلِها ونِتَاجها وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب ،[1] وحرموا من أنعامهم أنعاماً أخر ، فلا يحجُّون عليها ، ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحالٍ ، ولا إن حلبوها ، ولا إن حمَّلوا عليها .

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٢٦ ــ حدثنا سفيان قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم قال : قال لى أبو وائل : أتدرى ما « أنعام لا يذكرون اسم الله عليها » ؟ قال قلت : لا ! قال : أنعام لا يحجون عليها .

١٣٩٢٧ ــ حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال، حدثنا شاذان قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم قال: قال لى أبو وائل: أتدرى ما قوله : « حرمت

(١) « الرسل » (بكسر فسكون) : اللبن . و « النتاج » (بكسر النون) : ما تضع من أولادها .

ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها » ؟ قال قلت : لا ! قال : هى البحيرة ، كانوا لايحجون عليها .[1]

١٣٩٢٨ — حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال، حدثنا محمد بن سعيد الشهيد قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي وائل : « وأنعام لايذكرون اسم الله عليها » ، قال : لايحجون عليها .[2]

١٣٩٢٩ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي: أما « أنعام حرمت ظهورها » ، فهي البحيرة والسائبة والحام = وأما «الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها » ، قال : إذا أولدوها ،[3] ولا إن نحروها .

١٣٩٣٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » ، قال : كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شيء من شأنها ، لا إن ركبوها ، ولا إن حلبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن منحوا ، ولا إن عملوا شيئاً .

١٣٩٣١ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأنعام حرمت ظهورها » ، قال : لا يركبها أحد = « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » .

* * *

(١) الأثر : ١٣٩٢٧ — « محمد بن عباد بن موسى الختلى » ، مضى رقم : ١١٣١٨ ، ونقلت هناك عن ابن أبي حاتم ٤/١/١٥ ، أنه روى عن هشام بن محمد الكلبى ، والوليد بن صالح ، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا . ثم توقفت فى هذه الترجمة المختصرة التى ذكرها ابن أبي حاتم ، وشككت فى صحة ما فيها ، فإن أبا بكر بن أبي الدنيا ، إنما يروى عن أبيه « عباد بن موسى الختلى » . ولا أدرى أروى عن ولده « محمد بن عباد » أم لم يرو عنه ، فإنهم لم يذكروا ذلك فى ترجمة أبي بكر ابن أبي الدنيا .

و « شاذان » هو : « الأسود بن عامر » ، ثقة صدوق . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر : ١٣٩٢٨ — « أحمد بن عمرو البصرى » ، مضى ما قلت فيه برقم: ٩٨٧٥ .
و« محمد بن سعيد الشهيد » ، لم أعرف من هو ، ولم أجد له ذكراً .

(٣) لعل الصواب : « لا إن أولدوها » .

وأما قوله : « افتراء على الله » ، فإنه يقول : فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا ، وقالوا ما قالوا من ذلك ، كذباً على الله ، وتخرّصاً الباطلَ عليه ، لأنهم أضافوا ما كانوا يحرّمون من ذلك ، على ما وصفه عنهم جل ثناؤه فى كتابه ، إلى أنّ الله هو الذى حرّمه ، فنفى الله ذلك عن نفسه ، وأكذبهم ، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدّعون .[1]

* * *

ثم قال عز ذكره : « سيجزيهم » ، يقول : سيثيبهم ربُّهم بما كانوا يفترونَ على الله الكذبَ ثوابَهم ، ويجزيهم بذلك جزاءهم .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « ما فى بطون هذه الأنعام » .

فقال بعضهم : عنى بذلك اللَّبن .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٣٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن أبى الهذيل ، عن ابن عباس : « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا » ، قال : اللبن.[3]

٣٦/٨

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف : ص : ١٣٦ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٣) الأثر : ١٣٩٣٢ — « عبد الله بن أبى الهذيل العنزى » ، « أبو المغيرة » ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٩٦/٢/٢ ، وفيه « العنبرى » ، ولا أدرى ما الصواب منهما .

١٣٩٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

١٣٩٣٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة: «وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا»، ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء ، وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم .

١٣٩٣٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» ، قال : ما في بطون البحائر ، يعني ألبانها ، كانوا يجعلونه للرجال ، دون النساء .

١٣٩٣٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن زكريا، عن عامر قال: «البحيرة» لا يأكل من لبنها إلا الرجال، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء .

١٣٩٣٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : «وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا» الآية ، فهو اللبن ، كانوا يحرمونه على إناثهم، ويشربه ذكرانهم . وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء . وإن كانت أنثى تركت لم تذبح . وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء . فنهى الله عن ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك ما في بطون البحائر والسوائب من الأجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٣٨ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ،

قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء » ، فهذه الأنعام ، ما ولد منها من حيّ فهو خالص للرجال دون النساء . وأما ما ولد من ميت ، فيأكله الرجال والنساء .

١٣٩٣٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا » ، السائبة والبحيرة .

١٣٩٤٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا فى أنعام بأعيانها : « ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا » ، واللبن مما فى بطونها ، وكذلك أجنتها . ولم يخصُص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا : بعضُ ذلك حرام عليهن دون بعض .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يقال إنهم قالوا : ما فى بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حِلٌّ لذكورهم = خالصة ، دون إناثهم ، وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم ، إلا أن يكون الذى فى بطونها من الأجنة ميتاً ، فيشترك حينئذ فى أكله الرجال والنساء .

* * *

واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أنثت « الخالصة » .

فقال بعض نحويى البصرة وبعض الكوفيين : أنثت لتحقيق « الخلوص » ، كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة ، فجرى مجرى « راوية » و « نسابة » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : أنثت لتأنيث « الأنعام » ، لأن « ما فى بطونها » ، مثلها ، فأنثت لتأنيثها . ومن ذكّره فلتذكير «ما» . قال : وهى فى قراءة عبد الله :

﴿ خَالِصٌ ﴾ . قال : وقد تكون « الخالصة » فى تأنيثها مصدراً ، كما تقول : « العافية » و « العاقبة » ، وهو مثل قوله : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ﴾ ، [سورة ص : ٤٦] .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : أريد بذلك المبالغة فى خلوص ما فى بطون الأنعام التى كانوا حرّموا ما فى بطونها على أزواجهم ، لذكورهم دون إناثهم ،(١) كما فعل ذلك « بالراوية » و « النسابة » و « العلامة » ، إذا أريد بها المبالغة فى وصف من كان ذلك من صفته ، كما يقال : « فلان خالصة فلان ، وخُلْصانه » .(٢)

٣٧/٨

* * *

وأما قوله : « ومحرم على أزواجنا » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ بـ « الأزواج » .

فقال بعضهم : عنى بها النساء .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٤١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ومحرم على أزواجنا » ، قال : النساء .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بـ « الأزواج » ، البنات .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٤٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ومحرم على أزواجنا » ، قال : « الأزواج » ، البنات . وقالوا : ليس للبنات منه شىء .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٢) السياق : « فى خلوص ما فى بطون الأنعام . . . لذكورهم دون إناثهم » .

(٣) انظر تفسير « الخالصة » فيما سلف ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ . وانظر تمام حجة أبى جعفر فى ذلك فيما سيلى بعد أسطر قليلة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما فى بطون هذه الأنعام = يعنى أنعامهم = : « هذا محرم على أزواجنا»، و« الأزواج » ، إنما هى نساؤهم فى كلامهم ، وهن لا شك بنات من هن أولاده، وحلائل من هن أزواجه .(١)

وفى قول الله عز وجل: « ومحرم على أزواجنا »، الدليلُ الواضح على أن تأنيث « الخالصة » ، كان لما وصفت من المبالغة فى وصف ما فى بطون الأنعام بالخلوصة للذكور ، لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقيل: « ومحرمة على أزواجنا » ، ولكن لما كان التأنيث فى « الخالصة » لما ذكرت ، ثم لم يقصد فى « المحرم » ما قصد فى « الخالصة » من المبالغة ، رجع فيها إلى تذكير « ما » ، واستعمال ما هو أولى به من صفته .

* * *

وأما قوله : « وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء » ، فاختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه يزيد بن القعقاع ، وطلحة بن مصرِّف ، فى آخرين: ﴿وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ﴾ ،بالتاء فى « تكن» ، ورفع «ميتة»، غير أن يزيد كان يشدِّد الياء من ﴿مَيِّتَةٌ﴾ ويخفّفها طلحة .

١٣٩٤٣ — حدثنى بذلك المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى حماد قال ، حدثنا عيسى ، عن طلحة بن مصرف .

١٣٩٤٤ — وحدثنا أحمد بن يوسف ، عن القاسم وإسمعيل بن جعفر ، عن يزيد .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المدينة والكوفة والبصرة: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ بالياء ،

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٥١٤/٢ : ٤٤٦ .

و« ميتة » ، بالنصب، وتخفيف الياء .

* * *

وكأنّ من قرأ: « وإن يكن» بالياء « ميتة » بالنصب ، أراد: وإن يكن ما فى بطون تلك الأنعام = فذكر « يكن » لتذكير « ما » ونصب « الميتة »، لأنه خبر « يكن ».

وأما من قرأه : « وإن تكن ميتة » ، فإنه إن شاء الله أراد : وإن تكن ما فى بطونها ميتة ، فأنث « تكن » لتأنيث « ميتة » .

* * *

وقوله : « فهم فيه شركاء »، فإنه يعنى أن الرجال وأزواجهم شركاء فى أكله ، لا يحرمونه على أحد منهم ، كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما :—

١٣٩٤٥ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: « وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء »، قال: تأكل النساء مع الرجال، إن كان الذى يخرج من بطونها ميتة ، فهم فيه شركاء. وقالوا: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيباً ، وإن شئنا لم نجعل .

* * *

قال أبو جعفر : وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوّله ابن زيد ، لأن ظاهرها يدل على أنهم قالوا : « إن يكن ما فى بطونها ميتة ، فنحن فيه شركاء » = بغير شرط مشيئة . وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « سيجزى » ، أى : سيثيب ويكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب فى تحريمهم ما لم يحرّمه الله ، وتحليلهم ما لم يحلله الله ، وإضافتهم كذبهم فى ذلك إلى الله[1] = وقوله : « وصفهم » ، يعنى : « وصفهم » ، الكذبَ على الله ، وذلك كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر من كتابه : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ ، [سورة النحل : ٦٢] .[2]

* * *

و « الوصف » و « الصفة » فى كلام العرب واحد ، وهما مصدران مثل « الوزن » و « الزنة » .

* * *

٨/٣٨ وبنحو الذى قلنا فى معنى « الوصف » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٤٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « سيجزيهم وصفهم » ، قال : قولهم الكذب فى ذلك .

١٣٩٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٩٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية : « سيجزيهم وصفهم » ، قال : كذبهم .

١٣٩٤٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سيجزيهم وصفهم » ، أى كذبهم .

---

(١) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف ص ١٤٦ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الوصف » فيما سلف ص : ١٠ ، ١١ .

وأما قوله : « إنه حكيم عليم » ، فإنه يقول جل ثناؤه : إن الله فى مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه = « حكيم »، فى سائر تدبيره فى خلقه = « عليم » ، بما يصلحهم ، وبغير ذلك من أمورهم .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (١٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذبَ ،[٢] العادلون به الأوثانَ والأصنام ، الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم ، وتحريم [ما أنعمت به] عليهم من أموالهم ،[٣] فقتلوا طاعة لها أولادهم ، وحرّموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقاً من أنعامهم = « سفهاً » ، منهم . يقول : فعلوا ما فعلوا من ذلكَ جهالة منهم بما لهم وعليهم ، ونقصَ عقول وضعفَ أحلام منهم ، وقلة فهم بعاجل ضرّه وآجل مكروهه ، من عظيم عقاب الله عليه لهم[٤] = « افتراء على الله » ، يقول : تكذّباً على الله وتخرصاً عليه الباطل[٥] = « قد ضلوا » ، يقول : قد تركوا محجة الحق فى فعلهم ذلك ، وزالوا عن سواء السبيل[٦] = « وما كانوا مهتدين » ،

---

(١) انظر تفسير « حكيم » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) و (علم) .

(٢) انظر تفسير « الخسار » فيما سلف ١١ : ٣٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم » ، وهو لا يطابق تفسير الآية بل يناقضه ، ورجحت الصواب ما أثبت بين القوسين .

(٤) انظر تفسير « السفه » فيما سلف ١ : ٢٩٣ - ٣/٢٩٥ : ٩٠ ، ٦/١٢٩ : ٥٧ .

(٥) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف : ص : ١٤٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . وكان فى المطبوعة : « تكذيباً » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٦) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

يقول : ولم يكن فاعلو ذلك على هدًى واستقامة فى أفعالهم التى كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها ، ولا موفقين له .[١]

* * *

ونزلت هذه الآية فى الذين ذكر الله خبرهم فى هذه الآيات من قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، الذين كانوا يبحرون البحائر ، ويسيّبون السوائب ، ويئدون البنات ، كما : —

١٣٩٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة ، قوله : « الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم » ، قال : نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومُضَر ، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى . فإذا كانت الجارية التى تَئِد ، غدا الرجل أو راح من عند امرأته ،[٢] وقال لها : «أنت على كظهر أمّى إن رجعت إليك ولم تئديها » ، فتخُدُّ لها فى الأرض خدًّا ،[٣] وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ، ثم يتداولنها ،[٤] حتى إذا أبصرته راجعاً دستها فى حفرتها ، ثم سوّت عليها التراب .

١٣٩٥١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم ذكر ما صنعوا فى أولادهم وأموالهم فقال : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله » .

١٣٩٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم » ، فقال : هذا صنيع أهل

---

(١) انظر تفسير « الاهتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٢) فى المطبوعة : « فإذا كانت الجارية التى توأد غدا الرجل . . . » ، وفى المخطوطة : « فإذا كانت الجارية التى تئيد عبد الرجل أو راح من عند امرأته » ، والصواب ما أثبت . ومعنى ذلك : أنه إذا ولدت المرأة الجارية التى شرط عليها أن تئدها غدا أو راح وقال . . .

(٣) « خد فى الأرض خدا » : شق فى الأرض شقاً .

(٤) هكذا فى المطبوعة : « ثم يتداولنها » ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة ، ويمكن أن تقرأ كما هى فى المطبوعة .

الجاهلية . كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السّباء والفاقة ، ويغذو كلبه = وقوله : « وحرموا ما رزقهم الله »، الآية ، وهم أهل الجاهلية . جعلوا بحيرةً وسائبة ووصيلةً وحامياً ، تحكماً من الشياطين فى أموالهم .

١٣٩٥٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما بعد المئة من « سورة الأنعام » ، قوله : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم»، الآية .

* * *

وكان أبو رزين يتأوّل قوله : « قد ضلوا »، أنه معنىٌّ به : قد ضلوا قبل هؤلاء الأفعال = من قتل الأولاد ، وتحريم الرزق الذى رزقهم الله = بأمور غير ذلك . ٣٩/٨

١٣٩٥٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى رزين فى قوله : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم »، إلى قوله : « قد ضلوا » ، قال : قد ضلوا قبل ذلك

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله ، وتنبيهٌ منه لهم على موضع إحسانه ، وتعريفٌ منه لهم ما أحل وحرم وقسم فى أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقًّا .

يقول تعالى ذكره : وربكم، أيها الناس = « أنشأ »، أى أحدث وابتدع خلقاً ،

لا الآلهة والأصنام[1] = « جنات » ، يعنى بساتين [2] =« معروشات » ، وهى ما عَرَّش الناس من الكروم = « وغير معروشات » ، غير مرفوعات مبنيَّات ، لا ينبته الناس ولا يرفعونه ، ولكن الله يرفعه وينبته وينمِّيه ،[3] كما : —

١٣٩٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « معروشات » ، يقول : مسموكات .

١٣٩٥٦ — وبه عن ابن عباس : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات » ، فـ« المعروشات »، ما عرش الناس = « وغير معروشات » ، ما خرج فى البر والجبال من الثمرات .

١٣٩٥٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال،حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « جنات » ، فالبساتين = وأما « المعروشات » ، فما عرش كهيئة الكَرْم .

١٣٩٥٨ — حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات» ، قال: ما يُعرَّش من الكروم = « وغير معروشات» ، قال : ما لا يعرش من الكرم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « أنشأ » فيما سلف ص : ١٢٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٣) انظر تفسير « عرش » فيما سلف ٥ : ٤٤٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وأنشأ النخل والزرع مختلفاً أكله = يعنى بـ« الأكل » ،[1] الثمر . يقول: وخلق النخل والزرع مختلفاً ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب= « والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه » ، فى الطعم ،[2] منه الحلو ، والحامض، والمزّ ،[3] كما :—

١٣٩٥٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « متشابهاً وغير متشابه » ، قال : « متشابهاً » ، فى المنظر = « وغير متشابه » ، فى الطعم .

* * *

وأما قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، فإنه يقول : كلوا من رطبه ما كان رطباً ثمره ، كما :—

١٣٩٦٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو همام الأهوازى قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب فى قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، قال: من رُطبه وعنبه .

١٣٩٦١ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا محمد بن الزبرقان قال ، حدثنا موسى بن عبيدة فى قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، قال : من رطبه وعنبه .[4]

* * *

(١) انظر تفسير « الأكل » فيما سلف ٥ : ٥٣٨ .

(٢) انظر تفسير « متشابه » فيما سلف ١ : ٣٨٩ — ٢/٣٩٤ : ٢١٠ ، ٦/٢١١ : ١١/١٧٣ : ٥٧٨ .

(٣) « المز » (بضم الميم) : ما كان طعمه بين الحلو والحامض ، يقال : « شراب مز » .

(٤) الأثران : ١٣٩٦٠ ، ١٣٩٦١ — « أبو همام الأهوازى » فى الأثر الأول ، هو « محمد بن الزبرقان » ، فى الأثر الثانى . ثقة . مضت ترجمته برقم : ٨٧٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحبّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٦٢ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا يونس ، عن الحسن فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .

١٣٩٦٣ — حدثنا عمرو قال، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا يزيد بن درهم قال ، سمعت أنس بن مالك يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة المفروضة .

١٣٩٦٤ — حدثنا عمرو قال، حدثنا معلى بن أسد قال، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : العشر ونصف العشر .

١٣٩٦٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن محمد بن عبيد الله ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال: العشر ونصف العشر .[1]

٨/٤٠

١٣٩٦٦ — حدثنا عمرو بن على وابن وكيع وابن بشار قالوا ، حدثنا عبدالرحمن قال ، حدثنا إبراهيم بن نافع المكى ، عن ابن عباس، عن أبيه فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .[2]

---

(١) الأثر : ١٣٩٦٥ — « هانئ بن سعيد النخعى » ، مضى برقم : ١٣١٥٩ .
« حجاج » هو « حجاج بن أرطاة » ، مضى مراراً .
« محمد بن عبيد الله بن سعيد » هو « أبو عون الثقفى » ، مضى برقم: ٧٥٩٥ .
(٢) الأثر : ١٣٩٦٦ — « إبراهيم بن نافع المكى المخزومى » ، مضى برقم : ٤٣٠٥ .

١٣٩٦٧ — حدثنا عمرو قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا أبو هلال ، عن حيان الأعرج ، عن جابر بن زيد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .[1]

١٣٩٦٨ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن في قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هي الصدقة = قال : ثم سئل عنها مرة أخرى فقال : هي الصدقة من الحبّ والثمار .

١٣٩٦٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال ، أخبرني أبو بكر بن عبد الله ، عن عمرو بن سليمان وغيره ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الصدقة المفروضة .

١٣٩٧٠ — حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هي الصدقة من الحب والثمار .

١٣٩٧١ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: « وآتوا حقه يوم حصاده » ، يعني بحقه ، زكاته المفروضة، يوم يُكال أو يُعلم كيله .

١٣٩٧٢ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ،

وأما « ابن عباس ، عن أبيه » ، فلا أدري ما هو ، وهو بلا شك ليس « عبد الله بن عباس » حبر الأمة .

وأخشى أن يكون الصواب : « عن ابن طاوس ، عن أبيه » .

(١) الأثر : ١٣٩٦٧ — « عبد الرحمن » ، هو « عبد الرحمن بن مهدي » ، مضى مراراً و « أبو هلال » هو : « محمد بن سليم الراسبي البصري » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٩٩٦ ، ٤٦٨١ .
و « حيان الأعرج » الجوفي ، البصري . ثقة من أتباع التابعين . روى عن جابر بن زيد . روى عنه قتادة ، وابن جريج ، وسعيد بن أبي عروبة ، وغيرهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٤٦/٢/١ .

وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده، وهو أن يعلم ما كيله وحقّه ، فيخرج من كل عشرة واحداً ، وما يَلْقُط الناس من سنبله .[١]

١٣٩٧٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: «وآتوا حقه يوم حصاده» ، و«حقه يوم حصاده»، الصدقة المفروضة = ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سَنّ فيما سقت السماء أو العين السائحة ، أو سقاه الطل =و «الطل»، الندى= أو كان بَعْلاً ، العشرَ كاملاً.[٢] وإن سقى برشاء نصفَ العشر = قال قتادة : وهذا فيما يكال من الثمرة . وكان هذا إذا بلغت الثمرة خمسةُ أوسقٍ ،[٣] وذلك ثلثمئة صاع ، فقد حق فيها الزكاة . وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك .

١٣٩٧٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة وطاوس : «وآتوا حقه يوم حصاده» ، قالا : هو الزكاة .

١٣٩٧٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن سالم المكى ، عن محمد بن الحنفية قوله : «وآتوا حقه يوم حصاده» ، قال : يوم كيله ، يعطى العشر أو نصف العشر .[٤]

١٣٩٧٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم المكى ، عن محمد بن الحنفية قوله : «وآتوا حقه يوم حصاده» ، قال : العشر ونصف العشر .

١٣٩٧٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ،

---

(١) فى المطبوعة : «وما يلتقط» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) «البعل» ، من النبات ، ما شرب بعروقه من الأرض ، بغير سَقْى من سماء ولا غيرها .

(٣) «الأوسق» جمع «وسق» ، وهو ستون صاعاً ، كما فسره بعد ، على اختلافهم فى مقدار الصاع .

(٤) الأثر : ١٣٩٧٥ — «سالم المكى» ، هو «سالم بن عبد الله الخياط» ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١١٦ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٨٤ .

عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، وعن قتادة : « وآتوا حقه يوم حصاده »، قالا : الزكاة .

١٣٩٧٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : العشر ونصف العشر .

١٣٩٧٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ابن عباس ، مثله .

١٣٩٨٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده »، يعني : يوم كيله، ما كان من برّ أو تمر أو زبيب. و « حقه »، زكاته.

١٣٩٨١ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله: « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كُلْ منه ، وإذا حصدته فآت حقه ، و « حقه » ، عشوره . ٤١/٨

١٣٩٨٢ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،عن يونس بن عبيد ، عن الحسن : أنه قال في هذه الآية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة إذا كِلْتَه .

١٣٩٨٣ — حدثنا عمرو قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي رجاء قال : سألت الحسن عن قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .

١٣٩٨٤ — حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال: سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله: « وآتوا حقه يوم حصاده »، فقلت له : هو العشور ؟ قال : نعم ! فقلت له : عن أبيك ؟ قال : عن أبي وغيره .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك حقٌ أوجبه الله فى أموال أهل الأموال ، غيرُ الصدقة المفروضة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٨٥ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن أبيه : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : شيئاً سوى الحق الواجب = قال : وكان فى كتابه : « عن على بن الحسين » .

١٣٩٨٦ — حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاد » ، قال : القبضة من الطعام .

١٣٩٨٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : من النخل والعنب والحب كله .

١٣٩٨٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أرأيت ما حصدتُ من الفواكه ؟ قال : ومنها أيضاً تؤتى . وقال : من كل شيء حصدتَ تؤتى منه حقه يوم حصاده ، من نخل أو عنب أو حب أو فواكه أو خضر أو قصب، من كل شيء من ذلك . قلت لعطاء : أواجب على الناس ذلك كله ؟ قال : نعم ! ثم تلا : « وآتوا حقه يوم حصاده » . قال: قلت لعطاء: « وآتوا حقه يوم حصاده » ، هل فى ذلك شيء مُوَقّت معلوم؟ قال :لا .

١٣٩٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : يعطى من حُضورِ يومئذ ما تيسر ،[1] وليس بالزكاة .

---

(١) فى المطبوعة : « يعطى من حصاده يومئذ » ، وليس صواباً ، وفى المخطوطة : « يعطى من حصول يومئذ » ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وانظر الأثر التالى . ويعنى : من حضره من الناس والمساكين .

١٣٩٩٠ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الملك ، عن عطاء : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : ليس بالزكاة ، ولكن يطعم من حَضره ساعتئذٍ حَصِيده .[1]

١٣٩٩١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن حماد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كانوا يعطون رُطَباً .

١٣٩٩٢ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه. وإذا أنقيته وأخذتَ في كيله حثَوْت لهم منه .[2] وإذا علمتَ كيله عزلتَ زكاته . وإذا أخذت في جَدَاد النخل طرَحت لهم من الثفاريق.[3] وإذا أخذت في كيله حثَوْت لهم منه . وإذا علمت كيله عزلت زكاته .

١٣٩٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : سوى الفريضة .

١٣٩٩٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد: « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال: يلقى إلى السؤَّال عند الحصاد من السنبل ،[4] فإذا طِينَ = أو طُيِّن ، الشك من أبي جعفر[5] = ألقى إليهم . فإذا

(١) في المطبوعة : « حصده » ، وأثبت ما في المخطوطة . « الحصاد » و « الحصيد » ، « الحصد » (بفتح الحاء والصاد) ، هو من الزرع ، المحصود بعد ما يحصد .

(٢) « حثا له يحثو حثوا » أعطاه شيئاً منه ملء الكف .

(٣) في المطبوعة : « جذاذ النخل » (بالذال) ، وهو خطأ محض . « جداد النخل » (بفتح الجيم ، وبكسرها) : أوان صرامه ، وهو قطع ثمره .

و « الثفاريق » جمع « ثفروق » ، وهو قمع البسرة والتمرة التي تلزق بها . ولم يرد هذا مجاهد ، بل أراد : العناقيد ، يخرط ما عليها ، فتبقى عليها الثمرة والتمرتان والثلاث ، يخطئها المخلب الذي تخرط به ، فتلقى للمساكين . فكنى بالثفاريق عن القليل الباقي في عنقوده وشمراخه .

(٤) « السؤال » جمع « سائل » مثل « جاهل » و « جهال » .

(٥) في المخطوطة : « فإذا طين أو طين » ، غير منقوطة ، وفي المطبوعة: « فإذا طين ، أو

حمله فأراد أن يجعله كُدْساً ألقى إليهم .[١] وإذا داس أطعَم منه . وإذا فرغ وعلم كم كيله، عزل زكاته . وقال فى النخل: عند الجَدَاد يطعم من الثمرة والشماريخ .[٢] فإذا كان عند كيله أطعم من التمر . فإذا فرغ عزل زكاته .

١٣٩٩٥ — حدثنا عمرو بن على ومحمد بن بشار قالا، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال : إذا حصد الزرع ألقى من السنبل، وإذا جَدّ النخل ألقى من الشماريخ .[٣] فإذا كاله زكّاه . ٨/٤٢

١٣٩٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قال: عند الحصاد، وعند الدِّياس، وعند الصِّرام، يقبض لهم منه، فإذا كاله عزل زكاته .

١٣٩٩٧ — وبه، عن سفيان، عن مجاهد، مثله = إلا أنه قال: سوى الزكاة .

١٣٩٩٨ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال : شىء سوى الزكاة، فى الحصاد والجَدَاد، إذا حَصَدوا وإذا حَزَرُوا .[٤]

١٣٩٩٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبى نجيح فى قول الله: « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال: واجب، حين يصرم .

طين » الأولى بالباء، والثانية بالياء، ولا معنى لها . وأخشى أن يكون الصواب ما أثبت، يعنى به ما يكون مع البر والقمح من الطين . ولا أدرى حقيقة ذلك . وفوق كل ذى علم عليم . ولم أجد الخبر فى مكان آخر . وانظر رقم : ١٤٠٠٠، وقوله : « وإذا أدخله البيدر »، فكأنه يعنى هذا .

(١) « الكدس » (بضم فسكون)، هو كومة البر إذا جمع .

(٢) فى المطبوعة : « الجذاذ » بالذال، وانظر التعليق السالف ص: ١٦٣، تعليق: ٣ .

(٣) « جد النخل يجده جداداً »، صرمه وقطعه . وهى فى المطبوعة بالذال، كما سلف فى التعليق السالف . وسأصححه بعد بغير إشارة إلى الخطأ .

(٤) فى المطبوعة : « وإذا جذوا » ويعنى « وإذا جدوا »، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو صحيح المعنى . « حزر الطعام والنخل وغيره » : إذا قدره بالحدس، والحازر، هو الخارص أيضاً، « خرصه » : قدره بالحدس .

١٤٠٠٠ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد: أنه قال فى هذه الآية: «وآتوا حقه يوم حصاده»، قال : إذا حصد أطعم ، وإذا أدخله البَيْدَر ،[1] وإذا داسه أطعم منه .

١٤٠٠١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن ابن عمر قال: يطعم المعترّ ،[2] سوى ما يعطى من العشر ونصف العشر .

١٤٠٠٢ — وبه ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : قبضة عند الحصاد ، وقبضة عند الجَدَاد .

١٤٠٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا يعطون من اعترّ بهم الشيءَ .

١٤٠٠٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : الضِّغْث .[3]

١٤٠٠٥ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : يعطى مثل الضِّغث .

١٤٠٠٦ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد، قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا حماد ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : مثل هذا من الضغث = ووضع يحيى إصبعه الإبهام على المفصل الثانى من السَّبّابة .

١٤٠٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : نحو الضِّغث .

---

(١) « البيدر » : الموضع الذى يداس فيه الطعام .

(٢) « المعتر » : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ، سألك أو سكت عن السؤال . « عره يعره » و « اعتره » و « اعتر به » ، أتاه يطلب معروفه .

(٣) « الضغث » (بكسر فسكون) : ملء اليد من الحشيش المختلط ، وما أشبهه من البقول .

١٤٠٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن أبى جعفر = ، وعن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قالا : يعطى ضغثاً.(١)

١٤٠٠٩ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا كثير بن هشام قال ، حدثنا جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم قال : كان النخل إذا صُرِم ، يجىء الرجل بالعِذْق من نخله ، فيعلِّقه فى جانب المسجد ، فيجىء المسكين فيضربُه بعصاه ، فإذا تناثر أكلَ منه . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حَسَن أو حسين ، فتناول تمرةً ، فانتزعها من فيه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصَّدقة ولا أهلُ بيته . فذلك قوله : « وآتوا حقَّه يوم حصاده » .

١٤٠١٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران ويزيد بن الأصم قالا : كان أهل المدينة إذا صرموا ، يجيئون بالعِذْق فيضعونه فى المسجد ، ثم يجىء السائل فيضربه بعصاه فيسقط منه ، وهو قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

١٤٠١١ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا زيد بن أبى الزرقاء، عن جعفر،

---

(١) كان هذا الإسناد فى المطبوعة كما هو هنا إلا أنه كتب . . . « عن أبى جعفر ، عن سفيان » بغير « واو العطف » . وكان فيها أيضاً « قال » بالإفراد وهو تغيير لما فى المخطوطة . أما فى المخطوطة ، فكان بعد قوله فيها الإسناد السالف « الضعث » ، بياض أمامه حرف (ط) دلالة على الخطأ ، ثم بعد البياض : « قال حدثنا أبى ، عن إسرائيل » وسائر الإسناد كما كان فى المطبوعة ، بغير واو عطف قبل « عن سفيان » ، ولكن كان فيها « قالا » بالتثنية . وهذا إسناد مضطرب .

وزيادة « حدثنا ابن وكيع » مكان البياض ، صواب لاشك فيه ، كما كان فى المطبوعة ، ولكن الخطأ فى إسقاط الواو قبل « عن سفيان » . فهما إسنادان كما بينتهما .

و « إسرائيل » هو « إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق » ، يروى ، عن « جابر بن يزيد ابن الحارث الجعفى » ، و « أبو جعفر » هو « أبو جعفر الباقر » فيما أرجح .

أما الإسناد الثانى ، فهو من حديث ابن وكيع ، عن أبيه ، عن سفيان . . .

وكأن هذا هو الصواب إن شاء الله .

عن يزيد وميمون ،[١] فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قالا : كان الرجل إذا جدَّ النخلَ يجىء بالعِذْق فيعلقه فى جانب المسجد ، فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه ، فيأكل ما يتناثر منه .

١٤٠١٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : لَقَطُ السُّنبل .[٢]

١٤٠١٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن مجاهد قال : كانوا يعلقون العذق فى المسجد عند الصِّرام ، فيأكل منه الضعيف .

١٤٠١٤ — وبه ، عن معمر قال ، قال مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، يطعم الشىءَ عند صِرَامه . ‏ ٨/٤٣

١٤٠١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الضغث ، وما يقع من السنبل .

١٤٠١٦ — وبه ، عن سالم ، عن سعيد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : العلَف .

١٤٠١٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كان هذا قبل الزكاة ، للمساكين ، القبضةُ والضِّغْث لعلف دابته .

١٤٠١٨ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا محمد

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « عن زيد » ، والصواب أنه « يزيد بن الأصم » المذكور فى الإسنادين السالفين .

(٢) « اللقط » (بفتح اللام والقاف) ، و « لقاط السنبل » (بضم اللام ، وبفتحها) : هو الذى تخطئه المناجل فيلتقطه الناس ، أهو نثارة السنبل .

ابن رفاعة ، عن محمد بن كعب فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : ما قلّ منه أو كثر .(١)

١٤٠١٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : عند الزرع يعطى القبضَ ، وعند الصِّرام يعطى القبض ،(٢) ويتركهم فيتتبعون آثار الصِّرام .

* * *

وقال آخرون : كان هذا شيئاً أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة . ثم نسخته الصدقة المعلومة ، فلا فرض فى مال كائناً ما كان ، زرعاً كان أو غرساً ، إلا الصدقة التى فرضها الله فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : نسخها العُشْر ونصف العشر .

١٤٠٢١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن ابن عباس قال : نسخها العُشْر ونصف العشر .

١٤٠٢٢ — وبه ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنيفة قال : نسخها العُشْر ونصف العشر .

١٤٠٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هذا قبل الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نسختها ، فكانوا يعطون الضِّغْث .

١٤٠٢٤ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن مغيرة ،

---

(١) الأثر : ١٤٠١٨ — « محمد بن رفاعة بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٨٢ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٥٤ .

(٢) لعله « يعطى القبضة » ، فإنه هو الذى تدل عليه اللغة ، ولكن هكذا جاء فى الموضعين ، وهو جائز على ضعف .

عن شباك ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال : كانوا يفعلون ذلك، حتى سُنّ العُشر ونصف العشر . فلما سُنّ العشر ونصف العشر ، تُرِك .[١]

١٤٠٢٥ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال، حدثنا سفيان ، عن مغيرة،عن شباك ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال : هى منسوخة ، نسختها العُشر ونصف العشر .[١]

١٤٠٢٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : نسختها العشر ونصف العشر .

١٤٠٢٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم قال : نسختها العشر ونصف العشر .

١٤٠٢٨ — وبه ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن قال : نسختها الزكاة .

١٤٠٢٩ — وبه ، عن سفيان ، عن السدى قال : نسختها الزكاة : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

١٤٠٣٠ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هذه السورة مكية ، نسختها العشر ونصف العشر . قلت : عمّن؟ قال : عن العلماء .

١٤٠٣١ — وبه ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم قال : نسختها العشر ونصف العشر .

١٤٠٣٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال،

---

(١) الأثر : ١٤٠٢٤ ، ١٤٠٢٥ — « شباك الضبى » الكوفى الأعمى . روى عن إبراهيم النخعى ، والشعبى ، وأبى الضحى . روى عنه مغيرة بن مقسم ، وفضيل بن غزوان ، ونهشل بن مجمع . قال أحمد : « شيخ ثقة » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٧٠ ، وانظر أيضاً رقم : ١٤٠٢٧ ، ١٤٠٣٠ ، ١٤٠٣١ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « وآتوا حقه يوم حصاده » ، فكانوا إذا مرّ بهم أحدٌ يوم الحصاد أو الجدَاد ، أطعموه منه ، فنسخها الله عنهم بالزكاة، وكان فيما أنبتتِ الأرضُ ، العشرُ ونصف العشر .

٤٤/٨

١٤٠٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن قال : كانوا يَرْضَخون لقرابتهم من المشركين .[١]

١٤٠٣٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : نسخه العشر ونصف العشر . كانوا يعطون إذا حصَدوا وإذا ذَرَّوا ، فنسختها العشر ونصف العشر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : كان ذلك فرضاً فرضه الله على المؤمنين فى طعامِهم وثمارهم التى تُخْرِجها زروعهم وغرُوسهم، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة ، والوظيفة المعلومةِ من العشر ونصف العشر . وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم : أنّ صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدِّياس والتنقية والتذرية ، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الإجزاز .[٢]

فإذا كان ذلك كذلك، وكان قوله جل ثناؤه : « وآتوا حقه يوم حصاده »، ينبئْ عن أنه أمرٌ من الله جل ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده ، وكان يوم حصاده هو يومجَدّه وقطعه، والحبُّ لا شك أنه فى ذلك اليوم فى سنبله ، والتَّمر وإن كان ثمر نخل أو كَرْم غيرُ مستحكم جُفوفه ويبسه ، وكانت الصدقة من الحبّ إنما تؤخذ بعد دِياسه وتذريته وتنقيته كيلاً ، والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام

---

(١) « رضخ له من ماله رضيخة » ، إذا أعطاه منه العطية المقاربة ، القليلة .

(٢) فى المطبوعة : « إلا بعد الجفاف » غير ما فى المخطوطة كل التغيير ، وكان فيها : « إلا بعد الأحرار » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . يقال « جز النخل والتمر » و « أجز النخل والتمر » ، يبس تمره ، وحان أن يجز ، أى : أن يقطع ثمره ويصرم .

يبسه وجفوفه كَيْلاً = علم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حَصْده ، غير الذى يجب إيتاؤه المساكين يوم حَصاده .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون ذلك إيجاباً من الله فى المال حقًّا سوى الصدقة المفروضة ؟

قيل : لأنه لا يخلو أن يكون ذلك فرضاً واجباً ، أو نفْلاً .

فإن يكن فرضاً واجباً ، فقد وجب أن يكون سبيلُه سبيلَ الصدقات المفروضات التى من فرَّط فى أدائها إلى أهلها كان بربِّه آثماً ، ولأمره مخالفاً . [1] وفى قيام الحجة بأن لا فرض لله فى المال بعد الزكاة يجبُ وجوبَ الزكاة سوى ما يجبُ من النفقة لمن يلزم المرءَ نفقته ، ما ينبئ عن أنّ ذلك ليس كذلك .

= أو يكون ذلك نَفْلاً . فإن يكن ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون الخيارُ فى إعطاء ذلك إلى ربّ الحرث والثمر . وفى إيجاب القائلين بوجوب ذلك ، ما ينبىء عن أن ذلك ليسَ كذلك .

وإذا خرجت الآية من أن يكون مراداً بها الندب ، وكان غير جائز أن يكون لها مخرجٌ فى وجوب الفرض بها فى هذا الوقت ، علم أنها منسوخة .

ومما يؤيد ما قلنا فى ذلك من القول دليلاً على صحته ، أنه جل ثناؤه أتبع قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، ومعلوم أنّ من حكم الله فى عباده مذ فرض فى أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدرِ ، أنّ القائم بأخذ ذلك ساستهم ورُعاتهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه نهى ربّ المال عن الإسراف فى إيتاء ذلك ، والآخذ مُجْبِرٌ ، وإنما يأخذ الحق الذى فرض لله فيه ؟

* * *

(١) انظر تفسير قوله : « بربه آثما » فيما سلف ٤ : ٥٣٠ ، تعليق : ٦/٣ : ٩٢ ، تعليق : ٢ / ١١ : ١٨٠ ، تعليق ١١/٣ : ٣٢٨ ، تعليق : ٢ .

فإن ظن ظان أن ذلك إنما هو نهى من الله القيِّمَ بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدّى فى مال رب المال، والتجاوز إلى أخذ ما لم يُبَحْ له أخذه ، فإن آخر الآية وهو قوله : « ولا تسرفوا » ، معطوف على أوله، وهو قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده ». فإن كان المنهىّ عن الإسراف القيِّمُ بقبض ذلك ، فقد يجب أن يكون المأمورُ بإيتائه ،[1] المنهىّ عن الإسراف فيه ، وهو السلطان .

وذلك قول إن قاله قائل ، كان خارجاً من قول جميع أهل التأويل ، ومخالفاً المعهود من الخطاب . وكفى بذلك شاهداً على خطئه .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معنى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، وآتوا حقه يوم كيله ، لا يوم قصله وقطعه ،[2] ولا يوم جداده وقطافه ؟ فقد علمتَ من قال ذلك من أهل التأويل ؟ وذلك ما : —

٨/٤٥ ١٤٠٣٥ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : يوم كيله .

١٤٠٣٦ — وحدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن سالم المكى ، عن محمد بن الحنفية قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : يوم كيله ، يعطى العشر ونصف العشر .[3]

* * *

= مع آخرين قد ذكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك ؟ [4]

---

(١) فى المطبوعة : « بإتيانه » ، وهو خطأ محض ، وهو فى المخطوطة غير منقوط ، وذلك بيان لقوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يوم فصله » بالفاء ، والصواب بالقاف . « قصل النبات يقصله قصلا، واقتصله » ، قطعه وهو أخضر .

(٣) الأثر : ١٤٠٣٦ — انظر ما سلف رقم : ١٣٩٧٥ .

(٤) انظر الآثار السالفة من أول تفسير الآية .

قيل : لأن يوم كيله غير يوم حصاده . ولن يخلو معنى قائلى هذا القول من أحد أمرين : إما أن يكونوا وجّهوا معنى «الحصاد» ، إلى معنى « الكيل » ، فذلك ما لا يعقل فى كلام العرب ، لأن « الحصاد » و « الحصد » فى كلامهم : الجدّ والقطع ، لا الكيل = أو يكونوا وجّهوا تأويل قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » . إلى : وآتوا حقه بعد يوم حصاده إذا كلتموه، فذلك خلاف ظاهر التنزيل . وذلك أن الأمر فى ظاهر التنزيل بإيتاء الحقّ منه يوم حصاده ، لا بعد يوم حصاده . ولا فرقَ بين قائلٍ : إنما عنى الله بقوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، بعد يوم حصاده = وآخرَ قال : عنى بذلك قبل يوم حصاده ، لأنهما جميعاً قائلان قولاً ، دليلُ ظاهر التنزيل بخلافه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « الإسراف » ، الذى نهى الله عنه بهذه الآية ، ومن المنهىّ عنه .

فقال بعضهم : المنهىّ عنه : ربّ النخل والزرع والثمر = و« السرف » الذى نهى الله عنه فى هذه الآية ، مجاوزة القدر فى العطيّة إلى ما يجحف برب المال . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٣٧ ــ حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، حدثنا عاصم ، عن أبى العالية فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا » ، الآية ،

(١) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف ٧ : ٢٧٢ ، ١٠/٥٧٩ : ٢٤٢ .

قال : كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة ، ثم تسارفوا ،[١] فأنزل الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٣٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً سوى الزكاة ، ثم تبارَوْا فيه ، أسرفوا ،[٢] فقال الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٣٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ، ثم تسارفوا ،[١] فقال الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، جَدّ نخلاً فقال : لا يأتين اليوم أحدٌ إلا أطعمته ! فأطعم ، حتى أمسى وليست له ثمرة ، فقال الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٤١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « ولا تسرفوا » ، يقول : لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد ، أم في كل شيء ؟ قال : بلى ! في كل شيء ، ينهى عن السرف .[٣] قال : ثم عاودته بعد حين فقلت : ما قوله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ؟ قال : ينهى عن السرف في كل شيء ، ثم تلا : ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٧] .

١٤٠٤٢ — حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا

---

(١) « تسارفوا » ، أي بالغوا في الإسراف وتباروا فيه ، وهذا من اشتقاق اللغة الذي لا تكاد تجده في المعاجم ، فقيده في مكانه .

(٢) في المطبوعة : « وأسرفوا » بواو العطف ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب جيد .

(٣) « بلى » انظر استعمال « بلى » في غير جحد سبقها ، فيما سلف ١٠ : ٢٥٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

سفيان بن حسين ، عن أبي بشر قال : أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة ، فسألوه : ما السَّرَف؟ فقال : ما دون أمرِ الله فهو سَرَف .[١]

١٤٠٤٣ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تسرفوا » ، لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء .

* * *

وقال آخرون : « الإسراف » الذى نهى الله عنه فى هذا الموضع ، منع الصدقة والحقّ الذى أمر الله ربَّ المال بإيتائه أهلَه بقوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى أبو بكر بن عبد الله ، عن عمرو بن سليم وغيره ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « ولا تسرفوا » ، قال : لا تمنعوا الصدقة فتعصوا .[٢] ٨/٤٦

١٤٠٤٥ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا محمد بن الزبرقان قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، والسرف ، أن لا يعطى فى حق .[٣]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ما تجاوز أمر الله فهو سرف » ، وهو مخالف لما فى المخطوطة ، وكان فيها : « ما وزه أمر الله فهو سرف » ، والهاء مشبوكة فى الزاى ، وفوق الكلمة حرف (ط) دلالة على الخطأ والشك . والذى روى عن إياس بن معاوية بغير هذا اللفظ أنه قال : « الإسراف ما قصر به عن حق الله » (اللسان : سرف) ، فصح عندى أن « ما وزه » هى « ما دون أمر الله » ، ليطابق ما نقل عن إياس باللفظ الآخر . وإن كان أبو حيان فى تفسيره ٤ : ٢٣٨ ، قد كتب : « كل ما جاوزت فيه أمر الله فهو سرف » ، وكذلك القرطبى فى تفسيره ٧ : ١١٠ . وروى هذا كما أثبته أو بمعناه ، عن معاوية رضى الله عنه .

(٢) الأثر : ١٤٠٤٤ — « أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة القرشى العامرى » القاضى الفقيه ، وهو متروك ، قال أحمد : « كان يضع الحديث ويكذب » . قال له ابن جريج : « اكتب لى أحاديث من أحاديثك » فكتب له . قال الواقدى : « فرأيت ابن جريج قد أدخل منها فى كتبه . وكان كثير الحديث ، وليس بحجة » . مترجم فى التهذيب ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٤٨ . و « عمرو بن سليم بن خلدة الأنصارى الزرقى » ، تابعى ثقة ، كان قليل الحديث . مترجم فى التهذيب .

(٣) الأثر : ١٤٠٤٥ — « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف لا يكتب حديثه .

وقال آخرون : إنما خوطب بهذا السلطان . نُهِى أن يأخذ من ربّ المال فوق الذى ألزم الله ماله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٤٦ — حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تسرفوا »، قال : قال للسلطان : « لا تسرفوا » ، لا تأخذوا بغير حق ، فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس = يعنى قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى بقوله : « ولا تسرفوا » ، عن جميع معانى « الإسراف » ، ولم يخصص منها معنىً دون معنى .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان « الإسراف » فى كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحق فى العطية ، إما بتجاوز حدّه فى الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب[1] =كان معلوماً أن المفرِّق مالَه مباراةً ،والباذلَه للناس حتى أجحفت به عطيته ، مسرفٌ بتجاوزه حدّ الله إلى ما [ليس له].[2] وكذلك المقصر فى بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهلَ سُهْمَان الصدقة إذا وجبت فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها . وكذلك السلطان فى أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه . كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون

مضى مراراً كثيرة آخرها : ١١١٣٤ . وكان فى الإسناد هنا : « محمد بن عبيدة » ، فى المخطوطة والمطبوعة، وهو خطأ لا شك فيه ، فإن الذى يروى عنه « محمد بن الزبرقان » ، ويروى هو عن « محمد بن كعب القرظى » ، هو « موسى بن عبيدة » ، وهو الصواب المحض — وقد مر مراراً كتابة الناسخ « محمد » مكان « موسى » فى غير هذا من الأسماء .

(١) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف ٧ : ٢٧٢ ، ١٠/٥٧٩ : ٢٤٢ .

(٢) فى المطبوعة : « بتجاوزه حد الله إلى ما كيفته له » ، ومثلها فى المخطوطة ، غير منقوطة ، ولا معنى لها ، فطرحت هذه العبارة ، وكتبت ما بين القوسين ما يستقيم به الكلام بعض الاستقامة .

فى معنى «مَنٍّ» أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله : « ولا تسرفوا »، فى عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم = إذ كان ما قبله من الكلام أمرًا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده . فإنّ الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاصّ من الأمور ، والحكم بها على العامّ ، بل عامّة آى القرآن كذلك . فكذلك قوله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى : « الإسراف » أنه على ما قلنا ، قول الشاعر : (١)

أَعْطَوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ ‏ ‏ مَا فِى عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلاَ سَرَفُ (٢)

يعنى بـ« السرف » : الخطأ فى العطيّة . (٣)

---

(١) هو جرير .

(٢) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٧ : ٥٧٩ .

(٣) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء التاسع من مخطوطتنا ، وفيها ما نصه :

« نجز الجزء التاسع بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه ومنّه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً .

يتلوه فى العاشر إن شاء الله : القول فى تأويل قوله :

﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً ﴾

وكان الفراغ من كتابته فى جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمئة ، أحسن الله تقضّيها وخاتمتها فى خير وعافية . والله المعين على تكملة جميع الكتاب إن شاء الله تعالى .

غفر الله لمؤلفه ، ولصاحبه ، ولكاتبه ، ولمن نظر فيه

ودعا لهم بالمغفرة ورضى الله والجنة ، ولجميع المسلمين .

الحمد لله ربّ العالمين »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً ، مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات .

* * *

و « الحمولة »، ما حمل عليه من الإبل وغيرها .

و « الفرش »، صغار الإبل التى لم تدرك أن يُحْمَل عليها .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « الحمولة » ، ما حمل عليه من كبار الإبل ومسانّها = و « الفرش »، صغارها التى لا يحمل عليها لصغرها .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٤٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ،عن عبدالله فى قوله : « حمولة وفرشاً »، قال : « الحمولة »، الكبار من الإبل = « وفرشاً » ، الصغار من الإبل .

١٤٠٤٨ — . . . . وقال، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى، عن عكرمة، عن ابن عباس : « الحمولة »، هى الكبار ، و « الفرش » ، الصغار من الإبل .

١٤٠٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد قال : « الحمولة »، ما حمل من الإبل ، و« الفرش » ، ما لم يحمل .

ثم يتلوه فى أول الجزء العاشر :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يَسِّرْ »

١٤٠٥٠ — وبه عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : « الحمولة » ، ما حمل من الإبل، و« الفرش » ، ما لم يحمل .

١٤٠٥١ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وفرشاً » ، قال : صغار الإبل . ٤٧/٨

١٤٠٥٢ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله فى قوله : « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة »، الكبار ، و« الفرش » الصغار .

١٤٠٥٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود فى قوله: « حمولة وفرشاً » ، « الحمولة »، ما حمل من الإبل، و« الفرش »، هنّ الصغار .

١٤٠٥٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله: أنه قال فى هذه الآية : « حمولة وفرشاً »، قال : « الحمولة »، ما حمل عليه من الإبل ، و« الفرش »، الصغار = قال ابن المثنى ، قال محمد ، قال شعبة : إنما كان حدثني سفيان ، عن أبي إسحق .

١٤٠٥٥ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، قال الحسن : « الحمولة » ، من الإبل والبقر .

* * *

وقال بعضهم: « الحمولة »، من الإبل ، وما لم يكن من « الحمولة »، فهو « الفرش » :

١٤٠٥٦ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة، عن الحسن « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة » ، ما حمل عليه،

و« الفرش » حواشيها ، يعني صغارها .

١٤٠٥٧ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً » ، ف« الحمولة »، ما حمل من الإبل ، و«الفرش»، صغار الإبل، الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل .

* * *

ويقال : « الحمولة »، من البقَر والإبل = و« الفرش » ، الغنم .

* * *

وقال آخرون : « الحمولة » ، ما حمل عليه من الإبل والخيل والبغال وغير ذلك، و« الفرش » ، الغنم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٥٨ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً »، فأما « الحمولة »، فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه ، وأما « الفرش »، فالغنم .

١٤٠٥٩ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس : « الحمولة »، من الإبل والبقر = « وفرشاً » ، المعز والضأن .

١٤٠٦٠ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً » ، قال : أما « الحمولة » ، فالإبل والبقر . قال : وأما « الفرش » ، فالغنم .

١٤٠٦١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : كان غير الحسن يقول : « الحمولة » ، الإبل والبقر ، و« الفرش » ، الغنم .

١٤٠٦٢ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً » ، أما « الحمولة » ، فالإبل ، وأما « الفرش » ، فالفُصْلان والعَجَاجيل والغنم . [1] وما حمل عليه فهو « حمولة » .

١٤٠٦٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « حمولة وفرشاً » ، « الحمولة » ، الإبل ، و « الفرش » ، الغنم .

١٤٠٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن : « وفرشاً » ، قال : « الفرش » ، الغنم .

١٤٠٦٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة » ، ما تركبون ، و « الفرش » ، ما تأكلون وتحلبون ، شاة لا تحمل ، تأكلون لحمها ، وتتخذون من أصوافها لحافاً وفرشاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن « الحمولة » ، هى ما حمل من الأنعام ، لأن ذلك من صفتها إذا حملت ، لا أنه اسم لها ، كالإبل والخيل والبغال ، فإذا كانت إنما سميت « حمولة » لأنها تحمل ، فالواجب أن يكون كل ما حَمَل على ظهره من الأنعام فحمولة . وهى جمع لا واحد لها من لفظها ، كالرَّكوبة ، و « الجزورة » . وكذلك « الفرش » ، إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه ، ويقال له : « الفرش » . وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها فى استواء أسنانها ولطفها بالفَرْش من الأرض ، وهى الأرض المستوية التى يتوطَّؤُها الناس . ٤٨/٨

فأما « الحمولة » ، بضم « الحاء » ، فإنها الأحمال ، وهى « الحمول » أيضاً بضم الحـــاء .

* * *

---

(١) « العجاجيل » جمع « عجول » (بكسر العين ، وتشديد الجيم وفتحها ، وسكون الواو) وهو « العجل » ولد البقر .

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : كلوا مما رزقكم الله، أيها المؤمنون ، فأحلّ لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ، ولحوم أنعامكم ، إذ حرّم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً وللشيطان مثله ، فقالوا : « هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » = « ولا تتبعوا خطوات الشيطان» ، كما اتبعها باحرُو البحيرة ، ومسيّبو السوائب ، فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذى رزقكم ما حرموه ، فتطيعوا بذلك الشيطان ، وتعصوا به الرحمن ، كما :—

١٤٠٦٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » ، لا تتبعوا طاعته ، هى ذنوب لكم ، وهى طاعة للخبيث .

* * *

= إن الشيطان لكم عدو يبغى هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم = « مبين » ، قد أبان لكم عدواته ،[1] بمناصبته أباكم بالعداوة ، حتى أخرجه من الجنة بكيده ، وخدَعه حسداً منه له ،[2] وبغياً عليه .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبان لكم عدوانه » ، وصوابها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « وحسداً منه » بالواو ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « خطوات الشيطان » فيما سلف ٢ : ٣٠٠ — ٤/٣٠٢ : ٢٥٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : وهذا تقريعٌ من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام ، الذين بحروا البحائر ، وسيَّبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل = وتعليم منه نبيَّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، الحجةَ عليهم فى تحريمهم ما حرموا من ذلك . فقال للمؤمنين به وبرسوله : وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشاً . ثم بين جل ثناؤه « الحمولة » و « الفرش » ، فقال : « ثمانية أزواج » .

* * *

وإنما نصب « الثمانية » ، لأنها ترجمة عن « الحمولة » ، و « الفرش » ، وبدل منها . كأن معنى الكلام : ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج = فلما قدّم قبل « الثمانية » « الحمولة » و « الفرش » ، بيّن ذلك بعد فقال : « ثمانية أزواج » ، على ذلك المعنى .

* * *

= « من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ، فذلك أربعة ، لأن كل واحد من الاثنين من الضأن زوج ، فالأنثى منه زوج الذكر ، والذكر منه زوج الأنثى ، وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان . فلذلك قال جل ثناؤه : « ثمانية أزواج » ، كما قال : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ ، [سورة الذاريات : ٤٩] ، لأن الذكر زوج الأنثى ، والأنثى زوج الذكر ، فهما وإن كانا اثنين فيهما زوجان ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٨٩] ، وكما قال : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٣٧] ، وكما :—

١٤٠٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن

الضحاك : « من الضأن اثنين » ، ذكر وأنثى ، « ومن البقر اثنين » ، ذكر وأنثى = « ومن الإبل اثنين »، ذكر وأنثى .

* * *

ويقال للاثنين : « هما زوج » ،[1] كما قال لبيد :

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا[2]

* * *

ثم قال لهم : كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم ، واركبوا هذه الحمولة ، أيها المؤمنون ، فلا تتبعوا خطوات الشيطان فى تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمرى إياهم بذلك .

= قل ، يا محمد ، لهؤلاء الذين حرّموا ما حرموا من الحرث والأنعام اتباعاً للشيطان ، من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من ذلك=: آلذكرين حرم ربكم ، أيها الكذبة على الله ، من الضأن والمعز ؟ فإنهم إن ادعوا ذلك وأقرّوا به ، كذبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم . لأنهم إذا قالوا : « يحرم الذكرين من ذلك » ، أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمعز ، وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها . وفى ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم = « أم الأنثيين » ، فإنهم إن قالوا : « حرم ربنا الأنثيين » ، أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها . وفى ذلك أيضاً تكذيب لهم ، ودحض دعواهم أنّ ربهم حرم ذلك عليهم ، إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره = « أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، يقول : أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، يعنى أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز ، ٨/٤٩

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٢/٥١٤ : ٧/٤٤٦ : ١٢/٥١٥ : ١٥٠

(٢) من قصيدته العجيبة المعلقة ، وهذا البيت فى أوائل الشعر ، يصف هوادج ظعن الحى . و « المحفوف » ، يعنى الهودج ، حف بالثياب والأنماط . و « العصى » ، خشب الهودج ، تظلله وتستره الثياب والأنماط . و « الكلة » الستر الرقيق . و « القرام » ستر فيه رقم ونقوش وتماثيل .

فلذلك قال : « أرحام الأنثيين » ، وفى ذلك أيضاً لو أقرّوا به فقالوا : « حرم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، بُطول ُ قولهم وبيان كذبهم ، لأنهم كانوا يقرّون بإقرارهم بذلك أنّ الله حرّم عليهم ذكور الضأن والمعز وإناثها ، أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها ، وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها .

* * *

و « ما » التى فى قوله: « أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين »، نصب عطفاً بها على « الأنثيين » .[1]

* * *

= « نبئونى بعلم » ، يقول: قل لهم: خبرونى بعلم ذلك على صحته: أىّ ذلك حرم ربكم عليكم، وكيف حرم ؟[2]= « إن كنتم صادقين »، فيما تنحلونه ربكم من دعواكم ، وتضيفونه إليه من تحريمكم .

* * *

وإنما هذا إعلامٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه أنّ كل ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك وأضافوه إلى الله ، فهو كذب على الله ، وأنه لم يحرم شيئاً من ذلك ، وأنهم إنما اتّبعوا فى ذلك خطوات الشيطان ، وخالفوا أمره .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٦٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » الآية ، إن كل هذا لم أحرم منه قليلاً ولا كثيراً ، ذكرًا ولا أنثى .

١٤٠٦٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « من الضأن اثنين ومن المعز اثنين »، قال : سلهم : «آلذكرين

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٠ .

(٢) انظر تفسير « النبأ » ، فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، أى : لم أحرم من هذا شيئاً = « بعلم إن كنتم صادقين » ، فذكر من الإبل والبقر نحو ذلك .

١٤٠٧٠ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ثمانية أزواج » ، فى شأن ما نهى الله عنه من البحيرة .

١٤٠٧١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ثمانية أزواج » ، قال : هذا فى شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسُّيَّب = قال ابن جريج يقول : من أين حرمت هذا ؟ من قبل الذكرين أم من قبل الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ؟ وإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فمن أين جاء التحريم ؟ فأجابوا هم : وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .

١٤٠٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ، ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين ، يقول : أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذى عددت ، ذكر وأنثى ، فالذكرين حرمت عليكم أم الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ؟ يقول : أى : ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، ما تشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فما حرمت عليكم ذكراً ولا أنثى من الثمانية . إنما ذكر هذا من أجل ما حرّموا من الأنعام .

٥٠/٨ ١٤٠٧٣ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، قال : ما حملت الرَّحم .

١٤٠٧٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل آلذكرين حرم أم الأنثيين » ، قال ، هذا لقولهم : « ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا » . قال ، وقال ابن زيد فى قوله :

« ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين »، قال : « الأنعام »، هى الإبل والبقر والضأن والمعز ، هذه « الأنعام » التى قال الله : «ثمانية أزواج» . قال: وقال فى قوله : « هذه أنعام وحرث حجر » ، نحتجرها على من نريد ، وعمن نريد . وقوله : « وأنعام حرمت ظهورها » ، قال : لا يركبها أحد = « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » ، فقال : « آلذكرين حرم أم الأنثيين » ، أىّ هذين حرم على هؤلاء ؟ أى : أن تكون لهؤلاء حِلاًّ ، وعلى هؤلاء حرامًا .

١٤٠٧٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، يعنى : هل تشتمل الرحم إلاّ على ذكر أو أنثى؟ فهل يحرمون بعضاً ويحلون بعضاً ؟

١٤٠٧٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ، فهذه أربعة أزواج = « ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين » ، يقول : لم أحرم شيئاً من ذلك = « نبئونى بعلم إن كنتم صادقين » ، يقول : كله حلال .

* * *

و « الضأن » جمع لا واحدَ له من لفظه، وقد يجمع « الضأن »، « الضَّئين ، والضِّئين »، مثل «الشَّعير» و«الشِّعير» كما يجمع «العبد» على «عَبيد، وعِبيد».[1] وأما الواحد من ذكوره فـ«ضائن»، والأنثى «ضائنة»، وجمع « الضائنة » « ضوائن » .

* * *

(١) كل ذلك بفتح الضاد ، والشين ، والعين = ثم بكسر الضاد، والشين، والعين . وقد نصوا على ذلك فى « الضئين » و « الشعير » ، ولم أوفق إلى العثور على ذلك فى « العبيد » ، وهو موجود إن شاء الله فيما أذكر . وقالوا : إن كسر « الضاد » لغة تميمية .

وكذلك « المعز » ، جمع على غير واحد ، وكذلك « المعزى » . وأما « الماعز » فجمعه « مواعز » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، نحو تأويل قوله : « من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ، وهذه أربعة أزواج ، على نحو ما بيّنا من الأزواج الأربعة قبلُ من الضأن والمعز ، فذلك ثمانية أزواج ، كما وصف جل ثناؤه .

* * *

وأما قوله : « أم كنتم شهداء إذ وصّاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم » ، فإنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم فى هذه الآيات التى مضَت . يقول له عز ذكره : قل لهم ، يا محمد : أىَّ هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية ؟ فإن أجابوك عن شىء مما سألتهم عنه من ذلك ، فقل لهم : أخبرًا قلتم : « إن الله حرم هذا عليكم » ، أخبركم به رسول عن ربكم ، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصّاكم بهذا الذى تقولون وتزوّرون على الله ؟![1] فإن هذا الذى تقولون من أخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون ،

(١) فى المطبوعة : « وتردون على الله » ، وفى المخطوطة : « وترزون » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

لا يعلم إلا بوحى من عنده مع رسول يرسله إلى خلقه ، أو بسماع منه ، فبأى هذين الوجهين علمتم أنّ الله حرم ذلك كذلك ، برسول أرسله إليكم ، فأنبؤنى بعلم إن كنتم صادقين ؟ أم شهدتم ربكم فأوصّاكم بذلك ، وقال لكم : « حرمت ذلك عليكم » ، فسمعتم تحريمه منه ، وعهدَه إليكم بذلك ؟ [١] فإنه لم يكن واحدٌ من هذين الأمرين . يقول جل ثناؤه: « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً »، يقول: فمن أشد ظلماً لنفسه ، وأبعد عن الحق ممن تخرَّص على الله قيلَ الكذب ، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم ، وتحليل ما لم يحلل [٢]= « ليضل الناس بغير علم »، يقول : ليصدّهم عن سبيله [٣] = « إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ، يقول: لا يوفّق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزُّور والكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم ، كفرًا بالله ، وجحوداً لنبوة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم ، [٤] كالذى :—

٨/٥١

١٤٠٧٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أم كنتم شهداء إذا وصاكم الله بهذا » ، الذى تقولون .

١٤٠٧٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كانوا يقولون = يعنى الذين كانوا يتّخذون البحائر والسوائب =: إن الله أمر بهذا . فقال الله: « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم » .

* * *

(١) انظر تفسير « شهداء » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .
= وتفسير « وصى » فيما سلف ٩ : ٢٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
= وتفسير « الظلم » فيما سلف منها (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، لهؤلاء الذين جعلوا لله ممّا ذَرَأ من الحرث والأنعام نصيباً ، ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله = والقائلين : هذه أنعام وحرث حجرٌ لا يطعمها إلاّ من نشاء بزعمهم = والمحرّمين من أنعام أُخَر ظهورَها = والتاركين ذكر اسم الله على أُخَر منها = والمحرّمين بعض ما فى بطون بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم، ومحلّيه لذكورهم، المحرّمين ما رزقهم الله افتراءً على الله، وإضافةً منهم ما يحرمون من ذلك إلى أنّ الله هو الذى حرّمه عليهم = : أجاءكم من الله رسولٌ بتحريمه ذلك عليكم، فأنبئونا به ، أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدةً منكم له، فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه ؟ فإنكم كذبة إن ادعيتم ذلك ، ولا يمكنكم دعواه ، لأنكم إذا ادّعيتموه علم الناس كذبكم = فإنى لا أجد فيما أوحى إلىّ من كتابه وآى تنزيله،[1] شيئاً محرّماً على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرمه من هذه الأنعام التى تصفون تحريمَ ما حرّم عليكم منها بزعمكم [2] = « إلا أن يكون ميتة »، قد ماتت بغير تذكية = « أو دماً مسفوحاً » ، وهو المنصبّ = أو إلا أن يكون لحم خنزير = « فإنه رجسٌ أو فسقاً »، يقول : أو إلاّ أن يكون فسقاً يعنى ، بذلك : أو إلاّ أن يكون مذبوحاً ذبحه ذابحٌ من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته ، فذكر

---

(١) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) .

(٢) انظر تفسير « طعم » فيما سلف ٥ : ٣٤٢/١٠ : ٥٧٦

عليه اسم وثنه ، فإن ذلك الذبح فسق ، نهى الله عنه وحرّمه ، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك ، لأنه ميتة .

* * *

وهذا إعلام من الله جلّ ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبيَّ الله وأصحابه فى تحريم الميتة بما جادلوهم به ، أنّ الذى جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذى حرّمه الله ، وأن الذى زعموا أنّ الله حرمه حلال ، قد أحلّه الله ، وأنهم كذبة فى إضافتهم تحريمه إلى الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٧٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : « قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرّمًا » ، قال : كان أهل الجاهلية يحرِّمون أشياء ويحلّون أشياء ، فقال : قل لا أجد مما كنتم تحرمون وتستحلّون إلاّ هذا : « إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به » .

١٤٠٨٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : « قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرّماً » الآية ، قال : كان أهل الجاهلية يستحلّون أشياء ويحرّمون أشياء ، فقال الله لنبيه : قل لا أجدُ فيما أوحى إلىّ محرماً مما كنتم تستحلون إلاّ هذا = وكانت أشياء يحرِّمونها ، فهى حرام الآنَ . ٥٢/٨

١٤٠٨١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه » ، قال : ما يؤكل . قلت : فى الجاهلية ؟ قال : نعم ! وكذلك كان يقول : « إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً » = قال ابن جريج : وأخبرنى

إبراهيم بن أبي بكر ، عن مجاهد : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً » ، قال : مما كان فى الجاهلية يأكلون ، لا أجد محرماً من ذلك على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً .

* * *

وأما قوله : « أو دماً مسفوحاً » ، فإن معناه : أو دماً مُسالاً مُهَرَاقاً . يقال منه : « سفحت دمه » ، إذا أرقته ، « أسفحه سَفْحاً ، فهو دم مسفوح » ، كما قال طرفة بن العبد :

إِنِّى وَجَدِّكَ مَا هَجَوْتُكَ وَالأَنْصَابِ يُسْفَحُ فَوْقَهُنَّ دَمُ[1]

وكما قال عَبِيد بن الأبرص :

إِذَا مَا عَادَهُ مِنْهَا نِسَاءٌ سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بَعْدِ الرَّنِينِ[2]

---

(١) ديوان الستة الجاهليين : ٣٤٧ ، من ثلاثة أبيات يعتذر بها إلى عمرو بن هند ، حين بلغه أنه هجاه ، فتوعده ، يقول بعده :

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ ، إِذْ حُبِسَتْ وَأُمِرَّ دُونَ عَبِيدَةَ الوَذَمُ
أَخْشَى عِقَابَكَ إن قَدَرْتَ ، وَلَمْ أَغْدِرْ فَيُؤْثَرَ بَيْنَنَا الكَلِمُ

(٢) ديوانه : ٤٥ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « منا نساء » ، وهو خطأ لاشك فيه ، صوابه ما فى الديوان ، وهو من قصيدته التى لام فيها امرأته لما أعرضت عنه لما كبر وشاب ، ومطت له حاجبيها استهزاء به ، فذكرها بما كان من ماضيه فى اللهو والصبا والحرب ، فكان مما ذكرها به من ذلك شأنه فى الحرب ، فقال :

وَأَسْمَرَ قد نَصَبْتُ لِذِى سَنَاءٍ يَرَى مِنِّى مُخَالَطَةَ اليَقِينِ
يُحَاوِلُ أَنْ يَقُومَ ، وَقَدْ مَضَتْهُ مُغَابِنَةٌ بِذِى خُرُصٍ قَتِينِ
إِذَا مَا عَادَهُ مِنْهَا نِسَاءٌ سَفَحْنَ الدَّمْعَ من بعد الرَّنِينِ

« أسمر » يعنى رمحاً ، طعن به فارساً ذا سناء وشرف ، فخالطه به مخالطة اليقين . فلما طعنه حاول أن يقوم ، وقد « مضته » ، أى : نفذت فيه طعنة « مغابنة » ، تخيط لحمه وتغبنه كما يغبن الثوب ، برمح « ذى خرص » أي سنان ، « قتين » ، أى : محدد الرأس . فإذا عاده النساء من هذه الطعنة ، صحن صياح الحزن ، وذلك هو « الرنين » ، من هول ما رأين من أثر الطعنة ، ثم سفحن الدمع لما يئسن منه ومن شفائه .

يعنى : صببن وأسلنَ الدمع .

* * *

وفى اشتراطه جل ثناؤه فى الدم عند إعلامه عبادَه تحريمه إياه ، المسفوحَ منه دون غيره، الدليلُ الواضح أنَّ ما لم يكن منه مسفوحاً ، فحلال غير نجس.(1) وذلك كالذى :—

١٤٠٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة : « أو دماً مسفوحاً » ، قال : لولا هذه الآية لتتبَّع المسلمون من العروق ما تتبعتِ اليهود .

١٤٠٨٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، بنحوه = إلا أنه قال : لاتَّبَع المسلمون .

١٤٠٨٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، بنحوه .

١٤٠٨٥ — حدثنا أبو كريب قال ، أخبرنا وكيع ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، فى القِدْر يعلوها الحمرة من الدم . قال : إنما حرم الله الدمَ المسفوحَ .

١٤٠٨٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، قال : سألته عن الدم وما يتلطَّخ بالمذْبح من الرأس، وعن القدر يرى فيها الحُمرة ؟ قال : إنما نهى الله عن الدم المسفوح .

١٤٠٨٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أو دماً مسفوحاً » ، قال : حُرِّم الدم ما كان مسفوحاً . وأما لحم خالطه دم، فلا بأس به .

---

(1) السياق : « وفى اشتراطه . . . المسفوح منه . . . الدليل الواضح » .

١٤٠٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: «قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرماً على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً»، يعنى: مُهَرَاقاً.

١٤٠٨٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، أخبرنى ابن دينار، عن عكرمة: «أو دماً مسفوحاً»، قال: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود.

١٤٠٩٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة: أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً، والحمرةِ والدم يكونان على القدر بأساً، وقرأت هذه الآية: «قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه»، الآية.[1]

١٤٠٩١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن يحيى بن سعيد قال، حدثنى القاسم بن محمد، عن عائشة قالت، وذكرت هذه الآية: «أو دماً مسفوحاً»، قلت: وإن البرمة ليرى ما فى مائها [من] الصفرة.[2] ٨/٥٣

* * *

وقد بينا معنى «الرجس»، فيما مضى من كتابنا هذا، وأنه النجس والنتن، وما يُعْصَى الله به، بشواهده، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع.[3]

(١) الأثر: ١٤٠٩٠ — قال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤١٥، وذكر هذا الأثر، «صحيح غريب».

(٢) الأثر: ١٤٠٩١ — هذا أثر مبتور لاشك فى ذلك، يبينه الذى قبله، فهو إسناد آخر له. وكان فى المطبوعة: «ليرى فى مائها الصفرة»، حذف «ما» التى قبل «فى مائها»، وهى ثابتة فى المخطوطة، وزدت ما بين القوسين، لتستقيم العبارة. ولم أجد الخبر فى مكان آخر بلفظه هذا.

(٣) انظر تفسير «الرجس» فيما سلف ١٠ : ٥٦٤، ٥٦٥/١٢: ١١٠ — ١١٢

وكذلك القول فى معنى « الفسق » = وفى قوله : «أهل لغير الله به » ، قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفّق لفهمه ، عن تكراره وإعادته .[(١)]

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلاّ أنْ يكون ميتة » .

فقرأ ذلك بعض قرأة أهل المدينة والكوفة والبصرة: ﴿ إلاّ أنْ يَكُونَ ﴾ ، بالياء ﴿ مَيْتَةً ﴾ مخففة الياء منصوبة ، = على أن فى « يكون » مجهولاً ، و « الميتة » فعل له ،[(٢)] فنصبت على أنها فعل « يكون » ، وذكروا « يكون » ، لتذكير المضمر فى « يكون » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل مكة والكوفة: ﴿ إلاّ أنْ تَكُونَ ﴾ ، بالتاء ﴿ مَيْتَةً ﴾ ، بتخفيف الياء من « الميتة » ونصبها = وكأن معنى نصبهم « الميتة » معنى الأولين ، وأنّثوا « تكون » لتأنيث الميتة ، كما يقال: « إنها قائمة جارِيتُك » ، و « إنه قائم جاريتك » ، فيذكر المجهول مرة ويؤنث أخرى ، لتأنيث الاسم الذى بعده .

* * *

وقرأ ذلك بعض المدنيين : ﴿ إلاّ أنْ تَكُونَ مَيِّتَةٌ ﴾ ، بالتاء فى « تكون » وتشديد الياء من « ميتة » ، ورفعها = فجعل « الميتة » اسم « تكون » ، وأنث « تكون » لتأنيث « الميتة » ، وجعل « تكون » مكتفية بالاسم دون الفعل ، لأن قوله : « إلاّ أن تكون ميتة » ، استثناء ، والعرب تكتفى فى الاستثناء بالأسماء عن الأفعال ، فيقولون : « قام الناس إلا أن يكون أخاك » ، و « إلاّ أن يكون أخوك » ، فلا تأتى لـ « يكون » ، بفعل ، وتجعلها مستغنية بالاسم ، كما يقال: « قام القوم إلاّ أخاك »

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٧٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « أهل لغير الله به » فيما سلف ٣ : ٣١٩ - ٩/٣٢١ : ٤٩٣ .

(٢) « الفعل » هنا ، خبر المبتدأ ، وهو اصطلاح قديم كما ترى ، وتفسيره أن خبر المبتدأ كأنه فعل له . تقول : « محمد قائم » ، تفسيره أن محمدا فعل القيام ، وهو اصطلاح كوفى .

و « إلا أخوك » ،[1] فلا يفتقد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء فعلاً .[2]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ ﴾ ، بـ « الياء » ﴿ مَيْتَةً ﴾ ، بتخفيف الياء ونصب « الميتة » ، لأن الذى فى « يكون » من المكنى من ذكر المذكر[3] = وإنما هو : قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ذلك ميتةً أو دماً مسفوحاً .

* * *

فأما قراءة « ميتة » بالرفع ، فإنه ، وإن كان فى العربية غير خطأ ، فإنه فى القراءة فى هذا الموضع غيرُ صواب . لأن الله يقول : « أو دماً مسفوحاً » ، فلا خلاف بين الجميع فى قراءة : « الدم » بالنصب ، وكذلك هو فى مصاحف المسلمين ، وهو عطف على « الميتة » . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن « الميتة » لو كانت مرفوعة ، لكان « الدم » ، وقوله : « أو فسقًا » ، مرفوعين ، ولكنها منصوبة ، فيعطف بهما عليها بالنصب .

* * *

(١) انظر معانى القرآن ١ : ٣٦٠ - ٣٦٣ ، وقد استوفى هذا الباب هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلا يعتد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء نفلا » و « نفلا » فى المخطوطة غير منقوطة ، وهذه عبارة لا معنى لها ، صوابها إن شاء الله ما أثبت . « افتقد الشيء » تطلبه وقوله : « فعلا » هو « خبر المبتدأ » ، كما فسرته فى التعليق السالف ص : ١٩٥ ، تعليق ٢ ، واستظهرت صواب قراءتها كذلك من كلام الفراء إذ يقول فى معانى القرآن ١ : ٣٦١ : « ومن رفع (الميتة) جعل (يكون) فعلا لها ، اكتفى بيكون بلا فعل . وكذلك (يكون) فى كل الاستثناء لا تحتاج إلى فعل . . . » . فقوله : « لا تحتاج إلى فعل » ، هو معنى ما أثبته « لا يفتقد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء فعلا » .

(٣) انظر تفسير « الميتة » فيما سلف ، وتخفيف ياءها وتشديدها فيما سلف ٣ : ٣١٨ ، ٦/٣١٩ : ٩/٣١٠ : ٤٩٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤٥)

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا ، فى « سورة البقرة » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع [١] = وأن معناه : فمن اضطر إلى أكلِ ما حرَّم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير أو ما أهل لغير الله به ، غير باغ فى أكله إيّاه تلذذاً ، لا لضرورة حالة من الجوع ، ولا عادٍ فى أكله بتجاوزه ما حدَّه الله وأباحه له من أكله ، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك ، لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه ، فلا حرج عليه فى أكله ما أكل من ذلك = « فإنّ الله غفور » ، فيما فعل من ذلك ، فساتر عليه بتركه عقوبته عليه ، ولو شاء عاقبه عليه = « رحيم » ، بإباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه ، ولو شاء حرَّمه عليه ومنعه منه .

* * *

(١) انظر تفسير ذلك فيما سلف ٣ : ٣٢١ - ٣٢٧ ، وتفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾

٨/٥٤

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وحرّمنا على اليهود [١] = « كل ذى ظفر »، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع، كالإبل والنّعام والإوز والبط.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٩٢ — حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، وهو البعير والنعامة .

١٤٠٩٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : البعير والنعامة ونحو ذلك من الدوابّ .

١٤٠٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : هو الذى ليس بمنفرج الأصابع .

١٤٠٩٥ — حدثنى على بن الحسين الأزدى قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : كل شىء متفرق الأصابع ، ومنه الديك .[٢]

---

(١) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ١٠ : ٤٧٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) قوله : « كل شىء متفرق الأصابع ، ومنه الديك » ، هكذا هو فى المخطوطة ، والذى تبادر إلى ذهن من نشر التفسير قبل ، أن صوابه « غير متفرق الأصابع » ، ليطابق ما قبله وما بعده . ولكنى وجدت ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤١٧ ، يقول : « وفى رواية عنه : « كل متفرق الأصابع ، ومنه الديك » ، فلذلك رجحت صواب ما فى المخطوطة والمطبوعة .

١٤٠٩٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « كل ذى ظفر » ، النعامة والبعير .

١٤٠٩٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، مثله .

١٤٠٩٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، فكان يقال : البعير والنعامة وأشباهه من الطير والحيتان .

١٤٠٩٨م — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال،حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة : « كل ذي ظفر » ، قال : الإبل والنعام ، ظفر يد البعير ورجله ، والنعام أيضاً كذلك . وحرم عليهم أيضاً من الطير البط وشبهه ، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع .

١٤٠٩٩ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أما كل ذى ظفر » ، فالإبل والنعام .

١٤١٠٠ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شيخ ، عن مجاهد فى قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : النعامة والبعير ، شقًّا شقًّا . قال قلت: ما « شقًّا شقًّا »؟ قال : كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود ، والبعيرُ والنعامة . والدجاج والعصافير تأكلها اليهود ، لأنها قد فُرِجت .

١٤١٠١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « كل ذى ظفر » ، قال : النعامة والبعير ، شقًّا شقًّا . قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثنيه : ما « شقًّا شقًّا » ؟ قال : كل شيء لم يفرج من قوائم البهائم . قال : وما انفرج أكلته اليهود . قال : انفرجت قوائم الدجاج

والعصافير ، فيهود تأكلها . قال : ولم تنفرج قائمة البعير ، خفّه ، ولا خف النعامة ، ولا قائمة الوَزّينة ،[1] فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوَزّين ، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ، وكذلك لا تأكل حمار وحش .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما :—

١٤١٠٢ — حدثنى به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، الإبل قطْ .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته . لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه حرم على اليهود كل ذى ظفر ، فغير جائز إخراج شيء من عموم هذا الخبر إلاّ ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان النعام وكل ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلاً فى ظاهر التنزيل ، وجب أن يحكم له بأنه داخل فى الخبر ، إذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخلٍ فى الآية ، خبرٌ عن الله ولا عن رسوله ، وكانت الأمة أكثرها مجمع على أنه فيه داخل . ٨/٥٥

* * *

(١) « الوزينة » (بفتح الواو ، وتشديد الزاى مكسورة) ، هى الإوزة ، وجمعها « الوزين » ، مثلها فى الوزن بغير هاء .

(٢) فى المطبوعة : « فقط » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب . يقال : « ماله إلا عشرة قط » (بفتح القاف وسكون الطاء) و « قط » (بتشديد الطاء وكسرها) ، بمعنى : أى ، ولا يزيد على ذلك ، بمعنى « حسب » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى «الشحوم» التى أخبر الله تعالى ذكره : أنه حرمها على اليهود من البقر والغنم .

فقال بعضهم : هى شحوم الثُّروب خاصة .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما » ، الثروب . ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : قاتل الله اليهود ، حرم الله عليهم الثروب ثم أكلوا أثمانها ![2]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك كان كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « حرمنا عليهم شحومهما »، قال : إنما حرم عليهم الثرب، وكل شحم كان كذلك ليس فى عظم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك شحم الثرب والكُلَى.

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ،

---

(١) « الثروب » جمع « ثرب » (بفتح فسكون) ، وهو شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٢) الأثر : ١٤١٠٣ — الخبر الذى رواه قتادة مرسلا ، رواه البخارى بإسناده مرفوعاً (الفتح ٤ : ٣٤٤ ، ٣٤٥) . بنحوه ، ورواه الجماعة . وانظر التعليق التالى .

حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « حرمنا عليهم شحومهما » ، قال : الثرب وشحم الكليتين . وكانت اليهود تقول : إنما حرمه إسرائيل ، فنحن نحرّمه .

١٤١٠٦ ـ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « حرمنا عليهم شحومهما » ، قال : إنما حرم عليهم الثروب والكليتين = هكذا هو فى كتابى عن يونس ، وأنا أحسب أنه : « الكُلَى ».

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما ، إلا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحَوَايا أو ما اختلط بعظم . فكل شحم سوى ما استثناه الله فى كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرماً عليهم .

وبنحو ذلك من القول تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك قوله : « قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها » .(١)

* * *

وأما قوله : « إلاّ ما حملت ظهورهما » ، فإنه يعنى : إلا شحوم الجَنْب وما علق بالظهر ، فإنها لم تحرّم عليهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٧ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « إلا ما حملت ظهورهما » ، يعنى : ما علق بالظهر من الشحوم .

١٤١٠٨ ـ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ،

(١) رواه الجماعة ، انظر (الفتح ٤ : ٣٤٤ ، ٣٤٥) . و « جمل الشحم » : أذابه واستخرج ودكه . و « الجميل » الشحم المذاب .

حدثنا أسباط عن السدى : أمّا « ما حملت ظهورهما » ، فالألْيات .

١٤١٠٨ م — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسمعيل ، عن أبي صالح قال : الألية ، مما حملت ظهورهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾

قال أبو جعفر : و « الحوايا » جمع ، واحدها « حاوياء » ، و « حاوية » ، و « حَوِيَّة » ، وهى ما تحوَّى من البطن فاجتمع واستدار ، وهى بنات اللبن ، وهى « المباعر » ، وتسمى « المرابض » ، وفيها الأمعاء .(١)

* * *

ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ، إلا ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت الحوايا = فـ « الحوايا » ، رفع ، عطفاً على « الظهور » ، و « ما » التى بعد « إلا » ، نصبٌ على الاستثناء من « الشحوم ».(٢)

* * *

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « أو الحوايا » ، وهى المبعر .

١٤١١٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أو الحوايا » ، قال : المبعر .

---

(١) « الربض » (بفتحتين) و « المربض » (بفتح الميم ، وفتح الباء أو كسرها) ، و « الربيض » مجتمع الحوايا ، أو ما تحوى من مصارين البطن . و « بنات اللبن » : ماصغر من الأمعاء . وانظر الأثر التالى رقم : ١٤١٢١ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٣ .

١٤١١١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الحوايا » ، المبعر والمرْبَض .

١٤١١٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو الحوايا » ، قال : المبعر .

٨/٥٦

١٤١١٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « أو الحوايا » ، قال : المباعر .

١٤١١٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « أو الحوايا » ، قال : المباعر .

١٤١١٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أو الحوايا » ، قال : المبعر .

١٤١١٦ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أو الحوايا » ، قال : المبعر .

١٤١١٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : المبعر .

١٤١١٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أو الحوايا » ، يعني البطون غير الثروب .

١٤١١٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو الحوايا » ، هو المبعر .

١٤١٢٠ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو الحوايا » ، قال : المباعر .

* * *

وقال ابن زيد في ذلك ما : –

١٤١٢١ ــ حدثنى به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أو الحوايا » ، قال : « الحوايا » ، المرابض التى تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها ، وهى « بنات اللبن » ، وهى فى كلام العرب تدعى « المرابض » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما ، سوى ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت حواياهما ، فإنا أحللنا ذلك لهم ، وإلاّ ما اختلط بعظم ، فهو لهم أيضاً حلال .

* * *

فردّ قوله : « أو ما اختلط بعظم » ، على قوله : « إلاّ ما حملت ظهورهما » ، فـ « ما » التى فى قوله : « أو ما اختلط بعظم » ، فى موضع نصب عطفاً على « ما » التى فى قوله : « إلاّ ما حملت ظهورهما » .[1]

* * *

وعنى بقوله : « أو ما اختلط بعظم » ، شحم الألية والجنب ، وما أشبه ذلك ، كما :ــ

١٤١٢٢ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « أو ما اختلط بعظم » ، قال : شحم الألية بالعُصْعُص ،[2] فهو حلال . وكل شىء فى القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم ، فهو حلال .

١٤١٢٣ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو ما اختلط بعظم » ، مما كان من شحم على عظم .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٣ .

(٢) « العصعص » ، وهو عظم عجب الذنب .

القول فى تأويل قوله ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فهذا الذى حرمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير ذوات الأظافير غير المنفرجة ، ومن البقر والغنم ما حرمنا عليهم من شحومهما ، الذى ذكرنا فى هذه الآية، حرمناه عليهم عقوبة منّا لهم، وثواباً على أعمالهم السيئة ، وبغيهم على ربهم ،[١] كما : —

١٤١٢٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون » ، إنما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم .

١٤١٢٥ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ذلك جزيناهم ببغيهم » ، فعلنا ذلك بهم ببغيهم .

* * *

وقوله : « وإنا لصادقون » ، يقول : وإنا لصادقون فى خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التى ذكرنا أنّا حرمنا عليهم ، وفى غير ذلك من أخبارنا ، وهم الكاذبون فى زعمهم أن ذلك إنما حرمه إسرائيل على نفسه ، وأنهم إنما حرموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كذبك ، يا محمد ،[٢] هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرمنا عليهم وحللنا لهم ، كما بينا فى هذه ٨/٥٧

(١) انظر تفسير « جزى » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .
= وتفسير « البغى » فيما سلف ٢ : ٤/٣٤٢ : ٦/٢٨١ : ٢٧٦ .

(٢) فى المطبوعة : « كذبوك » والصواب من المخطوطة .

الآية = « فقل ربكم ذو رحمة » ، بنا، وبمن كان به مؤمناً من عباده ، وبغيرهم من خلقه = « واسعة » ، تسع جميع خلقه ،[١] المحسنَ والمسيء ، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ، ولا من عصاه بالنِّقمة ، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ، ولا يحرمه ثواب عمله ، رحمة منه بكلا الفريقين ، ولكن بأسه = وذلك سطوته وعذابه[٢] = لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء = و« المجرمون» هم الذين أجرَموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات.[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٢٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإن كذبوك » ، اليهود .

١٤١٢٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإن كذبوك »، اليهود = « فقل ربكم ذو رحمة واسعة » .

١٤١٢٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : كانت اليهود يقولون : إنما حرّمه إسرائيل = يعنى الثَّرْب وشحم الكليتين = فنحن نحرمه ، فذلك قوله : « فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين » .

* * *

(١) انظر تفسير « واسع » فيما سلف ١١ : ٤٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ١١ : ٣٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « المجرم » فيما سلف ص : ٩٣

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « سيقول الذين أشركوا » ، وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركى قريش = « لو شاء الله ما أشركنا » ، يقول : قالوا احتجازاً من الإذعان للحق بالباطل من الحجة ، لما تبين لهم الحق ، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون من الحروث والأنعام ، على ما قد بيّن تعالى ذكره فى الآيات الماضية قبل ذلك : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً »، وما بعد ذلك : لو أراد الله منا الإيمان به ، وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة ، وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ، ما جعلنا لله شريكاً ، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ، ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الأشياء التى نحن على تحريمها مقيمون ، لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك ، حتى لا يكون لنا إلى فعل شىء من ذلك سبيل : إما بأن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به ، وإلى القول بتحليل ما حرمنا = وإما بأن يلطف بنا بتوفيقه ، فنصير إلى الإقرار بوحدانيته ، وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام ، وإلى تحليل ما حرمنا ، ولكنه رضى منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام واتخاذ الشريك له فى العبادة والأنداد ، وأراد ما نحرّم من الحروث والأنعام ، فلم يَحُلْ بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك .

قال الله مكذباً لهم فى قيلهم : « إن الله رضى منا ما نحن عليه من الشرك ، وتحريم ما نحرّم » = ورادًّا عليهم باطلَ ما احتجوا به من حجتهم فى ذلك =

« كذلك كذب الذين من قبلهم » ، يقول : كما كذب هؤلاء المشركون ، يا محمد، ما جئتهم به من الحق والبيان ، كذب من قبلهم من فسقة الأمم الذين طَغَوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه ، وردُّوا عليهم نصائحهم = « حتى ذاقوا بأسنا » ، يقول : حتى أسخطونا فغضبنا عليهم ، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه ، فعطبوا بذوقهم إياه ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة .[1] يقول : وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم ، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . ٨/٥٨

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وقال : « كذلك كذب الذين من قبلهم » ، ثم قال : « ولو شاء الله ما أشركوا » ، فإنهم قالوا : « عبادتنا الآلهة تقرّبنا إلى الله زلفى » ، فأخبرهم الله أنها لا تقربهم، وقوله: « ولو شاء الله ما أشركوا »،يقول الله سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

١٤١٣٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا حرمنا من شىء » ، قال : قول قريش = يعنى : إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة .

١٤١٣١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « ولا حرمنا من شىء »، قولُ قريش بغير يقين : إنّ الله حرّم هذه البحيرة والسائبة .

* * *

(١) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف : ١١ : ٤٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

فإن قال قائل : وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم : « رضى الله منا عبادة الأوثان ، وأراد منا تحريم ما حرمنا من الحروث والأنعام » ، دون أن يكون تكذيبه إياهم كان على قولهم : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » ، وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرمون ؟

قيل له : الدلالة على ذلك قوله : « كذلك كذب الذين من قبلهم »، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا فى تكذيبهم نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله = من النهى عن عبادة شيء غير الله تعالى ذكره، وتحريم غير ما حرّم الله فى كتابه وعلى لسان رسوله = مسلكَ أسلافهم من الأمم الخالية المكذبة اللهَ ورسولَه . والتكذيبُ منهم إنما كان لمكذَّب ، ولو كان ذلك خبراً من الله عن كذبهم فى قيلهم: « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا» ، لقال : «كذلك كذَبَ الذين من قبلهم » ، بتخفيف « الذال »،وكان ينسبهم فى قيلهم ذلك إلى الكذب على الله ، لا إلى التكذيب = مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفِّق لفهمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، المحرِّمين ما هم له محرِّمون من الحرُوث والأنعام ، القائلين : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء»، ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم: «هل عندكم »،

= بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون ، وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون = علمُ يقينٍ من خبر مَنْ يقطع خبره العذر ، أو حجة توجب لنا اليقين ، من العلم = « فتخرجوه لنا » ، يقول : فتظهروا ذلك لنا وتبينوه ، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعالكم ، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع [1] = « إن تتبعون إلاّ الظن » ، يقولُ له : قل لهم : إن تقولون ما تقولون ، أيها المشركون ، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون ، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون ، إلاّ ظنًّا وحسباناً أنه حق ، وأنكم على حق ، وهو باطلٌ ، وأنتم على باطل = «وإن أنتم إلاّ تخرصون » ، يقول : « وإن أنتم » ، وما أنتم في ذلك كله = « إلا تخرصون » ، يقول : إلاّ تتقوّلون الباطل على الله ، ظنًّا بغير يقين علم ولا برهان واضح . [2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩)

٨/٥٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين على ربهم الكذبَ، في تحريمهم ما حرموا من الحروث والأنعام، إن عجزوا عن إقامة الحجة عندقيلك لهم : « هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا» ،وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره ، وهم لا شك عن ذلك عجزَة ، وعن إظهاره مقصرون ، لأنه باطل لا حقيقة له = « فلله »، الذى حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً، وأن تتبعوا

(١) انظر تفسير « الإخراج » فيما سلف ٢ : ٢٢٨ .
(٢) انظر تفسير « التخرص » فيما سلف ص ٦٥ .

خطوات الشيطان فى أموالكم من الحروث والأنعام = « الحجة البالغة »، دونكم أيها المشركون .

ويعنى : بـ « البالغة »، أنها تبلغ مراده فى ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه ، وقَطْعِ عُذْرِه إذا انتهت إليه فيما جُعِلت حجة فيه .

* * *

= «فلو شاء لهداكم أجمعين»، يقول: فلو شاء ربكم لوفّقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة ، والبراءة من الأنداد والآلهة ، والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله ، وترك اتباع خطوات الشيطان ، وغير ذلك من طاعاته ، ولكنه لم يشأ ذلك . فخالف بين خلقه فيما شاء منهم ، فمنهم كافر ومنهم مؤمن .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٣٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : لا حجة لأحد عصَى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده . وقال : « فلو شاء لهداكم أجمعين » ، قال : ﴿لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾، [سورة الأنبياء : ٢٣] .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان ، الزاعمين أنّ الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم = « هلم شهداءكم » يقول : هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم .(١)

* * *

وأهل العالية من تهامة توحّد «هلم» في الواحد والاثنين والجميع ، وتذكر في المؤنث والمذكر ، فتقول للواحد : « هلم يا فلان » ، وللاثنين والجميع كذلك ، وللأنثى مثله ، ومنه قول الأعشى :

وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ(٢)

ينشد : « هلم » ، و « هلموا » . وأما أهل السافلة من نجد ، فإنهم يوحّدون للواحد، ويثنُّون للاثنين ، ويجمعون للجميع . فيقال للواحد من الرجال : « هلم » وللواحدة من النساء: « هلمى » ، وللاثنين : « هلما » ، وللجماعة من الرجال : « هلموا » وللنساء : « هَلْمُمْنَ » .(٣)

* * *

قال الله لنبيه: « فإن شهدوا » ، يقول : يا محمد ، فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم = « فلا تشهد معهم » ، فإنهم كذبة

(١) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .

(٢) ديوانه ٣٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٠٨ ، من قصيدة طويلة مضت منها أبيات في مواضع متفرقة ، وهذا البيت داخل في قصة « الحضر » ، وما أصاب أهله ، تركت نقل أبياتها لطولها .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٠٨ ، فهذا نص كلامه .

وشهود زور فى شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله . وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به = « ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا » ، يقول : ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتنزيله ، فى تحريم ما حرم ، وتحليل ما أحل لهم ، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه = « والذين لا يؤمنون بالآخرة » ، يقول : ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم ، ونشره إياهم بعد فنائهم = « وهم بربهم يعدلون » ، يقول : وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات ، وجحودهم قيام الساعة ، بالله يعدلون الأوثانَ والأصنامَ، فيجعلونها له عِدْلاً ، ويتخذونها له ندًّا، يعبدونها من دونه .[1]

٨/٦٠

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٣٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى قوله : « هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا » ، يقول : قل : أرونى الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب ، وقالوا : أمرنا الله به . قال الله لرسوله : « فإن شهدوا فلا تشهد معهم » .

١٤١٣٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا»، قال : البحائر والسُّيَّب .

* * *

(١) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ١١ : ٢٥١ — ٢٥٤

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرِّموه من حروثهم وأنعامهم، على ما ذكرت لك فى تنزيلى عليك =: تعالوا، أيها القوم، [١] أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً ، [٢] لا الباطل تخرُّصاً، تخرُّصَكم على الله الكذبَ والفريةَ ظنًّا ، [٣] ولكن وحياً من الله أوحاه إلىّ، وتنزيلاً أنزله علىّ: أن لا تشركوا بالله شيئاً من خلقه ، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ، ولا تعبدوا شيئاً سواه = « وبالوالدين إحساناً »، يقول : وأوصى بالوالدين إحساناً = وحذف « أوصى » و « أمر » ، لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه . [٤] وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب. [٥]

* * *

وأما «أن» فى قوله: « أن لا تشركوا به شيئاً»، فرفعٌ، لأن معنى الكلام : قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم، هو أن لا تشركوا به شيئاً .

وإذا كان ذلك معناه ، كان فى قوله : « تشركوا » ، وجهان :

= الجزم بالنهى ، وتوجيه « لا » إلى معنى النهى .

= والنصب ، على توجيه الكلام إلى الخبر ،ونصب« تشركوا » ، بـ« أن لا »،

---

(١) انظر تفسير « تعالوا » فيما سلف ١١ : ١٣٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « تلا » فيما سلف ١٠ : ٢٠١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « كخرصكم على الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف ٢ : ٢٩٢/٨ ، ٣٣٤ : ٢٩٢/٨ : ٥١٤/٩ : ٢٨٣/ ١٠ : ٥١٢ ، ٥٧٦

(٥) انظر ما سلف ٢ : ٢٩٠ - ٢٩٢/٨ : ٣٣٤ .

كما يقال : « أمرتك أن لا تقوم » .

وإن شئت جعلت « أن » فى موضع نصب ، ردًّا على « ما » وبياناً عنها ، ويكون فى قوله : « تشركوا » ، أيضاً من وجهى الأعراب ، نحو ما كان فيه منه . و « أن » فى موضع رفع .

ويكون تأويل الكلام حينئذ : قل: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، أتلُ أن لا تشركوا به شيئاً .

* * *

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون قوله : « تشركوا » نصباً بـ « أن لا » ، أم كيف يجوز توجيه قوله : « أن لا تشركوا به » ، على معنى الخبر ، وقد عطف عليه بقوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » ، وما بعد ذلك من جزم النهى ؟

قيل : جاز ذلك ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ ، فجعل « أن أكون » خبراً ، و « أنْ » اسمًا ، ثم عطف عليه ﴿ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، [سورة الأنعام : ١٤] ، [1] وكما قال الشاعر : [2]

حَجَّ وَأَوْصَى بِسُلَيْمَى الْأَعْبُدَا أَنْ لاَ تَرَى وَلاَ تُكَلِّمْ أَحَدَا
وَلاَ يزَلْ شَرَابُهَا مُبَرَّدَا [3]

فجعل قوله : « أن لا ترى » خبراً ، ثم عطف بالنهى فقال : « ولا تكلم » ، « ولا يزل » .

* * *

(١) قوله : « ولا تكونن من المشركين » ، ساقط فى المطبوعة والمخطوطة ، واستظهرت زيادته من معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٤ ، وهى زيادة يفسد الكلام بإسقاطها .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٤ ، وليس فيه البيت الثالث ، وفيه مكانه :

* وَلاَ تُمَشِّ بِفَضَاءٍ بَعَدَا *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » ، ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم ، فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجزَ عن أرزاقهم وأقواتهم .

* * *

و« الإملاق »، مصدر من قول القائل: « أملقت من الزاد، فأنا أملق إملاقاً » ، وذلك إذا فنى زاده ، وذهب ماله ، وأفلس .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » ، الإملاق الفقر ، قتلوا أولادهم خشية الفقر . ٦١/٨

١٤١٣٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « ولاتقتلوا أولادكم من إملاق » ، أى خشية الفاقة .

١٤١٣٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : « ولاتقتلوا أولادكم من إملاق »، قال :« الإملاق » ، الفقــر .

١٤١٣٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ،

قال ابن جريج قوله : « من إملاق » ، قال : شياطينهم ، يأمرونهم أن يئِدوا أولادهم خيفة العَيْلة .

١٤١٣٩ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك فى قوله : « من إملاق »، يعنى : من خشية فقر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا تقربوا الظاهرَ من الأشياء المحرّمة عليكم ،[1] التى هى علانية بينكم لا تناكرون ركوبها ، والباطنَ منها الذى تأتونه سرًّا فى خفاء لا تجاهرون به ، فإن كل ذلك حرام .[2]

* * *

وقد قيل : إنما قيل: لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن ، لأنهم كانوا يستقبحون من معانى الزنا بعضاً [دون بعض] .

وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع ، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهى عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ، ولا خبر يقطع العذرَ ، بأنه عنى به بعض دون جميع . وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

* * *

* ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال : الآية خاصُّ المعنى .

١٤١٤٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال،

---

(١) انظر تفسير « الفواحش » فيما سلف ٨ ٢٠٣ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير «ظهر» ،و« بطن » فيما سلف ص: ٧٢-٧٥، ثم انظر الأثر رقم ٩٠٧٥٠ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، أما « ما ظهر منها » ، فزوانى الحوانيت ، وأما « ما بطن » ، فما خَفِى.[١]

١٤١٤١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن »، كان أهل الجاهلية يستسرُّون بالزنا، ويرون ذلك حلالاً ما كان سرًّا. فحرّم الله السر منه والعلانية = « ما ظهر منها »، يعنى : العلانية = « وما بطن » ، يعنى : السر .[٢]

١٤١٤٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، قال : كانوا فى الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً فى السر ، ويستقبحونه فى العلانية ، فحرَّم الله الزنا فى السرّ والعلانية .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بمثل الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٤٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، سرَّها وعلانيتها .

١٤١٤٤ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .

* * *

وقال آخرون : « ما ظهر » ، نكاح الأمهات وحلائل الآباء = « وما بطن » ، الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) « زوانى الحوانيت » ، كانت البغايا تتخذ حانوتاً عليه راية ، إعلاماً بأنها بغى . وانظر الأثر السالف رقم : ١٣٨٠١ .

(٢) الأثر : ١٤١٤١ — مضى هذا الخبر برقم : ١٣٨٠٢ .

١٤١٤٥ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، قال : « ما ظهر » ، جمعٌ بين الأختين، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده = « وما بطن »، الزنا .[١]

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : ــ

١٤١٤٦ ــ حدثنى إسحق بن زياد العطار النصرى قال، حدثنا محمد بن إسحق البلخى قال ، حدثنا تميم بن شاكر الباهلى ، عن عيسى بن أبى حفصة قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن »، قال : « ما ظهر » ، الخمر = « وما بطن »، الزنا .[٢] ٦٢/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً »، « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » ، يعنى بالنفس التى حرم الله قتلها ، نفسَ مؤمن أو مُعاهد = وقوله : « إلاّ بالحق » ، يعنى بما أباح قتلها به : من أن تقتل نفساً فتقتل قَوَداً بها، أو تزنى وهى محصنة فترجم ،

---

(١) الأثر : ١٤١٤٥ – مضى برقم : ١٣٨٠٣ .

(٢) الأثر : ١٤١٤٦ – « إسحق بن زياد العطار النصرى » ، لم أجد له ترجمة .وفى المطبوعة « البصرى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

و « محمد بن إسحق البلخى الجوهرى » ، لم أجد له غير ترجمة فى ابن أبى حاتم ٣/٢/١٩٥ ، قال : « روى عن مطرف بن مازن، وأبى أمية بن يعلى ، وقيراط الحجام ، ومحمد بن حرب الأبرش ، وعيسى بن يونس . كتب عنه أبى بالرى » .

وأما « تميم بن شاكر الباهلى » و « عيسى بن أبى حفصة » ، فلم أعثر لهما على ترجمة ولا ذكر .

أو ترتدّ عن دينها الحقّ فتقتل. فذلك « الحق » الذى أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التى حرم على المؤمنين قتلها به = « ذلكم » ، يعنى هذه الأمور التى عهد إلينا فيها ربّنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه ، هى الأمور التى وصّانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به = « لعلكم تعقلون »، يقول : وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » ، ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره ، كما : —

١٤١٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن ليث، عن مجاهد : « ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسن » ، قال : التجارة فيــه .

١٤١٤٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » ، فليثمر مالَه .

١٤١٤٩ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق العنزى ، عن سليط بن بلال ، عن الضحاك بن مزاحم فى قوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسن » ، قال : يبتغى له فيه، ولا يأخذ من ربحه شيئاً .(٢)

---

(١) انظر تفسير « وصى » فيما سلف ص : ١٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٤١٤٩ — « فضيل بن مرزوق العنزى » ، الرقاشى ، الأغر . مضى برقم : ٥٤٣٧ . و « سليط بن بلال » ، لا أدرى من هو ، ولم أجد له ترجمة .

١٤١٥٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » ، قال : « التى هى أحسن » ، أن يأكل بالمعروف إن افتقر ، وإن استغنى فلا يأكل . قال الله : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة النساء : ٦] . قال : وسئل عن الكسوة ، فقال : لم يذكر الله الكسوة ، إنما ذكر الأكل .

* * *

وأما قوله : « حتى يبلغ أشده » ، فإن « الأشُدّ » جمع « شَدّ » ، كما « الأضُرّ » جمع « ضر » ، وكما « الأشُرّ » جمع « شر » ،[1] و « الشد » القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما « شَدّ النهار » ارتفاعه وامتداده . يقال : « أتيته شدّ النهار ، ومدّ النهار » ، وذلك حين امتداده وارتفاعه ، وكان المفضل فيما بلغنى ينشد بيت عنترة :

عَهْدِى بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ[2]

ومنه قول الآخر :[3]

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةٌ طَوِيلَةُ أَنْقَاءِ الْيَدَيْنِ سَحُوقُ[4]

---

(١) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « الأضر » و « الأشر » ، ولم أجد لشىء من ذلك أصلا فى كتب العربية ، وهذان اللفظان محرفان فيما أرجح ، ولكنى تركتهما على حالها ، حتى أقف على الصواب فى قراءتهما إن شاء الله . ولكنهم مثلوا له بقولهم « قد » و « أقد » ، وهو قريب التحريف فى الأولى ، ولكن الثانية مبهمة .

(٢) من معلقته المشهورة ، وهذا البيت من أبيات وصف فيها بطلا مثله ، يقول قبله :

لَمَّا رَآنِى قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ

فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ بِمُهَنَّدٍ صَافِى الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ

و « اللبان » الصدر . و « العظلم » ، صبغ أحمر . يصفه قتيلا سال دمه ، فخضب رأسه وأطرافه ، لا حراك به .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) « الظعينة » ، يعنى زوجته . « الأنقاء » جمع « نقو » (بكسر فسكون) ، وهو كل عظم فيه مخ ، كعظام اليدين والساقين ، وامرأة « سحوق » : طويلة كأنما نخلة مستوية قد انجرد عنها كربها .

وكان بعض البصريين يزعم أن « الأشد » مثل « الآنُك » . (١)

* * *

فأما أهل التأويل ، فإنهم مختلفون فى الحين الذى إذا بلغه الإنسان قيل : « بلغ أشدّه » .

فقال بعضهم : يقال ذلك له إذا بلغ الحُلُم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٥١ — حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال، حدثنا عمى قال ، أخبرنى يحيى بن أيوب ، عن عمرو بن الحارث ، عن ربيعة فى قوله : « حتى يبلغ أشده » ، قال : الحلم .

١٤١٥٢ — حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال، حدثنا عمى قال ، حدثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، مثله = قال ابن وهب : وقال لى مالك مثله . (٢)

١٤١٥٣ — حدثت عن الحمانى قال، حدثنا هشيم ، عن مجاهد ، عن عامر : « حتى يبلغ أشده » ، قال : « الأشد » ، الحلم ، حيث تكتب له الحسنات ، وتكتب عليه السيآت .

* * *

وقال آخرون : إنما يقال ذلك له ، إذا بلغ ثلاثين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٥٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « حتى يبلغ أشده » ، قال : أما « أشده » ، فثلاثون

---

(١) « آنك » (بالمد وضم النون) هو . الرصاص القلعى ، وهو القزدير . ويعنى أنه مفرد لا جمع .

(٢) الأثران : ١٤١٥١ ، ١٤١٥٢ — « أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصرى » ، مضى برقم : ٢٧٤٧ ، ٦٦١٣ ، ١٠٣٣٠ ، وهو ابن أخى « عبد الله بن وهب » و « عمه » ، هو : « عبد الله بن وهب » .

سنة، ثم جاء بعدها: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ [سورة النساء : ٦].

* * *

وفى الكلام محذوف ، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حذف . وذلك أن معنى الكلام : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » ، فإذا بلغ أشده فآنستم منه رشداً ، فادفعوا إليه ماله = لأنه جل ثناؤه لم ينه أن يُقرب مال اليتيم فى حال يُتمه إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، ليحِلَّ لوليّه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتى هى أسوأ ، [1]ولكنه نهاهم أن يقرّبوه حياطةً منه له ، وحفظاً عليه ، [2] ليسلموه إليه إذا بلغ أشده .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » = وأن أوفوا الكيل والميزان . يقول : لا تبخسوا الناس الكيلَ إذا كلمتوهم ، والوزنَ إذا وزنتموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم . وإيفاؤهم ذلك ، إعطاؤهم حقوقهم تامة [3] = « بالقسط » ، يعنى بالعدل ، كما :—

١٤١٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « بالقسط » ، بالعدل .

* * *

وقد بينا معنى : « القسط » بشواهده فيما مضى ، وكرهنا إعادته . [4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ويحل » بالواو ، والذى فى المخطوطة حق السياق .
(٢) فى المطبوعة : « أن يقربوا » ، والصواب ما فى المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « الإيفاء » فيما سلف ٩ : ٤٢٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ١٠ : ٣٣٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « لا نكلف نفساً إلاّ وسعها » ، فإنه يقول : لا نكلف نفساً ، من إيفاء الكيل والوزن ، إلا ما يسعها فيحلّ لها ولا تحرَّجُ فيه .[1] وذلك أن الله جل ثناؤه ، علم من عباده أنّ كثيراً منهم تَضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجبُ عليها له ، فأمر المعطى بإيفاء رب الحق حقَّه الذى هو له ، ولم يكلِّفه الزيادة ، لما فى الزيادة عليه من ضيق نفسه بها . وأمر الذى له الحق ، بأخذ حقه ، ولم يكلفه الرضى بأقل منه ، لما فى النقصان عنه من ضيق نفسه . فلم يكلف نفساً منهما إلاّ ما لا حرج فيه ولا ضيق ، فلذلك قال : « لا نكلف نفساً إلاّ وسعها » .

وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده فى موضع غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإذا قلتم فاعدلوا »، وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم ، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ،[3] ولو كان الذى يتوجه الحق عليه والحكم ، ذا قرابة لكم ، ولا تحملنكم قرابه قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره ، أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه = « وبعهد الله أوفوا » ، يقول : وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا . وإيفاء ذلك : أن

(١) انظر تفسير « التكليف » فيما سلف ٥ : ٤٥/٦ : ١٢٩ ، ٨/١٣٠ : ٥٧٩ .
= وتفسير « الوسع » فيما سلف ٥ : ٤٥/٦ : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٤٥ ، ٤٦/٦ : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) انظر تفسير « العدل » فيما سلف من فهارس اللغة (عدل) .

يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم ، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو الوفاء بعهد الله .[١]

وأما قوله : « ذلكم وصاكم به » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك : هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين ، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ، ووصاكم بها ربكم ، وأمركم بالعمل بها = لا بالبحائر ، والسوائب ، والوصائل ، والحام ، وقتل الأولاد ، ووأد البنات ، واتباع خطوات الشيطان[٢] = « لعلكم تذكرون » ، يقول : أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين ، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها ، لتتذكروا عواقبَ أمركم ، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون ، فتنزجروا عنها ، وترتدعوا وتُنيبوا إلى طاعة ربكم .

٨/٦٤

* * *

وكان ابن عباس يقول : هذه الآيات ، هُنّ الآيات المحكمات .

١٤١٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن علي بن صالح ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن قيس ، عن ابن عباس قال : هن الآيات المحكمات ، قوله : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً » .[٣]

---

(١) انظر تفسير « العهد » فيما سلف من فهارس اللغة (عهد) .
= وتفسير « الإيفاء » فيما سلف ص: ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « وصى » فيما سلف ص : ٢٢١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٤١٥٦ — « علي بن صالح بن صالح بن حي الهمداني » ثقة ، مضى برقم : ١٧٨ ، ١١٩٧٥ .

وفي المخطوطة والمطبوعة : « علي بن أبي صالح » ، وهو خطأ لاشك فيه ، والزيادة سهو من الناسخ ، وإنما هو « علي بن صالح » ، فهو الذي يروي عن أبي إسحق السبيعي ، ويروي عنه وكيع ، وكما في المستدرك ، كما سيأتي في التخريج .

و « أبو إسحق » هو السبيعي .

و « عبد الله بن قيس » ، راوي هذا الخبر ، خص برواية هذا الخبر عن ابن عباس ، ورواية أبي إسحق السبيعي عنه . مترجم في التهذيب (٥ : ٣٦٥) ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٣٨ .

وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٨ ، وقال : « صحيح » ، ووافقه الذهبي . وقد

١٤١٥٧ — حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا أبي قال ، سمعت يحيي بن أيوب يحدّث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار قال : سمع كعب الأحبار رجلاً يقرأ: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم »، فقال : والذى نفس كعب بيده ، إنّ هذا لأوّل شيء فى التوراة : « بسم الله الرحمن الرحيم * قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » .(١)

١٤١٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن رجل ، عن الربيع بن خثيم : أنه قال لرجل : هل لك فى صحيفة عليها خاتم محمد؟ ثم قرأ هؤلاء الآيات :« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » . .

١٤١٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق الرازى ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة قال : قال الربيع : ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ = لم يقل: «خاتمها» = فقرأ هذه الآيات : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » .

أشرت إلى ذلك فى تخريج الخبر رقم : ٦٥٧٣ ، فراجعه .

ورواه الحاكم أيضاً فى المستدرك ٢ : ٣١٧ ، بإسناد آخر من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن خليفة ، عن ابن عباس ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

و « عبد الله بن خليفة الهمدانى » ، مضى برقم : ٥٧٩٦ .

(١) الأثر : ١٤١٥٧ — «وهب بن جرير بن حازم الأزدى» ، الحافظ الثقة .

وأبو « جرير بن حازم الأزدى» ، ثقة ، روى له الجماعة .

و «يحيى بن أيوب الغافقى» ، ثقة ، مضى برقم : ٣٨٧٧ ، ٤٣٣٠ .

و « يزيد بن أبي حبيب المصرى » ، مضى مراراً ، آخرها : ١١٨٧١ .

و « مرثد بن عبد الله اليزنى » ، الفقيه المصرى ، مضى برقم : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠ ، ١٠٨٩٠ .

و « عبيد الله بن عدى بن الخيار النوفلى القرشى»ثقة،قليل الحديث ،من فقهاء قريش وعلمائهم ، أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرين . مترجم فى التهذيب .

وهذا خبر إسناده صحيح إلى كعب الأحبار .

١٤١٦٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : جاء إليه نفر فقالوا : قد جالست أصحابَ محمد ، فحدثنا عن الوَحى . فقرأ عليهم هذه الآيات من « الأنعام » : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » . قالوا : ليس عن هذا نسألك ! قال : فما عندنا وحىٌ غيره !

١٤١٦١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هؤلاء الآيات التى أوصى بها من محكم القرآن .

١٤١٦٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا قلتم فاعدلوا » ، قال : قولوا الحق .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا الذى وصاكم به ربكم ، أيها الناس ، فى هاتين الآيتين من قوله : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » ، وأمركم بالوفاء به ، هو « صراطه » = يعنى : طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده = « مستقيماً » ، يعنى : قويماً لا اعوجاج به عن الحق[1] = « فاتبعوه » ، يقول : فاعملوا به ، واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه ، فاتبعوه[2] = « ولا تتبعوا السبل » ، يقول : ولا تسلكوا طريقاً سواه ، ولا تركبوا منهجاً غيره ، ولا تبغوا ديناً خلافه ، [3] من

(١) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ص : ١١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الاتباع » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) .

(٣) فى المخطوطة : « دينا خلاه » ، وعلى « خلاه » ، حرف (ط) دلالة على الخطأ أو الشك ، والذى فى المخطوطة مستقيم جيد

اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من الملل ، فإنها بدع وضلالات = « فتفرق بكم عن سبيله » ، يقول ، فيشتّت بكم ، إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان ، اتباعُكم إياها = « عن سبيله » ، يعنى : عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذى وصّى به الأنبياء ، وأمر به الأمم قبلكم[١] = « ذلكم وصاكم به »، يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم : « إن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » ، وصاكم به « لعلكم تتقون » ، يقول : لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها ، وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها ، فيحل بكم نقمته وعذابه .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٦٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، قال : البدع والشبهات . ٨/٦٥

١٤١٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤١٦٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا تتبعوا السبل » ، البدع والشبهات .

١٤١٦٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : « فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

---

(١) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) انظر تفسير « الوصية » و « الاتقاء » فيما سلف من فهارس اللغة (وصى) و (وقى) .

فتفرق بكم عن سبيله»، وقوله: ﴿وأقيموا الدِّينَ ولاَ تتفرَّقوا فيه﴾[سورة الشورى : ١٣] ، ونحو هذا فى القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله .

١٤١٦٧ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، يقول : لا تتبعوا الضلالات .

١٤١٦٨ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطًّا فقال : هذا سبيل الله . ثم خط عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطاً فقال : هذه سُبُل ، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليها . ثم قرأ هذه الآية : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .[1]

١٤١٦٩ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »، قال : « سبيله » ، الإسلام ، و« صراطه » ، الإسلام . نهاهم أن يتبعوا السبل سواه = « فتفرق بكم عن سبيله » ، عن الإسلام .

١٤١٧٠ - حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبان : أن رجلاً قال لابن مسعود : ما « الصراط المستقيم » ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أدناه ، وطرفُه فى الجنة ، وعن يمينه جوادٌ ، وعن يساره جَوَادُّ ، وثَمَّ رجال يدعون من مرّ بهم. فمن أخذ فى تلك الجوادّ انتهت به

---

(١) الأثر : ١٤١٦٨ - صحيح الإسناد ، رواه أحمد فى المسند رقم : ٤١٤٢ ، ٤٤٣٧ ، بنحوه . وقد فصل ابن كثير فى تفسيره شرح هذا الإسناد ، وما فيه من اختلاف الرواية ٣ : ٤٢٧ - ٤٢٩ . وسيأتى برقم : ١٤١٧٠ ، موقوفاً على ابن مسعود .

إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : « وأن هذا صراطى مستقيماً » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله: « وأنّ هذا صراطى مستقيماً ».

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿ وَأَنَّ ﴾ بفتح « الألف» من « أن » ، وتشديد « النون » ، ردًّا على قوله: « أن لا تشركوا به شيئاً » ، بمعنى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » ، « وأن هذا صراطى مستقيماً » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين: ﴿ وإنَّ ﴾ بكسر « الألف» من « أن » وتشديد « النون » منها ، على الابتداء وانقطاعها عن الأول ، إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التى أوصى الله بها عباده دونه، عندهم .[١]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار وعوامّ المسلمين ،[٢] صحيح معنياهما ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فهو مصيبٌ الحقَّ فى قراءته .

وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله ، كما أمر عباده الأنبياء .[٣] وإن أدْخَل ذلك مُدْخِلٌ فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين : « تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » ، وما أمركم به ، ففتح على ذلك « أن »،

---

(١) يعنى بقوله : « دونه عندهم » ، دون النبى صلى الله عليه وسلم ، عند من قرأ ذلك كذلك ، كما سيظهر ذلك من الآتى بعد ، انظر التعليق رقم : ٣ .

(٢) « عوام المسلمين » يعنى : عامة المسلمين ، لا يعنى « العوام » كما استعملت بمعنى : الذين لم يتعلموا العلم .

(٣) فى المطبوعة : « عباده بالأشياء » ، وهو كلام ساقط ، لم يحسن قراءة المخطوطة فغير وزاد . وفى المخطوطة : « عباده الأساء » ، وصواب قراءتها ما أثبت . ويعنى أن هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء .

فمصيب = وإن كسرها، إذ كانت «التلاوة» قولا ، وإن كان بغير لفظ « القول» لبعدها من قوله : « اتل » ، وهو يريد إعمال ذلك فيه ، فمصيبٌ = وإن كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأول و« التلاوة » ، وأن ما أُمِر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أُمِر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك، فمصيب .

٨/ ٦٦

* * *

وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي إسحق البصري: ﴿ وَأَنْ ﴾ بفتح « الألف »من « أن » وتخفيف « النون » منها ، بمعنى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » ، « وأنْ هذا صراطي » ، فخففها ، إذ كانت « أن » في قوله : « أن لا تشركوا به شيئاً » ، مخففة ، وكانت « أن » من قوله : « وأن هذا صراطي » ، معطوفة عليها ، فجعلها نظيرةَ ما عُطفت عليه .

وذلك وإن كان مذهباً ، فلا أحب القراءة به ، لشذوذها عن قراءة قرأة الأمصار، وخلاف ما هم عليه في أمصارهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ثم آتينا موسى الكتاب » ، ثم قل بعد ذلك يا محمد : آتى ربك موسى الكتابَ = فترك ذكر « قل » ، إذ كان قد تقدم في أول القصّة ما يدلّ على أنه مرادٌ فيها ، وذلك قوله[1] : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » ، فقص ما حرم عليهم وأحلّ ، ثم قال : ثم قل : « آتينا موسى »، فحذف « قل» لدلالة قوله: « قل» عليه، وأنه مراد في الكلام .

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ذلك قوله » بغير واو ، والسياق يقتضي إثباتها .

وإنما قلنا : ذلك مرادٌ فى الكلام، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا شك أنه بُعث بعد موسى بدهر طويل ، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه . ومعلوم أن موسى أوتى الكتاب من قبل أمر الله محمداً بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه . و « ثم » ، فى كلام العرب ، حرف يدلّ على أن ما بعده من الكلام والخبر ، بعد الذى قبلها .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « تماماً على الذى أحسن » .

فقال بعضهم : معناه : تماماً على المحسنين .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « تماماً على الذى أحسن »، قال : على المؤمنين .

١٤١٧٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « تماماً على الذى أحسن » ، المؤمنين والمحسنين .

* * *

=وكأنّ مجاهداً وجّه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده .

* * *

فإن قال قائل : فكيف جاز أن يقال : « على الذى أحسن » ، فيوحِّد « الذى » ، والتأويل على الذين أحسنوا ؟

قيل : إن العرب تفعل ذلك خاصة فى « الذى » وفى « الألف واللام » ، إذا أرادت به الكل والجميع ، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، [سورة العصر : ١، ٢]، وكما قالوا : « كثُر الدِّرهم فى أيدى الناس» .[1]

* * *

(١) فى المطبوعة : « أكثر الذى هم فيه فى أيدى الناس » ، وهو كلام غث لا معنى له ، زاد « فيه » على ما كان فى المخطوطة . وكان فيها : « أكثر الدرهم فى أيدى الناس » ، وصواب

وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود: أنه كان يقرأ ذلك: ﴿تَماماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾، وذلك من قراءته كذلك، يؤيد قول مجاهد .

وإذا كان المعنى كذلك، كان قوله : « أحسن » ، فعلاً ماضياً ، فيكون نصبه لذلك .

* * *

وقد يجوز أن يكون « أحسن » فى موضع خفض ، غير أنه نصب إذ كان « أفعل » ، و « أفعل » ، لا يجرى فى كلامها .[1]

فإن قيل : فبأىّ شىء خفض ؟

قيل : ردًّا على « الذى » ، إذ لم يظهر له ما يرفعه = فيكون تأويل الكلام حينئذ: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى هو أحسن ، ثم حذف « هو » ، وجاور « أحسن » « الذى » ، فعرِّب بتعريبه ،[2] إذ كان كالمعرفة ، من أجل أن « الألف واللام » لا يدخلانه ، و « الذى » مثله ، كما تقول العرب : « مررت بالذى خيرٍ منك ، وشرٍّ منك » ،[3] كما قال الراجز :[4]

٦٧/٨ إِنَّ الزُّبَيْرِيَّ الَّذِي مِثْلَ الحَلَمْ مَشَّى بِأَسْلاَبِكُمُ أَهْلَ الْعَلَمْ[5]

قراءتها ما أثبت ، أو : « ما أكثر الدرهم فى أيدى الناس » .

وقد سلف هذا البحث فيما مضى ، وفيه نحو هذا الشاهد ٤ : ٢٦٣ ، ٦/٢٧٠ : ١٢٥ .

(١) الإجراء : الصرف .

(٢) فى المطبوعة : « فعرف بتعريفه » ، وهو كلام لا معنى له ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، إذ كانت غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . و « التعريب » ، هو « الإعراب » .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٥ ، وفيها خطأ ظاهر ، لأنه كتب هناك : « مررت بالذى هو خير منك ، وشر منك » ، فزادوا « هو » ، والصواب حذفها ، فلتصحح هناك .

(٤) لم أعرفه .

(٥) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٥ ، وروايته كما فى مطبوعة المعانى :

* مَشَّى بِأَسْلاَبِكَ فِى أَهْلِ العَلَمْ *

كأنه يعنى أنه سلبه ثيابه ولبسها، وهو يمشى بها فى الناس . « ومشى » بتشديد الشين . يقال : « مشى » و « تمشى » و « مشى » بمعنى واحد .

فأتبع « مثل » « الذى »، فى الإعراب . ومن قال ذلك، لم يقل مررت : « بالذى عالمٍ » ، لأن « عالماً » نكرة، و« الذى » معرفة ، ولا تتبع نكرة معرفة . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « تماماً على الذى أحسن » ، موسى ، فيما امتحنه الله به فى الدنيا من أمره ونهيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٧٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن »، فيما أعطاه الله .

١٤١٧٤ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » ، قال : من أحسن فى الدنيا ، تمم الله له ذلك فى الآخرة .

١٤١٧٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » ، يقول : من أحسن فى الدنيا ، تمت عليه كرامة الله فى الآخرة .

* * *

وعلى هذا التأويل الذى تأوّله الربيع ، يكون « أحسن » ، نصباً ، لأنه فعل ماض ، و« الذى» بمعنى « ما » = وكأنّ الكلام حينئذ : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على ما أحسن موسى = أى : آتيناه الكتاب لأتم له كرامتى فى الآخرة ، تماماً على إحسانه فى الدنيا فى عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته .

* * *

وأما رواية أبى جعفر ، فهى بالسين لا بالشين ، لا شك فى ذلك ، كأنه يقول : صبحه بالغارة ، ثم أمسى بما سلبه عند « أهل العلم » ، وهو موضع . و « العلم » ، الجبل . و « الحلم » (بفتحتين) : القراد الصغير ، يصف هذا الزبيرى الذى سلبه ثيابه وأمواله ، بأنه قمىء قصير .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٥ .

وقال آخرون فى ذلك : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه وأياديه عندهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٧٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » ، قال : تماماً من الله وإحسانه الذى أحسن إليهم وهداهم للإسلام ، وآتاهم ذلك الكتاب تماً ، لنعمته عليهم وإحسانه .

* * *

و « أحسن » على هذا التأويل أيضاً، فى موضع نصب، على أنه فعل ماض، و« الذى » على هذا القول والقول الذى قاله الربيع ، بمعنى : « ما » .

* * *

وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك : ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنُ﴾ رفعاً = بتأويل : على الذى هو أحسن .

١٤١٧٧ — حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال، حدثنا الحجاج، عن هرون، عن أبى عمرو بن العلاء، عن يحيى بن يعمر .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها فى العربية وجه صحيح ، لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الأمصار .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قول من قال : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده ، على الذى أحسن موسى فى قيامه بأمرنا ونهينا = لأن ذلك أظهرُ معانيه فى الكلام ، وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة . فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحُسن طاعة .

* * *

ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد، كان الكلام : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسنا = أو : ثم آتى الله موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن .

وفى وصفه جل ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب ، ثم صرفه الخبر بقوله : « أحسن » إلى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين = الدليلُ الواضح على أن القول غير القول الذى قاله ابن زيد .

* * *

وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه « الذى » إلى معنى الجميع ، فلا دليل فى الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك ، بل ظاهر الكلام بالذى اخترنا من القول أشبه . وإذا تنوزع فى تأويل الكلام ، كان أولى معانيه به أغلبُه على الظاهر ، إلاّ أن يكون من العقل أو الخبر دليلٌ واضح على أنه معنىٌّ به غير ذلك . ٨/٦٨

* * *

وأما قوله : « وتفصيلاً لكل شىء » ، فإنه يعنى : وتبييناً لكل شىء من أمر الدين الذى أمروا به .[1]

* * *

= فتأويل الكلام إذاً : ثم آتينا موسى التوراة تماماً لنعمنا عنده وأيادينا قِبَله ، تتم به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربَّه وقيامه بما كلّفه من شرائع دينه ، وتبييناً لكل ما بقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم ،[2] كما : —

١٤١٧٨ — حدثنى بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وتفصيلاً لكل شىء » ، فيه حلاله وحرامه .

* * *

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١١٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « ما لقومه » باللام ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : آتينا موسى الكتاب تماماً وتفصيلاً لكل شيء = « وهدى » ، يعنى بقوله : « وهدى » ، تقويماً لهم على الطريق المستقيم ، وبياناً لهم سُبُل الرشاد لئلا يضلوا = «ورحمة» ، يقول : ورحمة منا بهم ورأفة ، لننجيهم من الضلالة وعَمى الحيرة.[1]

وأما قوله : « لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون » ، فإنه يعنى : إيتائى موسى الكتاب تماماً لكرامة الله موسى ، على إحسان موسى ، وتفصيلاً لشرائع دينه ، وهدًى لمن اتبعه ، ورحمة لمن كان منهم ضالاً لينجيه الله به من الضلالة ، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التى وعظ بها خلقه فيه ، فيرتدع عما هو عليه مقيمٌ من الكفر به ، وبلقائه بعد مماته ، فيطيع ربه ، ويصدِّق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » ، وهذا القرآن الذى أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم = « كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه » ،[2] يقول : فاجعلوه إماماً تتّبعونه وتعملون بما فيه ، أيها الناس[3] =

(١) انظر تفسير « الهدى » و « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) و (رحم) .
(٢) انظر تفسير « مبارك » فيما سلف ٧ : ٢٥/١١ : ٥٣٠
(٣) انظر تفسير « الاتباع » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) .

« واتقوا »، يقول: واحذروا الله فى أنفسكم، أن تضيعوا العمل بما فيه، وتتعدّوا حدودَه، وتستحلُّوا محارمه،[1] كما : —

١٤١٧٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك »، وهو القرآن الذى أنزله الله على محمد عليه السلام = « فاتبعوه »، يقول : فاتبعوا حلاله، وحرّموا حرامه .

* * *

وقوله : « لعلكم ترحمون »، يقول : لترحموا، فتنجوا من عذاب الله، وأليم عقابه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى العامل فى « أن » التى فى قوله : « أن تقولوا » وفى معنى هذا الكلام .

فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن »،[2] كراهيةَ أن تقولوا : « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : بل ذلك فى موضع نصب بفعل مضمر . قال : ومعنى الكلام : فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون = اتقوا أن تقولوا . قال : ومثله يقول الله:

(١) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .

(٢) أرجح أن صواب العبارة : «معنى ذلك: وهذا كتاب أنزلناه مبارك، كراهية أن تقولوا . . .» فإنه هو القول الذى اختاره أبو جعفر بعد . ولعله سهو منه أو من الناسخ .

﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ ، [سورة الحجرات : ٢] .

* * *

وقال آخرون منهم : هو فى موضع نصب . قال : ونصبه من مكانين : أحدهما : أنزلناه لئلا يقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا[1]= والآخر من قوله : « اتقوا » . قال : ولا يصلح فى موضع « أن » كقوله: ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[سورة النساء : ١٧٦] .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب،قول من قال : نصب « أن » لتعلقها : بالإنزال، لأن معنى الكلام : وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا : « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » . ٦٩/٨

* * *

فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله ، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد لئلا يقول المشركون : « لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ، ولم نؤمر ولم نُنْه ، فليس علينا حجة فيما نأتى ونَذَر، إذ لم يأتنا من الله كتاب ولا رسول » ،[3] وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا = فإنهما اليهود والنصارى ،[4] وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٨٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال . حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » ، وهم اليهود والنصارى .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إنما أنزل الكتاب على » وقطع ، وزدت بقية الآية .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٦ .

(٣) فى المطبوعة : « لم يأت » ، وفى المخطوطة مثلها ، وضرب عليها ، ووضع حرف (ط) دلالة على الخطأ أو الشك ، ورأيت قراءتها كما أثبتها ، فهذا حق السياق .

(٤) انظر تفسير « الطائفة » فيما سلف ٦ : ٥٠٠ ، ٥٠٦/٩ : ١٤١ .

١٤١٨١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا »، اليهود والنصارى . يُخاف أن تقوله قريش .

١٤١٨٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا »، قال : اليهود والنصارى . قال : أن تقول قريش .

١٤١٨٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » ، وهم اليهود والنصارى .

١٤١٨٤ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » ، أما « الطائفتان » ، فاليهود والنصارى .

* * *

وأما « وإن كنا عن دِرَاستهم لغافلين »، فإنه يعني : أن تقولوا : وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتابَ الذى أنزلتُ عليهم[1]=«غافلين »، لا ندرى ما هى ،[2] ولا نعلم ما يقرأون وما يقولون ، وما أنزل إليهم فى كتابهم، لأنهم كانوا أهله دوننا ، ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه، ولا هو بلساننا ، فيتخذوا ذلك حجة . فقطع الله بإنزاله القرآنَ على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك .[3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٨٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

(١) انظر تفسير « الدراسة » فيما سلف ٦ : ٥٤٦/١٢:٢٥ — ٣١

(٢) فى المخطوطة : « ما هم » ، ويؤيد ما فى المطبوعة ، ما سيأتى بعد فى رقم : ١٤٢٨٨ .

(٣) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفل) .

معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين » ، يقول : وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين .

١٤١٨٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين» ، أى : عن قراءتهم .

١٤١٨٧ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين » ، قال « الدراسة » ، القراءة والعلم . وقرأ : ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٦٩] . قال : علموا ما فيه ، لم يأتوه بجهالة .

١٤١٨٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين » ، يقول : وإن كنا عن قراءتهم لغافلين ، لا نعلم ما هى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » ، لئلا يقول المشركون من عبدة الأوثان من قريش : « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا »، أو : لئلا يقولوا : لو أنّا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا، فأمرنا فيه ونُهينا ، وبُيِّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه= « لكنا أهدى منهم» ، أى : لكنا أشدّ استقامة على طريق الحق ، واتباعاً للكتاب ،

وأحسن عملاً بما فيه ، من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا .[1]

يقول الله : « فقد جاءكم بينة من ربكم » يقول : فقد جاءكم كتابٌ بلسانكم عربيّ مبين ، حجة عليكم واضحة بيّنة من ربكم[2] = « وهدى » ، يقول : وبيان للحق ، وفُرْقانٌ بين الصواب والخطأ = « ورحمة » لمن عمل به واتّبعه ، كما : — ٧٠/٨

١٤١٨٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أوتقولوا لوأنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم » ، يقول : قد جاءكم بينة ، لسانٌ عربى مبين ، حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين ، وحين قلتم : لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم .

١٤١٩٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم » ، فهذا قول كفار العرب = « فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : فمن أخطأ فعلاً وأشدّ عدواناً منكم ، أيها المشركون المكذبون بحجج الله وأدلته = وهى آياته[3] = « وصدف عنها » ، يقول : وأعرض عنها بعد ما أتته ، فلم يؤمن بها ، ولم يصدّق بحقيقتها .

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
(٢) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .
(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله : « فمن أظلم ممن كذب بآيات الله » ، مخرج الخبر عن الغائب ، والمعنىّ به المخاطَبون به من مشركى قريش .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « وصدف عنها » ، قال أهل التأويل .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وصدف عنها » ، يقول : أعرض عنها .

١٤١٩٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يصدفون عن آياتنا » ، يعرضون عنها ، و« الصدف » الإعراض .

١٤١٩٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وصدف عنها » ، أعرض عنها = « سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » ، أى : يعرضون .

١٤١٩٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وصدف عنها » ، فصدّ عنها .

* * *

وقوله : « سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب » ، يقول : سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ، [2] ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله ، وحقيقة نبوة نبيه ، [3] وصدق ما جاءهم به من عند

= وتفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أى) .

(١) انظر تفسير « صدف » فيما سلف ١١ : ٣٦٦ .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٣) فى المطبوعة : « وحقية نبوة نبيه » ، فعل بها ما فعل بأخواتها من قبل . انظر ما سلف ١١ : ٤٧٥ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك و « حقيقة » مصدر بمعنى « حق » .

ربهم = « سوء العذاب » ، يقول : شديد العقاب ، وذلك عذاب النار التى أعدها الله لكفرة خلقه به = « بما كانوا يصدفون » ، يقول : يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته فى الدنيا ، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام[1] = « إلاّ أن تأتيهم الملائكة » ، بالموت فتقبض أرواحهم = أو أن يأتيهم ربك ، يا محمد ، بين خلقه فى موقف القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » ، يقول : أو أن يأتيهم بعضُ آيات ربك . وذلك فيما قال أهل التأويل : طلوعُ الشمس من مغربها .

* ذكر من قال من أهل التأويل ذلك :

١٤١٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تأتيهم الملائكة » ، يقول : عند الموت ، حين توفّاهم = « أو يأتى ربك » ، ذلك يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » ، طلوع الشمس من مغربها .

١٤١٩٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلاّ أن تأتيهم الملائكة » ، بالموت = « أو يأتى ربك » ، ٧١/٨

(١) انظر تفسير « فطر » فيما سلف ١ : ٤٦٧ — ٤٦٩ / ٨ : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك »،قال : آية موجبة ، طلوع الشمس من مغربها ، أو ما شاء الله .

١٤١٩٧ ــ حدثنا بشر قال،حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، ، عن قتادة قوله : « هل ينظرون إلاأن تأتيهم الملائكة »،يقول : بالموت = « أو يأتى ربك »، وذلك يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » .

١٤١٩٨ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى: « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة »،عند الموت = أو يأتى ربك = « أو يأتى بعض آيات ربك » ،يقول: طلوع الشمس من مغربها.

١٤١٩٩ ــ حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا،حدثنا جرير ،عن منصور ، عن أبى الضحى، عن مسروق قال ، قال عبد الله فى قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك » ، قال : يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب، كالبعيرين القَرِينين = زاد ابن حميد فى حديثه : « فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قَبْل أو كسبت فى إيمانها خيراً » ، = وقال : « كالبعيرين المقترنين » .[1]

١٤٢٠٠ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة »،تقبض الأنفس بالموت= « أو يأتى ربك » ، يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » .

---

(١) الأثر : ١٤١٩٩ – خبر عبد الله بن مسعود ، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وهذا إسناد صحيح . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٢ وقال : « رواه الطبرانى من طريقين ، إحداهما هذه ، وفيها عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم ، وهو ضعيف . والأخرى مختصرة، ورجالها ثقات » ، قلت : كأنه يعنى هذه الطريق ، أو غيرها من الطرق الآتية بعد .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، ونسبه إلى سعيد بن منصور ، والفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والطبرانى . وأغفل ما أخرجه ابن جرير .

ثم انظر خبر ابن مسعود من طرق كثيرة أخرى من رقم : ١٤٢٢٧ – ١٤٢٣٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: « يوم يأتى بعض آيات ربك »، لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله، أن يؤمن بعد مجىء تلك الآية .

* * *

وقيل : إن تلك الآية التى أخبر الله جل ثناؤه أن الكافر لا ينفعه إيمانه عند مجيئها : طلوعُ الشمس من مغربها .

* ذكر من قال ذلك، وما ذكر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤٢٠١ — حدثنى عيسى بن عثمان الرملى قال، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن أبى ليلى ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها »، قال : طلوع الشمس من مغربها .(١)

---

(١) الأثران : ١٤٢٠١ ، ١٤٢٠٢ — حديث أبى سعيد الخدرى ، مروى من طريقين ، هذا والذى يليه .

« عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى » ، شيخ الطبرى ، صالح الحديث ، مضى برقم : ٣٠٠ .
و « يحيى بن عيسى التميمى » ، عم « عيسى بن عثمان » ، وهو ثقة . مضى برقم : ٣٠٠ ، ٦٣١٧ ، ٩٠٣٥ .

و « ابن أبى ليلى » ، هو « محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى » ، كان فقيهاً صدوقاً ، غير أنه كان سيء الحفظ مضطرب الحديث . تركه أحمد . مضى برقم : ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٣١ ، ٣٩١٤ ، ٥٤٣٤ .

و « عطية » ، هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفى » ، مضى تضعيفه فى رقم : ٣٠٥ . وكان لعطية عن أبى سعيد الخدرى أحاديث عدة ، قال ابن حبان : سمع من أبى سعيد « الخدرى » ، أحاديث ، فلما مات ، جعل يجالس الكلبى . . . فإذا قال الكلبى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا . . . فيحفظه ، وكناه أبا سعيد ، ويروى عنه . فإذا قيل له من حدثك بهذا فيقول : « حدثنى أبو سعيد » ، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدرى ، وإنما أراد الكلبى . قال : لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٣١ ، بالإسناد الثانى ، ورواه به أيضاً الترمذى فى كتاب التفسير وقال : « هذا حديث غريب . ورواه بعضهم ولم يرفعه » .

١٤٢٠٢ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله .

١٤٢٠٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن فضيل وجرير ، عن عمارة، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . قال : فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فتلك، «حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً» .(١)

١٤٢٠٤ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى وإسحق بن شاهين قالا،

وهو خبر ضعيف الإسناد .

(١) الأثر : ١٤٢٠٣ - خبر أبى هريرة ، رواه أبو جعفر من طرق .

الأولى : من طريق : عمارة ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة ، برقم ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ .

الثانية : من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، برقم : ١٤٢١٠ ، ١٤٢٣٦ .

الثالثة : من طريق : ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة برقم : ١٤٢١١ .

الرابعة : من طريق : أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة : ١٤٢٢٠ .

الخامسة : من طريق جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز ، عن أبى هريرة برقم: ١٤٢١٩ .

السادسة : من طريق ابن جريج ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة برقم : ١٤٢٢٥ .

السابعة : من طريق أبى حازم ، عن أبى هريرة ، رقم ١٤٢٤٧ ، وهو بغير هذا اللفظ .

ولتفرق هذه الآثار ، سأجمع كل متشابهين فى التخريج فى مكان واحد . فهذا الأثر رقم : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ رواه البخارى من هذه الطريق نفسها (الفتح ٨ : ٢٢٣/١١ : ٣٠٤) ، ورواه مسلم فى صحيحه ٢ : ١٩٤ ، ورواه أحمد رقم : ٧١٦١ ، وأبو داود فى سننه ٤ : ١٦٣ ، وابن ماجة ص : ١٣٥٢ ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٣ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وعبد الرزاق ، والنسائى ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث ، والطبرانى ، وابن أبى عدى .

و « عمارة » هو « عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبى » ، روى له الجماعة ، ثقة مترجم فى التهذيب .

و « أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى » ، مضى رقم ٤٨٤١ ، ٨١٥٥ ، ٩١٦١ .

وهذا حديث صحيح الإسناد

أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان ، عن يونس ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوماً : أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : إنها تذهب إلى مستقرِّها تحت العرش ، فتخرُّ ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : « ارتفعى من حيث شئت »، فتصبح طالعة من مطلعها . ثم تجرى إلى أن تنتهى إلى مستقرٍّ لها تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فلاتزال كذلك حتى يقال لها : « ارتفعى من حيث شئت » ، فتصبح طالعةً من مطلعها . ثم تجرى لا ينكر الناسُ منها شيئاً ، حتى تنتهى فتخرّ ساجدة فى مستقر لها تحت العرش ، فيصبح الناسُ لا ينكرون منها شيئاً ، فيقال لها : « اطلعى من مغربك » ، فتصبح طالعة من مغربها . قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : أتدرون أىّ يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: ذاك يومَ « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .(١) ٧٢/٨

١٤٢٠٥ — حدثنا مؤمل بن هشام ويعقوب بن إبراهيم قالا ،حدثنا ابن علية

---

(١) الأثر : ١٤٢٠٤ ، ١٤٢٠٥ — حديث أبي ذر الغفارى ، رواه من طرق مطولا ومختصراً ، هذان ، ثم من رقم ١٤٢٢١ — ١٤٢٢٣ ، وسأذكرها مفرقة .

« عبد الحميد بن بيان السكرى ، القناد » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً ، آخرها ١٠١٥٤ ، وكان فى المطبوعة هنا « اليشكرى » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

و « إسحق بن شاهين الواسطى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ .

و « خالد بن عبد الله الطحان » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٥٠٤ .

و « يونس » ، هو « يونس بن عبيد بن دينار العبدى » ، مضى أيضاً بأرقام آخرها : ١٠٥٧٤ .

و « إبراهيم التّيمى »، هو « إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى » تابعى،ثقة . مضى بأرقام آخرها : ١٠٢٨٤ .

وأبو « يزيد بن شريك التيمى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٩٩٨ .

وهو خبر صحيح الإسناد . رواه البخارى (الفتح ٦ : ٨/٢١٤ : ٤١٦) ، ورواه مسلم ٢ : ١٩٥ ، ١٩٦ ، والطيالسى : ٦٢ ، والترمذى فى التفسير ، وفى الفتن . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٤ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبى داود ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهق . وقد استوفى شرحه فى الفتح (٨ : ٤١٦) .

عن يونس ، عن إبراهيم بن يزيد التيمى ، عن أبيه ، عن أبى ذر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(١)

١٤٢٠٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل ، عن عاصم، عن زر ، عن صفوان بن عسّال قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ من قِبَل مغرب الشمس باباً مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه . فإذا طلعت الشمس من نحوه، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت فى إيمانها خيراً .(٢)

١٤٢٠٧ — حدثنا المفضل بن إسحق قال ، حدثنا أشعث بن عبد الرحمن ابن زبيد الإياميّ ، عن أبيه ، عن زبيد ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال المرادى قال : ذكرت التوبة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: للتوبة بابٌ بالمغرب مسيرة سبعين عاماً = أو : أربعين عاماً = فلا يزال كذلك حتى يأتى بعض آيات ربك .(٣)

---

(١) الأثر : ١٤٢٠٥ — إسناده صحيح ، مكرر الذى قبله .

(٢) الأثر : ١٤٢٠٦ — حديث « صفوان بن عسال المرادى » صاحب رسول الله ، رواه أبو جعفر من طريقين .

الأول : من طريق عاصم بن أبى النجود (عاصم بن بهدلة) ، عن زر ، عن صفوان ، رقم ١٤٢٠٦ ، ١٤٢٠٨ ، ١٤٢١٦ — ١٤٢١٨ ، ١٤٢٤٢ .

الثانى : من طريق زبيد الإيامى ، عن زر ، عن صفوان رقم : ١٤٢٠٧ .

والخبر ، رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٤٠ ، والطيالسى : ١٦٠ ، وابن ماجة ص : ١٣٥٣ ، والترمذى ، والنسائى . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٥ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٩ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، والطبرانى ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، والبيهقى ، وابن مردويه . وقال ابن كثير : « صححه النسائى » .

ورواه البخارى فى التاريخ الكبير ٢/٢/٣٠٥ ، من طريق عبد الرحمن بن مرزوق ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، ثم قال : « لا يعرف سماع عبد الرحمن ، من زر » .

(٣) الأثر : ١٤٢٠٧ — « المفضل بن إسحق » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ترجمة .

« أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد الإيامى » ، ويقال : « اليامى » أيضاً . ذكره ابن حبان فى الثقات ، وأخرج له ابن خزيمة فى صحيحه ، وقال أبو حاتم : « محله الصدق » ، أما النسائى

١٤٢٠٨ — حدثني محمد بن عمارة قال ، حدثنا سهل بن عامر قال ، حدثنا مالك ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال أنه قال : إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين عاماً ، فإذا طلعت الشمس من مغربها ، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.(١)

١٤٢٠٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت ورآها الناس ، آمن مَنْ عليها ، فذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .(٢)

١٤٢١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلعَ الشمس من مغربها ، فيومئذ يؤمن

فقال : « ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه » قال ابن عدي : « أفرط النسائي في أمره ، وقد تبحرت حديثه ، فلم أر له حديثاً منكراً » .

وكان في المطبوعة : « اليامي » ، وأثبت ما في المخطوطة .

وأبوه : « عبد الرحمن بن زبيد الإيامي » ، روى عنه يحيى بن عقبة بن أبي العيزار . قال البخاري : «منكر الحديث » . وقيل : «النكارة هي من يحيى »، نقل عن البخاري أيضاً . قال الحافظ في لسان الميزان : « وهذا إنما قاله البخاري في يحيى الراوي عنه . وأما « عبد الرحمن » ، فذكره ابن حبان في الثقات .

وأما أبوه « زبيد بن الحارث الإيامي » ، فهو ثقة ، مضى برقم : ١٨٠ ، ٢٥٢١ ، ٥٤٢٠.

و « زر بن حبيش » ، مضى مراراً .

ولم أجد الخبر من هذه الطريق ، في شيء مما بين يدي من الكتب .

(١) الأثر : ١٤٢٠٨ — « محمد بن عمارة الأسدي » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً .

« سهل بن عامر البجلي » ، ضعيف جداً ، منكر الحديث . مضى برقم : ١٩٧١ ، ٥٤٣١ ، ٦٣١٣ .

و « مالك » هو « مالك بن مغول بن عاصم البجلي » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٣١ ، ١٠٨٧٢ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لضعف « سهل بن عامر البجلي » .

(٢) الأثر : ١٤٢٠٩ — مكرر الذي سلف برقم : ١٤٢٠٣ .

الناس كلهم أجمعون ، وذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .[١]

١٤٢١١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة قال : التوبة مقبولة ، ما لم تطلع الشمس من مغربها .[٢]

١٤٢١٢ — حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن مالك بن يخامر ، عن معاوية بن أبى سفيان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت ، طُبِع على كل قلب بما فيه ، وكُفِىَ الناسُ العمل .[٣]

١٤٢١٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو أسامة وجعفر بن عون ، بنحوه .

---

(١) الأثر : ١٤٢١٠ — هذه هى الطريق الثانية لأثر أبى هريرة ، كما سلف فى صدر التعليق على رقم : ١٤٢٠٣ .

« خالد بن مخلد القطوانى » ، ثقة من شيوخ البخارى ، مضى برقم ٢٦٠٦ ، ٤٥٧٧ ، ٨١٦٦ ، ٨٣٩٧ .

و « محمد بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ٢٦٠٦ ، ٨٣٩٧ .

و « العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٢١ . وأبوه « عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، ثقه ، مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ٢ : ١٩٤ ، من طريق يحيى بن أيوب ، وقتيبة بن سعيد ، وعلى بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر (أخو محمد بن جعفر رواى هذا الخبر) ، عن العلاء ابن عبد الرحمن .

وهو حديث صحيح الإسناد .

(٢) الأثر : ١٤٢١١ —
هذه هى الطريق الثالثة من طرق حديث أبى هريرة ، كما سلف فى رقم : ١٤٢٠٣ . « ابن عون » ، هو « عبد الله بن عون المزنى » الفقيه ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٠٥٥٩ . وكان فى المطبوعة : « عن أبى عون » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

وهذا إسناد صحيح أيضاً . ، أجده فى غير التفسير

(٣) الأثر ١٤٢١٢ — « أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذى » ، الحافظ ، شيخ

١٤٢١٤ - حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن أبي حيان التيمي ، عن أبي زرعة قال : جلس ثلاثة من المسلمين إلى مروان بن الحكم بالمدينة ، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات : أن أولها خروجاً الدجالُ ، فانصرف القوم إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بذلك ، فقال : لم يقل مروان شيئاً ! قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيئاً لم أنسَه ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أوّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، أو خروج الدابة على الناس ضُحًى ، أيَّتهما ما كانت قبل صاحبتها ،[1] فالأخرى على أثرها قريباً . ثم قال عبد الله بن عمرو ، وكان يقرأ الكتب : أظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع ، فيؤذن لها فى الرجوع ، حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها ، فعلت ٧٣/٨

الطبرى ، مضى برقم : ٧٤٨٩ .

و « سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى التميمى الدمشقى » ، قال ابن معين : « ثقة ، إذا روى عن المعروفين » ، وقال ابن حبان : « يعتبر حديثه إذا روى عن الثقات المشاهير ، فأما إذا روى عن المجاهيل ، ففيها مناكير » . مترجم فى التهذيب .

و « ابن عياش » ، هو « إسماعيل بن عياش بن سلم العنسى » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى برقم : ٥٤٤٥ ، ٨١٦٤ ، ١٠٣٧٥ ، ١٠٧٣٠ ، ١١١٠٨ .

و « ضمضم بن زرعة بن ثوب الحميرى » ، ثقة ، وضعفه بعضهم مضى برقم : ٥٤٤٥ .

و « شريح بن عبيد بن شريح الحضرمى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٥٤٤٥ ، ١٢١٩٤ .

و « مالك بن يخامر السكسكى » ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، مختصر خبر رواه أحمد فى مسنده رقم : ١٦٧١ ، من طريق الحكم ابن نافع : « عن إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، يرده إلى مالك بن يخامر ، عن ابن السعدى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل . فقال معاوية ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الهجرة خصلتان : إحداهما أن تهجر السيئات ، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة . . . » إلى آخر الخبر . وهو فى حديث معاوية من المسند ٥ : ٢٧٠ من غير هذه الطريق ، بغير هذا اللفظ . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥ : ٢٥٠ ، وانظر تخريج أخى السيد أحمد فى المسند : ١٦٧١ .

وسيأتى بإسناد آخر رقم : ١٤٢١٣ .

(١) فى المطبوعة : « أيتها كانت » بغير « ما » ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، ومسند أحمد .

كما كانت تفعل ، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع ، فلمْ يردَّ عليها شيئاً ،[١] فتفعل ذلك ثلاث مرات ، لا يردّ عليها بشىء . حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق ، قالت : « ما أبعدَ المشرق ! ربِّ ، منْ لى بالناس » ! حتى إذا صار الأفق كأنه طَوْق ، استأذنت فى الرجوع ، فقيل لها : « اطلعى من مكانك » ، فتطلع من مغربها . ثم قرأ : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، إلى آخر الآية .[٢]

١٤٢١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو ربيعة فهد قال ، حدثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد أبى حيان ، عن الشعبى : أن ثلاثة نفرٍ دخلوا على مروان

---

(١) فى المخطوطة : « وذلك دانها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع ، فلم يرد عليها شيئاً » ، أسقط ما بين الكلام ، وأثبته ناشر المطبوعة الأولى من الدر المنثور فيما أرجح ، ومثله فى مسند أحمد . وكان فى المخطوطة : « وذلك داها » غير منقوطة ، صواب قراءتها ما فى المطبوعة والمسند .

(٢) الأثر : ١٤٢١٤ — حديث عبد الله بن عمرو ، رواه مطولا من طريقين ، هذا والذى يليه ، ورواه مختصراً برقم ١٤٢٢٦ — ١٤٢٤٣ .

« أبو حيان التيمى » هو : « يحيى بن سعيد بن حيان التيمى » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٠٨٨٣ .

و « أبو زرعة بن عمرو بن جرير » ، ثقة ، مضى قريباً رقم : ١٤٢٠٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى المسند رقم : ٦٨٨١ ، من هذه الطريق نفسها ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ : ٨ ، ٩ ، وقال : « فى الصحيح طرف من أوله ، رواه أحمد ، والبزار ، والطبرانى ، فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، بنحوه ، من طريق جعفر بن عون العمرى ، عن أبى حيان التيمى ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى غير مصرح بالموافقة .

وروى الحاكم أيضاً فى المستدرك ٤ : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، حديث عبد الله بن عمرو هذا بزيادة واختلاف ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن إسحق بن وهب ، عن جابر الخيوانى ، قال : « كنت عند عبد الله بن عمرو ، فقدم عليه قهرمان من الشام ، وقد بقيت ليلتان من رمضان . . . » وساق الخبر ، ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٦ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، ومسلم ، وأبى دواد ، وابن ماجة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهق . والذى رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجة ، هو المختصر ، لا هذا المطول .

ابن الحكم ، فذكر نحوه ،عن عبد الله بن عمرو . (١)

١٤٢١٦ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، سمعت عاصم بن أبي النجود ، يحدث عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين عاماً ، لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه . (٢)

١٤٢١٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن حجاج ، عن عاصم، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال قال : إذا طلعت الشمس من مغربها ، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (٢) .

١٤٢١٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو ربيعة فهد قال، حدثنا عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش قال : غَدَوْتُ إلى صفوان بن عسال فقال :إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب ، عرضه مسيرة سبعين عاماً، فلا يزال مفتوحاً حتى تطلع من قبله الشمس . ثم قرأ : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك » ، إلى « خيراً » . (٣)

١٤٢١٩ — حدثني الربيع بن سليمان قال، حدثنا شعيب بن الليث قال ،

---

(١) الأثر : ١٤٢١٥ — هذه طريق أخرى للخبر السالف ، وهو ضعيف إسناده . « أبو ربيعة » ، لقبه « فهد » ، واسمه « زيد بن عوف القطعى » ، متروك ، قال البخارى : « سكتوا عنه » ، واتهمه أبو زرعة بسرقة حديثين ، كما هو مفصل فى ابن أبى حاتم . مترجم فى الكبير ٣٦٩/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٥٧٠/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٦٤ ، ولسان الميزان ٢ : ٥٠٩ .

(٢) الأثر : ١٤٢١٦ ، ١٤٢١٧ — طريقان من طرق حديث صفوان ، السالف تخريجه رقم : ١٤٢٠٦ — ١٤٢٠٨ .

ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، فى حديث طويل .

(٣) الأثر : ١٤٢١٨ — طريق من طرق حديث صفوان السالف تخريجه رقم : ١٤٢٠٦ — ١٤٢٠٨ ، ولكن هذا الإسناد ضعيف ، لضعف « أبى ربيعة ، فهد » ، وقد مضى فى رقم : ١٤٢١٥ .

حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز : أنه قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب . قال : فإذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم ، وذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ». (١)

١٤٢٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قُبِل منه . (٢)

١٤٢٢١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا فهد قال، حدثنا حماد، عن يونس ابن عبيد ، عن إبراهيم بن يزيد التيمى ، عن أبي ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الشمس إذا غربت أتت تحت العرش فسجدت ، فيقال لها : « اطلعى من حيث غربت » ، ثم قرأ هذه الآية : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة »، إلى آخر الآية . (٣)

---

(١) الأثر : ١٤٢١٩ —
هذه هى الطريق الخامسة لحديث أبي هريرة المذكورة فى رقم : ١٤٢٠٣
« شعيب بن الليث بن سعد المصرى » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ٣٠٣٤ ، ٥٣١٤ .
و « الليث بن سعد المصرى » ، الإمام المشهور ، مضى مراراً .
و « جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندى » المصرى ، ثقة ، مضى برقم ٥٠٠٥ ، ٦٨٩٧ .
و « عبد الرحمن بن هرمز » الأعرج ، مضى مراراً .
وهذا الخبر رواه البخارى (الفتح ١١ : ٣٠٣/١٣ : ٧٢) ، من طريق أبي اليمان ، عن شعيب ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة .

(٢) الأثر : ١٤٢٢٠ — هذه هى الطريق الرابعة لخبر أبي هريرة ، المذكور فى رقم : ١٤٢٠٣ .
رواه أحمد فى المسند برقم ٧٦٩٧ ، ورواه مسلم فى صحيحه من هذه الطريق ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك .

(٣) الأثر : ١٤٢٢١ — هذه إحدى الطرق الخمس ، لحديث أبي ذر التى ذكرتها فى تخريج الخبر رقم : ١٤٢٠٤
وفى إسناد هذا الخبر انقطاع ، فإن إبراهيم التيمى ، لم يرو عن أبي ذر ، قال أحمد : « لم يلق أبا ذر » ، ولعل هذا المنقطع هو سبب قول مسلم فى رواية هذا الحديث ٢ · ١٩٥ : « يونس ،

١٤٢٢٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : كنت رِدْفَ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمارٍ ، فنظر إلى الشمس حين غربت فقال : إنها تغرب فى عين حامية ،[1] تنطلق حتى تخرّ لربها ساجدة تحت العرش ، حتى يأذن لها ، فإذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها، فتقول : يا ربِّ ، إن مسيرى بعيد ! فيقول لها : اطلعى من حيث غربت ! فذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .[2]

٧٤/٨

١٤٢٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة، عن موسى بن المسيب ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : نظر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً إلى الشمس فقال : يوشك أن تجيء حتى تقف بين يدى الله ، فيقول : « ارجعى من حيث جئت » ! فعند ذلك : « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .[3]

عن إبراهيم بن يزيد التيمى ، سمعه فيما أعلم ، عن أبيه ، عن أبي ذر » .
فهذا إسناد ضعيف لانقطاعه .

وهو أيضاً إسناد ضعيف ، لضعف « فهد » ، وهو « أبو ربيعة » ، « زيد بن عوف » ، مضت ترجمته فى رقم : ١٤٢١٥ ، ١٤٢١٨ .

وكان فى المخطوطة : « يوسف بن عبيد » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(١) فى المطبوعة : « فى عين حمئة » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « الحمئة » : ذات الحمأة ، وهى الطين الأسود المنتن . و « الحامية » الحارة ، وآية سورة الكهف ٨٦ : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » ، قرئت أيضاً « حامية » ، قال أبو جعفر فى تفسيره ١٦ : ١٠ (بولاق) : أنهما : « قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ، ومعنى مفهوم » .

(٢) الأثر : ١٤٢٢٢ –
هذه إحدى الطرق الخمس المذكورة فى رقم : ١٤٢٠٤ . « سفيان بن حسين الواسطى » ، ثقة ، تكلموا فى حديثه عن الزهرى . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٢٨٥ .

و « الحكم » ، هو « الحكم بن عتيبة الكندى » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٠٨٥ .

(٣) الأثر : ١٤٢٢٣ – هذه آخر طرق حديث أبي ذر المذكورة فى رقم : ١٤٢٠٤ .

١٤٢٢٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » ، فهو أنه لا ينفع مشركاً إيمانه عند الآيات ، وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا اكتسبوا خيراً قبل ذلك . قال ابن عباس : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً من العشيّات فقال لهم : يا عباد الله، توبوا إلى الله، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قِبَل المغرب ، فإذا فعلت ذلك، حُبِسَت التوبة ، وطُوِيَ العمل ، وخُتِم الإيمان .[١] فقال الناس : هل لذلك من آية يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آية تلكم الليلة ، أن تطول كقدر ثلاث ليال ، فيستيقظ الذين يخشون ربّهم ، فيصلُّون له ، ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ، ثم يأتون مضاجعهم فينامون . حتى إذا استيقظوا والليل مكانه ، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون بين يدى أمرٍ عظيم .[٢] فإذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس ، فبينا هم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب ، فإذا فعلت ذلك لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل .[٣]

١٤٢٢٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة : أنه سمعه يقول : قال

« عبدة » ، هو « عبدة بن سليمان الكلابي » ، ثقة من شيوخ أحمد . مضى مراراً ، آخرها : ٨٣١٥ .

و « موسى بن المسيب الثقفي » ويقال : « موسى بن السائب » ، لم يذكر البخاري فيه جرحاً ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أحمد : « ما أعلم إلا خيراً » ، وضعفه الأزدي . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٩٤ ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٦١ .

(١) في المخطوطة : « وطوى العمل ، وختم العمل » ، وصححه الناشر الأول من الدر المنثور .

(٢) في المطبوعة ، والدر المنثور : « خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم » ، وما في المخطوطة مستقيم .

(٣) الأثر : ١٤٢٢٤ — « محمد بن سعد العوفي » ، وسلسلة إسناده ، شرحها أخي السيد أحمد في التعليق على الأثر رقم : ٣٠٥ ، وكل رواته ضعفاء .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا كلهم أجمعون ، فيومئذ « لا ينفع نفساً إيمانها » ، الآية . (١)

١٤٢٢٦ — وبه قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني ابن أبي عتيق ، أنه سمع عبيد بن عمير يتلو : « يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها » ، قال ، يقول : [كنّا] نُحدَّث ، والله أعلم ، أنها الشمس تطلع من مغربها = قال ابن جريج ، وأخبرني عمرو بن دينار : أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك = قال ابن جريج ، وأخبرني عبد الله بن أبي مليكة : أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الآية التي لا ينفع نفساً إيمانها ، إذا طلعت الشمس من مغربها . = قال ابن جريج : وقال مجاهد ذلك أيضاً . (٢)

١٤٢٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن مسعود : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : طلوع الشمس من مغربها . (٣)

---

(١) الأثر : ١٤٢٢٥ — هذه هي الطريق السادسة من طرق حديث أبي هريرة ، التي ذكرتها في صدر التعليق على رقم : ١٤٢٠٣ .

« صالح مولى التوأمة » هو « صالح بن نبهان » . مضى برقم : ١٠٢٠ ، ٣٩٥٩ ، ثقة ، ولكنهم تكلموا فيه من قبل خرف أصابه فاختلط ، فقال أحمد : « من سمع منه قديماً فذاك » ، وابن جريج أحد القدماء الذين رووا عنه ، فحديثه هذا لا بأس به .

ولم أجد الخبر في مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٤٢٢٦ — هذه طريق أخرى لخبر عبد الله بن عمرو بن العاص ، مختصر الخبر السالف رقم : ١٤٢١٢ ، وهو من طريق ابن جريج ، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، وهو إسناد صحيح .

(٣) الأثر : ١٤٢٢٧ ، ١٤٢٢٨ — خبر عبد الله بن مسعود ، رواه الطبري آنفاً من طريق رقم : ١٤١٩٩ ، ثم رواه هنا من طرق ، من رقم ١٤٢٢٧ — ١٤٢٣٤ ، ١٤٢٣٩ ، وهذا بيان طرقه .

الأولى : من طريق أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤١٩٩ ، ثم ١٤٢٣٠ ، ١٤٢٣٢ ، ١٤٢٣٣ .

الثانية : من طريق قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤٢٢٧ ، ١٤٢٢٨ ، ١٤٢٣١ .

١٤٢٢٨ — حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت قتادة يحدث ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية : « يوم يأتى بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .

١٤٢٢٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن ابن سيرين قال ، حدثنى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : كان عبد الله بن مسعود يقول : ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع : طلوع الشمس من مغربها ، ودابة الأرض ، والدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والآية التى تختم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها . ألم تر أن الله قال : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » ، قال : فهى طلوع الشمس من مغربها .(١) ٨/٧٥

الثالثة : من طريق ابن سيرين ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤٢٢٩ .

الرابعة : من طريق أشعث بن أبى الشعثاء ، عن أبى الشعثاء ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤٢٣٤ ، ١٤٢٣٩ .

وهذا الخبر من الطريق الثانية .

« زرارة أوفى الحرشى » القاضى ، ثقة ، روى له أصحاب الكتب الستة . ولكنه لم يسمع من ابن مسعود ، كما قال أبو داود الطيالسى ، فهذا إسناد ضعيف لانقطاعه .

وانظر تخريج الأثر السالف رقم : ١٤١٩٩ .

(١) الأثر : ١٤٢٢٩ — هذه هى الطريق الثالثة لخبر ابن مسعود ، كما ذكرت فى التعليق على الأثرين السالفين .

و « عبد الوهاب » هو « عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٠٧٢٩ .

و « عوف » هو « عوف بن أبى جميلة العبدى » ، « عوف الأعرابى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٥٤٧٣ — ٥٤٧٧ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عبد الوهاب بن عوف ، عن ابن سيرين » ، وهو لا يصح ، خطأ محض . وسيتبين ذلك فيما بعد .

« ابن سيرين » هو « أنس بن سيرين الأنصارى » ، كما يتبين من إسناد الحاكم فى المستدرك ، ولكن ابن كثير فى تفسيره صرح بأنه « عن محمد بن سيرين » ، وكلاهما روى عنه عوف الأعرابى ، والأرجح أن هذا الحديث من حديث « محمد بن سيرين » .

١٤٢٣٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : قال عبد الله : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر ، كأنهما بعيران مقرونان .[1]

١٤٢٣١ – ....قال شعبة، وحدثنا قتادة، عن زرارة، عن عبد الله بن مسعود : « يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .[2]

١٤٢٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود : « يوم يأتي بعض آيات ربك »، قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر ، كالبعيرين المقترنين .[3]

١٤٢٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن منصور والأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله: « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها »، قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كالبعيرين القرينين .[3]

و « أنس بن سيرين الأنصاري » ، كان ثقة قليل الحديث ، وهو أخو « محمد بن سيرين » ، وأنس دون أخيه محمد، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٣ ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٨٧ .

و « أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٠٣٥٥ ، وقد سلف مراراً أنه لم يدرك أن يروي عن أبيه عبد الله بن مسعود .

فهذا إسناد منقطع .

وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٥٤٥ ، من طريق سفيان ، عن عوف ، عن أنس ابن سيرين، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن عبد الله بن مسعود . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » وقال الذهبي : « صحيح » . ولكن علته انقطاعه كما بينت .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٤٣٧ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٥٩ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد . وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٤٢٣٠ – هذه رواية الطريق الأولى لحديث ابن مسعود التي سلف بيانها في تخريج الخبر رقم : ١٤٢٢٧ ، وسلف تخريجها في رقم : ١٤١٩٩ .

(٢) الأثر : ١٤٢٣١ – هذه رواية الطريق الثانية لحديث ابن مسعود ، وسلف تخريجه وبيان انقطاع إسناده فيما سلف رقم ١٤٢٢٧ .

(٣) الأثر : ١٤٢٣٢ ، ١٤٢٣٣ – هاتان روايتان من الطريق الأولى لحديث ابن مسعود كما بينته في رقم ١٤٢٢٧ ، وهو صحيح الإسناد كما سلف في رقم : ١٤١٩٩.

١٤٢٣٤ — ... وقال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، وأبيه ، عن أشعث بن أبى الشعثاء ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها .(١)

١٤٢٣٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول : لا يزال باب التوبة مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رأى الناس ذلك آمنوا ، وذلك حين «لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .(٢)

١٤٢٣٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا عبد الله بن جعفر قال ، حدثنا العلاء ابن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت آمن الناس كلهم ، فيومئذ « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .(٣)

١٤٢٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير : « يوم يأتى بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .

---

(١) الأثر : ١٤٢٣٤ — هذه الطريق الرابعة لحديث ابن مسعود ، وسيأتى أيضاً برقم : ١٤٢٣٩ .

« أشعث بن أبى الشعثاء » ، هو « أشعث بن سليم بن أسود المحاربى » ، ثقة مضى برقم : ١٠٣٣١ ، ١٠٣٣٣ .

وأبوه : « سليم بن أسود بن حنظلة المحاربى » ، « أبو الشعثاء » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب .

وهذا إسناد صحيح ، لم أجده فى شىء مما بين يدى من الكتب .

(٢) الأثر : ١٤٢٣٥ — « ابن أم عبد » هو « عبد الله بن مسعود » .

وهذا خبر لم يذكر قتادة إسناده إلى ابن مسعود ، وقد مر خبر قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن مسعود ، بغير هذا اللفظ برقم : ١٤٢٢٧ ، ١٤٢٢٨ ، ١٤٢٣١ مختصراً .

(٣) الأثر : ١٤٢٣٦ — هذه رواية خبر أبى هريرة ، من الطريق الثانية التى ذكرتها فى تخريج الأثر رقم ١٤٢٠٣ . وقد سلف تخريج هذه الطريق فى التعليق على الأثر رقم : ١٤٢١٠ .

١٤٢٣٨ — ... وقال، حدثنا أبي ، عن الحسن بن عقبة، أبي كيران، عن الضحاك : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .(١)

١٤٢٣٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل قال ، أخبرني أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن ابن مسعود فى قوله : « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ، قال : لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها .(٢)

١٤٢٤٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .

١٤٢٤١ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني أبو صخر ، عن القرظي : أنه كان يقول فى هذه الآية : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ، يقول : إذا جاءت الآيات لم ينفع نفساً إيمانها . يقول : طلوع الشمس من مغربها .(٣)

١٤٢٤٢ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثوري ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال :

(١) الأثر : ١٤٢٣٨ — « الحسن بن عقبة المرادي » « أبو كيران » (بالياء) ، ثقة روى عن عبد خير ، والشعبي ، والضحاك . روى عنه وكيع ، وعبيد الله بن موسى ، وأبو نعيم . مترجم فى الكبير ١/٢/٢٩٩ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٨ ، وكان فى المطبوعة : « أبي كبران » بالباء ، ومعها علامة شك .

(٢) الأثر : ١٤٢٣٨ — هذه رواية الطريق الرابعة لحديث ابن مسعود ، كما فصلتها فى رقم : ١٤٢٢٧ . وسلف شرح هذا الإسناد برقم : ١٤٢٣٤ .

(٣) الأثر : ١٤٢٤١ — « أبو صخر » ، هو « حميد بن زياد الخراط » ، ونزل مصر . مضى برقم : ٤٣٢٥ ، ٥٣٨٦ ، ٨٣٩١ .

و « القرظي » ، هو « محمد بن كعب القرظي » ، مضى مراراً ، ومنها فى مثل هذا الإسناد رقم : ٨٣٩١ .

« يوم يأتى بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .[١]

١٤٢٤٣ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو : « يوم يأتى بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .[٢]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك بعض الآيات الثلاث : الدابة ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها .

* ذكر من قال ذلك : ٨/٧٦

١٤٢٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جعفر بن عون ، عن المسعودى ، عن القاسم قال ، قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ، ما لم تخرج إحدى ثلاث : ما لم تطلع الشمس من مغربها ، أو الدابة ، أو فتح يأجوج ومأجوج .[٣]

١٤٢٤٥ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا المسعودى ، عن القاسم بن عبد الرحمن قال : قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ، ما لم تخرج إحدى ثلاث : الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج يأجوج ومأجوج .[٣]

---

(١) الأثر : ١٤٢٤٢ — هذه رواية حديث صفوان بن عسال ، من الطريق الأولى ، كما فسرتها فى التعليق على رقم : ١٤٢٠٦ ، وسلف الكلام فيه هناك .

(٢) الأثر : ١٤٢٤٣ — « أبو إسحق الهمدانى » ، هو : « أبو إسحق السبيعى » ، مضى مراراً .

و « وهب بن جابر الخيوانى الهمدانى » ، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، لقيه ببيت المقدس . روى عنه « أبو إسحق الهمدانى » وحده . تابعى ثقة . روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة يأجوج ومأجوج ، و « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » ، ولم يرو غير ذين . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٦٣ ، ١٦٤ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٣ .

وهذا الخبران المذكوران فى ترجمته ، رواهما أبو داود الطيالسى فى مسنده ص ٣٠١ رقم : ٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ .

(٣) الأثران : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥ — « جعفر بن عون بن جعفر بن عمرو بن حريث

١٤٢٤٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة قالت : إذا خرج أول الآيات ، طُرِحت الأقلام ، وحُبِست الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال .[١]

١٤٢٤٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثٌ إذا خرجت « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض .[٢]

١٤٢٤٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا معاوية بن عبد الكريم قال، حدثنا الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بادروا بالأعمال ستًّا : طلوعَ الشمس من مغربها، والدجال ، والدخَان، ودابة الأرض ، وخُوَيِّصة أحدكم ، وأمرَ العامة .

المخزومى » ، « أبو عون » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٥٠٦ .

و « المسعودى » هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود » . مضى مراراً برقم : ٢١٥٦ ، ٢٩٣٧ ، ٥٥٦٣ .

و « القاسم » ، هو « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » ، روى عن أبيه وجده عبد الله بن مسعود ، مرسلا . ثقة قليل الحديث . مضى برقم : ٩٥١٩ .

وذكر أخى السيد أحمد فى التعليق على الأثر : ٩٥١٥ ، أن « المسعودى ، عن القاسم » هو « معن بن عبد الرحمن » ، وأن القاسم فيما استظهر ، هو أخوه : « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود » ، والصواب أن « المسعودى » الراوى عن « القاسم بن عبد الرحمن » ، هو « عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة » . كما أسلفت . وإسناد هذا الخبر ، ضعيف لانقطاعه .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٩ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، والطبرانى .

(١) الأثر : ١٤٢٤٦ — « منصور » هو : « المنصور بن المعتمر » .

و « عامر » هو الشعبى .

وهذا الخبر رواه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٧ ، وإسناده صحيح . ولم أجده فى شىء من الكتب التى بين يدى .

(٢) الأثر : ١٤٢٤٧ — هذه هى الطريق السابعة من طرق خبر أبى هريرة التى ذكرتها فى التعليق على الأثر : ١٤٢٠٣ .

« محمد بن فضيل بن غزوان الضبى » . روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٣٩٥ .

وأبوه : « فضيل بن غزوان الضبى » ثقة ، روى له الجماعة . و « أبو حازم » هو الأشجعى ،

١٤٢٤٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، فذكر نحوه .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ذلك حين تطلع الشمس من مغربها » .

* * *

وأما قوله : « أو كسبت فى إيمانها خيراً »، فإنه يعنى : أو عملت فى تصديقها بالله خيراً ،[2] من عمل صالح يصدِّق قِيلَه ويُحققه، من قبل طلوع الشمس من مغربها . ولا ينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك،[3] إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله، لأنها حالة لا تمتنع نفسٌ من الإقرار بالله ، لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله ، فحكم إيمانهم ، كحكم إيمانهم عند قيام الساعة ، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله، لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدِّقاً ، ولفرائض الله مضيعاً ، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة ، إذا

واسمه « سلمان » . ثقة ، روى له الجماعة .

وهذا إسناد صحيح . رواه مسلم فى صحيحه ٢ : ١٩٥ ، والترمذى فى التفسير ، وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٤، وقال : « رواه أحمد عن وكيع، عن فضيل بن غزوان » ، وذكر سائر طرقه . وخرجه السيوطى ، فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، والبيهقى .

(١) الأثران : ١٤٢٤٨ ، ١٤٢٤٩ — « معاوية بن عبد الكريم الثقفى » ، « الضال » ، لأنه ضل فى طريق مكة . روى عن الحسن . وثقه أحمد وغيره ، وتكلموا فيه . وأخشى أن يكون سقط من الإسناد رجل بينه وبين « بشر بن معاذ » .

وأما الإسناد الثانى ففيه « بشر » = يعنى « بشر بن معاذ » = عن « يزيد »، يعنى « يزيد ابن زريع » عن « سعيد » = يعنى « سعيد بن أبى عروبة » .

ولكن روى هذا الأثر بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٧ مرفوعاً ، من طريق أمية بن بسطام العيشى ، عن يزيد بن زريع ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن زياد بن رياح ، عن أبى هريرة .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ١٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « لا ينفع كافراً » بغير واو ، والسياق يقتضى إثباتها .

هي طلعت من مغربها = أعمالُه إن عمل، وكسبُه إن اكتسب، لتفريطه الذى سلف قبل طلوعها فى ذلك ، كما : —

١٤٢٥٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » ، يقول : كسبت فى تصديقها خيراً ، عملاً صالحاً . فهؤلاء أهل القبلة . وإن كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيراً ، فعملت بعد أن رأت الآية ، لم يقبل منها . وإن عملت قبل الآية خيراً ، ثم عملت بعد الآية خيراً ، قُبل منها .

١٤٢٥١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : من أدركه بعضُ الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه ، قبلَ الله منه العمل بعدَ نزول الآية ، كما قبل منه قبل ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام : انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم ، أو أن يأتى ربكم لفصل القضاء بيننا وبينكم فى موقف القيامة ، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها ، فتطوى صحف الأعمال ، ولا ينفعكم إيمانكم حينئذ إن آمنتم ، حتى تعلموا حينئذ المحقَّ منا من المبطل ، والمسىءَ من المحسن، والصادقَ من الكاذب ، وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله ، ومن الناجى منا ومنكم ومن الهالك — إنا منتظرو ذلك ، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه ، وإخلاصنا العبادة له، وإفرادناه بالربوبية دون ما سواه ، ويفصل بيننا وبينكم بالحق ، وهو خير الفاصلين .

٨ / ٧٧

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : اختلف القرأة فى قراءة قوله : « فرقوا » .

فروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ما —

١٤٢٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن عمرو بن دينار : أن عليًّا رضى الله عنه قرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ ﴾ .

١٤٢٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير قال ، قال حمزة الزيات : قرأها على رضى الله عنه : ﴿ فَارَقُوا دِينَهُمْ ﴾ .

١٤٢٥٤ —... وقال ، حدثنا الحسن بن على ، عن سفيان ، عن قتادة : ﴿ فَارَقُوا دِينَهُمْ ﴾ .

* * *

وكأن عليًّا ذهب بقوله : « فارقوا دينهم » ، خرجوا فارتدوا عنه ، من « المفارقة » .

* * *

وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود ، كما : —

١٤٢٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن رافع ، عن زهير قال ، حدثنا أبو إسحق : أن عبد الله كان يقرؤها : ﴿ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴾ .

* * *

وعلى هذه القراءة = أعنى قراءة عبد الله = قرأة المدينة والبصرة وعامة قرأة الكوفيين . وكأنّ عبد الله تأوّل بقراءته ذلك كذلك : أن دين الله واحد ، وهو دين إبراهيم الحنيفية المسلمة ، ففرّق ذلك اليهود والنصارى ، فتهوّد قومٌ وتنصّر آخرون ، فجعلوه شيعاً متفرقة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه . وذلك

أن كل ضالّ فلدينه مفارق، وقد فرّق الأحزابُ دينَ الله الذى ارتضاه لعباده ، فتهود بعض وتنصر آخرون ، وتمجس بعض . وذلك هو « التفريق » بعينه ، ومصير أهله شيعاً متفرقين غير مجتمعين ، فهم لدين الله الحقّ مفارقون ، وله مفرّقون .[1]

فبأىّ ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب ، غير أنى أختار القراءة بالذى عليه عُظْم القرأة ، وذلك تشديد « الراء » من « فرقوا » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنيّين بقوله : « إن الذين فرّقوا دينهم » .

فقال بعضهم : عنى بذلك اليهود والنصارى .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٥٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « وكانوا شيعاً »، قال : يهود .

١٤٢٥٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٢٥٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فرقوا دينهم » ، قال : هم اليهود والنصارى .

١٤٢٥٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، من اليهود والنصارى .

١٤٢٦٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء »، هؤلاء اليهود والنصارى . وأما قوله: «فارقوا دينهم»، فيقول : تركوا دينهم وكانوا شيعاً .[2]

١٤٢٦١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) انظر تفسير « الشيع » فيما سلف ١١ : ٤١٩ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فرقوا » فى الموضعين ، والتفسير فى الأثر ، يوجب أن تكون « فارقوا » كما أثبتها .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد ، فتفرقوا . فلما بعث محمد أنزل الله: « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيء ». ٨ / ٧٨

١٤٢٦٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، يعني اليهود والنصارى .

١٤٢٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن على ، عن شيبان ، عن قتادة : « فارقوا دينهم » ، قال : هم اليهود والنصارى .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك أهلَ البدع من هذه الأمة ، الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٦٤ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة قال : « إن الذين فرقوا دينهم » ، قال : نزلت هذه الآية في هذه الأمة .(١)

١٤٢٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، قال : هم أهل الصلاة .(٢)

١٤٢٦٦ – حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال : كتب إليّ عباد بن كثير قال ، حدثني ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة

(١) الأثران : ١٤٢٦٤ ، ١٤٢٦٥ – إسنادهما صحيح إلى أبي هريرة ، موقوفاً ، وانظر التعليق على الأثر التالي .

(٢) كان في المطبوعة : « هم أهل الضلالة » ، كما سيأتي في الأثر التالي ، غير أن المخطوطة واضحة هنا « أهل الصلاة » ، فأثبتها كما هي ، لأنها صحيحة المعنى ، أي أنها نزلت في المؤمنين من أهل القبلة .

قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في هذه الآية : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيء » ، وليسوا منك ، هم أهل البدع ، وأهل الشبهات ، وأهل الضلالة ، من هذه الأمة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه ، وكانوا فرقاً فيه وأحزاباً شيعاً ، وأنه ليس منهم . ولا هم منه ، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام ، دين إبراهيم الحنيفية ، كما قال له ربه وأمره أن يقول : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦١] .

فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنيّ يهودي ونصرانيّ ومتحنِّف ، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم ، فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحمد منه بريء ، وهو داخل في عموم قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » .

* * *

(١) الأثر : ١٤٢٦٦ – « سعيد بن عمرو السكوني » شيخ الطبري ، مضى برقم : ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ .

و « بقية بن الوليد الحمصي » ، ثقة ، نعوا عليه التدليس ، مضى برقم : ١٥٢ ، ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ ، ٦٨٩٩ ، ٩٢٢٤ .

و « عباد بن كثير الرملي الفلسطيني » ، ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٨٥ .

وهذا الخبر مرفوعاً لا يصح ، وهو ضعيف الإسناد . قال ابن كثير في تفسيره ٣ : ٤٣٨ : « لكن هذا إسناد لا يصح ، فإن عباد بن كثير متروك الحديث . ولم يختلق هذا الحديث ، ولكنه وهم في رفعه ، فإنه رواه سفيان الثوري عن ليث = وهو ابن أبي سليم = عن طاوس ، عن أبي هريرة في هذه الآية أنه قال : نزلت في هذه الأمة » .

ولكن خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٢ ، ٢٣ ، ثم قال : « رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، غير معلل بن نفيل ، وهو ثقة » . وهكذا في مجمع الزوائد « معلل بن نفيل » ، وهو محرف بلا شك .

وأما قوله : « لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : نزلت هذه الآية على نبىّ الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وُجوب فرض قتالهم ، ثم نسخها الأمر بقتالهم فى« سورة براءة » ، وذلك قوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٦٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله » ، لم يؤمر بقتالهم ، ثم نسخت ، فأمر بقتالهم فى « سورة براءة » .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم إعلاماً من الله له أنّ من أمته من يُحْدث بعده فى دينه . وليست بمنسوخة ، لأنها خبرٌ لا أمر ، والنسخ إنما يكون فى الأمر والنهى.

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٦٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، أخبرنا مالك ابن مغول ، عن على بن الأقمر ، عن أبى الأحوص : أنه تلا هذه الآية : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » ، ثم يقول : برئ نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم .(١)

١٤٢٦٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى وابن إدريس وأبو أسامة ويحيى بن آدم ، عن مالك بن مغول ، بنحوه .

١٤٢٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا شجاع أبو

---

(١) الأثر : ١٤٢٦٨ — « مالك بن مغول البجلى »، ثقة . مضى برقم: ١٠٨٧٢،٥٤٣١ و « على بن الأقمر الهمدانى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم ١١٩٤١ وهو إسناد صحيح .

٨ / ٧٩ بدر، عن عمرو بن قيس الملائى قال، قالت أم سلمة: ليتّقِ امرؤ أن لا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء! ثم قرأت: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء» = قال عمرو بن قيس: قالها مُرَّة الطيِّب، وتلا هذه الآية.[1]

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك أن يقال: إن قوله: «لست منهم فى شىء»، إعلام من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة فى دينه برىء، ومن الأحزاب من مشركى قومه، ومن اليهود والنصارى. وليس فى إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم، لأنه غير محال أن يقال فى الكلام: «لست من دين اليهود والنصارى فى شىء فقاتلهم، فإن أمرهم إلى الله فى أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافراً فيقبض روحه، أو يقتله بيدك على كفره، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدَمهم عليه». وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم، وقوله: «لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله»، ولم يكن فى الآية دليلٌ واضح على أنها منسوخة، ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبرٌ = كان غير جائز أن يُقْضَى عليها بأنها منسوخة، حتى تقوم حجةٌ موجبةٌ صحةَ القول بذلك، لما قد بينا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه فى حال واحدة، فى كتابنا: «كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام».[2]

* * *

(١) الأثر: ١٤٢٧٠ — «شجاع، أبو بدر»، هو «شجاع بن الوليد بن قيس السكونى»، ثقة صدوق. روى عنه أحمد. مترجم فى التهذيب.

«عمرو بن قيس الملائى»، ثقة مضى مراراً آخرها: ٩٦٤٦.

وهذا إسناد منقطع، «عمرو بن قيس» لم يدرك أم سلمة.

أما خبر «مرة الطيب» فهو «مرة بن شراحيل الهمدانى»، مضى مراراً، آخرها: ٧٥٣٩. وروايته هذه أيضاً منقطعة، لأنه لم يدركه.

وخرج السيوطى فى الدر المنثور ٣: ٦٣، خبر أم سلمة، ونسبه إلى ابن منيع فى مسنده، وأبى الشيخ. وخرج خبر مرة الطيب، ونسبه إلى ابن أبى حاتم.

(٢) انظر ما سلف فى «الناسخ والمنسوخ» ١٠: ٣٣٣، تعليق: ١، والمراجع هناك.

وأما قوله : « إنما أمرهم إلى الله » ، فإنه يقول : أنا الذى إلىّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً ، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك ، دونك ودون كل أحد . إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفُرْقتهم دينهم فأهلكهم بها ، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل منى عليهم = « ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون »،(١) يقول: ثم أخبرهم فى الآخرة عند ورودهم علىّ يوم القيامة بما كانوا يفعلون ، فأجازى كلاًّ منهم بما كانوا فى الدنيا يفعلون ، المحسنَ منهم بالإحسان ، والمسىء بالإساءة . ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالإحسان أو بالإساءة فقال : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : من وافَى ربَّه يوم القيامة فى موقف الحساب ، من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً ، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته ، وذلك هو الحسنة التى ذكرها الله فقال : من جاء بها فله عشر أمثالها .(٢)

ويعنى بقوله : « فله عشر أمثالها » ، فله عشر حسنات أمثال حسنته التى

واسم كتاب أبى جعفر هو ما أثبت ، ما ورد فى ٥ : ٤١٤ ، وكان هنا فى المخطوطة والمطبوعة : « اللطيف عن أصول الأحكام » ، وهو لا يستقيم .

(١) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٣٧ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الحسنة » فيما سلف ٤ : ٢٠٣ – ٢٠٦/٨ : ٥٥٥ – ٥٥٦ ، وفهارس اللغة (حسن) .

جاء بها = « ومن جاء بالسيئة » ، يقول : ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدِّين الحقّ والكفر بالله ، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء ، كما وافى الله به من عمله السيء [1] = « وهم لا يظلمون » ، يقول : ولا يظلم الله الفريقين ، لا فريق الإحسان ، ولا فريق الإساءة ، بأن يجازى المحسن بالإساءة ، والمسيء بالإحسان ، ولكنه يجازى كلا الفريقين من الجزاء ما هو له ، لأنه جل ثناؤه حكيمٌ لا يضع شيئاً إلا فى موضعه الذي يستحق أن يضعه فيه ، ولا يجازى أحداً إلا بما يستحقّ من الجزاء .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « الظلم » ، وضع الشيء فى غير موضعه ، بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع.[2]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما ذكرت ، من أن معنى « الحسنة » فى هذا الموضع : الإيمان بالله ، والإقرار بوحدانيته ، والتصديق برسوله = « والسيئة » فيه : الشرك به ، والتكذيب لرسوله = أفللإيمان أمثال فيجازى بها المؤمن ؟ [3] وإن كان له مثل ، فكيف يجازى به ،و « الإيمان » ، إنما هو عندك قول وعمل ، والجزاء من الله لعباده عليه الكرامة فى الآخرة ، والإنعام عليه بما أعدّ لأهل كرامته من النعيم فى دار الخلود ، وذلك أعيان ترى وتعاين وتحسّ ويلتذّ بها ، لا قول يسمع ، ولا كسبُ جوارح ؟ ٨ / ٨٠

قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبتَ إليه . وإنما معناه : من جاء بالحسنة فوافَى الله بها له مطيعاً ، فإن له من الثواب ثوابُ عشر حسنات أمثالها .

فإن قال : قلت فهل لقول « لا إله إلاّ الله » من الحسنات مثل ؟

---

(١) انظر تفسير « السيئة » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .

(٢) انظر تفسير «الظلم» فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

(٣) فى المطبوعة : « فللإيمان » بغير همزة الاستفهام ، والصواب ما فى المخطوطة .

قيل : له مثل هو غيره ،[ولكن له مثل هو قول لا إله إلا الله]،[1] وذلك هو الذى وعد الله جل ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله . وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التى هى الشرك، إلا أنه لا يجازى صاحبها عليها إلا ما يستحقه عليها من غير إضعافه عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٧١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ابن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال رجل من القوم : فإن « لا إله إلا الله » حسنة ؟ قال : نعم ، أفضل الحسنات .

١٤٢٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله : « من جاء بالحسنة » ، لا إله إلا الله .

١٤٢٧٣ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا حفص قال ، حدثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله قال : « من جاء بالحسنة » ، قال : من جاء بلا إله إلا الله . قال : « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٧٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله : « من

---

(١) هذه العبارة التى بين القوسين ، هكذا جاءت فى المخطوطة ، وغيرها ناشر المطبوعة الأولى فكتب : « وليس له مثل هو قول لا إله إلا الله » ، ولا أدرى ما معنى هذا التغيير . وعبارة المخطوطة غير مفهومة ، وأخشى أن يكون سقط من الكلام شيء ، فأودعتها بين القوسين لكى يتوقف عندها قارئها ، عسى أن يتبين له ما لم يتبين لى .

جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٧٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا معاوية بن عمرو المعنّ ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله ، كلمة الإخلاص = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .[1]

١٤٢٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد = وعن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد والقاسم بن أبي بزة : « من جاء بالحسنة » ، قالوا : لا إله إلا الله ، كلمة الإخلاص = « ومن جاء بالسيئة » ، قالوا : بالشرك وبالكفر .

١٤٢٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٧٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٧٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي المحجل ، عن إبراهيم : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .[2]

١٤٢٨٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، مثله .

١٤٢٨١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي المحجل ، عن إبراهيم ، مثله .

---

(١) الأثر : ١٤٢٧٥ — « معاوية بن عمرو المعنى ، الأزدي » ، ثقة مضى برقم : ٤٠٧٤ .

(٢) الآثار : ١٤٢٧٩ — ١٤٢٨٢ — « أبو المحجل » ، هكذا في المطبوعة ، وهو في المخطوطة غير منقوط ، لم أعرف من يكون ، ولم أجد له ذكراً ، ولا تبين لي وجه في تحريفه !!

١٤٢٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن أبى المحجل ، عن أبى معشر قال : كان إبراهيم يحلف بالله ما يستثنى : أنّ « من جاء بالحسنة »، لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، من جاء بالشرك .

١٤٢٨٣ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « من جاء بالحسنة » ، قال : كلمة الإخلاص ، لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : بالشرك .

٨ / ٨١

١٤٢٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى= وحدثنا المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو نعيم = جميعاً ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى صالح : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن عثمان بن الأسود ، عن القاسم بن أبى بزة : « من جاء بالحسنة » ، قال : كلمة الإخلاص = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الكفر .

١٤٢٨٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سلمة ، عن الضحاك : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٨٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن أشعث ، عن الحسن : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك، عن سالم ، عن سعيد : « من جاء بالحسنة »، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٢٩٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « من جاء بالحسنة » ،

يقول : من جاء بلا إله إلا الله= « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٩١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لايظلمون » ، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : الأعمال ستة : مُوجِبة ومُوجِبة ، ومُضْعِفة ومُضْعِفة ، ومِثْل ومِثْل . فأما الموجبتان : فمن لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقى الله مشركاً به دخل النار . وأما المضعف والمضعف : فنفقة المؤمن فى سبيل الله سبعمئة ضعف ، ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها . وأما مثل ومثل : فإذا همّ العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة .

١٤٢٩٢ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شيخ من التيم ، عن أبى ذرّ قال : قلت : يا رسول الله ، علّمنى عملاً يقرّبنى إلى الجنة ويباعدنى من النار . قال : إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها . قال قلت : يا رسول الله، « لا إله إلا الله » من الحسنات؟ قال : هى أحسن الحسنات .(١)

* * *

وقال قوم: عنى بهذه الآية الأعراب ، فأما المهاجرون فإن حسناتهم سبعمئة ضعف أو أكثر .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٩٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن أبى الصدّيق الناجىّ ، عن أبى سعيد الخدرى فى قوله :

---

(١) الأثر : ١٤٢٩٢ — « شمر بن عطية الأسدى الكاهلى » ، ثقة ، مضى برقم ١١٥٤٥ . وهذا خبر ضعيف ، لجهالة « شيخ من التيم » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦٤ ، ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه . ولم ينسبه إلى الطبرى .

« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال : هذه للأعراب ، وللمهاجرين سبعمئة .(١)

١٤٢٩٤ — حدثنا محمد، أبو نشيط ، بن هرون الحربى قال ، حدثنا يحيى ابن أبى بكير قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى ، عن عبد الله ابن عمر قال : نزلت هذه الآية فى الأعراب : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال : قال رجل : فما للمهاجرين ؟ قال : ما هو أعظم من ذلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، [سورة النساء : ٤٠] وإذا قال الله لشىء : « عظيم » ، فهو عظيم .(٢)

١٤٢٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع قال : نزلت هذه الآية : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »، وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ، ويؤدّون عشر أموالهم . ثم نزلت الفرائض بعد ذلك : صوم رمضان والزكاة .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل «عشر أمثالها» ، فأضيف « العشر » إلى « الأمثال » ، وهى « الأمثال » ؟ وهل يضاف الشىء إلى نفسه ؟

---

(١) الأثر : ١٤٢٩٣ — « أبو الصديق الناجى » هو « بكر بن عمرو » وقيل : « بكر ابن قيس » ، ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب .

وهذا إسناد صحيح .

(٢) الأثر : ١٤٢٩٤ — « محمد بن هرون الحربى » ، « أبو نشيط » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٩٥١١ ، ١٠٣٧١ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « محمد بن نشيط بن هرون الحربى » ، وهو خطأ محض تبين من رواية الأثر فيما سلف .

و « يحيى بن أبى بكير الأسدى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٧٥٤٤ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « يحيى بن أبى بكر » ، وهو خطأ .

وقد سلف هذا الخبر وتخريجه برقم : ٩٥١١ ، وأنه إسناد ضعيف من أجل « عطية العوفى » . ووقع فى إسناد الخبر هناك خطأ : « عن عبد الله بن عمير » ، وهو خطأ فى الطباعة صوابه « عن عبد الله ابن عمر » ، فليصحح .

قيل: أضيفت إليها لأنه مرادٌ بها : فله عشر حسنات أمثالها ، فـ« الأمثال » حلّت محل المفسّر ، وأضيف « العشر » إليها ، كما يقال : « عندى عشر نسوة » ، ٨ / ٨٢ فلأنه أريد بالأمثال مقامها ، فقيل : « عشر أمثالها » ، فأخرج « العشر » مخرج عدد الحسنات، [١] و« المثل » مذكر لا مؤنث، ولكنها لما وضعت موضع الحسنات، [٢] وكان « المثل » يقع للمذكر والمؤنث ، فجعلت خلفاً منها ، فعل بها ما ذكرت . ومن قال : « عندى عشر أمثالها » لم يقل : « عندى عشر صالحات » ، لأن « الصالحات » فعل لا يعدّ ، وإنما تعدّ الأسماء . و « المثل » اسم ، ولذلك جاز العدد به .

* * *

وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك: ﴿ فَلَهُ عَشْرٌ ﴾ بالتنوين، ﴿ أَمْثَالُهَا ﴾ بالرفع . وذلك وجه صحيح فى العربية ، غير أن القرأة فى الأمصار على خلافها ، فلا نستجيز خلافها فيما هى عليه مُجْمِعة . [٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنامَ = «إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم » ، يقول : قل لهم إننى أرشدنى ربى إلى الطريق القويم ، هو دين الله الذى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «عدد الآيات » ، وبين أنه «عدد الحسنات » ، ولا ذكر للآيات فى هذا الموضع .

(٢) وكان هنا أيضاً فى المخطوطة والمطبوعة : «موضع الآيات » ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : «مجتمعة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة ، فوفقني له[1]= « ديناً قيماً » ، يقول : مستقيماً = « ملة إبراهيم » ، يقول : دين إبراهيم[2] = « حنيفاً » ، يقول : مستقيماً = « وما كان من المشركين » ، يقول : وما كان من المشركين بالله ، يعنى إبراهيم صلوات الله عليه ، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ديناً قيماً » .

فقرأ ذلك عامةقرأة المدينة و بعض البصريين : ﴿ دِيناً قَيِّماً ﴾ بفتح « القاف » وتشديد « الياء » ، إلحاقاً منهم ذلك بقول الله : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [سورة التوبة : ٣٦/ سورة يوسف : ٤٠ / سورة الروم : ٣٠] . وبقوله ، ﴿ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [سورة البينة : ٥] .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ دِيناً قِيَماً ﴾ بكسر « القاف » وفتح « الياء » وتخفيفها . وقالوا « القيِّم » و « القِيَم » بمعنى واحد ، وهما لغتان معناهما : الدين المستقيم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيبٌ ، غير أن فتح « القاف » وتشديد « الياء » أعجب إلىّ ، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما .

* * *

ونصب قوله : « ديناً » على المصدر من معنى قوله : « إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم » ، ذلك أن المعنى : هدانى ربى إلى دين قويم ، فاهتديت له « ديناً قيماً » = فالدين منصوب من المحذوف الذى هو « اهتديت » ، الذى ناب عنه قوله : « إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم » .

* * *

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) . = وتفسير « صراط مستقيم » فيما سلف ص : ٢٨٨ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الملة » فيما سلف ٢ : ٣/٥٦٣ : ٩/١٠٤ : ٢٥٠ .

وقال بعض نحويي البصرة : إنما نصب ذلك ، لأنه لما قال : « هداني ربي إلى صراط مستقيم » ، قد أخبر أنه عرف شيئاً ، فقال : « ديناً قيماً » ، كأنه قال : عرفت ديناً قيما ملّة إبراهيم .

* * *

وأما معنى : « الحنيف » ، فقد بينته في مكانه في « سورة البقرة » بشواهده ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان = « إن صلاتي ونسكي » ، يقول : وذبحي[2] = « ومحياي » ، يقول : وحياتي = « ومماتي » يقول : ووفاتي = « لله رب العالمين » ، يعني : أن ذلك كله له خالصاً دون ما أشركتم به ، أيها المشركون ، من الأوثان = « لا شريك له » في شيء من ذلك من خلقه ، ولا لشيء منهم فيه نصيب ، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصاً = « وبذلك أمرت » ، يقول : وبذلك أمرني ربي = « وأنا أول المسلمين » ، يقول : وأنا أوّل من أقرّ وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك .[3] ٨٣/٨

* * *

(١) انظر تفسير « الحنيف » فيما سلف ٣ : ١٠٤ - ١٠٨/٦ : ٤٩٤/٩ : ٢٥٠ ، ٤٨٧ : ٢٥١/١١

(٢) انظر تفسير « النسك » فيما سلف ٣ : ٧٧ - ٨٠/٤ : ٨٦ ، ١٩٥ .

(٣) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة (سلم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال : « النسك » ، فى هذا الموضع ، الذبح .

١٤٢٩٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « إن صلاتى ونسكى » ، قال : « النسك » ، الذبائح فى الحج والعمرة .

١٤٢٩٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ونسكى »، ذبحى فى الحج والعمـــرة .[1]

١٤٢٩٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ونسكى » ، ذبيحتى فى الحج والعمرة .

١٤٢٩٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثناعبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان عن إسمعيل = وليس بابن أبى خالد = عن سعيد بن جبير فى قوله : « صلاتى ونسكى » ، قال : ذبحى .

١٤٣٠٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن إسمعيل ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « صلاتى ونسكى » ، قال : ذبحى .[2]

١٤٣٠١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن إسمعيل ، عن سعيد بن جبير = قال ابن مهدى : لا أدرى من « إسمعيل » هذا ! = « صلاتى ونسكى »، قال : صلاتى وذبيحتى .

١٤٣٠٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، حدثنا الثورى ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن سعيد بن جبير فى قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « ذبيحتى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ذبيحتى » ، غير ما فى المخطوطة .

« صلاتى ونسكى » ، قال : وذبيحتى .[(١)]

١٤٣٠٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، « ونسكى » ، قال : ذبحى .

١٤٣٠٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ونسكى » ، قال : ذبيحتى .

١٤٣٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « صلاتى ونسكى» قال : « الصلاة »، الصلاة ، و« النسك » ، الذبح .

* * *

وأما قوله : « وأنا أوّل المسلمين » ، فإن : —

١٤٣٠٦ — محمد بن عبد الأعلى حدثنا قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « وأنا أول المسلمين » ، قال : أول المسلمين من هذه الأمة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان = « أغير الله أبغى ربًّا » ، يقول : أسوى الله أطلب سيداً يسودنى؟ [(٢)] = « وهو

---

(١) الآثار : ١٤٢٩٩ — ١٤٣٠٢ — « إسماعيل » ، الذى روى عنه « سفيان الثورى » ، وروى هو « سعيد بن جبير » ، والذى جاء فى الخبر الأول أنه « ليس بابن أبى خالد » ، وفى رقم : ١٤٣٠٢ « إسماعيل بن أبى خالد » مصرحاً به ، والذى جهله « ابن مهدى » فى رقم : ١٤٣٠١ ، لم أجد من أشار إليه ، إلا أنى وجدت فى أسماء الرواة عن « سعيد بن جبير » :

« إسماعيل بن مسلم » ، مولى بنى مخزوم ، سمع منه وكيع ، وابن المبارك وعمرو العنقزى ، مترجم فى الكبير ١/١/٣٧٢، وابن أبى حاتم ١/١/١٩٧ ، فلا أدرى أهو هو ، أم هو غيره !

(٢) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١١ : ٣٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

رب كل شيء » ، يقول : وهو سيد كل شيء دونه ومدبّره ومصلحه[١] = «ولا تكسب كل نفس إلاّ عليها » ، يقول : ولا تجترح نفس إثماً إلا عليها ، أى : لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى ، وركبت من الخطيئة ، سواها ، بل كل ذي إثم فهو المعاقب بإثمه والمأخوذ بذنبه[٢] = « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، يقول : ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها ، ولكنها تأثم بإثمها، وعليه تعاقب ، دون إثم أخرى غيرها .

وإنما يعني بذلك المشركين الذين أمرَ الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم . يقول : قل لهم : إنا لسنا مأخوذين بآثامكم ، وعليكم عقوبة إجرامكم ، ولنا جزاء أعمالنا . وهذا كما أمره الله جل ثناؤه فى موضع آخر أن يقول لهم :﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون : ٦] ، وذلك كما : —

١٤٣٠٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : كان فى ذلك الزمان ، لا مخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خلّتين : إحداهما أفضل من صاحبتها . إمّا أمرٌ ودعاء إلى الحق ، أو الاعتزال = فلا تشارك أهل الباطل فى عملهم ، وتؤدي الفرائض فيما بينك وبين ربك ، وتحبّ لله وتبغض لله ، ولا تشارك أحداً فى إثم . قال : وقد أنزل فى ذلك آية محكمة : « قل أغير الله أبغي ربًّا وهو رب كل شيء » ، إلى قوله: « فيه تختلفون »، وفى ذلك قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [سورة البينة : ٤].

٨ / ٨٤

* * *

يقال: من«الوزر»«وَزَرَيَزِر» و«وَزَرَ يَوْزَر»،و« وُزِرَيُوزَر،فهوموزور».[٣]

* * *

(١) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ٢٦٦ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « وزر يوزر فهو وزير ، ووزر يوزر فهو موزور » ، غير ما فى

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان : كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله ، وعليه وزره ، فاعملوا ما أنتم عاملوه — « ثم إلى ربكم »، أيها الناس=« مرجعكم »، يقول: ثم إليه مصيركم ومنقلبكم[1] = « فينبئكم بما كنتم فيه »، فى الدنيا،« تختلفون » من الأديان والملل ، [2] إذ كان بعضكم يدين باليهودية ، وبعضٌ بالنصرانية ، وبعض بالمجوسية ، وبعض بعبادة الأصنام وادّعاء الشركاء مع الله والأنداد ، ثم يجازى جميعَكم بما كان يعمل فى الدنيا من خير أو شر ، فتعلموا حينئذ من المحسنُ منّا والمسىء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته : والله الذى جعلكم ، أيها الناس ، « خلائفَ الأرض » ، بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية ، واستخلفكم ، فجعلكم خلائف منهم فى الأرض ،

المخطوطة ، وحذف وزاد من عند نفسه ، وعذره فى ذلك سوء كتابة ناسخ المخطوطة ، وصواب قراءة ما فيها ما أثبت . وهو المطابق لنص كتب اللغة .

(١) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ص : ٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٢٧٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

تخلفونهم فيها وتعمرُونها بعدَهم .

* * *

و « الخلائف » جمع « خليفة » ، كما « الوصائف » جمع « وصيفة » ، وهو من قول القائل : « خلَفَ فلان فلاناً فى داره يخلُفه خِلافة ، فهو خليفة فيها » ،[1] كما قال الشماخ :

تُصِيبُهُمُ وَتُخْطِئُنِي المَنَايَا وَأُخْلَفُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعِ[2]

* * *

وذلك كما : —

١٤٣٠٨ — حدثني الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » ، قال : أما « خلائف الأرض » ، فأهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم .

* * *

وأما قوله : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » ، فإنه يقول : وخالف بين أحوالكم ، فجعل بعضكم فوق بعض ، بأن رفع هذا على هذا ، بما بسط لهذا من الرزق ففضّله بما أعطاه من المال والغِنَى ، على هذا الفقير فيما خوَّله من أسباب الدنيا ، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيْد والقوة على هذا الضعيف الواهن القُوَى . فخالف

---

(١) انظر تفسير « الخليفة » فيما سلف ١ : ٤٤٩ — ٤٥٣ .

(٢) ديوانه ٥٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٩ ، واللسان (ربع) ، من قصيدته التى قالها لامرأته عائشة ، وكانت تلومه على طول تعهده ماله ، أولها :

أَعَائِشَ ، مَا لِقَوْمِكِ لاَ أَرَاهُمْ يُضِيعُونَ الهِجَانَ مَعَ المُضِيعِ

يقول لها : تلومينني على إصلاح مالى ، فمالى أرى قومك يقترون على أنفسهم ، ولا يهلكون أموالهم فى الكرم والسخاء ؟ ثم يقول لها بعد أبيات :

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِى مَفَاقِرَهُ ، أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ

و « القنوع » ، السؤال وقوله . « وأخلف فى ربوع » ، « الربوع » جمع « ربع » ، وهو جماعة الناس الذين ينزلون « ربعا » يسكنونه ، يقول . أبقى فى قوم بعد قوم وعندى أن هذا البيت قلق فى قصيدة الشماخ ، سقط قبله شىء من شعره .

بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا ، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا ، [1] وذلك كالذى :—

١٤٣٠٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » ، يقول : فى الرزق .

* * *

وأما قوله : « ليبلوكم فيما آتاكم » ، فإنه يعنى : ليختبركم فيما خوّلكم من فضله ، ومنحكم من رزقه ، [2] فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه ، والعاصى ؛ ومن المؤدّى مما آتاه الحق الذى أمره بأدائه منه ، والمفرِّط فى أدائه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « إن ربك » ، يا محمد ، لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه ، وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه ، ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطَوْله تولّياً وإدباراً عنه ، مع إنعامه عليه ، وتمكينه إياه فى الأرض ، كما فعل بالقرون السالفة = « وإنه لغفور » ، يقول : وإنه لساتر ذنوبَ من ابتلى منه إقبالاً إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمته ، واختباره إياه بأمره ونهيه ، فمغطٍّ عليه فيها ، وتارك فضيحته بها فى موقف الحساب

٨ / ٨٥

(١) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ١٠ : ٥٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . = وتفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .

= « رحيم » بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه ، إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه .[١]

﴿ آخر تفسير سورةِ الأنعام ﴾

---

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

* * *

عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلته عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« آخر تفسير سورة الأنعام

والحمد لله كما هو أهله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يتلوه تفسير السورة التى يذكر فيها الأعراف »

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ

تفسير السورة التى يذكر فيها الأعراف »

تفسير

سُورَةِ الأَعْرَافْ



﴿ تفسير السورة التي يذكر فيها الأعراف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ المص ﴾ (١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قول الله تعالى ذكره : « ألمص » .

فقال بعضهم : معناه : أنا الله أفصل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٠ — حدثنا سفيان قال، حدثنا أبى ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس : « ألمص » ، أنا الله أفصل .

١٤٣١١ — حدثنى الحارث قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا عمار ابن محمد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ألمص » ، أنا الله أفصل .

* * *

وقال آخرون : هو هجاء حروف اسم الله تبارك وتعالى الذى هو « المصوّر » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ألمص » ، قال : هى هجاء « المصوّر» .

* * *

وقال آخرون : هى اسم من أسماء الله ، أقسم ربنا به .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ألمص » ، قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

* * *

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ألمص » ، قال : اسم من أسماء القرآن .

١٤٣١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

* * *

وقال آخرون : هي حروف هجاء مقطّعة .

* * *

وقال آخرون : هي من حساب الجمَّل .

* * *

وقال آخرون : هي حروف تحوي معاني كثيرة ، دلّ الله بها خلقه على مراده من كل ذلك .

* * *

وقال آخرون : هي حروف اسم الله الأعظم .

* * *

وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه ، وتعليل كلّ فريق قال فيه قولاً ، وما الصواب من القول عندنا في ذلك ، بشواهده وأدلته فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .(١)

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ — ٢٢٤ . وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١ : ٣٦٨ — ٣٧٠ .

القول فى تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : هذا القرآن ، يا محمد ، كتاب أنزله الله إليك .

* * *

ورفع « الكتاب » بتأويل : هذا كتابٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا يضق صدرك ، يا محمد ، من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به ، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه ، ولا تشك فى أنه من عندى ، واصبر للمضىّ لأمر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة ، [1] كما صبر أولو العزم من الرسل ، فإن الله معك .

* * *

و« الحرج » ، هو الضيق ، فى كلام العرب ، وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته فى قوله : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٢٥] ، بما أغنى عن إعادته . [2] ٨ / ٨٦

* * *

وقال أهل التأويل فى ذلك ما : —

١٤٣١٦ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « فلا يكن فى صدرك حرج منه » ، قال : لا تكن فى شك منه .

---

(١) فى المطبوعة : « واصبر بالمضى لأمر الله » ، غير ما فى المخطوطة بلا طائل .

(٢) انظر ما سلف ص : ١٠٣ — ١٠٧

١٤٣١٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « فلا يكن في صدرك حرج منه » ، قال : شك .

١٤٣١٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٣١٩ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة : « فلا يكن في صدرك حرج منه » ، شك منه .

١٤٣٢٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

١٤٣٢١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فلا يكن في صدرك حرج منه » ، قال : أما « الحرج » ، فشك .

١٤٣٢٢ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدني قال: سمعت مجاهداً في قوله: « فلا يكن في صدرك حرج منه »، قال : شك من القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذي ذكرته من التأويل عن أهل التأويل ، هو معنى ما قلنا في « الحرج » ، لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به ، وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التي هي وجهته الصحيحة . وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى « الضيق » ، لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب ، كما قد بيناه قبل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : هذا كتاب أنزلناه إليك ، يا محمد، لتنذر به من أمرتك بإنذاره، « وذكرى للمؤمنين » = وهو من المؤخر الذى معناه التقديم . ومعناه : « كتاب أنزل إليك لتنذر به » ، و « ذكرى للمؤمنين » ، « فلا يكن فى صدرك حرج منه » .

وإذا كان ذلك معناه، كان موضع قوله : « وذكرى » نصباً ، بمعنى : أنزلنا إليك هذا الكتاب لتنذر به ، وتذكر به المؤمنين .

* * *

ولو قيل معنى ذلك : هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ، أن تنذر به ، وتذكّر به ؛ المؤمنين = كان قولاً غير مدفوعة صحته .

وإذا وُجّه معنى الكلام إلى هذا الوجه ، كان فى قوله : « وذكرى » من الإعراب وجهان :

أحدهما : النصب بالردّ على موضع « لتنذر به » .

والآخر : الرفع ، عطفاً على « الكتاب » ، كأنه قيل : « ألمص كتاب أنزل إليك » ، و « ذكرى للمؤمنين » .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام : اتبعوا، أيها

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٠ .

الناس ، ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى ، واعملوا بما أمركم به ربكم ، ولا تتبعوا شيئاً من دونه = يعنى : شيئاً غير ما أنزل إليكم ربكم . يقول : لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الأوثان ، فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قلت : « معنى الكلام : قل اتبعوا » ، وليس فى الكلام موجوداً ذكرُ « القول » ؟

قيل : إنه وإن لم يكن مذكوراً صريحاً ، فإن فى الكلام دلالة عليه ، وذلك قوله : « فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به » ، فى قوله « لتنذر به » ، الأمر بالإنذار ، وفى الأمر بالإنذار ، الأمرُ بالقول ، لأن الإنذار قول . فكأن معنى الكلام : أنذر القومَ وقل لهم : اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم .

٨٧/٨ ولو قيل : معناه : لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم : اتبعوا ما أنزل إليكم = كان غير مدفوع .

* * *

وقد كان بعض أهل العربية يقول : قوله : « اتبعوا » ، خطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ، اتبع ما أنزل إليك من ربك = ويرى أن ذلك نظير قول الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [سورة الطلاق : ١] ، إذ ابتدأ خطابَ النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم جعل الفعل للجميع ، إذ كان أمر الله نبيه بأمرٍ ، أمرًا منه لجميع أمته ، كما يقال للرجل يُفْرَد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته : « أما تتقون الله ، أما تستحيون من الله ! » ، ونحو ذلك من الكلام .[1]

وذلك وإن كان وجهاً غير مدفوع ، فالقولُ الذى اخترناه أولى بمعنى الكلام ،

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧١ ، فهذه مقالته .

لدلالة الظاهر الذى وصفنا عليه .

* * *

وقوله : « قليلاً ما تذكرون » ، يقول : قليلاً ما تتعظون وتعتبرون فتراجعون الحق .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : حذّر هؤلاء العابدين غيرى ، والعادلين بى الآلهة والأوثان ، سَخَطى لا أُحِلّ بهم عقوبتى فأهلكهم ،(٢) كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم ، فكثيراً ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصونى وكذّبوا رسلى وعبدوا غيرى(٣) = « فجاءها بأسنا بياتاً » ، يقول : فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلاً قبل أن يصبحوا(٤) = أو جاءتهم « قائلين » ، يعنى : نهاراً فى وقت القائلة .

* * *

وقيل : « وكم » لأن المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عن كثرة ما قد أصاب الأمم السالفة من المَثُلات ، بتكذيبهم رسلَه وخلافهم عليه . وكذلك تفعل العرب إذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد ، كما قال الفرزدق :

---

(١) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف ١١ : ٤٨٩ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لأحل بهم عقوبتى » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « كم » فيما سلف ٥ : ٣٥٢ .

= وتفسير « القرية » فيما سلف ٨ : ٥٤٣ .

= وتفسير « الإهلاك » فيما سلف : ١١ : ٣١٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « البأس » فيما سلف ص : ٢٠٧ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « البيات » فيما سلف ٨ : ٥٦٢ ، ٥٦٣/٩ : ١٩١ ، ١٩٢ .

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يا جَرِيرُ وخَالَةٍ فَدْعاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِى[1]

* * *

فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره إنما أخبر أنه «أهلك قرًى»، فما فى خبره عن إهلاكه «القرى» من الدليل على إهلاكه أهلها ؟

قيل : إن «القرى» لا تسمى «قرى» ولا «القرية» «قرية»، إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم ، فنى إهلاكها إهلاك من فيها من أهلها .

* * *

وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن «القرية»، والمراد به أهلها .

* * *

قال أبو جعفر : والذى قلنا فى ذلك أولى بالحق ، لموافقته ظاهر التنزيل المتلوّ .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : «وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون» ؟ وهل هلكت قرية إلا بمجىء بأس الله وحلول نقمته وسَخَطه بها ؟ فكيف قيل : «أهلكناها فجاءها» ؟ وإن كان مجىء بأس الله إياها بعد هلاكها، فما وجه مجىء ذلك قوماً قد هلكوا وبادوا ، ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم ؟

قيل : إن لذلك من التأويل وجهين ، كلاهما صحيح واضح منهجه :

أحدهما : أن يكون معناه : «وكم من قرية أهلكناها»، بخذلاننا إياها عن اتباع ما أنزلنا إليها من البينات والهدى، واختيارها اتباع أمر أوليائها المُغْوِيتِها عن طاعة ربها[2] = «فجاءها بأسنا» إذ فعلت ذلك = «بياتاً أو هم قائلون»، فيكون «إهلاك الله إياها» ، خذلانه لها عن طاعته ، ويكون «مجىء بأس الله إياهم» ، جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم .

---

(١) ديوانه : ٤٥١، والنقائض : ٣٣٢، وقد سلف هذا البيت وشرحه فى تخريج بيت آخر من القصيدة ٩ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : «المغويها» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

والآخر منهما : أن يكون « الإهلاك » هو « البأس » بعينه ، فيكون فى ذكر « الإهلاك » الدلالةُ على ذكر « مجىء البأس » ، وفى ذكر « مجىء البأس » الدلالة على ذكر « الإهلاك » .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان سواء عند العرب ، بُدِئَ بالإهلاك ثم عطف عليه بالبأس ، أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك . وذلك كقولهم : « زرتنى فأكرمتنى » ، إذ كانت « الزيارة » هى « الكرامة » ، فسواء عندهم قدم « الزيارة » وأخر « الكرامة » ، أو قدم « الكرامة » وأخر « الزيارة » فقال : « أكرمتنى فزرتنى » .[1]

٨٨/٨

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أن فى الكلام محذوفاً ، لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحاً = وأن معنى ذلك : وكم من قرية أهلكناها ، فكان مجىء بأسنا إياها قبل إهلاكنا .[2] وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل ، ولا من خبر يجب التسليم له . وإذا خلا القولُ من دلالة على صحته من بعض الوجوه التى يجبُ التسليم لها ، كان بيّناً فساده .

* * *

وقال آخر منهم أيضاً : معنى « الفاء » فى هذا الموضع معنى « الواو » . وقال : تأويل الكلام : وكم من قرية أهلكناها ، وجاءها بأسنا بياتاً . وهذا قول لا معنى له ، إذ كان لـ « الفاء » عند العرب من الحكم ما ليس للواو فى الكلام ، فصرفها إلى الأغلب من معناها عندهم ، ما وجد إلى ذلك سبيل ، أولى من صرفها إلى غيره .

* * *

فإن قال : وكيف قيل : « فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون » ، وقد علمت أن الأغلب من شأن « أو » فى الكلام ، اجتلابُ الشك ، وغير جائز أن يكون فى خبر الله شك ؟

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧١ .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٧١ ، قال : « وإن شئت كان المعنى : وكم من قرية أهلكناها ، فكان مجيء البأس قبل الإهلاك ، فأضمرت كان » .

قيل : إن تأويل ذلك خلافُ ما إليه ذهبتَ . وإنما معنى الكلام : وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتاً ، وبعضها وهم قائلون . ولو جعل مكان « أو » فى هذا الموضع « الواو » ، لكان الكلام كالمحال ، ولصار الأغلب من معنى الكلام: أن القرية التى أهلكها الله جاءها بأسه بياتاً وفى وقت القائلة . وذلك خبرٌ عن البأس أنه أهلك من قد هلك ، وأفنى من قد فنى . وذلك من الكلام خَلْفٌ .[١] ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل ، إذ لم يفصل القرى التى جاءها البأس بياتاً ، من القرى التى جاءها ذلك قائلةً . ولو فُصلت ، لم يخبر عنها إلا بالواو .

وقيل : « فجاءها بأسنا » خبراً عن « القرية » أن البأس أتاها ، وأجرى الكلام على ما ابتدئ به فى أول الآية . ولو قيل : « فجاءهم بأسنا بياتاً » ، لكان صحيحاً فصيحاً ، ردًّا للكلام إلى معناه ، إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها ، وإن كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب ، نحوٌ من الذى نال سكانها . وقد رجع فى قوله : « أو هم قائلون » ، إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها ، لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان ، وإن كان فى هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها .[٢]

ولو قيل : « أو هى قائلة » ، كان صحيحاً ، إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام .

* * *

فإن قال قائل : أو ليس قوله : « أو هم قائلون » ، خبرًا عن الوقت الذى أتاهم فيه بأس الله من النهار ؟

قيل : بلى !

---

(١) « خلف » (بفتح فسكون) . يقال : « هذا خلف من القول » ، أى : ردىء ساقط ومنه المثل : « سكت ألفاً ، ونطق خلفاً » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧١ .

فإن قال : أو ليس المواقيت فى مثل هذا تكون فى كلام العرب بالواو الدالّ على الوقت ؟

قيل : إن ذلك ، وإن كان كذلك، فإنهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع ، استثقالاً للجمع بين حرفى عطف ، إذ كان « أو »عندهم من حروف العطف ،[١] وكذلك « الواو » ، فيقولون : « لقيتنى مملقاً أو أنا مسافر» ، بمعنى : أو وأنا مسافر ، فيحذفون « الواو » وهم مريدوها فى الكلام، لما وصفت .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: فلم يكن دعوى أهل القرية التى أهلكناها، إذ جاءهم بأسنا وسطوتُنا بياتاً أو هم قائلون ، إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين ، وبربهم آثمين ، ولأمره ونهيه مخالفين .[٣]

* * *

وعنى بقوله جل ثناؤه : « دعواهم »، فى هذا الموضع دعاءَهم .

* * *

و لـ«الدعوى» ، فى كلام العرب ، وجهان : أحدهما : الدعاء، والآخر : الادعاء للحق.

ومن «الدعوى» التى معناها الدعاء، قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ ٨ / ٨٩ [سورة الأنبياء : ١٥] ، ومنه قول الشاعر :[٤]

---

(١) فى المخطوطة : « إذ كا وعندهم من حروف العطف » بياض ، وفوق البياض (كذا) ، وفى الهامش حرف (ط) . والذى فى المطبوعة شبيه بالصواب .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٢ .

(٣) انظر بيان قول « بربهم آثمين » فيما سلف ص : ١٧١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) كثير عزة .

وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ[(١)]

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن « البأس » و « البأساء » الشدة ، بشواهد ذلك الدالة على صحته ، بما أغنى عن إعادته فى الموضع .[(٢)]

* *

وفى هذه الآية الدلالةُ الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « ما هلك قوم حتى يُعْذِرُوا من أنفسهم » .

* * *

وقد تأوّل ذلك كذلك بعضهم .

١٤٣٢٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن أبى سنان ، عن عبد الملك بن ميسرة الزرَّاد قال : قال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هلك قوم حتى يُعْذِرُوا من أنفسهم — قال قلت لعبد الملك : كيف يكون ذلك ؟ قال : فقرأ هذه الآية : « فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا » ، الآية .[(٣)]

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلاّ أن قالوا إنا كنا ظالمين » ؟ وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك ، وقد جاءهم بأس الله بالهلاك ؟ أقالوا ذلك قبل الهلاك ؟ فإن كانوا قالوه قبل الهلاك ، فإنهم قالوا قبل

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٤٥ ، فى باب الزيادات ، نهاية الأرب ٢ : ١٢٥ ، واللسان (مذل) . « مذلت رجله مذلا (بفتح وسكون) ومذلا (بفتحتين) : خدرت ، وكانوا يزعمون أن المرء إذا خدرت رجله ثم دعا باسم من أحب ، زال خدرها .

(٢) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ص : ٢٩٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٤٣٢٣ — « عبد الملك بن ميسرة الهلالى الزراد » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ١١٣٢٦ ، مات فى العشر الثانى من المئة الثانية . لم يدرك ابن مسعود ولا غيره من الصحابة . فإسناده منقطع .

وهذا الخبر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٤٨ ، عن الطبرى ولم يخرجه . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦٧ ، ولم ينسبه إلى غير ابن أبى حاتم .

« أعذر من نفسه » ، إذا أمكن معاقبه بذنبه منها . يعنى : أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم ، فيعذروا من أنفسهم ، ويستوجبوا العقوبة ، ويكون لمن يعذبهم عذر فى إلحاق العذاب بهم .

مجىء البأس ، والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم ، لا قبل ذلك ؟ أو قالوه بعد ما جاءهم ، فتلك حالة قد هلكوا فيها ، فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك إذا عاينوا بأس الله ، وحقيقة ما كانت الرسل تَعِدهم من سطوة الله ؟ (١).

قيل : ليس كل الأمم كان هلاكها فى لحظة ليس بين أوّله وآخره مَهَلٌ ، بل كان منهم من غرق بالطوفان . فكان بين أوّل ظهور السبب الذى علموا أنهم به هالكون ، وبين آخره الذى عمّ جميعهم هلاكُه، المدة التى لا خفاء بها على ذى عقل . ومنهم من مُتِّع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياماً ثلاثة ، كقوم صالح وأشباههم . فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذى كانت رسل الله تتوعدهم به ، وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم ، دعوا : « يا ويلنا إنا كنا ظالمين » ، فلم يك ينفعهم إيمانهم مع مجىء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم . فحذّر ربنا جل ثناؤه الذين أرسل إليهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله ، ما حلّ بمن كان قبلهم من الأمم إذ عصوا رُسله، واتبعوا أمر كل جبار عنيد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لنسألن الأمم الذين أرسلت إليهم رسلى : ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندى من أمرى ونهيى ؟ هل عملوا بما أمرتهم به ، وانتهوا عما نهيتهم عنه ، وأطاعوا أمرى ، أم عصونى فخالفوا ذلك ؟= « ولنسألن

(١) فى المخطوطة وصل الكلام هكذا « وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله وليس كل الأمم » ، بالواو ، وليس فيه « قيل » ، وقد أحسن الناشر الأول فيما فعل ، وإن كنت أظن أن فى الكلام سقطاً .

المرسلين » ، يقول : ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم : هل بلغتهم رسالاتى ، وأدّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم ،أم قصّروا فى ذلك ففرّطوا ولم يبلغوهم ؟

* * *

وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٢٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فلنسألن الذى أرسل إليهم ولنسألن المرسلين » ، قال : يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ، ويسأل المرسلين عما بلغوا .

١٤٣٢٥ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ،عن أبيه، عن ابن عباس قوله :« فلنسألن الذين أرسل إليهم» إلى قوله : « غائبين » ، قال : يوضع الكتاب يوم القيامة ، فيتكلم بما كانوا يعملون .

١٤٣٢٦ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلنسألنّ الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين » ، يقول : فلنسألن الأمم : ما عملوا فيما جاءت به الرسل ؟ ولنسألن الرسل : هل بلغوا ما أرسلوا به ؟ ٨/٩٠

١٤٣٢٧ ــ حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال ، قال مجاهد : « فلنسألن الذين أرسل إليهم »،الأمم= ولنسألن الذين أرسلنا إليهم عما ائتمنا هم عليه : هل بلغوا ؟[1]

* * *

(١) الأثر : ١٤٣٢٧ - «أبو سعد المدنى» ، مضى فى الأثر رقم : ١٤٣٢٢ ، ولم أعرف من هو ، ولم أجد له ترجمة .

القول فى تأويل قوله ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلنخبرن الرسل ومن أرسلتهم إليه بيقين علمٍ بما عملوا فى الدنيا فيما كنت أمرتهم به ، وما كنت نهيتهم عنه[1] = « وما كنا غائبين »، عنهم وعن أفعالهم التى كانوا يفعلونها .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يسأل الرسلَ ، والمرسل إليهم، وهو يخبر أنه يقصّ عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم فى ذلك ؟

قيل : إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة استرشاد ، ولا مسألة تعرّف منهم ما هو به غير عالم ، وإنما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر ، كما يقول الرجل للرجل: «ألم أحسن إليك فأسأت؟ »، و « ألم أصلك فقطعت ؟» . فكذلك مسألة الله المرسلَ إليهم ، بأن يقول لهم : « ألم يأتكم رسلى بالبينات؟ ألم أبعث إليكم النذر فتنذركم عذابى وعقابى فى هذا اليوم من كفر بى وعبد غيري » ؟ كما أخبر جل ثناؤه أنه قائل لهم يومئذ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، [سورة يس : ٦٠ ، ٦١] ، ونحو ذلك من القول الذى ظاهره ظاهر مسألة ، ومعناه الخبر والقصص ، وهو بعدُ توبيخ وتقرير .

وأما مسألة الرسل الذي هو قصص وخبر ، فإن الأمم المشركة لما سئلت فى القيامة قيل لها : « ألم يأتكم رُسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم » ؟ أنكر ذلك كثير منهم وقالوا : « ما جاءنا من بشير ولا نذير» . فقيل للرسل : « هل بلغتم ما أرسلتم به » ؟ أو قيل لهم: « ألم تبلغوا إلى هؤلاء ما أرسلتم به ؟ » ، كما جاء الخبر

---

(١) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ٩ : ٤٠٢/١٢ : ١٢٠ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما قال جل ثناؤه لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، [سورة البقرة : ١٤٣] . فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا إليه من الأمم ، وللمرسَل إليهم على وجه التقرير والتوبيخ ، وكل ذلك بمعنى القصص والخبر .

فأما الذى هو عن الله منفىٌّ من مسألته خلقه، فالمسألة التى هى مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسئول، ليعلم السائل علم ذلك من قِبَله، فذلك غير جائز أن يوصف الله به ، لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وفى حال كونها وبعد كونها ، وهى المسألة التى نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ، [سورة الرحمن : ٣٩]، وبقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾، [سورة القصص : ٧٨] ، يعنى : لا يسأل عن ذلك أحداً منهم مسألة مستثبت ،[1] ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه ، لأنه العالم بذلك كله وبكل شىء غيره .

* * *

وقد ذكرنا ما روى فى معنى ذلك من الخبر فى غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته .[2]

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى معنى قوله : « فلنقصن عليهم بعلم » ، أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم .

وهذا قولٌ غيرُ بعيد من الحق ، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه تَرْجُمان ، فيقول له : « أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا » ؟ حتى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا يسأل عن ذلك أحداً منهم علم مستثبت » وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ١٤٥ – ١٥٤ .

يذكره ما فعل فى الدنيا[1] = والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره . ٨/٩١

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ⑧

قال أبو جعفر : « الوزن » مصدر من قول القائل : « وزنت كذا وكذا أزنه وَزْناً ، وزِنَةً » ، مثل : « وَعدته أعده وعداً وعدة » .

وهو مرفوع بـ« الحق » ، و « الحق » به .[2]

* * *

ومعنى الكلام : والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين ، الحق = ويعنى بـ« الحق » ، العدلَ .

* * *

وكان مجاهد يقول : « الوزن » ، فى هذا الموضع ، القضاء .

١٤٣٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ » ، القضاء .

* * *

(١) هذا الخبر الذى صححه الطبرى ، لم أجده بتمامه ، ووجدت صدره من رواية ابن خزيمة ، عن أبى خالد عبد العزيز بن أبان القرشى ، قال : حدثنا بشير بن المهاجر ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » (حادى الأرواح ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩) ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٣٤٦ ، بلفظ : « ليس منكم من أحد إلا سيكلمه الله عز وجل . . . » ، ثم قال : « رواه البزار ، وفيه عبد العزيز بن أبان ، وهو متروك » . وسيأتى فى التعليق على رقم : ١٤٣٣٣ .

وأما الأخبار بمعنى هذا الخبر ، فقد جاءت بالأسانيد الصحاح . ورواه الترمذى بهذا اللفظ فى أبواب صفة القيامة ، من حديث على بن حاتم ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ .

وكان يقول أيضاً : معنى « الحق » ، ههنا ، العدل .

* ذكر الرواية بذلك :

١٤٣٢٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : العدل .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، وزن الأعمال .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٠ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، توزن الأعمال .

١٤٣٣١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشَّروب ، فلا يزن جناح بَعُوضة .

١٤٣٣٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة .

١٤٣٣٣ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يوسف ابن صهيب ، عن موسى ، عن بلال بن يحيى ، عن حذيفة قال : صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام ، قال : يا جبريل ، زِن بينهم ! فردَّ من بعضٍ على بعض . قال : وليس ثَمّ ذهبٌ ولا فضة . قال : فإن كان للظالم حسناتٌ ، أخذ من حسناته فتردّ على المظلوم ، [1] وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من

(١) في المطبوعة أسقط من الكلام ما لا يستقيم إلا به ، فرددتها إلى أصلها من المخطوطة . كان في المطبوعة : « يا جبريل زن بينهم ، فرد على المظلوم . . . »

يذكره ما فعل فى الدنيا[1] = والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره . ٨/٩١

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ ﴾

قال أبو جعفر : « الوزن » مصدر من قول القائل : « وزنت كذا وكذا أزنه وَزْناً ، وزِنَةً » ، مثل : « وَعدته أعده وعداً وعدة » .

وهو مرفوع بـ « الحق » ، و « الحق » به .[2]

* * *

ومعنى الكلام : والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين ، الحق = ويعنى بـ « الحق » ، العدلَ .

* * *

وكان مجاهد يقول : « الوزن » ، فى هذا الموضع ، القضاء .

١٤٣٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ » ، القضاء .

* * *

(١) هذا الخبر الذى صححه الطبرى ، لم أجده بتمامه ، ووجدت صدره من رواية ابن خزيمة ، عن أبى خالد عبد العزيز بن أبان القرشى ، قال : حدثنا بشير بن المهاجر ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » (حادى الأرواح ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩) ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٣٤٦ ، بلفظ : « ليس منكم من أحد إلا سيكلمه الله عز وجل ... » ، ثم قال : « رواه البزار ، وفيه عبد العزيز بن أبان ، وهو متروك » . وسيأتى فى التعليق على رقم : ١٤٣٣٣ .

وأما الأخبار بمعنى هذا الخبر ، فقد جاءت بالأسانيد الصحاح . ورواه الترمذى بهذا اللفظ فى أبواب صفة القيامة ، من حديث عدى بن حاتم ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ .

وكان يقول أيضاً : معنى « الحق » ، ههنا ، العدل .

* ذكر الرواية بذلك :

١٤٣٢٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : العدل .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، وزن الأعمال .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٠ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، توزن الأعمال .

١٤٣٣١ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشَّروب، فلا يزن جناح بَعُوضة .

١٤٣٣٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة .

١٤٣٣٣ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يوسف ابن صهيب، عن موسى ، عن بلال بن يحيى ، عن حذيفة قال: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام ، قال: يا جبريل ، زِن بينهم! فردَّ من بعضٍ على بعض . قال : وليس ثَم ذهبٌ ولا فضة . قال : فإن كان للظالم حسناتٌ ، أخذ من حسناته فتردّ على المظلوم ،[1] وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من

(١) في المطبوعة أسقط من الكلام ما لا يستقيم إلا به ، فرددتها إلى أصلها من المخطوطة . كان في المطبوعة : « يا جبريل زن بينهم ، فرد على المظلوم . . . »

سيئات صاحبه ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال ، فذلك قوله : « والوزن يومئذ الحق » .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « فمن ثقلت موازينه » .

فقال بعضهم : معناه : فمن كثرت حسناته .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « فمن ثقلت موازينه » ، قال : حسناته .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته . قالوا : وذلك هو « الميزان » الذي يعرفه الناس ، له لسان وكِفَّتان .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قال لي عمرو بن دينار قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : إنا نرى ميزاناً وكفتين ، سمعت عبيد بن عمير يقول : يُجْعَل الرجل العظيم الطويل في الميزان ، ثم لا يقوم بجناح ذباب .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ، القولُ الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار ، من أن ذلك هو « الميزان » المعروف الذي يوزن به ،

---

(١) الأثر : ١٤٣٣٣ — « الحارث » ، هو « الحارث بن أبي أسامة » ، ثقة مضى مراراً .
و « عبد العزيز » ، هو « عبد العزيز بن أبان الأموي » ، كذاب خبيث يضع الأحاديث ، مضى ذكره مراراً ، رقم : ١٠٢٩٥ ، ١٠٣١٥ ، ١٠٣٥٨ ، ١٠٣٦٠ ، ١٠٥٥٣ .
« يوسف بن صهيب الكندي » ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٨٠ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٢٤ .
و « موسى » كثير ، ولم أستطع أن أعينه .
و « بلال بن يحيى العبسي » ، يروي عن حذيفة . ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/١٠٨ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٩٦ .

وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: «فمن ثقلت موازينه»، موازين عمله الصالح = «فأولئك هم المفلحون»، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء فى الجنات، [1] لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «ما وُضِع فى الميزان شىء أثقل من حسن الخُلق»، [2] ونحو ذلك من الأخبار التى تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت. ٩٢/٨

* * *

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه، وجِهْتَه، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شىء قبل خلقه إياه وبعده، وفى كل حال؟ = أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التى توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟

قيل له فى قوله: «وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها»: وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه فى أمّ ِ الكتاب واستنساخه ذلك فى الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك فى كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه فى تنزيله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [سورة الجاثية : ٢٨، ٢٩] الآية . فكذلك

(١) انظر تفسير «الفلاح» فيما سلف ص : ١٣٠ تعليق : ٢ والمراجع هناك .

(٢) روى الترمذى فى سننه فى كتاب «البر والصلة» باب «ما جاء فى حسن الخلق»، عن أبى الدرداء، قال النبى صلى الله عليه وسلم: «ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، فإن الله تعالى يبغض الفاحش البذىء»، ثم قال: «وفى الباب عن عائشة، وأبى هريرة، وأنس، وأسامة بن شريك. هذا حديث حسن صحيح». وقال السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٧١ «وأخرجه أبو داود والترمذى وصححه وابن حبان واللالكائى، عن أبى الدرداء».

و زنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير فى طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم.[1]

* * *

وأمّا وجه جواز ذلك، فإنه كما : —

١٤٣٣٦ — حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال، حدثنا جعفر ابن عون قال، حدثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقى، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو، قال: يُؤْتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان، فيوضع فى الكِفّة، فيخرج له تسعة وتسعون سِجِلاً فيها خطاياه وذنوبه. قال: ثم يخرج له كتاب مثل الأنْمُلة، فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال: فتوضع فى الكِفّة، فترجح بخطاياه وذنوبه.[2]

---

(١) هذه إحدى حجج أبى جعفر، التى تدل على لطف نظره، ودقة حكمه، وصفاء بيانه، وقدرته على ضبط المعانى ضبطاً لا يختل. فجزاه الله عن كتابه ودينه أحسن الجزاء، يوم توفى كل نفس ما كسبت.

(٢) الأثر : ١٤٣٣٦ — « موسى بن عبد الرحمن المسروقى » شيخ أبى جعفر، مضى مراراً، آخرها رقم : ٨٩٠٦.

و « جعفر بن عون بن عمرو بن حريث المخزومى »، ثقة، مضى برقم : ٩٥٠٦، ١٤٢٤٤.

و « عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى المعافرى »، هو « ابن أنعم »، ثقة. مضى برقم : ٢١٩٥، ١٠١٨٠، ١١٣٣٧.

و « عبد الله بن يزيد المعافرى » أبو عبد الرحمن الحبلى المصرى، ثقة، مضى برقم : ٦٦٥٧، ٩٤٨٣، ١١٩١٧.

وكان فى المطبوعة : « عن عبد الله بن عمر »، وهو خطأ، صوابه من المخطوطة.

وهذا خبر صحيح الإسناد.

ورواه أحمد فى مسنده بغير هذا اللفظ مطولا، فى مسند عبد الله بن عمرو رقم : ٦٩٩٤ من طريق الليث بن سعد، عن عامر بن يحيى، عن أبى عبد الرحمن الحبلى = ثم رواه أيضاً رقم : ٧٠٦٦ من طريق ابن لهيعة، عن عمرو بن يحيى (عامر بن يحيى)، عن أبى عبد الرحمن الحبلى.

ورواه من الطريق الأولى عند أحمد ابن ماجة فى سننه ص : ١٤٣٧.

ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٦ من طريق يونس بن محمد، عن الليث بن سعد، عن عامر بن يحيى، عن أبى عبد الرحمن المعافرى الحبلى وقال : « هذا حديث صحيح، لم يخرج فى الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم »، ووافقه الذهبى. ثم عاد فرواه فى المستدرك أيضاً ١ : ٥٢٩ من طريق يحيى بن عبد الله بن بكير، عن الليث، مثل إسناده وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى.

* * *

فكذلك وزن الله أعمال خلقه ، بأن يوضع العبد وكتب حسناته فى كفة من كفتى الميزان ، وكتب سيئاته فى الكفة الأخرى ، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة فى الكفة التى الموزون بها أولى ، احتجاجاً من الله بذلك على خلقه ، كفعله بكثير منهم : من استنطاق أيديهم وأرجلهم ، استشهاداً بذلك عليهم ، وما أشبه ذلك من حججه .

ويُسألَ من أنكر ذلك فيقال له : إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم فى القيامة ، ويخفف موازين آخرين ، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك ، فما الذى أوجب لك إنكار الميزان أن يكون هو الميزان الذى وصفنا صفته ، الذى يتعارفه الناس ؟ أحجة عقل تُبْعِد أن يُنال وجه صحته من جهة العقل ؟[1] وليس فى وزن الله جل ثناؤه خلقَه وكتبَ أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان ، خروجٌ من حكمة، ولا دخول فى جور فى قضية ، فما الذى أحال ذلك عندك من حجةِ عقلٍ أو خبر ؟[2] إذ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرتُ ، ولا سبيل إلى ذلك. وفى عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين، وضوحُ فساد قوله ، وصحة ما قاله أهل الحق فى ذلك .

وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار فى هذا المعنى على من أنكر الميزان الذى وصفنا صفته، إذ كان قصدُنا فى هذا الكتاب : البيانَ عن تأويل القرآن دون غيره . ولولا ذلك لقرنَّا إلى ما ذكرنا نظائره ، وفى الذى ذكرنا من ذلك كفاية لمن وُفِّق لفهمه إن شاء الله .

---

(١) فى المطبوعة : أحجة عقل فقد يقال وجه صحته . . . وهو كلام غير مستقيم . وفى المخطوطة : « أحجة عقل نعدان ننال وجه صحته . . . » ، وكأن الصواب ما قرأته وأثبته .

(٢) فى المطبوعة : « فما الذى أحال ذلك عندك من حجة أعقل أو خبر » ، وهو فاسد ، وفى المخطوطة : « . . . من حجة أو عقل أو خبر » ، بزيادة « أو » ، وبحذفها يستقيم الكلام .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٩﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ومن خفت موازين أعماله الصالحة ، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله ، والإيمان به وبرسوله ، واتباع أمره ونهيه ، فأولئك الذين غبَنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته[١]= «بما كانوا بآياتنا يظلمون» ، يقول : بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون ، فلا يقرّون بصحتها ، ولا يوقنون بحقيقتها ،[٢] كالذى : — ٩٣/٨

١٤٣٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « ومن خفت موازينه » ، قال : حسناته .

* * *

وقيل : « فأولئك »، و « من » فى لفظ الواحد، لأن معناه الجمع . ولو جاء موحّداً ، كان صواباً فصيحاً .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿١٠﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد وطّأنا لكم ، أيها الناس ، فى الأرض ،[٤] وجعلناها لكم قراراً تستقرّون فيها ، ومهاداً تمتهدونها ، وفراشاً تفترشونها[٥]= « وجعلنا

(١) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .
(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ .
(٤) فى المطبوعة : « ولقد وطنا لكم أيها الناس » ، والصواب من المخطوطة .
(٥) انظر تفسير « مكن » فيما سلف ١١ : ٢٦٣ .

لكم فيها معايش » ، تعيشون بها أيام حياتكم ، من مطاعم ومشارب ، نعمة منى عليكم ، وإحساناً منى إليكم = « قليلا ما تشكرون » ، يقول : وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التى أنعمتها عليكم لعبادتكم غيرى ، واتخاذكم إلهاً سواى .

* * *

و « المعايش » جمع « معيشة » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءتها .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿ مَعَايِشَ ﴾ بغير همز .

* * *

وقرأه عبد الرحمن الأعرج : ﴿ مَعائِشَ ﴾ بالهمز .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿ مَعَايِشَ ﴾ بغير همز ، لأنها «مفاعل» من قول القائل « عشتَ تعيش » ، فالميم فيها زائدة ، والياء فى الحكم متحركة ، لأن واحدها «مَفْعِلة» ، «مَعْيِشَة » ، متحركة الياء ، نقلت حركة الياء منها إلى « العين » فى واحدها . فلما جُمعت ، رُدَّت حركتها إليها لسكون ماقبلها وتحركها . وكذلك تفعل العرب بالياء والواو إذا سكن ما قبلهما وتحركتا ، فى نظائر ما وصفنا من الجمع الذي يأتى على مثال «مفاعل» ، وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال « فعائل » التى تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل . فإن ما جاء من الجمع على هـذا المثال ، فالعرب تهمزه ، كقولهم : « هذه مدائن » و « صحائف » ونظائرهما ،[1] لأن « مدائن » جمع « مدينة » و « المدينة » ، « فعيلة » من قولهم : « مدنت المدينة » ، وكذلك ، « صحائف » جمع « صحيفة » ، و « الصحيفة » » ، « فعيلة » من قولك : « صحفت الصحيفة » ، فالياء فى واحدها زائدة ساكنة ، فإذا جمعت همزت ، لخلافها فى الجمع الياء التى كانت فى واحدها ، وذلك أنها كانت

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ونظائر » والسياق يقتضى ماأثبت .

فى واحدها ساكنة ، وهى فى الجمع متحركة . ولو جعلت « مدينة » « مَفْعلة » من : « دان يدين » ، وجمعت على « مفاعل » ، كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء . وربما همزت العرب جمع « مفعلة » فى ذوات الياء والواو = وإن كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها، إذا جاءت على «مفاعل»= تشبيهاً منهم جمعها بجمع « فعيلة » كما تشبه « مَفْعلا » « بفعيل » فتقول: « مَسِيل الماء » من: « سال يسيل » ، ثم تجمعها جمع « فعيل » فتقول : « هى أمسِلة » ، فى الجمع ، تشبيهاً منهم لها بجمع « بعير » وهو «فعيل» إذ تجمعه « أبعرة »، وكذلك يجمع « المصير » وهو « مَفْعل »، « مُصْران » تشبيهاً له بجمع: « بعير » وهو « فعيل »، إذ تجمعه « بُعْران » .[1] وعلى هذا همز الأعرج « معايش » . وذلك ليس بالفصيح فى كلامها ، وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها ، دون أنكرها وأشذّها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم: تأويل ذلك: «ولقد خلقناكم »، فى ظهر آدم ، أيها الناس = « ثم صورناكم » ، فى أرحام النساء . خلقاً مخلوقاً ومثالاً ممثلاً فى صورة آدم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

١٤٣٣٨ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، قوله : « خلقناكم » ، يعني آدم = وأمّا « صورناكم » ، فذرّيته .

٨ / ٩٤

١٤٣٣٩ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » الآية ، قال : أمّا « خلقناكم » ، فآدم . وأمّا « صورناكم » ، فذرية آدم من بعده .

١٤٣٤٠ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع : « ولقد خلقناكم » ، يعني آدم = « ثم صورناكم » ، يعني : في الأرحام .

١٤٣٤١ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس في قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، يقول : خلقناكم خلق آدم ، ثم صورناكم في بطون أمهاتكم .

١٤٣٤٢ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، يقول : خلقنا آدم ، ثم صورنا الذرية في الأرحام .

١٤٣٤٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : خلق الله آدم من طين = « ثم صورناكم » ، في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق : علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر .[١]

١٤٣٤٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) الأثر : ١٤٣٤٣ - « بشر بن معاذ العقدي » ، مضى مراراً ، وهذا إسناد يدور في التفسير دوراناً ، ولكنه جاء هنا في المخطوطة والمطبوعة : « بشر بن آدم » ، وهو خطأ . لا شك في ذلك .

معمر ، عن قتادة قال : خلق الله آدم ، ثم صوّر ذريته من بعده .

١٤٣٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمر بن هرون ، عن نصر بن مُشارس ، عن الضحاك : « خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : ذريته .[1]

١٤٣٤٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله : « ولقد خلقناكم »، يعني آدم = « ثم صورناكم » ، يعني ذريته .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولقد خلقناكم » ، في أصلاب آبائكم = « ثم صورناكم » ، في بطون أمهاتكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٤٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » : قال : خلقناكم في أصلاب الرجال ، وصوّرناكم في أرحام النساء .

١٤٣٤٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

١٤٣٤٩ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان قال ، سمعت الأعمش يقرأ : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ؟ قال : خلقناكم في أصلاب الرجال ، ثم صورناكم في أرحام النساء .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « خلقناكم » ، يعني آدم = « ثم صورناكم»، يعني : في ظهره .

(١) الأثر : ١٤٣٤٥ — « عمر بن هرون بن يزيد البلخي » ، متكلم فيه وجرح ، مضى برقم : ١٢٣٨٩ .

و « نصر بن مشارس » أو « نصر بن مشيرس » ، هو « أبو مصلح الخراساني » مشهور بكنيته ، وكذلك مضى في الأثر رقم : ١٢٣٨٩ .

وكان في المطبوعة : « مشاوش » ، وفي المخطوطة : « مشاوس » والصواب ما أثبته .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٥٠ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ولقد خلقناكم» ، قال : آدم = « ثم صورناكم » ، قال : في ظهر آدم .

١٤٣٥١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، في ظهر آدم .

١٤٣٥٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : صورناكم في ظهر آدم .

١٤٣٥٣ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدني قال : سمعت مجاهداً في قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : في ظهر آدم ، لما تصيرون إليه من الثواب في الآخرة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ولقد خلقناكم » ، في بطون أمهاتكم = « ثم صورناكم » ، فيها . ٨/٩٥

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٥٤ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عمن ذكره قال : « خلقناكم ثم صورناكم »، قال : خلق الله الإنسان في الرحم ، ثم صوّره ، فشقّ سمعه وبصره وأصابعه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : تأويله : « ولقد خلقناكم » ، ولقد خلقنا آدم = « ثم صورناكم » ، بتصويرنا آدم ، كما قد بينا

فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ فى ذلك سلفه، [١] وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهُرِ المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، [سورة البقرة : ٦٣] . وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحىّ الموجود ، والمراد به السلف المعدوم ، فكذلك ذلك فى قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، معناه : ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوّرناه .

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الذى يتلو ذلك قوله : « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » ، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته فى بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم .

و « ثم » فى كلام العرب لا تأتى إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، [٢] وذلك كقول القائل: «قمت ثم قعدت »، لا يكون « القعود » إذ عطف به بـ « ثم » على قوله : « قمت » إلا بعد القيام ، [٣] وكذلك ذلك فى جميع الكلام . ولو كان العطف فى ذلك بالواو ، جاز أن يكون الذى بعدها قد كان قبل الذى قبلها ، وذلك كقول القائل : « قمت وقعدت » ، فجائز أن يكون « القعود » فى هذا الكلام قد كان قبل « القيام » ، لأن « الواو » تدخل فى الكلام إذا كانت عطفاً ، لتوجب للذى بعدها من المعنى ما وجب للذى قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان فى وقت واحد أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا فى وقتين ، أيهما

---

(١) انظر هذا من خطاب العرب فيما سلف ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ثم ص : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ومواضع أخرى بعد ذلك فى فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .

(٢) انظر القول فى « ثم » فيما سلف ص : ٢٣٣ .

(٣) كان فى هذه الجملة فى المخطوطة تكرار ، ووضع الناسخ فى الهامش (كذا) ، والصواب ما فى المطبوعة .

المتقدم وأيهما المتأخر . فلما وصفنا قلنا إنّ قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم»، لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا .

فإن ظن ظانّ أن العربَ ، إذ كانت ربما نطقت بـ « ثم »فى موضع « الواو » فى ضرورة شعره ، كما قال بعضهم :

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ : مَنْ خَيْرُهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا ؟ فَقَالَتْ : لِمَهْ ![1]

يعنى : أباً وأمّا ، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره = فإن ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها، وله فى الأفصح الأشهر معنى مفهومٌ ووجه معروف .

* * *

وقد وجّه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك إلى أنه من المؤخر الذى معناه التقديم ، وزعم أن معنى ذلك : ولقد خلقناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، ثم صورناكم . وذلك غير جائز فى كلام العرب ، لأنها لا تدخل « ثم » فى الكلام وهى مرادٌ بها التقديم على ما قبلها من الخبر ، وإن كانوا قد يقدّمونها فى الكلام ،[2] إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير ، وذلك كقولهم : « قام ثم عبد الله عمرو » ، فأما إذا قيل : « قام عبد الله ثم قعد عمرو » ، فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلا بعد قيام عبد الله ، إذا كان الخبر صدقاً. فقول الله تبارك وتعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا » ، نظير قول القائل : « قام عبد الله ثم قعد عمرو »، فى أنه غير جائز أن يكون أمرُ الله الملائكةَ بالسجود لآدم كان إلاّ بعد الخلق والتصوير ، لما وصفنا قبل .

* * *

٨/٩٦ وأما قوله للملائكة : « اسجدوا لآدم » ، فإنه يقول جل ثناؤه : فلما صوّرنا

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) فى المخطوطة : « وإن كان يعمر فربها فى الكلام » ، فلم أستبن لقراءتها وجهاً أرضاه ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله ، لأنه مستقيم المعنى إن شاء الله .

آدم، وجعلناه خلقاً سويًّا ، ونفخنا فيه من روحنا ، قلنا للملائكة : « اسجدوا لآدم » ، ابتلاء منا واختباراً لهم بالأمر ، ليعلم الطائع منهم من العاصى ، = « فسجدوا » ، يقول : فسجد الملائكة ، إلا إبليس فإنه لم يكن من الساجدين لآدم ، حين أمره الله مع من أمرَ من سائر الملائكة غيره بالسجود .

* * *

وقد بينا فيما مضى ، المعنى الذى من أجله امتحن جَلّ جلاله ملائكته بالسجود لآدم ، وأمْرَ إبليس وقصصه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس ، إذ عصاه فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له . يقول : قال الله لإبليس : = « ما منعك » ، أىّ شىء منعك =«أن لا تسجد»، أن تدع السجود لآدم = « إذ أمرتك» أن تسجد = « قال أنا خير منه » ، يقول : قال إبليس : أنا خير من آدم = « خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

* * *

فإن قال قائل : أخبرنا عن إبليس ، ألحقته الملامة على السجود ، أم على ترك السجود ؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك السجود ، فكيف قيل له : « ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك » ؟ وإن كان النكير على السجود ، فذلك خلافُ ما جاء به التنزيل فى سائر القرآن ، وخلاف ما يعرفه المسلمون !

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٠١ - ٥١٢ .

قيل : إن الملامة لم تلحق إبليس إلا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم إذ أمره بالسجود له .

غير أن فى تأويل قوله : « ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك » بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافاً، أبدأ بذكر ما قالوا، ثم أذكر الذى هو أولى ذلك بالصواب.

فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : ما منعك أن تسجد = و «لا» ههنا زائدة، كما قال الشاعر :[1]

أَبَى جُودُهُ لا البُخْلَ، وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ، مِنْ فَتًى لاَ يَمْنَعُ الجُوعَ قَاتِلَهْ[2]

وقال : فسرته العرب : « أبى جوده البخل »، وجعلوا «لا» زائدةً حشواً ههنا، وصلوا بها الكلام . قال : وزعم يونس أن أبا عمرو كان يجر « البخلِ »، ويجعل « لا » مضافة إليه، أراد : أبى جوده « لا » التى هى للبخل، ويجعل « لا » مضافة، لأن « لا » قد تكون للجود والبخل، لأنه لو قال له : « امنع الحق ولا تعط المسكين » فقال : « لا » ، كان هذا جوداً منه .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله ، غير أنه زعم أن العلة فى دخول « لا » فى قوله : « أن لا تسجد » ، أن فى أول الكلام جحداً = يعنى بذلك قوله : « لم يكن من الساجدين » ، فإن العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد ، الجحدَ، كالاستيثاق والتوكيد له . قال : وذلك كقولهم :[3]

---

(١) لا يعرف قائله .

(٢) اللسان (نعم) ، أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٢٨ ، ٢٣١ ، شرح شواهد المغنى : ٢١٧ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « لا يمنع الجوع » ، كما أثبته ، وكذلك ورد عن الفارسى فى اللسان . وأما فى المراجع الأخرى، فروايته : « لا يمنع الجود » .

(٣) لم يعرف قائله .

مَا إنْ رَأَيْنَا مِثْلَهُنَّ لِمَعْشَرٍ سُودِ الرُّؤُوسِ، فَوَالِجٌ وَفُيُولُ[١]

فأعاد على الجحد الذى هو « ما » جحداً ، وهو قوله : « إن »، فجمعهما للتوكيد .

* * *

وقال آخر منهم : ليست « لا » ، بحشو فى هذا الموضع ولا صلة،[٢] ولكن «المنع» ههنا بمعنى «القول» . وإنما تأويل الكلام: من قال لك لا تسجد إذ أمرتك بالسجود = ولكن دخل فى الكلام « أن » ، إذ كان « المنع » بمعنى القول » ، لا فى لفظه ، كما يُفعل ذلك فى سائر الكلام الذى يضارع القول ، وهو له فى اللفظ مخالف ، كقولهم: « ناديت أن لاتقم » و « حلفت أن لا تجلس » ، وما أشبه ذلك من الكلام . وقال : خفض « البخل » من روى : « أبي جوده لا البخل » ،[٣] بمعنى : كلمة البخل ، لأن « لا » هى كلمة البخل ، فكأنه قال : كلمة البخل .

٨/٩٧

* * *

وقال بعضهم: معنى « المنع »، الحول بين المرء وما يريده . قال: والممنوع مضطرّ به إلى خلاف ما منع منه ، كالممنوع من القيام وهو يريده ، فهو مضطر من الفعل إلى ما كان خلافاً للقيام ، إذ كان المختار للفعل هو الذي له السبيل إليه وإلى خلافه ، فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله . قال : فلما كانت صفة « المنع » ذلك ، فخوطب إبليس بالمنع فقيل له : « ما منعك ألا تسجد » ، كان معناه كأنه قيل له : أيّ شيء اضطرك إلى أن لا تسجد ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال : إن فى الكلام محذوفاً قد كفى دليلُ الظاهر منه ، وهو أن معناه : ما منعك من السجود ،

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٦ ، ٣٧٤ و « الفوالج » جمع « فالج » ، وهو جمل ذو سنامين كان يجلب من السند للفحلة . و « الفيول » ، جمع « فيل » .

(٢) « الصلة » : الزيادة ، كما سلف ، انظر فهارس المصطلحات .

(٣) فى المطبوعة : « وقال بعض من روى : أبي جود لا البخل » ، فغير ما فى المخطوطة ، وأفسد الكلام إفساداً .

فأحوجك أن لا تسجد = فترك ذكر « أحوجك » ، استغناء بمعرفة السامعين قوله : « إلا إبليس لم يكن من الساجدين » ، أن ذلك معنى الكلام ، من ذكره.[١] ثم عمل قوله : « ما منعك » ، فى « أن » ، ما كان عاملاً فيه قبل « أحوجك » لو ظهر ، إذ كان قد ناب عنه .

وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب ، لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شىء لا معنى له ، وأن لكل كلمة معنًى صحيحاً . فتبين بذلك فسادُ قول من قال : « لا » ، فى الكلام حشو لا معنى لها .

وأما قول من قال : معنى « المنع » ههنا « القول » ، فلذلك دخلت « لا » مع « أن » = فإن « المنعَ » وإن كان قد يكون قولاً وفعلاً ، فليس المعروف فى الناس استعمالُ « المنع » ، فى الأمر بترك الشىء ، لأن المأمور بترك الفعل إذا كان قادراً على فعله وتركه ففعله ، لا يقال : « فعله » ، وهو ممنوع من فعله ، إلا على استكراه للكلام . وذلك أن المنع من الفعل حَوْلٌ بينه وبينه ، فغير جائز أن يكون وهو مَحُولٌ بينه وبينه فاعلاً له ، لأنه إن جاز ذلك ، وجب أن يكون مَحُولاً بينه وبينه لا محولاً ، وممنوعاً لا ممنوعاً .[٢]

وبعدُ ، فإن إبليس لم يأتمر لأمر الله تعالى ذكره بالسجود لآدم كبرًا ، فكيف كان يأتمر لغيره فى ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم ، فيجوز أن يقال له : « أى شىء قال لك : لا تسجد لآدم إذ أمرتك بالسجود له » ؟ ولكن معناه إن شاء الله ما قلت : « ما منعك من السجود له فأحوجك ، أو : فأخرجك ، أو : فاضطرك إلى أن لا تسجد له » ، على ما بيَّنت .

* * *

وأما قوله : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ، فإنه خبرٌ من الله جل ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله : ما الذى منعه من السجود لآدم ،

---

(١) السياق : « استغناء بمعرفة السامعين . . . من ذكره » .

(٢) يعنى أنه يجمع الصفتين معاً « محول بينه وبينه ، وغير محول = وممنوع ، وغير ممنوع » ، وهو تناقض .

فأحوجه إلى أن لا يسجد له ، واضطره إلى خلافه أمرَه به ، وتركه طاعته = أنّ المانعَ كان له من السجود، والداعيَ له إلى خلافه أمر ربه فى ذلك: أنه أشد منه أيْداً،[١] وأقوى منه قوة، وأفضل منه فضلاً ، لفضل الجنس الذى منه خلق، وهو النارُ، على الذى خلق منه آدم ،[٢] وهو الطين . فجهل عدوّ الله وجه الحق ، وأخطأ سبيل الصواب . إذ كان معلوماً أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوًّا ، والذى فى جوهرها من ذلك هو الذى حملَ الخبيث بعد الشقاء الذى سبق له من الله فى الكتاب السابق ، على الاستكبار عن السجود لآدم ، والاستخفاف بأمر ربه ، فأورثه العطبَ والهلاكَ.وكان معلوماً أن من جوهر الطين الرزانةُ والأناةُ والحلم والحياء والتثبُّت، وذلك الذى هو فى جوهره من ذلك ،[٣] كان الداعى لآدم بعد السعادة التى كانت سبقت له من ربه فى الكتاب السابق ، إلى التوبة من خطيئته ، ومسألته ربَّه العفوَ عنه والمغفرة . ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان : «أول من قاسَ إبليس»، يعنيان بذلك : القياسَ الخطأ ، وهو هذا الذى ذكرنا من خطأ قوله ، وبعده من إصابة الحق ، فى الفضل الذى خص الله به آدم على سائر خلقه : من خلقه إياه بيده ، ونفخه فيه من روحه ، وإسجاده له الملائكة ، وتعليمه أسماء كلّ شىء ، مع سائر ما خصه به من كرامته . فضرب عن ذلك كلِّه الجاهلُ صفحاً،وقصد إلى الاحتجاج بأنه خُلِق من نار وخلق آدم من طين !![٤] وهو فى ذلك أيضاً له غير كفؤ، لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شىء غيره ، فكيف والذى خصّ به من كرامته يكثر تعداده ، ويملّ إحصاؤه .

٩٨/٨

(١) فى المطبوعة : «أشد منه يدا» ، والصواب من المخطوطة ، و «الأيد» ، القوة .

(٢) فى المطبوعة : «من الذى خلق منه آدم» ، زاد «من» ، والمخطوطة سقط منها حرف الجر المتعلق بفضل الجنس ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : «وذلك الذى فى جوهره . . .» حذف «هو» ، وفى المخطوطة : «وذلك الذى هو من جوهره من ذلك» ، وصوابها «فى جوهره» ، وإنما هو خطأ من الناسخ .

(٤) فى المطبوعة : «بأنه خلقه من نار» ، والجيد ما فى المخطوطة .

١٤٣٥٥ — حدثني عمرو بن مالك قال، حدثنا يحيي بن سليم الطائفي ، عن هشام، عن ابن سيرين قال : أوّل من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس .[1]

١٤٣٥٦ — حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن كثير ، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق ، عن الحسن قوله : « خلقتني من نار وخلقته من طين » ، قال : قاس إبليس ، وهو أول من قاس .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٥٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة ، دون الملائكة الذين في السموات : « اسجدوا لآدم » ، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر ، لما كان حدّث نفسه ، من كبره واغتراره ، فقال: « لا أسجد له ، وأنا خير منه ، وأكبر سنًّا ، وأقوى خلقاً ، خلقتني من نار وخلقته من طين ! »، يقول: إنّ النار أقوى من الطين .

١٤٣٥٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج،عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « خلقتني من نار » ، قال : ثم جعل ذريته من ماء

* * *

(١) الأثر : ١٤٣٥٥ — « عمرو بن مالك الراسبي الغبرى » ، أبو عثمان البصرى ، شيخ الطبرى . قال ابن عدى : « منكر الحديث عن الثقات ، ويسرق الحديث » ، وقال ابن أبي حاتم : « ترك أبي التحديث عنه » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٥٩ .
و « يحيى بن سليم الطائفى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٨٩٤ ، ٧٨٣١ .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله عدوّ الله ليس لما سأله عنه بجواب . وذلك أن الله تعالى ذكره قال له : ما منعك من السجود ؟ فلم يجب بأن الذى منعه من السجود أنه خـُلـِقَ من نار وخلق آدم من طين ،[١] ولكنه ابتدأ خبراً عن نفسه، فيه دليل على موضع الجواب فقال: « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه: قال الله لإبليس عند ذلك: « فاهبط منهـا » .

* * *

وقد بينا معنى « الهبوط » فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[٢]

* * *

= « فما يكون لك أن تتكبر فيها » ، يقول تعالى ذكره : فقال الله له : « اهبط منها » ، يعنى من الجنة = « فما يكون لك »، يقول : فليس لك أن تستكبر فى الجنة عن طاعتى وأمرى .

* * *

فإن قال قائل : هل لأحد أن يتكبر فى الجنة ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ ، وإنما معنى ذلك : فاهبط من الجنة ، فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله، فأما غيرها ، فإنه يسكنها المستكبر عن أمر الله ، والمستكين لطاعته .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أنه خلقه من نار » ، والجيد ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الهبوط » فيما سلف ١ : ٥٣٤ ، ٢/٥٤٨ : ١٣٢ ، ٢٣٩ .

وقوله : « فاخرج إنك من الصاغرين » ، يقول : فاخرج من الجنة ، إنك من الذين قد نالهم من الله الصَّغَار والذلّ والمَهانة .

* * *

يقال منه : « صَغِرَ يَصْغَرُ صَغَرًا وصَغارًا وصُغْرَانًا » ، وقد قيل :«صغُرَ يصْغُرُ صَغارًا وصَغارَة » .[1]

* * *

وبنحو ذلك قال السدى .[2]

١٤٣٥٩ ــ حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فاخرج إنك من الصاغرين » ، و « الصغار » ، هو الذل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ أَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

قال أبو جعفر : وهذه أيضاً جَهْلة أخرى من جَهَلاته الخبيثة . سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه . وذلك أنه سأل النَّظِرة إلى قيام الساعة ، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق . ولو أعطى ما سأل من النَّظِرة ، كان قد أعطى الخلودَ وبقاءً لا فناء معه ، وذلك أنه لا موت بعد البعث . فقال جل ثناؤه : ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [سورة الحجر : ٣٧، ٣٨ / سورة ص : ٨٠، ٨١] ، وذلك إلى اليوم الذى قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء، لأنه لا شيء يبقى فلا يفنى ، غير ربِّنا الحيِّ الذى لا يموت . يقول الله تعالى

٨/٩٩

---

(١) انظر تفسير « الصغار » فيما سلف ص: ٩٦

(٢) فى المطبوعة : « وبنحو الذى قلنا قال السدى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ذكره: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾، [سورة آل عمران: ١٨٥ / سورة الأنبياء: ٣٥/ سورة العنكبوت : ٥٧] .

* * *

و « الإنظار » فى كلام العرب، التأخير . يقال منه: « أنظرته بحق عليه أنظره به إنظارًا » .(١)

* * *

فإن قال قائل : فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يبعثون : « إنك من المنظرين » فى هذا الموضع ، فقد أجابه إلى ما سأل ؟

قيل له : ليس الأمر كذلك ، وإنما كان مجيباً له إلى ما سأل لو كان قال له : « إنك من المنظرين إلى الوقت الذى سألت = أو : إلى يوم البعث = أو : إلى يوم يبعثون » ، أو ما أشبه ذلك ، مما يدل على إجابته إلى ما سأل من النظرة . وأما قوله: « إنك من المنظرين»، فلا دليل فيه لولا الآية الأخرى التى قد بيَّن فيها مدة إنظاره إياه إليها، وذلك قوله: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾، [سورة الحجر : ٣٧، ٣٨/سورة ص : ٨٠ ، ٨١] ، كم المدة التى أنظره إليها ،(٢) لأنه إذا أنظره يوماً واحداً أو أقل منه أو أكثر ، فقد دخل فى عداد المنظرين ، وتمَّ فيه وعد الله الصادق، ولكنه قد بيَّن قدر مدة ذلك بالذى ذكرناه ، فعلم بذلك الوقت الذى أُنظِر إليه .

* * *

وبنحو ذلك كان السدى يقول :

١٤٣٦٠ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾، [سورة الحجر : ٣٦– ٣٨/سورة ص: ٧٩–٨١]، فلم ينظره إلى يوم البعث ، ولكن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم ينفخ

(١) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ٢ : ٤٦٧، ٤٦٨/ ٣ : ٢٦٤/ ٦ : ٥٧٧/ ١١ : ٢٦٧

(٢) فى المطبوعة : « على المدة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فى الصور النفخة الأولى ، فصعق من فى السموات ومن فى الأرض ، فمات .[١]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : قال إبليس لربه : « أنظرنى » ، أى أخّرنى وأجّلنى ، وأنسئْ فى أجلى ، ولا تمتنى= «إلى يوم يبعثون»، يقول : إلى يوم يبعث الخلق . فقال تعالى ذكره :«إنك من المنظرين » ، إلى يوم ينفخ فى الصور ، فيصعق فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله .

* * *

فإن قال قائل: فهل أحدٌ مُنْظرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس، فيقال له : « إنك منهم » ؟

قيل : نعم ، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ، ممن تقوم عليه الساعة ، فهم من المنظرين بآجالهم إليه . ولذلك قيل لإبليس : « إنك من المنظرين » ، بمعنى : إنك ممن لا يميته الله إلاّ ذلك اليوم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال إبليس لربه : « فبما أغويتنى » ، يقول : فبما أضللتنى ، كما :—

١٤٣٦١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فبما أغويتنى »، يقول : أضللتنى .

١٤٣٦٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

(١) الأثر : ١٤٣٦٠ — « موسى بن هرون الهمدانى » ، مضى مراراً ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « يونس بن هرون » ، وهو خطأ محض ، فهذا إسناد دائر فى التفسير .

ذكره: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾، [سورة آل عمران: ١٨٥ / سورة الأنبياء: ٣٥/ سورة العنكبوت : ٥٧] .

* * *

و« الإنظار » فى كلام العرب ، التأخير . يقال منه : « أنظرته بحق عليه أنظره به إنظارًا » .(١)

* * *

فإن قال قائل : فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يبعثون : « إنك من المنظرين » فى هذا الموضع ، فقد أجابه إلى ما سأل ؟

قيل له : ليس الأمر كذلك ، وإنما كان مجيباً له إلى ما سأل لو كان قال له : « إنك من المنظرين إلى الوقت الذى سألت = أو : إلى يوم البعث = أو : إلى يوم يبعثون » ، أو ما أشبه ذلك ، مما يدل على إجابته إلى ما سأل من النظرة . وأما قوله: « إنك من المنظرين»، فلا دليل فيه لولا الآية الأخرى التى قد بيَّن فيها مدة إنظاره إياه إليها ، وذلك قوله: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾، [سورة الحجر : ٣٧، ٣٨/سورة ص : ٨٠ ، ٨١] ، كم المدة التى أنظره إليها ،(٢) لأنه إذا أنظره يوماً واحداً أو أقل منه أو أكثر ، فقد دخل فى عداد المنظرين ، وتمَّ فيه وعد الله الصادق، ولكنه قد بيَّن قدر مدة ذلك بالذى ذكرناه ، فعلم بذلك الوقت الذى أُنظِر إليه .

* * *

وبنحو ذلك كان السدى يقول :

١٤٣٦٠ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾، [سورة الحجر : ٣٦- ٣٨/سورة ص: ٧٩-٨١]، فلم ينظره إلى يوم البعث ، ولكن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم ينفخ

---

(١) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ٢ : ٤٦٧، ٤٦٨/ ٣ : ٢٦٤/٦ : ٥٧٧/١١ : ٢٦٧

(٢) فى المطبوعة : « على المدة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فى الصور النفخة الأولى ، فصعق من فى السموات ومن فى الأرض ، فمات .[١]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : قال إبليس لربه : « أنظرنى » ، أى أخّرنى وأجّلنى ، وأنسئْ فى أجلى ، ولا تمتنى = «إلى يوم يبعثون» ، يقول : إلى يوم يبعث الخلق . فقال تعالى ذكره : «إنك من المنظرين » ، إلى يوم ينفخ فى الصور ، فيصعق فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله .

* * *

فإن قال قائل : فهل أحَدٌ مُنْظرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس ، فيقال له : « إنك منهم » ؟

قيل : نعم ، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ، ممن تقوم عليه الساعة ، فهم من المنظرين بآجالهم إليه . ولذلك قيل لإبليس : « إنك من المنظرين » ، بمعنى : إنك ممن لا يميته الله إلاّ ذلك اليوم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال إبليس لربه : « فبما أغويتنى » ، يقول : فبما أضللتنى ، كما :-

١٤٣٦١ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فبما أغويتنى » ، يقول : أضللتنى .

١٤٣٦٢ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) الأثر : ١٤٣٦٠ - « موسى بن هرون الهمدانى » ، مضى مراراً ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « يونس بن هرون » ، وهو خطأ محض ، فهذا إسناد دائر فى التفسير .

قوله : « فبما أغويتنى » ، قال : فبما أضللتنى .

* * *

وكان بعضهم يتأول قوله : « فبما أغويتنى » ، بما أهلكتنى ، من قولهم : « غَوِىَ الفصيل يَغْوَى غَوًى »، وذلك إذا فقد اللبن فمات ، من قول الشاعر :[1]

مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا ... بِرَازِئِهَا دَرًّا وَلاَ مَيِّتٍ غَوًى[2]

* * *

وأصل « الإغواء » فى كلام العرب : تزيين الرجل للرجل الشىء حتى يحسّنه عنده ، غاراً له .[3]

وقد حكى عن بعض قبائل طيئ ، أنها تقول : « أصبح فلان غاوياً » ، أي : أصبح مريضاً .[4]

* * *

وكان بعضهم يتأوّل ذلك أنه بمعنى القسم ، كأن معناه عنده : فبإغوائك إياى ، لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، كما يقال : « بالله لأفعلن كذا » . ١٠٠/٨

* * *

وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى المجازاة، كأن معناه عنده : فلأنك أغويتنى = أو : فبأنك أغويتنى = لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

* * *

---

(١) هو « مدرج الريح الجرى » ، واسمه « عامر بن المجنون » كما فى الشعر والشعراء : ٧١٣ ، وفى الوحشيات رقم : ٣٨٠ ، والأغانى ٣ : ١١٥ ، وجاء فى المعانى الكبير : ١٠٤٧ « عامر المجنون » ، صوابه ما أثبت .

(٢) المعانى الكبير : ١٠٤٧ ، المخصص ٧ : ٤١ ، ١٨٠ ، تهذيب إصلاح المنطق ٢ : ٥٤ ، اللسان (غوى) . يصف قوساً . قال التبريزى فى شرحه : « أثناؤها » ، أطرافها المتلثبة . و « فصيلها » ، السهم ، و « رازئها » أى : آخذ منها شيئاً . يقول : ليس فصيل هذه القوس يشرب منها لبناً كفصيل الناقة ، ولا يؤذيه كثرة الشرب ، يريد أنه لا يشرب فى حال من الأحوال = ولا يموت إذا فقد اللبن .

(٣) انظر تفسير « الغى » و « الإغواء » فيما سلف ٥ : ٤١٦ .

(٤) هذا نص ينبغى إثباته فى كتب اللغة ، فلم يذكر فيها فيما علمت .

قال أبو جعفر : وفى هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية،[١] من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسبابَ ذلك إليه،[٢] وأن السبب الذى به يصل المؤمن إلى الإيمان ، هو السبب الذى به يصل الكافر إلى الكفر . وذلك أنَّ ذلك لو كان كما قالوا: لكان الخبيث قد قال بقوله: «فبما أغويتنى»، «فبما أصلحتنى»، إذ كان سبب « الإغواء » هو سبب « الإصلاح » ، وكان فى إخباره عن الإغواء إخبارٌ عن الإصلاح ، ولكن لما كان سبباهما مختلفين ، وكان السبب الذى به غوَى وهلك من عند الله . أضاف ذلك إليه فقال : « فبما أغويتنى » .

* * *

وكذلك قال محمد بن كعب القرظى، فيما : —

١٤٣٦٣ — حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنا أبو مودود : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : قاتل الله القدريّة ، لَأبليس أعلمُ بالله منهم !

* * *

وأما قوله : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ، فإنه يقول : لأجلسن لبنى آدم « صراطك المستقيم » ، يعنى : طريقك القويم ، وذلك دين الله الحق ، وهو الإسلام وشرائعه.[٣] وإنما معنى الكلام: لأصدَّن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ، ولأغوينهم كما أغويتنى ، ولأضلنهم كما أضللتنى .

وذلك كما روى، عن سبرة بن أبى الفاكة :—[٤]

١٤٣٦٤ — أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن الشيطان قعد لابن آدم

---

(١) « القدرية » هو نفاة القدر الكافرون به ، وأما المؤمنون بالقدر ، وهم أهل الحق ، فيقال لهم « أهل الإثبات » ، وانظر فهارس المصطلحات والفرق فيما سلف .

(٢) « التفويض » ، رد الأسباب إليه ، وانظر بيان ذلك فيما سلف ١ : ١٦٢ ، تعليق : ٣/١١ : ٣٤٠ ، /١٢ : ٩٢ ، وهو مقالة المعتزلة وأشباههم .

(٣) انظر تفسير « الصراط المستقيم »، فيما سلف ص: ٢٨٢، تعليق: ١، والمراجع هناك.

(٤) فى المطبوعة : « سبرة بن الفاكه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب . انظر التعليق التالى ص ٣٣٥، تعليق: ٢ :

بأَطْرِقَة ،[(١)] فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذرُ دينك ودين آبائك ؟ فعصاه فأسلم . ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس فى الطِّوَل؟[(٢)]فعصاه وهاجر .ثمقعد له بطريق الجهاد، وهو جَهْدُ النفس والمال، فقال : أتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة، ويقسم المال ؟ قال : فعصاه فجاهد .[(٣)]

* * *

وروى عن عون بن عبد الله فى ذلك ما :ـــ

١٤٣٦٥ ـــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حَبَّويه أبو يزيد ، عن عبد الله ابن بكير ، عن محمد بن سوقة ، عن عون بن عبد الله : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ، قال : طريق مكة .[(٤)]

* * *

(١) « أطرقة » جمع « طريق » ، مثل « رغيف » و « أرغفة » ، وهو جمعه مع تذكير « طريق » ، ويجمع أيضاً على « أطرق » (بضم الراء) ، وهو جمع « طريق » إذا أنثتها ، نحو « يمين » ، و « أيمن » . وبهذه الأخيرة ضبط فى أكثر الكتب .

(٢) « الطول » (بكسر الطاء وفتح الواو) : وهو الحبل الطويل ، يشد أحد طرفيه فى وتد أو فى غيره ، والآخر فى يد الفرس ، فيدور فيه ويرعى ، ولا يذهب لوجهه . ويعنى بذلك : أن الهجرة تحبسه عن التصرف والضرب فى الأرض،والعودة إلى أرضه وسمائه، والهجرة أمرها شديد كما تعلم .

(٣) الأثر : ١٤٣٦٤ ـــ هذا خبر رواه الأئمة ، ذكره أبو جعفر بغير إسناده .

و « سبرة بن أبى فاكه » ، مختلف فى اسمه ، يقال : « سبرة بن أبى الفاكه » ، و « سبرة ابن الفاكه» ، و « سبرة بن الفاكهة » ، و « سبرة بن أبى الفاكهة »، صحابى نزل الكوفة . مترجم فى التهذيب ، وأسد الغابة ٢ : ٢٦٠ ، والإصابة فى اسمه ، والكبير للبخارى ٢/٢/١٨٨ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٩٥ .

وهذا الخبر ، رواه أحمد فى مسنده مطولا ٣ : ٤٨٣ ، والنسائى ٦ : ٢١ ، ٢٢ ، والبخارى فى التاريخ ٢/٢/١٨٨ ، ١٨٩ ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٢ : ٢٦٠ ، قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة فى ترجمته : « له حديث عند النسائى ، بإسناد حسن، إلا أن فى إسناده اختلافاً»،ثم قال : « وصححه ابن حبان » .

(٤) الأثر : ١٤٣٦٥ ـــ « حبويه أبو يزيد » هكذا فى المخطوطة ، ولكنه غير منقوط ، وكان فى المطبوعة : « حيوة أبو يزيد » ، تغيير بلا دليل .

و « حبويه » ، أبو يزيد ، هو : « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، روى عن نافع بن عمر الجمحى ، وعمرو بن أبى قيس ، ونعيم بن ميسرة . روى عنه محمد بن سعيد الأصفهانى ، وعثمان

والذي قاله عون ، وإن كان من صراط الله المستقيم ، فليس هو الصراط كله . وإنما أخبر عدوّ الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ، ولم يخصص منه شيئاً دون شيء . فالذي روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشبهُ بظاهر التنزيل ، وأولى بالتأويل ، لأن الخبيث لا يألو عباد الله الصدّ عن كل ما كان لهم قربة إلى الله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل فى معنى «المستقيم» ، فى هذا الموضع .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « صراطك المستقيم» ، قال : الحق .

١٤٣٦٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٣٦٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال : سمعت مجاهداً يقول « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ، قال : سبيل الحق ، فلأضلنَّهم إلا قليلاً .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية فى ذلك .

فقال بعض نحويى البصرة: معناه : لأقعدن لهم على صراطك المستقيم ، كما

وأبو بكر ابنا أبى شيبة ، وإبراهيم بن موسى . قال يحيى بن معين : « أرجو أن يكون صدوقاً » . مترجم فى الجرح والتعديل ١/١/٢١٢ ، وعبد الغنى بن سعيد فى المؤتلف والمختلف: ٤٣ ، « حبويه » بالباء المشددة بعد الحاء .

وسيأتى أيضاً فى الإسناد رقم : ١٤٥٥٠ .

و « عبد الله بن بكير الغنوى الكوفى » ، روى عن « محمد بن سوقة » ، وهو ليس بقوى ، وإن كان من أهل الصدق ، وذكر له ابن عدى مناكير . مترجم فى لسان الميزان ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٦ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٦ .

يقال : « توجّه مكة » ، أى : إلى مكة ، وكما قال الشاعر : [١]

كَأَنِّى إِذْ أَسْعَى لِأَظْفَرَ طَائِرًا مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ [٢]

بمعنى : لأظفر بطائر ، فألقى « الباء » ، وكما قال : ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٠] ، بمعنى : أعجلتم عن أمر ربكم .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة ، المعنى ، والله أعلم : لأقعدن لهم على طريقهم ، وفى طريقهم . قال : وإلقاء الصفة من هذا جائز ، [٣] كما تقول : « قعدت لك وجهَ الطريق » و « على وجه الطريق » ، لأن الطريق صفة فى المعنى ، [٤] فاحتمل ما يحتمله « اليوم » و « الليلة » و « العام » ، [٥] إذا قيل : « آتيك غداً » ، و « آتيك فى غد » .   ١٠١/٨

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول هو أولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، لأن : « القعود » مقتضٍ مكاناً يقعد فيه ، فكما يقال : « قعدت فى مكانك » ، يقال : « قعدت على صراطك » ، و « فى صراطك » ، كما قال الشاعر : [٦]

لَدْنٌ بِهَزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ ، كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ [٧]

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) لم أجد البيت فى غير هذا المكان .

(٣) « الصفة » هنا حرف الجر ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف ، وستأتى بعد قليل بمعنى « الظرف » . انظر التعليق التالى .

(٤) « الصفة » هنا ، هى « الظرف » ، وكذلك يسميه الكوفيون .

(٥) فى المطبوعة : « يحتمل ما يحتمله » ، وفى المخطوطة سقط ، كتب : « فى المعنى ما يحتمله » ولكنى أثبت ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٥ ، فهذا نص كلامه .

(٦) هو ساعدة بن جؤية الهذلى .

(٧) ديوان الهذليين ١ : ١٩٠ ، سيبويه ١ : ١٦ ، ١٠٩ ، الخزانة ١ : ٤٧٤ ، وغيرها كثير من قصيدة طويلة ، وصف فى آخرها رمحه ، وهذا البيت فى صفة رمح من الرماح الخطية . ورواية الديوان « لذ » ، أى تلذ الكف بهزه . و « يعسل » ، أى يضطرب ، وقوله : « فيه » :

فلا تكاد العرب تقول ذلك فى أسماء البلدان ، لا يكادون يقولون : « جلست مكة » ، و « قمت بغداد » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى قوله : « لآتينهم من بين أيديهم » ، من قبل الآخرة = « ومن خلفهم » ، من قبل الدنيا = « وعن أيمانهم » ، من قِبَل الحق = « وعن شمائلهم » ، من قبل الباطل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم »، يقول: أشككهم فى آخرتهم = « ومن خلفهم » ، أرغبهم فى دنياهم = « وعن أيمانهم » ، أشبِّه عليهم أمرَ دينهم = « وعن شمائلهم » ، أشَهِّى لهم المعاصى .

* * *

وقد روى عن ابن عباس بهذا الإسناد فى تأويل ذلك خلاف هذا التأويل، وذلك ما : —

١٤٣٧٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية،عن على بن أبى طلحة،عن ابن عباس قوله: « ثم لآتينهم من بين أيديهم »،

أى فى الهز . وقوله : « عسل الطريق الثعلب » ، أى : عسل فى الطريق الثعلب واضطربت مشيته . شبه اهتزاز الرمح فى يد الذى يهزه ليضرب به ، باهتزاز الثعلب فى عدوه فى الطريق .

يعنى من الدنيا = « ومن خلفهم » ، من الآخرة = « وعن أيمانهم » ، من قبل حسناتهم = « وعن شمائلهم » ، من قبل سيئاتهم .

* * *

وتحقق هذه الرواية، الأخرى التى : —

١٤٣٧١ — حدثنى بها محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله :« ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، قال : أما بين«أيديهم » ، فمن قبلهم ، وأما « من خلفهم » ، فأمر آخرتهم ، وأما « عن أيمانهم » فمن قبل حسناتهم ، وأما « عن شمائلهم» ، فمن قبل سيئاتهم .

١٤٣٧٢ — حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم » الآية ، أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار = « ومن خلفهم » ، من أمر الدنيا ، فزيَّنها لهم ودعاهم إليها = « وعن أيمانهم »، من قبل حسناتهم بطَّأهم عنها = « وعن شمائلهم»، زين لهم السيئات والمعاصى ، ودعاهم إليها ، وأمرهم بها . أتاك يا ابن آدم من كل وجه ، غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله !

* * *

وقال آخرون : بل معنى قوله: « من بين أيديهم »، من قبل دنياهم =«ومن خلفهم » ، من قبل آخرتهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٧٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم » ، قال : « من بين أيديهم » ، من قبل دنياهم = « ومن خلفهم » ، من قبل آخرتهم = « وعن أيمانهم »،من قبل حسناتهم =«وعن شمائلهم»،من قبل سيئاتهم .

١٤٣٧٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن منصور ،

عن الحكم : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم »، قال : « من بين أيديهم » ، من دنياهم = « ومن خلفهم » ، من آخرتهم = « وعن أيمانهم » ، من حسناتهم = « وعن شمائلهم » ، من قِبَل سيئاتهم . ١٠٢/٨

١٤٣٧٥ ــ حدثنا سفيان قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم : « ثم لآتينهم من بين أيديهم » ، قال : من قبل الدنيا يزيّنها لهم = « ومن خلفهم » ، من قبل الآخرة يبطّئهم عنها = « وعن أيمانهم »، من قبل الحق يصدّهم عنه = « وعن شمائلهم » ، من قبل الباطل يرغّبهم فيه ويزينه لهم .

١٤٣٧٦ ــ حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم »، أما « من بين أيديهم»، فالدنيا، أدعوهم إليها وأرغبهم فيها = « ومن خلفهم » ، فمن الآخرة، أشككهم فيها وأباعدها عليهم [1] = « وعن أيمانهم » ، يعني الحق ، فأشككهم فيه = « وعن شمائلهم » ، يعني الباطل، أخفّفه عليهم وأرغّبهم فيه .

١٤٣٧٧ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « من بين أيديهم » ، من دنياهم ، أرغّبهم فيها = « ومن خلفهم » ، آخرتهم ، أكفّرهم بها وأزهّدهم فيها = « وعن أيمانهم » ، حسناتهم أزهدهم فيها = « وعن شمائلهم » ، مساوى أعمالهم ، أحسّنها إليهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٧٨ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قول الله : « من بين أيديهم وعن

(١) في المطبوعة : « وأبعدها » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أيمانهم » ، قال : حيث يبصرون = « ومن خلفهم » = « وعن شمائلهم » ، حيث لا يبصرون .

١٤٣٧٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٣٨٠ — حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير ، عن منصور قال : تذاكرنا عند مجاهد قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، فقال مجاهد : هو كما قال ، يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم = زاد ابن حميد ، قال : « يأتيهم من ثَمَّ » .

١٤٣٨١ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدني قال ، قال مجاهد ، فذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قولُ من قال : معناه : ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل ،فأصدّهم عن الحق، وأحسِّن لهم الباطل . وذلك أن ذلك عَقِيب قوله : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم »، فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرَهم الله أن يسلكوه ، وهو ما وصفنا من دين الله دين ِ الحق ، فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه ، من الوجه الذي أمرهم الله به ، فيصدّهم عنه ، وذلك « من بين أيديهم وعن أيمانهم » = ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه ، فيزيّنه لهم ويدعوهم إليه، وذلك « من خلفهم وعن شمائلهم » .

* * *

وقيل : ولم يقل : « من فوقهم »، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٨٢ — حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال، حدثنا حفص بن عمر قال ،حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، ولم يقل :

« من فوقهم » ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم .

* * *

وأما قوله : « ولا تجد أكثرهم شاكرين » . فإنه يقول : ولا تجد ، ربِّ ، أكثر بنى آدم شاكرين لك نعمتك التى أنعمت عليهم ، كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به ، من إسجادك له ملائكتك ، وتفضيلك إياه علىّ = و « شكرهم إياه » ، طاعتهم له بالإقرار بتوحيده ، واتباع أمره ونهيه .

* * *

وكان ابن عباس يقول فى ذلك بما : —

١٤٣٨٣ — حدثنى به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تجد أكثرهم شاكرين » ، يقول : موحِّدين . ١٠٣/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إحلاله بالخبيث عدوِّ الله ما أحلّ به من نقمته ولعنته ، وطرده إياه عن جنته ، إذ عصاه وخالف أمره ، وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به . يقول : قال الله له عند ذلك : « اخرج منها » ، أى من الجنة = « مذؤوماً مدحوراً » ، يقول : مَعيباً .

* * *

و « الذأم » ، العيب . يقال منه : « ذأمه يذأمه ذأماً فهو مذؤوم » ، ويتركون الهمز فيقولون : « ذِمْته أذيمه ذيماً وذاماً » ، و « الذأم » و « الذيم » ، أبلغ فى العيب من « الذمّ » ، وقد أنشد بعضهم هذا البيت :[1]

(١) هو الحارث بن خالد المخزومى .

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا[1]

وأكثر الرواة على إنشاده : « ألومها » .

* * *

وأما «المدحور»، فهو المُقْصَى ، يقال: « دحره يدحَرُه دَحْرًا ودُحُوراً»، إذا أقصاه وأخرجه ، ومنه قولهم : « ادحَرْ عنكَ الشيطان » .[2]

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٨٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً » ، يقول : اخرج منها لعيناً منفيًّا .

١٤٣٨٥ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « مذؤوماً »، ممقوتاً .

١٤٣٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « قال اخرج منها مذؤوماً » ، يقول : صغيراً منفيًّا .

١٤٣٨٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً »، أما « مذؤوماً »، فمنفيًّا، وأما « مدحوراً » ، فمطروداً .

١٤٣٨٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « مذؤوماً »، قال: منفيًّا = « مدحوراً»، قال : مطروداً .

١٤٣٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى

---

(١) مضى البيت وشرحه وتخريجه ، وبغير هذه الرواية فيما سلف ١ : ٢٦٥ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٢ .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « اخرج منها مذؤوماً » ، قال : منفيًّا .
= و« المدحور » ، قال : المصغَّر .

١٤٣٩٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن يونس وإسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس : « اخرج منها مذؤوماً » ، قال : منفيًّا .

١٤٣٩١ — حدثني أبو عمرو القرقساني عثمان بن يحيي قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن التيمي : سأل ابن عباس : ما « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً » ، قال : مقيتاً .(١)

١٤٣٩٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً » ، فقال : ما نعرف « المذؤوم » و « المذموم » إلا واحداً ، ولكن تكون حروف منتقصة ، وقد قال الشاعر لعامر : يا « عام » ، ولحارث : « يا حار » ،(٢) وإنما أنزل القرآن على كلام العرب .

* * *

(١) الأثر : ١٤٣٩١ — « أبو عمرو القرقساني » ، « عثمان بن يحيي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب . ويزيد الأمر إشكالا أني وجد أبا جعفر في تاريخه يذكر إسناداً عن شيخ يقال له « عثمان بن يحيي » ، فيه ما نصه : « حدثني عثمان بن يحيي ، عن عثمان القرقساني ، قال حدثنا سفيان بن عيينة » ، فجعل بين « عثمان بن يحيي » و « سفيان بن عيينة » رجلا يقال له « عثمان القرقساني » ! والذي في التفسير يدل على أن الراوي عن سفيان بن عيينة هو « عثمان بن يحيي » نفسه . فظني أن في إسناد التاريخ خطأ ، ولعل صوابه : « حدثني عثمان بن يحيي بن عثمان القرقساني ، قال حدثنا سفيان بن عيينة » . هذا ما وجدت ، فعسى أن يجتمع عندي ما أتبين به صواب ذلك أو خطأه .

(٢) في المطبوعة : « ولكن يكون منتقصة ، وقال العرب لعامر . . . » ، وبين الكلام بياض . وفي المخطوطة : « ولكن تكون ف منتقصة . وقد قال الشاعر . . . » بياض بين الكلام ، فغير ناشر المطبوعة ما في المخطوطة بلا أمانة . وفي المخطوطة فوق البياض « كذا » وفي الهامش حرف (ط) للدلالة على الخطأ . ودلتني الفاء المفردة بعد البياض أن صواب هذا الذي بيض له ناسخ المخطوطة هو « حروف » ، فاستقام الكلام .

ومثال الترخيم في « عامر » قول الحطيئة لعامر بن الطفيل :

القول فى تأويل قوله ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وهذا قسم من الله جل ثناؤه . أقسم أن من اتبع من بنى آدم عدوَّ الله إبليس وأطاعه وصَدَّق ظنه عليه ، أن يملأ من جميعهم = يعنى : من كفرة بنى آدم تُبَّاع إبليس ، ومن إبليس وذريته = جهنم . فرحم الله امرأً كذَّب ظن عدوِّ الله فى نفسه ، وخيَّب فيها أمله وأمنيته ، ولم يمكِّن من طمعَ طمعٍ فيها عدوَّه ، (١) واستغشَّه ولم يستنصحه ، فإن الله تعالى ذكره إنما نبَّه بهذه الآيات ٨/١٠٤ عباده على قِدَم عداوة عدوِّه وعدوهم إبليس لهم ، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم ، وبغيه عليه وعليهم ، وعرَّفهم مواقع نعمه عليهم قديماً فى أنفسهم ووالدهم ليدَّبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب ، فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم إلى طاعته ويُنيبوا إليها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره : وقال الله لآدم : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما » ، فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة

يَا عَامِ ، قد كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَمُ

ومثال الترخيم فى « الحارث » ، قول زهير :

يَا حَارِ ، لاَ أُرْمَيَنْ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلاَ مَلِكُ

(١) فى المطبوعة : « ولم يكن من طمع فيها عدوه » ، غير ما فى المخطوطة لأنه لم يفهمه ، فأساء غاية الإساءة ، وأفسد الكلام .

بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها ، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أىّ مكان شاءا منها ، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها .

* * *

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، وما نرى من القول فيه صواباً ، فى غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته .(١)

* * *

= «فتكونا من الظالمين» ، يقول : فتكونا ممن خالف أمر ربّه ، وفعل ما ليس له فعله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «فوسوس لهما» ، فوسوس إليهما ، وتلك «الوسوسة» كانت قوله لهما : «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» ، وإقسامه لهما على ذلك .

* * *

وقيل : «وسوس لهما» ، والمعنى ما ذكرت ، كما قيل : «غَرِضت إليه» بمعنى : اشتقْتُ إليه ، وإنما تعنى : غَرِضت من هؤلاء إليه .(٢) فكذلك معنى ذلك .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥١٢ — ٥٢٤ .

(٢) فى المطبوعة : «كما قيل : عرضت له ، بمعنى : استبنت إليه» ، غير ما فى المخطوطة تغييراً تاماً ، فأتانا بلغو مبتذل لا معنى له . كان فى المخطوطة : «كما قيل : عرضت إليه بمعنى : اشتقت إليه» ، هكذا ، وصواب قراءتها ما أثبت .

وقوله : «غرضت إليه» بمعنى : اشتقت إليه ، «إنما تعنى : غرضت من هؤلاء إليه» ، هذا كأنه نص قول الأخفش فى تفسير قول ابن هرمة :

مَنْ ذَا رَسُولٌ ناصِحٌ فَمُبَلِّغٌ عَنِّى عُلَيَّةَ غَيْرَ قَوْلِ الكَاذِبِ ؟
أَنِّى غَرِضْتُ إِلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا غَرَضَ المُحِبِّ إِلَى الحَبِيبِ الغَائِبِ

فوسوس من نفسه إليهما الشيطان بالكذب من القيل ، ليبدى لهما ما ووُرى عنهما من سوآتهما ، كما قال رؤبة :

* وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ * (١)

* * *

ومعنى الكلام : فجذب إبليس إلى آدم حوّاء ، وألقى إليهما : ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة ، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين = ليبدى لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما فغطاه بستره الذى ستره عليهما .

* * *

وكان وهب بن منبه يقول فى الستر الذى كان الله سترهما به ، ما :-

١٤٣٩٣ - حدثنى به حوثرة بن محمد المنقرى قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن منبه فى قوله : « فبدت لهما سوآتهما » ، قال : كان عليهما نور ، لا ترى سوآتهما . (٢)

* * *

قوله : « تناصف وجهها » ، أى محاسن وجهها التى ينصف بعضها بعضاً فى الحسن . قال الأخفش : « تفسيره : غرضت من هؤلاء إليه ، لأن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل » . ويريد الأخفش أنهم يقولون : « غرض غرضاً » ، إذا ضجر وقلق ومل ، فلما أدخل مع الفعل « إلى » ، صار معناه : ضجر من هذا نزاعاً واشتياقاً إلى هذا .

وموضع الاستشهاد أن « الوسوسة » الصوت الخفى من حديث النفس ، فنقل إبليس ما حاك فى نفسه إليهما ، فلذلك أدخل على « الوسوسة » « اللام » و « إلى » . ولكن أبا جعفر أدمج الكلام ههنا إدماجاً .

(١) ديوانه : ١٠٨ ، اللسان (وسس) ، وهذا بيت من أرجوزته التى مضت منها أبيات كثيرة . وهذا البيت من أبيات فى صفة الصائد المختفى ، يترقب حمر الوحش ، ليصيب منها . يقول : لما أحس بالصيد وأراد رميه ، وسوس نفسه بالدعاء حذر الخيبة ورجاء الإصابة .

(٢) الأثر : ١٤٣٩٣ - « حوثرة بن محمد بن قديد المنقرى » ، أبو الأزهر الوراق روى عنه ابن ماجة ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، وغيرهم . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٨٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرَها ، إلا لئلا تكونا ملكين .

* * *

= وأسقطت « لا » من الكلام ، لدلالة ما ظهر عليها ، كما أسقطت من قوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٦] . والمعنى : يبين الله لكم أن لا تضلوا .

* * *

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين ، كما يقال : « إياك أن تفعل » كراهيةَ أن تفعل .

* * *

= « أو تكونا من الخالدين » ، فى الجنة ، الماكثين فيها أبداً ، فلا تموتا .[1]

* * *

والقراءة على فتح « اللام » ، بمعنى : ملكين من الملائكة .

* * *

وروى عن ابن عباس ، ما : —

١٤٣٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى حماد قال ، حدثنا عيسى الأعمى ، عن السدىّ قال : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ ﴾ ، بكسر « اللام » .

* * *

وعن يحيى بن أبى كثير ، ما : —

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

١٤٣٩٥ – حدثنى أحمد بن يوسف قال، حدثنى القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ،عن هرون قال ، حدثنا يعلى بن حكيم ، عن يحيى بن أبى كثير : أنه قرأها: ﴿مَلِكَيْنِ﴾ ، بكسر « اللام » . ١٠٥/٨

* * *

وكأنّ ابن عباس ويحيى وجّها تأويل الكلام إلى أن الشيطان قال لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين من الملوك = وأنهما تأوّلا فى ذلك قول الله فى موضع آخر: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾، [سورة طه : ١٢٠] .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز القراءة فى ذلك بغيرها ، القراءةُ التى عليها قرأة الأمصار وهى ، فتح « اللام » من: ﴿مَلَكَيْنِ﴾، بمعنى : ملكين ، من الملائكة ، لما قد تقدم من بياننا فى أن كل ما كان مستفيضاً فى قرأة الإسلام من القراءة ، فهو الصواب الذى لا يجوزُ خلافه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وقاسمهما » ، وحلف لهما ، كما قال فى موضع آخر: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾، [سورة النمل : ٤٩] ، بمعنى تحالفوا بالله ، وكما قال خالد بن زهير [ابن] عمّ أبى ذؤيب: (١)

(١) جاء فى المطبوعة والمخطوطة « خالد بن زهير عم أبى ذؤيب » ، ولم أجد هذا القول لأحد ، بل الذى قالوه أن « خالد بن زهير الهذلى » ، هو ابن أخت أبى ذؤيب ، أو : ابن أخيه ، أو : ابن عم أبى ذؤيب . فالظاهر أن صواب الجملة هو ما أثبت . انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٠ ، ٣/٣٢١ : ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ .

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ جَهْداً لَأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا[١]

بمعنى : وحالفها بالله ، وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

رَضِيعَىْ لِبَانٍ ، ثَدْىَ أُمٍّ تقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لاَ نَتَفَرَّقُ[٢]

بمعنى : تحالفا

* * *

(١) ديوان الهذليين ١ : ١٥٨ ، من قصائده التى تقارضها هو وأبو ذؤيب فى المرأة التى كانت صديقة عبد عمرو بن مالك ، فكان أبو ذؤيب رسوله إليها ، فلما كبر عبد عمرو احتال لها أبو ذؤيب فأخذها منه وخادنها . وغاضبها أبو ذؤيب ، فكان رسوله إلى هذه المرأة ابن عمه خالد بن زهير ، ففعل به ما فعل هو بعبد عمرو بن مالك ، أخذ منه المرأة فخادنها ، فغاضبه أبو ذؤيب وغاضبها ، وقال لها حين جاءت تعتذر إليه :

تُرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِى وَخَالِدًا ! وَهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيْحَكِ فِى غِمْدِ !
أَخَالِدُ ، مَا رَاعَيْتَ مِن ذِى قَرَابَةٍ فَتَحْفَظَنِى بِالْغَيْبِ ، أَوْ بَعْضَ مَا تُبْدِى
دَعَاكَ إِلَيْهَا مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا فَمِلْتَ كَمَا مَالَ الْمُحِبُّ عَلَى عَمْدِ

ثم قال لخالد :

رَعَى خَالِدٌ سِرِّى ، لَيَالِىَ نَفْسُهُ تَوَالَى على قَصْدِ السَّبِيلِ أُمُورُهَا
فَلَمَّا تَرَامَاهُ الشَّبَابُ وَغَيُّهُ ، وَفِى النَّفْسِ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا
لَوَى رَأْسَهُ عَنِّى ، وَمَالَ بِوُدِّهِ أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ قِدْماً يَزُورُهَا

فأجابه خالد من أبيات :

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
فَإِنَّ الَّتِى فِينَا زَعَمْتَ ، وَمِثْلُهَا لَفِيكَ ، وَلٰكِنِّى أَرَاكَ تَجُورُهَا
تَنَقَّذْتَهَا مِنْ عَبْدِ عَمْرِو بن مَالِكٍ وَأَنْتَ صَفِىُّ النَّفْسِ مِنْهُ وَخِيرُهَا
يُطِيلُ ثَوَاءً عِنْدَهَا لِيَرُدَّهَا وَهَيْهَاتَ مِنْهُ دُورُهَا وقُصُورُهَا
وَقَاسَمَهَا بِاللهِ . . . .

و « السلوى » ، العسل . « شار العسل يشوره » ، أخذه من موضعه فى الخلية .

(٢) ديوانه : ١٥٠ ، اللسان (عوض) (سحم) من قصيدة مضت منها أبيات كثيرة .

وقوله : « إنى لكما لمن الناصحين » أى : لممن ينصح لكما فى مشورته لكما، وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التى نهيتما عن أكل ثمرها، وفى خبرى إياكما بما أخبركما به ، من أنكما إن أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين ، كما : —

١٤٣٩٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين » ، فحلف لهما بالله حتى خدعهما ، وقد يُخْدع المؤمن بالله ، فقال : إنى خلقت قبلكما ، وأنا أعلم منكما ، فاتبعانى أرشدكما . وكان بعض أهل العلم يقول : « من خادَعنا بالله خُدِعْنا » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فدلاّهما بغرور » ، فخدعهما بغرور .

* * *

يقال منه : « ما زال فلان يدلّى فلاناً بغرور » ، بمعنى : ما زال يخدعه بغرور ، ويكلمه بزخرف من القول باطل .[1]

* * *

= « فلما ذاقا الشجرة » ، يقول : فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة ، يقول : طعماه[2] = « بدت لهما سوآتهما » ، يقول : انكشفت لهما سوآتهما ، لأن الله

وقد ذكرت هذا البيت فى شرح بيت سالف ١٠ : ٤٥١ ، تعليق : ١ = و « الأسحم » ، الضارب إلى السواد ، و « عوض » لما يستقبل من الزمان بمعنى : « أبداً » . واختلفوا فى معنى « بأسحم داج » ، وإقسامه به . فقالوا : أراد الليل . وقالوا : أراد سواد حلمة ثدى أمه . وقيل أراد الرحم وظلمته . وقيل : أراد الدم ، لسواده ، تغمس فيه اليد عند التحالف .

(١) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ص : ١٢٣ ، تعليق : ٢ والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف ص : ٢٠٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة ، فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطآ والمعصية التي ركبا [(١)]= « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، يقول : أقبلا وجعلا يشدّان عليهما من ورق الجنة ، ليواريا سوآتهما ، كما : —

١٤٣٩٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : جعلا يأخذان من ورق الجنة، فيجعلان على سوآتهما .

١٤٣٩٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان آدم كأنه نخلةٌ سَحُوق ، [(٢)] كثيرُ شعر الرأس ، فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته ، وكان لا يراها ، فانطلق فارًّا ، فتعرّضت له شجرة فحبسته بشعره ، فقال لها : أرسليني ! فقالت : لست بمرسلتك ! فناداه ربه : يا آدم ، أمنّي تفرّ ؟ قال : لا ، ولكني استحييتك . [(٣)]

١٤٣٩٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا سفيان بن عيينة وابن مبارك، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، السنبلة . فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما ، وكان الذي

٨/١٠٦

---

(١) انظر تفسير « بدا » فيما سلف ٥ : ٩/٥٨٢ : ٣٥٠ .
= وتفسير « السوأة » فيما سلف ١٠ : ٢٢٩ ، وما سيأتي ص : ٣٦١ ، تعليق : ٣

(٢) « نخلة سحوق » . هي الطويلة المفرطة التي تبعد ثمرها على المجتنى .

(٣) الأثر : ١٤٣٩٨ — « الحجاج » هو : « الحجاج بن المنهال » ، مضى مراراً .
و « أبو بكر » هو « أبو بكر الهذلي » ، مضى برقم : ٥٩٧ ، ٨٣٧٦ ، ١٣٠٥٤ ، وهو ضعيف ليس بثقة .
وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٤٥٨ ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب موقوفاً غير مرفوع . ثم قال ابن كثير : « وقد رواه ابن جرير وابن مردويه، من طرق ، عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعاً ، والموقوف أصح إسناداً » . وهو كما قال . وسيأتي برقم : ١٤٤٠٣ ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، موقوفاً .

وَارى عنهما من سوآتهما أظفارُهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين ، يلصقان بعضها إلى بعض. فانطلق آدم مولّياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة ، فناداه : أى آدم أمنى تفرّ ؟ قال : لا ، ولكنى استحييتك يارب ! قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتُك منها مندوحةٌ عما حرمت عليك ؟ قال: بلى يا رب ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ! قال : وهو قول الله : « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين». قال : فبعزّتى لأهبطنك إلى الأرض ، ثم لاتنال العيش إلا كدًّا . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رغداً ، فأهبطا فى غير رغد من طعام وشراب ، فعُلّم صنعة الحديد ، وأُمر بالحرث ، فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصد ، ثم داسَه ، ثم ذرّاه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بُلِّعَ منه ما شاء الله أن يبلغَ .[1]

١٤٤٠٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يخصفان » ، قال : يرقعان ، كهيئة الثوب .

١٤٤٠١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب .

١٤٤٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما » ، وكانا قبل ذلك

---

(١) الأثر : ١٤٣٩٩ — « الحسن بن عمارة بن المضرب البجلى » ، كان على قضاء بغداد فى ولاية المنصور . قال أحمد : « متروك الحديث ، كان منكر الحديث ، وأحاديثه موضوعة ، لا يكتب حديثه » . والقول فيه أشد من هذا . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٠٠ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٧ .

وكان فى المطبوعة : « عن الحسن عن عمارة » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت من المخطوطة ، وابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٥٩ .

وفى المطبوعة وابن كثير : « فلم يبلغه ، حتى بلغ . . . » كل ذلك بالغين المعجمة ، والذى فى المخطوطة مهمل ، وظنى أنه الصواب المطابق للسياق .

لا يريانها = « وطفقا يخصفان » ، الآية .

١٤٤٠٣ — .... قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال، حدثنا الحسن، عن أبي ابن كعب : أن آدم عليه السلام كان رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سَحُوق ، كثير شعر الرأس . فلما وقع بما وقع به من الخطيئة ، بدت له عورته عند ذلك ، وكان لا يراها . فانطلق هارباً فى الجنة ، فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أرسليني ! قالت : إنى غير مرسلتك ! فناداه ربه : يا آدم ، أمنّي تفرّ ؟ قال : رب إنى استحييتك .(١)

١٤٤٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جعفر بن عون ، عن سفيان الثورى ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : ورق التين .

١٤٤٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : ورق التين .

١٤٤٠٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن حسام بن مِصَكّ ، عن قتادة = وأبي بكر ، عن غير قتادة = قال : كان لباس آدم فى الجنة ظُفُراً كله . فلما وقع بالذنب ، كُشِط عنه وبدت سوأته = قال أبو بكر : قال غير قتادة : « فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : ورق التين .(٢)

١٤٤٠٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) الأثر : ١٤٤٠٣ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٤٣٩٨ ، فهذا هو الخبر الموقوف ، وهو أصح إسناداً من ذاك المرفوع .

(٢) الأثر : ١٤٤٠٦ — « حسام بن مصك بن ظالم بن شيطان الأزدى » ، ضعيف فاحش الخطأ والوهم . مضى برقم : ١١٧٢٠ . وكان فى المطبوعة : « حسام بن معبد » لم يحسن قراءة المخطوطة .

و « أبو بكر » ، هو « أبو بكر الهذلى » ، ضعيف أيضاً ، مضى قريباً برقم : ١٤٣٩٨ .

معمر ، عن قتادة فى قوله : « بدت لهما سوآتهما » ، قال : كانا لا يريان سوآتهما .

١٤٤٠٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا عمرو قال : سمعت وهب بن منبه يقول : ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، [سورة الأعراف : ٢٧] . قال : كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نوراً على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا . فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ونادى آدمَ وحواءَ ربُّهما : ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التى أكلتما ثمرها ، وأعلمكما أن إبليس لكما عدو مبين = يقول : قد أبان عداوته لكما ، بترك السجود لآدم حسداً وبغياً ،[2] كما :— ١٠٧/٨

١٤٤٠٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس قوله : « وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » ، لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب ، أطعمتنى حواء ! قال لحواء : لم أطعمته ؟ قالت : أمرتنى الحية ! قال للحية ، لم أمرتها ؟ قالت : أمرنى إبليس ! قال : ملعون مدحور ! أما أنت يا حواء

---

(١) الأثر : ١٤٤٠٨ — قال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٦٠ : « رواه ابن جرير بسند صحيح إليه » .

(٢) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

فكما دمّيت الشجرة تَدْمَيْنَ كل شهر. وأما أنت يا حية، فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك، وسيشدخُ رأسك من لقيك، اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ. [1]

١٤٤١٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا عباد بن العوّام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أكل آدم من الشجرة قيل له: لم أكلت من الشجرة التى نُهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتنى! قال: فإنى قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كَرْهاً، ولا تضع إلا كرهاً. قال: فرنَّت حواء عند ذلك، فقيل لها: الرنّة عليك وعلى ولدك. [2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر: وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافِهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة، خلاف جواب اللعين إبليس إياه.

ومعنى قوله: «قالا ربنا ظلمنا أنفسنا»، قال آدم وحواء لربهما: يا ربنا، فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، [3] وبطاعتنا عدوّنا وعدوّك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه، من أكل الشجرة التى نُهيتنا عن أكلها = «وإن لم تغفر لنا»، يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا، وتترك فضيحتنا

---

(١) الأثر: ١٤٤٠٩ — مضى الخبر مطولا بهذا الإسناد رقم: ٧٥٢، مع اختلاف يسير فى لفظه. وانظر تخريجه هناك.

(٢) «رنت المرأة ترن رنيناً»: أى صوتت وصاحت من الحزن والجزع. و «الرنة»: الصيحة الحزينة عند البكاء.

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة، ولعل الصواب: «فعلنا الظلم بأنفسنا».
وانظر تفسير «الظلم» فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم).

به بعقوبتك إيانا عليه[1] = « وترحمنا » ، بتعطفك علينا ، وتركك أخذنا به[2] = « لنكونن من الخاسرين » ، يعني : لنكونن من الهالكين .

* * *

وقد بينا معنى « الخاسر » فيما مضى بشواهده ، والرواية فيه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .[3]

* * *

١٤٤١١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قال آدم عليه السلام : يا رب ، أرأيتَ إن تبتُ واستغفرتك؟ قال : إذاً أدخلك الجنة . وأما إبليس فلم يسأله التوبة ، وسأل النَّظِرة ، فأعطى كلٌّ واحد منهما ما سأل .

١٤٤١٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا » ، الآية ، قال : هي الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بإبليس وذريته ، وآدم وولده ، والحية .

يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وإبليس والحية : اهبطوا من السماء إلى الأرض ، بعضكم لبعض عدوٌّ ، كما : —

---

(١) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٢) انظر تفسير « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .

(٣) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص: ٣١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٤٤١٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن طلحة، عن أسباط، عن السدى : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : فلعنَ الحية ، وقطع قوائمها، وتركها تمشى على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبطوا إلى الأرض : آدم، وحواء ، وإبليس ، والحية .[1]

١٤٤١٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن أبي عوانة ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبي صالح : «اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم، وحواء، والحية .[2]

* * *

٨/١٠٨ وقوله : « ولكم فى الأرض مستقر »،[3] يقول: ولكم، يا آدم وحواء، وإبليس والحية = فى الأرض قرارٌ تستقرونه ، وفراش تمتهدونه ،[4] كما : -

١٤٤١٥ - حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم العسقلانى قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع ، عن أبي العالية فى قوله : « ولكم فى الأرض مستقر » ، قال : هو قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ ، [سورة البقرة: ٢٢] .[5]

* * *

وروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما : -

١٤٤١٦ - حدثت عن عبيد الله، عن إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس قوله : « ولكم فى الأرض مستقر » ، قال : القبور .[6]

* * *

(١) الأثر : ١٤٤١٣ - « عمرو بن طلحة » ، هو « عمرو بن حماد بن طلحة القناد » ، منسوباً إلى جده . وقد مضى مئات من المرات فى هذا الإسناد وغيره، «عمرو بن حماد ، عن أسباط » . وقد سلف برقم : ٧٥٥ .

(٢) الأثر : ١٤٤١٤ - مضى برقم : ٧٥٤ .

(٣) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ١ : ٥٣٥ - ٥٤١ .

(٤) انظر تفسير « مستقر » فيما سلف ١ : ٥٣٩ / ١١ : ٤٣٤ ، ٥٦٢-٥٧٢

(٥) الأثر : ١٤٤١٥ - مضى برقم : ٧٦٥ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « هو الذى جعل ... » ، بزيادة « هو » ، وهو سبق قلم من الناسخ .

(٦) الأثر : ١٤٤١٦ - انظر ما سلف رقم : ٧٦٧ ، بغير هذا الإسناد .

قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ آدم وحواءَ وإبليس والحية ، إذ أهبطوا إلى الأرض : أنهم عدوٌّ بعضهم لبعض ،وأن لهم فيها مستقرًّا يستقرون فيه ، ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرًّا فى حال حياتهم دون حال موتهم ، بل عمَّ الخبرَ عنها بأن لهم فيها مستقرًّا ، فذلك على عمومه ، كما عمَّ خبرُ الله ، ولهم فيها مستقر فى حياتهم على ظهرها ، وبعد وفاتهم فى بطنها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾، [سورة المرسلات : ٢٥ ، ٢٦].

* * *

وأما قوله : « ومتاع إلى حين » ، فإنه يقول جل ثناؤه : « ولكم فيها متاع » ، تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا ، [1] وذلك هو الحين الذى ذكره ، كما : —

١٤٤١٧ — حدثت عن عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى يوم القيامة ، وإلى انقطاع الدنيا .

* * *

و « الحين » نفسه : الوقت ، غير أنه مجهول القدر [2] ، يدل على ذلك قول الشاعر : [3]

وَمَا مِرَاحُكَ بَعْدَ الحِلْمِ وَالدِّينِ وَقَدْ عَلَاكَ مَشِيبٌ حِينَ لَا حِينِ [4]

أى : وقت لا وقت .

* * *

(١) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ — ٥٤١ / ١١ : ٧١ ، تعليق : ٢ . والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الحين » فيما سلف ١ : ٥٤٠ ، ولم يذكر هنا هناك فى تفسير نظيرة هذه الآية .

(٣) هو جرير .

(٤) ديوانه : ٥٨٦ ، وسيبويه ١ : ٣٥٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٢ ، والخزانة ٢ : ٩٤ ، وغيرها . مطلع قصيدة فى هجاء الفرزدق ، ورواية الديوان ، وسيبويه :

* مَا بَالُ جَهْلِكَ بَعْدَ الحِلْمِ وَالدِّينِ *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال الله للذين أهبطهم من سمواته إلى أرضه : « فيها تحيون » ، يقول : فى الأرض تحيون ، يقول : تكونون فيها أيام حياتكم = « وفيها تموتون » ، يقول : فى الأرض تكون وفاتكم = « ومنها تخرجون » ، يقول : ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرَّون للطواف ، اتباعاً منهم أمرَ الشيطان ، وتركـًا منهم طاعةَ الله، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم ، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذى أنعمَ به عليهم ، حتى

وبعده :

لِلْغَانِيَاتِ وِصَالٌ لَسْتُ قَاطِمَهُ ... عَلَى مَوَاعِدَ مِنْ خُلْفٍ وَتَلْوِينِ

إِنِّى لَأَرْهَبُ تَصْدِيقَ الْوُشَاةِ بِنَا ... أَوْ أَنْ يَقُولَ غَوِىٌّ لِلنَّوَى : بِينِى

و « المراح » (بكسر الميم) : المرح والاختيال والتبختر ، وذلك من جنون الشباب واعتداده بنفسه . وكأن رواية الديوان هى الجودى .

وأنشده سيبويه شاهداً على إلغاء « لا » وإضافة « حين » الأولى إلى « حين » الثانية، قال : فإنما هو حين حين ، و « لا » بمنزلة « ما » إذا ألغيت .

وهذا الذى ذكر أبو جعفر هو قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢١٢ ، وجاء بالبيت كما رواه هنا ، وإن كان فى مطبوعة مجاز القرآن : « وما مزاحك » بالزاى ، وهو خطأ مطبعى فيما أظن .

أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض ، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به ، وأنهم قد سار بهم سيرته فى أبويهم آدم وحواء اللذين دلاَّهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذى كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما فعرّاهما منه : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً » ، يعنى بإنزاله عليهم ذلك ، خلقَه لهم ، ورزقَه إياهم = و« اللباس » ما يلبسون من الثياب[١] = « يوارى سوآتكم » ، يقول : يستر عوراتكم عن أعينكم[٢] = وكنى بـ « السوآت » ، عن العورات .

* * *

= واحدتها « سوأة » ، وهى « فعلة » من « السوء » ، وإنما سميت « سوأة » ، لأنه يسوء صاحبها انكشافُها من جسده ،[٣] كما قال الشاعر :[٤]

خَرَقُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمُ لَمْ يُبَالُوا سَوْأَةَ الرَّجُلَه[٥]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤١٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « لباساً يوارى سوآتكم » ، قال : كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراةً ، ولا يلبس أحدهم ثوباً طاف فيه . ١٠٩/٨

١٤٤١٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) انظر تفسير « اللباس » فيما سلف ٣ : ٤٨٩ – ٤٩١/٥ : ٤٨٠/١١ : ٢٧٠ .

(٢) انظر تفسير « وارى » فيما سلف ١٠ : ٢٢٩ .

(٣) انظر تفسير « السوأة » فيما سلف ١٠ : ٢٢٩/ وهذا الجزء ص : ٣٥٢ .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) الكامل ١ : ١٦٥ ، وشرح الحماسة ١ : ١١٧ ، واللسان (رجل) ، وغيرهما ، وقبل البيت .

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطاً غَيْرَ جِيرَانِى بَنِى جَبَلَهْ

وروايتهم : « لم يبالوا حرمة الرجله » . وكنى بقوله : « جيب فتاتهم » ، عن عورتها وفرجها . وأنث « الرجل » ، فجعل المرأة : « رجلة » .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٤٢٠ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً » ، قال : أربع آيات نزلت فى قريش . كانوا فى الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلاّ عراة .

١٤٤٢١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف قال: سمعت معبداً الجهنى يقول فى قوله : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً » ، قال : اللباس الذى تلبسون .

١٤٤٢٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » ، قال : كانت قريش تطوف عراة ، لا يلبس أحدهم ثوباً طاف فيه . وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة .

١٤٤٢٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنى : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » ، قال : اللباس الذي يوارى سوآتكم ، وهو لَبُوسكم هذه .[١]

١٤٤٢٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لباساً يوارى سوآتكم » ، قال : هى الثياب .

١٤٤٢٥ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد قال ، حدثنى من سمع عروة بن الزبير يقول : اللباس : الثياب .

١٤٤٢٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ،

(١) « اللبوس » ، الثياب ، وهو مذكر ، فإن ذهبت به إلى « الثياب » جاز لك أن تؤنث ، وكان فى المطبوعة : هو لبوسكم هذا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » ، قال : يعنى ثيابَ الرجل التى يلبسها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَرِيشاً ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ وَرِيشاً ﴾ ، بغير « ألف » .

* * *

وذكر عن زر بن حبيش والحسن البصرى : أنهما كانا يقرآنه : ﴿ وَرِياشاً ﴾.

١٤٤٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبان العطار قال ، حدثنا عاصم : أن زر بن حبيش قرأها : ﴿ وَرِياشاً ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : والصوابُ من القراءة فى ذلك ، قراءة من قرأ : ﴿ وَرِيشاً ﴾ بغير « ألف » ، لإجماع الحجة من القرأة عليها .

وقد رُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم خبرٌ فى إسناده نظر : أنه قرأه : ﴿ وَرِيَاشاً ﴾ .[1]

فمن قرأ ذلك : ﴿ وَرِيَاشاً ﴾ فإنه محتمل أن يكون أراد به جمع « الريش » ، كما تجمع « الذئب » ، « ذئاباً » ، و « البئر » « بئاراً » .

ويحتمل أن يكون أراد به مصدراً ، من قول القائل : « راشه الله يَرِيشه رياشاً ورِيشاً » ،[2] كما يقال : « لَبِسه يلبسه لباساً ولِبْساً » ، وقد أنشد بعضهم :[3]

---

(١) سيأتى هذا الخبر بإسناده رقم : ١٤٤٤٦ .

(٢) أراد هنا أن يجعل « ريشا » مصدراً بكسر « الراء » ، كما هو بين فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٥ ، ولذلك ضبطتها كذلك ، والذى نص عليه أهل اللغة أن المصدر « ريشا » بفتح فسكون .

(٣) هو حميد بن ثور الهلالى .

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللِّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ ... بِأَطْرَافِ طَفْلٍ زَانَ غَيْلاً مُوشَّمَا[1]

بكسر « اللام » من « اللبس » .

و« الرياش » ، فى كلام العرب ، الأثاث ، وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يُحْشَى من فراش أو دِثَار .

و« الريش » إنما هو المتاع والأموال عندهم . وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال . يقولون : « أعطاه سرجاً بريشه » ، و« رحْلاً بريشه » ، أى بكسوته وجهازه . ويقولون : « إنه لحسن ريش الثياب » ، وقد يستعمل « الرياش » فى الخصب ورَفاهة العيش .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال : « الرياش » ، المال .

١١٠/٨ ١٤٤٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن

(١) ديوانه : ١٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٥ ، واللسان (لبس) (طفل) ، والمخصص ٤ : ٣٥ ، وغيرها . وهذا بيت من قصيدة له طويلة فى ديوانه ، أرجح أنها مختلطة الترتيب ، وهذا البيت مما اختلط . فإنه فى صفة الرحل ، فقال فيه (كما ورد فى الديوان البيت رقم : ٣٧) ، بعد أن زينته الجوارى (والشعر فى الديوان كثير الخطأ ، فصححته) .

تَنَاهَى عَلَيْهِ الصَّانِعَاتُ ، وَشَاكَلَتْ ... بِهِ الخيلَ حَتَّى هَمَّ أَنْ يَتَحَمْحَمَا

ثم قال بعد رقم : ٤٠ .

تَخَالُ خِلاَلَ الرَّقْمِ لَمَّا سَدَلْنَهُ ... حِصَاناً تَهَادَى سَامِيَ الطَّرْفِ مُلْجَمَا

وقال قبل البيت (وهما فى ترتيب الديوان : ٣٢ ، ٣٣) :

فَزَيَّنَّهُ بِالعِهْنِ حَتَّى لَوَ انَّهُ ... يُقَالُ لَهُ : هَابِ ، هَلُمَّ ! لأَقْدَمَا

جعل الهودج قد صار كأنه فرس عليه زينته وجلاله وسرجه . وقوله : « فلما كشفن اللبس عنه » ، يعنى الهودج . و « مسحنه » يعنى الجوارى اللواتى صنعنه وزوقنه وزينه . و « الطفل » (بفتح فسكون) هو البنان الناعم ، وأراد : مسحنه بأطراف بنان طفل ، فجعل « طفلا » بدلا من « البنان » . و « الغيل » (بفتح فسكون) الساعد الريان الممتلىء . و « الموشم » ، عليه الوشم ، وكان زينة الجاهلية أبطلها الإسلام ، ولعن الله متخذها ، رجلا كان أو امرأة .

على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وريشاً » ، يقول : مالاً .

١٤٤٢٩ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وريشاً » ، قال : المال .

١٤٤٣٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٤٣١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ورياشاً »، قال : أما « رياشاً » ، فرياش المال .[1]

١٤٤٣٢ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال ، حدثني من سمع عروة بن الزبير يقول : « الرياش »، المال .

١٤٤٣٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ورياشاً » ، يعنى ، المال .

* * *

* ذكر من قال : هو اللباس ورفاهة العيش .

١٤٤٣٤ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ورياشاً » ، قال : « الرياش » ، اللباس والعيش والنَّعيم .

١٤٤٣٥ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر ، وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنى : « ورياشاً » ، قال : « الرياش » ، المعاش .

١٤٤٣٦ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا عوف قال ، قال معبد الجهنى : « ورياشاً » ، قال : هو المعاش .

* * *

---

(١) حيث جاءت « رياش » القراءة الثانية فى هذه الأخبار ، فإنى تاركها على ما هى عليه ألا غيرها إلى قراءتنا .

وقال آخرون : « الريش » ، الجمال .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٤٣٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ورياشاً » ، قال : « الريش » ، الجمال .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « لباس التقوى » ، هو الإيمان .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٤٣٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولباس التقوى » ، هو الإيمان .

١٤٤٣٩ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولباس التقوى » ، الإيمان .

١٤٤٤٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، أخبرنى حجاج ، عن ابن جريج : « ولباس التقوى » ، الإيمان .

* * *

وقال آخرون : هو الحياء .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤١ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنى فى قوله : « ولباس التقوى » ، الذى ذكر الله فى القرآن ، هو الحياء .

١٤٤٤٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا

عوف قال ، قال معبد الجهني ، فذكر مثله .

١٤٤٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن معبد ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : هو العمل الصالح .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٤ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولباس التقوى ذلك خير » ، قال : « لباس التقوى » ، العمل الصالح .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك هو السَّمْتُ الحسَن .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٥ — حدثني زكريا بن يحيي بن أبي زائدة قال، حدثنا عبد الله بن داود ، عن محمد بن موسى ، عن . . . . بن عمرو ، عن ابن عباس : « ولباس التقوى » ، قال : السمت الحسن في الوجه .[1]

١٤٤٤٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا إسحق بن إسمعيل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليه قميص قُوهيّ محلول الزرّ ،[2] وسمعته يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس ،

---

(١) الأثر : ١٤٤٤٥ — في هذا الإسناد في المخطوطة : « عن الدا ا بن عمرو » ، كلمة لم أعرف كيف تقرأ ، فوضعت مكانها نقطاً ، وكان في المطبوعة : « الزباء بن عمرو » ، لا أدري من أين جاء بهذا الاسم !! ووجدت في تفسير ابن كثير ٣ : ٤٦٢ : « الديال بن عمرو » ، وهذا أيضاً . لم أعرف ما يكون .

« محمد بن موسى » ، لم أستطع أن أحدد من يكون .

(٢) « القميص القوهي » ، منسوب إلى « قوهستان » ، وهي أرض متصلة بنواحي هراة ونيسابور ، ينسب إليها ضرب من الثياب .

١١١/٨ اتقوا الله فى هذه السرائر ، فإنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ، ما عمل أحدٌ قط سرًّا إلا ألبسه الله رداءَ علانية ،[1] إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشراً ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَرِيَاشاً ﴾= ولم يقرأها : ﴿ وَرِيشاً ﴾ = ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ ﴾ ، قال : السمتُ الحسن .[2]

* * *

وقال آخرون : هو خشية الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٧ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال ، حدثنى من سمع عروة بن الزبير يقول : « لباس التقوى » ، خشية الله .

* * *

وقال آخرون : « لباس التقوى » ، فى هذه المواضع ، ستر العورة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولباس التقوى » ، يتقى الله ، فيوارى عورته ، ذلك « لباس التقوى » .

* * *

(١) نص ابن كثير فى تفسيره ، نقلا عن هذا الموضع من الطبرى : « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسها الله رداءها علانية » ، ولا أدرى من أين جاء هذا الاختلاف : وفى المطبوعة : « رداءه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٤٤٤٦ — « إسحق بن الحجاج الرازى الطاحونى » ، مضى برقم : ٢٣٠ ، ١٦١٤ ، ١٠٣١٤ .

و « إسحق بن إسماعيل » لعله « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، أبو يزيد ، حبويه . مترجم فى ابن أبى حاتم ١/١/٢١٢ .

و « سليمان بن أرقم » ، أبو معاذ . ضعيف جداً ، متروك الحديث ، مضى برقم : ٤٩٢٣ .
فن أجل ضعف « سليمان بن أرقم » ، قال أبو جعفر فيما سلف ص: ٣٦٣، تعليق : ١، أن فى إسناد هذا الخبر نظراً .

وهذا الخبر رواه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، وضعفه ، ثم قال : « وقد روى الأئمة ، الشافعى وأحمد والبخارى فى كتاب الأدب من طرق صحيحة ، عن الحسن : أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة على المنبر » . قلت : وخبر أحمد فى المسند رقم : ٥٢١ ، وخبر البخارى فى الأدب المفرد ص : ٣٣٢ ، ٣٣٣ برقم : ١٣٠١ .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المكيين والكوفيين والبصريين : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ، برفع « ولباس » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة : ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ ، بنصب « اللباس » ، وهى قراءة بعض قرأة الكوفيين .

* * *

فمن نصب « ولباس » ، فإنه نصبه عطفاً على « الريش » ، بمعنى : قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ، وأنزلنا لباسَ التقوى .

* * *

وأما الرفع ، فإن أهل العربية مختلفون فى المعنى الذى ارتفع به « اللباس » .

فكان بعض نحويى البصرة يقول : هو مرفوع على الابتداء ، وخبره فى قوله : « ذلك خير » . وقد استخطأه بعض أهل العربية فى ذلك وقال : هذا غلط ، لأنه لم يعد على « اللباس » فى الجملة عائد ، فيكون « اللباس » إذا رفع على الابتداء ، وجعل « ذلك خير » خبرًا .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : « ولباس » ، يرفع بقوله : ولباس التقوى خير ، ويجعل « ذلك » من نعته .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول عندى أولى بالصواب فى رافع « اللباس » ، لأنه لاوجه للرفع إلا أن يكون مرفوعاً بـ « خير » ، وإذا رفع بـ « خير » لم يكن فى ذلك وجه إلا أن يجعل « اللباس » نعتاً ، لا أنه عائد على « اللباس » من ذكره فى قوله : « ذلك خير » ، فيكون « خير » مرفوعاً بـ « ذلك » ، و « ذلك » ، به .

* * *

(١) هذا قول الفراء ١ : ٣٧٥ .

فإذ ، كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام = إذا رفع « لباس التقوى » = : ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه ، خير لكم يا بنى آدم ، من لباس الثياب التى توارى سوآتكم ، ومن الرياش التى أنزلناها إليكم ، هكذا فالبَسوه .

* * *

وأما تأويل من قرأه نصباً ، فإنه : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى » ، هذا الذى أنزلنا عليكم من اللباس الذى يوارى سوآتكم والريش ، ولباس التقوى خير لكم من التعرِّى والتجرد من الثياب فى طوافكم بالبيت ، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرِّى من الثياب ، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء ، فخدعهما حتى جرّدهما من لباس الله الذى كان ألبسهما بطاعتهما له ، فى أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التى عصَياه بأكلها .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، أعنى نصب قوله : ﴿ وَلِبَاسَ التَّقْوَى ﴾ ، لصحة معناه فى التأويل على ما بيّنت ، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذى يوارى سوآتنا والرياش ، توبيخاً للمشركين الذين كانوا يتجرّدون فى حال طوافهم بالبيت ، ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها فى كل حال ، مع الإيمان به واتباع طاعته = ويعلمهم أن كلّ ذلك خير من كلّ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ، وتعرِّيهم ، لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خيرٌ من بعض .

ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك ، الآياتُ التى بعد هذه الآية ، وذلك قوله : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزِعُ عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » وما بعد ذلك من الآيات إلى قوله : « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، فإنه جل ثناؤه يأمر فى كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب ، واستعمال اللباس ، وترك التجرّد والتعرّى ، وبالإيمان به ، واتباع أمره والعمل بطاعته ،

١١٢/٨

وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان ، مؤكداً فى كل ذلك ما قد أجمله فى قوله : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباسَ التقوى ذلك خير » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة فى تأويل قوله : « ولباس التقوى » ، استشعار النفوس تقوى الله ، فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه ، والعمل بما أمر به من طاعته ، وذلك يجمع الإيمان ، والعمل الصالح ، والحياء ، وخشية الله ، والسمتَ الحسن . لأن من اتقى الله كان به مؤمناً ، وبما أمره به عاملاً ، ومنه خائفاً ، وله مراقباً ، ومن أن يُرَى عند ما يكرهه من عباده مستحيياً . ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه ، فحسن سَمْته وهَدْيه ، ورُئيَتْ عليه بهجة الإيمان ونوره .

وإنما قلنا عنى بـ « لباس التقوى » ، استشعارَ النفس والقلب ذلك = لأن « اللباس » ، إنما هو ادِّراع ما يلبس ، واجتياب ما يكتسى ،[1] أو تغطية بدنه أو بعضه به . فكل من ادَّرع شيئاً واجتابهُ حتى يُرَى عَيْنه أو أثرُه عليه،[2] فهو له «لابس» . ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباساً ، وهن لهم لباساً ،

(١) فى المطبوعة : « واحتباء ما يكتسى » ، غير ما فى المخطوطة ، لخطأ فى نقطها ، فأساء غاية الإساءة ، كان فى المخطوطة : « واحتتاب » ، وصواب قراءتها ما أثبت وانظر التعليق التالى . « اجتاب الثوب اجتياباً » ، لبسه ، قال لبيد :

فَبِتِلْكَ إذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى ... وَاُجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إكَامُها

أَقْضِي اللُّبَانَةَ لاَ أُفَرِّطُ رِيبَةً ... أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَّامُها

(٢) فى المطبوعة : « فكل من ادرع شيئاً واحتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه » ، أساء كما أساء فى السالف، ولكن كان الخطأ أعذر له ، لأنه فيها « فكل من ادرع شيئاً واحبا » هذا آخر السطر ، ثم بدأ فى السطر التالى « به حتى يرى عنه أو أثره عليه » . فجاء الناشر فجعلها « واحتبى به » والصواب ما أثبت ، وإنما قطع الناسخ الكلمة فى سطرين !! وانظر التعليق السالف .

وجعل الليل لعباده لباساً .(١)

* * *

• ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذى ذكرنا من تأويله ، إذا قرئ قوله : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾، رفعاً .

١٤٤٤٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولباس التقوى » ، الإيمان = « ذلك خير » ، يقول : ذلك خير من الرياش واللباس يوارى سوآتكم .

١٤٤٥٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولباس التقوى » ، قال : لباس التقوى خير ، وهو الإيمان .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ذلك الذى ذكرت لكم أنّى أنزلته إليكم ، أيها الناس ، من اللباس والرياش ، من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله ، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة = « لعلهم يذكرون » ، يقول جل ثناؤه : جعلت ذلك لهم دليلاً على ما وصفت ، ليذكروا فيعتبروا وينيبوا إلى الحق وترك الباطل ، رحمة منى بعبادى .(٢)

* * *

وأما قوله فى المطبوعة : « حتى يرى هو أو أثره عليه » ، فقد غيره تغييراً لا يجدى ، وصواب قراءة المخطوطة كما أثبت .

(١) شاهد الأول آية « سورة البقرة » : ١٨٧ : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ .
وشاهد الثانى آية « سورة النبأ » : ١٠ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .
= وتفسير « يذكر » فيما سلف منها (ذكر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا بنى آدم ، لا يخدعنكم الشيطان فيبدى سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما ، فأخرجهما بما سبَّب لهما من مكره وخدعه ، من الجنة ، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ، ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما ، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترةً .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن معنى « الفتنة » ، الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى صفة « اللباس » الذى أخبر الله جل ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا ، وما كان .

فقال بعضهم : كان ذلك أظفاراً .

* ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا فى ذلك :

١٤٤٥١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عكرمة : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : لباس كل دابة منها ، ولباس الإنسان الظُّفر ، فأدركت آدم التوبة عند ظُفُره = أو قال : أظفاره .

١٤٤٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الحميد الحمانى ، عن نضر

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١١ : ٣٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١١٣/٨ أبي عمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : تركت أظفاره عليه زينة ومنافع ، في قوله : « ينزع عنهما لباسهما » .(١)

١٤٤٥٣ — حدثني أحمد بن الوليد القرشي قال، حدثنا إبراهيم بن أبي الوزير قال ، أخبرنا مخلد بن الحسين ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في قوله : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : كان لباسهما الظفر ، فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما ، وتركت الأظفار تذكرة وزينة .

١٤٤٥٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة في قوله : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : كان لباسه الظفر ، فانتهت توبته إلى أظفاره .

* * *

وقال آخرون : كان لباسهما نوراً .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن وهب بن منبه : « ينزع عنهما لباسهما » ، النور .

١٤٤٥٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا عمرو قال : سمعت وهب ابن منبه يقول في قوله : « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » ، قال : كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا .

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٤٥٢ — « عبد الحميد الحماني » هو « عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني » ، مضى برقم : ٧١٨ ، ٧٨٦٣ .

و « نضر » ، أبو عمر » هو « النضر بن عبد الرحمن » ، أبو عمر الخراز ، مضى أيضاً برقم : ٧١٨ ، ١٠٣٧٣ ، وكان في المطبوعة : « نصر بن عمر » ، غير ما في المخطوطة ، وهو فيها : « نصر أبي عمر » ، غير منقوطة .

وقال آخرون : إنما عنى الله بقوله : « ينزع عنهما لباسهما » ، يسلبهما تقوى الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا مطلب بن زياد ، عن ليث ، عن مجاهد : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : التقوى . (١)

١٤٤٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : التقوى .

١٤٤٥٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء ، وأن يجرِّدهم من لباس الله الذى أنزله إليهم ، كما نزع عن أبويهم لباسهما . « اللباس » المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء فى متعارف الناس ، وهو ما اجتابَ فيه اللابس من أنواع الكُسى ، (٢) أو غطى بدنه أو بعضه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالحق أن يقال : إن الذى أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذى نزعه عنهما الشيطان ، هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتَهما .

(١) الأثر : ١٤٤٥٧ — « مطلب بن زياد بن أبى زهير الثقفى » ، قال ابن سعد : « كان ضعيفاً فى الحديث جداً » ، وقال ابن عدى : « وله أحاديث حسان وغرائب ، ولم أر له منكراً ، وأرجو أنه لا بأس به » . مترجم فى التهذيب ، والبخارى فى الكبير ٤/٢/٨ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٦٠ ، وذكر أن أحمد ويحيى بن معين وثقاه . وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ، ولا يحتج به » .

(٢) فى المطبوعة : « هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغير كما سلف قريباً ، فرددتها إلى أصلها .

وقوله : « اجتاب فيه اللابس » ، أدخل « فيه » مع « اجتاب » ، وهو صحيح فى قياس العربية ، لأنهم قالوا : « اجتاب الثوب والظلام » ، إذا دخل فيهما ، فأعطى « اجتاب » معنى « دخل » ، فألحق بها حرف الجر ، لمعنى الدخول .

وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفراً = ويجوز أن يكون كان ذلك نوراً = ويجوز أن يكون غير ذلك = ولا خبر عندنا بأىٍّ ذلك تثبت به الحجة ، فلاقول فى ذلك أصوب من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه : « ينزع عنهما لباسهما » .

* * *

وأضاف جل ثناؤه إلى إبليس إخراجَ آدم وحواء من الجنة ، ونزعَ ما كان عليهما من اللباس عنهما ، وإن كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما إياه ، إذ كان الذى كان منهما فى ذلك عن تسنّية ذلك لهما بمكره وخداعه ،[1] فأضيف إليه أحياناً بذلك المعنى ، وإلى الله أحياناً بفعله ذلك بهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : إن الشيطان يراكم هو = و«الهاء» فى « إنه » عائدة على الشيطان = و« قبيله » ، يعنى : وصنفه وجنسه الذى هو منه واحدٌ جمع جيلاً ،[2] وهم الجن ، كما : —

١٤٤٦٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إنه يراكم هو وقبيله » ، قال : الجن والشياطين .

---

(١) فى المطبوعة : « عن تشبيه ذلك لهما » ، ولا معنى له ، وهو فى المخطوطة غير منقوط ، وهذا صواب قراءته ، « سنّى له الأمر » ، سهله ويسره وفتحه .

(٢) فى المطبوعة : «الذى هو منه واحد جمعه قبل» ، غير ما فى المخطوطة ، وفى المخطوطة كما كتبتها ، إلا أنه كتب «صلا» و « الجيم » بين القاف والجيم غير منقوطة . واستظهرت هذا من نص أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢١٣ ، وهو : « أى : وجيله الذى هو منه » ، ومن نص صاحب لسان العرب : « ويقال لكل جمع من شىء واحد ، قبيل» . و « الجيل » كل صنف من الناس ، أو الأمة . يقال : « الترك جيل ، والصين جيل ، والعرب جيل ، والروم جيل » ، وهم كل قوم يختصون بلغة ، وتنشأ من جمعهم أمة وصنف من الناس موصوف معروف .

١٤٤٦١ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إنه يراكم هو وقبيله » ، قال : « قبيله » ، نسله .

* * *

وقوله : « من حيث لا ترونهم » يقول : من حيث لا ترون أنتم ، أيها الناس ، الشيطان وقبيله = « إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » ، يقول : جعلنا ٨/١١٤ الشياطين نُصراء الكفار الذين لا يوحِّدون الله ولا يصدقون رسله .[١]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : ذكر أن معنى « الفاحشة » ، في هذا الموضع ،[٢] ما : —

١٤٤٦٢ — حدثني علي بن سعيد بن مسروق الكندي قال ، حدثنا أبو محياة ، عن منصور ، عن مجاهد : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، يقولون : « نطوف كما ولدتنا أمهاتنا » ، فتضع المرأة على قُبُلها النِّسعة أو الشيء ،[٣] فتقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ[٤]

---

(١) انظر تفسير « ولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

(٢) انظر تفسير « الفاحشة » ، و « الفحشاء » فيما سلف : ص : ٢١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « القبل » (بضمتين) : فرج المرأة والرجل . و « النسعة » : قطعة من الجلد مضفورة عريضة ، تجعل على صدر البعير .

(٤) الأثر : ١٤٤٦٢ — « أبو محياة » ، هو « يحيى بن يعلى بن حرملة التيمي » ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣١١/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ١٩٦/٢/٤ .
وسيأتي تخريج الخبر في تخريج الآثار : ١٤٥٠٣ — ١٤٥٠٦ .

١٤٤٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ، فاحشتهم : أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة .

١٤٤٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٤٦٤م — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير والشعبي : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة .

١٤٤٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عايها آباءنا والله أمرنا بها » ، قال : كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة ، فإذا قيل : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : « وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » .

١٤٤٦٦ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزير قال، حدثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذا فعلوا فاحشة » ، قال : طوافهم بالبيت عراة .

١٤٤٦٧ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ، قال : فى طواف الحُمْس فى الثياب ، وغيرهم عراة .[1]

١٤٤٦٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ،

---

(١) « الحمس » ، جمع « أحمس » هم قريش ، لتشددهم فى دينهم ، وانظر تفسير ذلك مفصلا فيما سلف ٣ : ٥٥٧ ، تعليق : ١ ، وانظر الأثر رقم : ٣٨٣٢ ، وأنها : « ملة قريش » .

قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة ، فتلك الفاحشة التى وجدوا عليها آباءهم : « قل إن الله لا يأمر بالفحشاء » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله ، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء ، قبيحاً من الفعل ، وهو « الفاحشة » ، وذلك تعرّيهم للطواف بالبيت وتجردهم له ، فعُذِلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه ، قالوا : « وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا ، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ، ونقتدى بهديهم ، ونستنّ بسنتهم ، والله أمرنا به ، فنحن نتبع أمره فيه » .

يقول الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يامحمد ، لهم : « إن الله لا يأمر بالفحشاء » ، يقول : لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها = « أتقولون » ، أيها الناس ، « على الله ما لا تعلمون » ، يقول : أتروون على الله أنه أمركم بالتعرّى والتجرد من الثياب واللباس للطواف ، (١) وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : قل ، يا محمد ، لهؤلاء الذين يزعمون أنّ الله أمرهم بالفحشاء كذباً على الله : ماأمر ربى بما تقولون ، بل « أمر ربى بالقسط » ، يعنى : بالعدل ، (٢) كما :-

١١٥/٨

١٤٤٦٩ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « أتروون على الله » ، وأنا أرجح أن الصواب « أتزورون » ، أى : أتقولون الزور والكذب .

(٢) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ص : ٢٢٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « قل أمر ربى بالقسط » ، بالعدل .

١٤٤٧٠ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل أمر ربى بالقسط » ، و « القسط » ، العدل .

* * *

وأما قوله : « وأقيموا وُجوهكم عند كل مسجد » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : وجِّهوا وجوهكم حيث كنتم فى الصلاة إلى الكعبة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٧١ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، إلى الكعبة حيثما صليتم ، فى الكنيسة وغيرها .

١٤٤٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : إذا صليتم فاستقبلوا الكعبة ، فى كنائسكم وغيرها .

١٤٤٧٣ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد» ، هو « المسجد» ، الكعبة .

١٤٤٧٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا خالد بن عبدالرحمن ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد فى قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : الكعبة ، حيثما كنت .

١٤٤٧٥ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : أقيموها للقبلة ، هذه القبلة التى أمركم الله بها .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك : واجعلوا سجودكم لله خالصاً، دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

* ذكر من قال ذلك .

١٤٤٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : فى الإخلاص ، أن لا تدعوا غيره ، وأن تخلصوا له الدين .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ، ما قاله الربيع : وهو أن القوم أُمِروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم ، لا إلى ماسواه من الأوثان والأصنام ، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصاً ، لا مُكاءً ولا تصدية .(١)

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قوماً من مشركى العرب ، لم يكونوا أهل كنائس وبيع ، وإنما كانت الكنائس والبِيَع لأهل الكتابين . فغير معقول أن يقال لمن لا يصلى فى كنيسة ولا بيعة : « وجِّه وجهك إلى الكعبة فى كنيسة أو بِيعة » .

* * *

وأما قوله : « وادعوه مخلصين له الدين » ، فإنه يقول : واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة ، لا تخلطوا ذلك بشرك ، ولا تجعلوا فى شىء مما تعملون له شريكاً ،(٢) كما : —

١٤٤٧٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وادعوه مخلصين له الدين » ، قال : أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ، ثم توجِّهون إلى البيت الحرام .

* * *

(١) « المكاء » : الصفير ، و « التصدية » : التصفيق . كانوا يطوفون بالبيت عراة يصفرون بأفواههم ، ويصفقون بأيديهم .

(٢) انظر تفسير « الدعاء » ، و « الإخلاص » فيما سلف من فهارس اللغة (دعا) و (خلص) .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله: « كما بدأكم تعودون » .

فقال بعضهم : تأويله : كما بدأكم أشقياء وسُعَداء ، كذلك تبعثون يوم القيامة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٧٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبدالله قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله: « كما بدأكم تعودون * فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة»، قال : إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً ، كما قال جل ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، [سورة التغابن : ٢]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم ، مؤمناً وكافراً .

٨ / ١١٦

١٤٤٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور قال ، حدثنا أصحابنا ، عن ابن عباس : « كما بدأكم تعودون » ، قال : يبعث المؤمن مؤمناً والكافر كافراً .

١٤٤٨٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا يحيى بن الضريس، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن رجل ، عن جابر قال : يبعثون على ما كانوا عليه ، المؤمن على إيمانه ، والمنافق على نفاقه .(١)

١٤٤٨١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ،عن أبى العالية قال: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله فيهم : « كما بدأكم تعودون »؟ألم تسمع قوله : « فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » ؟

---

(١) الأثر : ١٤٤٨٠ — « يحيى بن الضريس بن يسار البجلى الرازى»، ثقة ، كان صحيح الكتب ، جيد الأخذ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٨٢ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٥٨ .

١٤٤٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، «كما بدأكم تعودون» ، قال رُدُّوا إلى علمه فيهم .

١٤٤٨٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو همام الأهوازي قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله : «كما بدأكم تعودون» ، قال : من ابتدأ الله خلقه على الشِّقْوة صار إلى ما ابتدأ الله خلقه عليه ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه . ومن ابتدئ خلقه على السعادة ، صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ،[1] ثم صاروا إلى ما ابتدئ عليه خلقهم .

١٤٤٨٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن وِقَاء بن إياس أبي يزيد ، عن مجاهد : «كما بدأكم تعودون» ، قال : يبعث المسلم مسلماً ، والكافر كافراً .[2]

١٤٤٨٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي يزيد ، عن مجاهد : «كما بدأكم تعودون» ، قال : يبعث المسلم مسلماً ، والكافر كافراً .[3]

١٤٤٨٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا محمد ابن أبي الوضاح ، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير : «كما بدأكم تعودون» ، قال : كما كتب عليكم تكونون .

---

(١) يعني سحرة فرعون ، الذين آمنوا بموسى عليه وعلى نبينا السلام .

(٢) الأثر : ١٤٤٨٤ — «وقاء بن إياس الأسدي الوالبي» ، أبو يزيد ، ثقة ، متكلم فيه ، قال يحيى بن سعيد : «ما كان بالذي يعتمد عليه» . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٨٨/٢/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤٩/٢/٤ . وكان في المخطوطة : «ورقاء بن إياس» ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) الأثر : ١٤٤٨٥ — «أبو يزيد» ، هو «وقاء بن إياس» ، المترجم في التعليق السالف .

١٤٤٨٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

١٤٤٨٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كما بدأكم تعودون * فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » ، يقول : كما بدأكم تعودون ، كما خلقناكم، فريق مهتدون ، وفريق ضال ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم .

١٤٤٨٩ — حدثنا ابن بشار، قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تُبعث كل نفس على ما كانت عليه .[1]

١٤٤٩٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود الحفرى، عن شريك، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « كما بدأكم تعودون »، قال: كما كتب عليكم تكونون .

١٤٤٩١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ليث ، عن مجاهد قال : يبعث المؤمن مؤمناً ، والكافر كافراً .

١٤٤٩٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كما بدأكم تعودون » ، شقيًّا وسعيداً .

١٤٤٩٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءة ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

(١) الأثر : ١٤٤٨٩ — « أبو سفيان » ، هو « طلحة بن نافع القرشي الواسطي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٦٦٥٤ ، ١١٥١٧ ، ١١٥١٨ . وهو الذي يروى عن جابر ، والأعمش راويته . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عن سفيان ، عن جابر » ، وهو خطأ لاشك فيه ، صوابه منقولا عن تفسير الطبرى ، في تفسير ابن كثير ٣ : ٤٦٦ .

وهذا خبر صحيح الإسناد . رواه مسلم في صحيحه ١٧ : ٢١٠ ، من طريقين عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، ولفظه : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » .

ورواه ابن ماجة في سننه ١٤١٤ ، رقم : ٤٢٣٠ ، من طريق شريك ، عن الأعمش ، ولفظه : « يحشر الناس على نياتهم » .

وقال آخرون : معنى ذلك : كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، تعودون بعد الفناء .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن : « كما بدأكم تعودون » ، قال : كما بدأكم ولم تكونوا شيئاً فأحياكم ، كذلك يميتكم ، ثم يحييكم يوم القيامة . ١١٧/٨

١٤٤٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن الحسن : « كما بدأكم تعودون » ، قال : كما بدأكم فى الدنيا ، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء .

١٤٤٩٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،عن قتادة :« كما بدأكم تعودون » ، قال : بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم ذهبوا ، ثم يعيدهم .

١٤٤٩٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كما بدأكم تعودون فريقاً هدى » ، يقول : كما خلقناكم أول مرة ، كذلك تعودون .

١٤٤٩٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « كما بدأكم تعودون » ، يحييكم بعد موتكم .

١٤٤٩٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : «كما بدأكم تعودون » ، قال : كما خلقهم أولاً ، كذلك يعيدهم آخراً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، القولُ الذى قاله من قال : معناه : كما بدأكم الله خلقاً بعد أن لم تكونوا شيئاً ، تعودون بعد فنائكم خلقاً مثله ، يحشركم إلى يوم القيامة = لأن الله تعالى ذكره : أمر نبيه صلى الله

عليه وسلم أن يُعلم بما فى هذه الآية قوماً مشركين أهلَ جاهلية ، لا يؤمنون بالمعاد ، ولا يصدِّقون بالقيامة . فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ، ومثيبُ من أطاعه ، ومعاقبُ من عصاه . فقال له : قل لهم : أمرَ ربى بالقسط ، وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وأن ادعوه مخلصين له الدين ، وأن أقرُّوا بأنْ كما بدأكم تعودون = فترك ذكر « وأن أقروا بأن » ، كما ترك ذكر « أن » مع « أقيموا » ، إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحداً النشورَ بعد الممات ، إلى الإقرار بالصفة التى عليها ينشر من نُشِر ، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدّقاً ، فأما من كان له جاحداً ، فإنما يدعى إلى الإقرار به ، ثم يعرَّف كيف شرائط البعث . على أن فى الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى : —

١٤٥٠٠ — حدثناه محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان ، قال ، حدثنى المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يُحشر الناس عُراة غُرْلاً ، وأول من يكسى إبراهيم صلى الله عليه وسلم. ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، [سورة الأنبياء : ١٠٤] .

١٤٥٠١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا إسحق بن يوسف قال ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

١٤٥٠٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فقال : يا أيها الناس ، إنكم تحشرون

إلى الله حُفَاة غُرْلاً : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ . (١)

* * *

= (٢) ما يبيِّن صحة القول الذى قلنا فى ذلك ، من أن معناه : أن الخلقَ يعودون إلى الله يوم القيامة خلقاً أحياء ، كما بدأهم فى الدنيا خلقاً أحياء .

* * *

يقال منه : «بدأ الله الخلق يبدؤهم = وأبدأَهم يُبْدِئهم إبداءً »، بمعنى : خلقهم ، لغتان فصيحتان .

* * *

ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عما سبق من علمه فى خلقه ، وجرى به فيهم قضاؤه ، ١١٨/٨ فقال : هدى الله منهم فريقاً فوفّقهم لصالح الأعمال فهم مهتدون ، وحقَّ على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد ، باتخاذهم الشيطان من دون الله وليًّا .

* * *

وإذا كان التأويل هذا ، كان « الفريق » الأول منصوباً بإعمال « هدى » فيه = و « الفريق » ، الثانى بوقوع قوله : « حق » على عائد ذكره فى «عليهم» ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ، (٣) [سورة الإنسان : ٣١] .

* * *

(١) الآثار : ١٤٥٠٠ - ١٤٥٠٢ - « المغيرة بن النعمان النخعى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٦٢٢ .

وهذا الخبر رواه البخارى من طريق شعبة ، عن المغيرة فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٢٣ / ١١ : ٣٣١) مطولا ، ورواه مسلم فى صحيحه مطولا : ١٧ : ١٩٣ ، ١٩٤ من طريق شعبة أيضاً .

ورواه أحمد فى المسند مطولا ومختصراً برقم : ١٩٥٠ ، ٢٠٢٧ ، من طريق سفيان الثورى مختصراً ، كما رواه الطبرى . ثم رواه مطولا من طريق شعبة رقم : ٢٠٩٦ ، ٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ .

ورواه النسائى فى سننه ٤ : ١١٧ .

وسيرويه أبو جعفر بأسانيده هذه فيما يلى ، فى تفسير « سورة الأنبياء » ١٧ : ٨٠ (بولاق) .

و « الغرل » جمع « أغرل » ، هو الأقلف الذى لم يختن .

(٢) هذا تمام الكلام الأول ، والسياق : « على أن فى الخبر الذى روى عن رسول الله . . . ما يبين صحة القول » .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٦ .

ومن وجه تأويل ذلك إلى أنه : كما بدأكم فى الدنيا صنفين كافراً ومؤمناً ، كذلك تعودون فى الآخرة فريقين ، فريقاً هدى ، وفريقاً حق عليهم الضلالة = نصب « فريقاً » ، الأول بقوله : « تعودون » ، وجعل الثانى عطفاً عليه . وقد بينا الصواب عندنا من القول فيه .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الفريق الذى حق عليهم الضلالة ، إنما ضلوا عن سبيل الله وجارُوا عن قصد المحجة ، باتخاذهم الشياطين نُصراء من دون الله ، وظُهراء ،[٢] جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك ، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق ، وأن الصواب ما أتوه وركبوا .

وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها ، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها ، فيركبها عناداً منه لربه فيها . لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الذى ضل وهو يحسَبُ أنه هادٍ ، وفريق الهدى ،[٣] فَرْقٌ . وقد فرّق الله بين أسمائهما وأحكامهما فى هذه الآية .

* * *

(١) انظر تفسير « فريق » فيما سلف ١١ : ٤٩٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٣) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ١٠ : ٤٧٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرَّون عند طوافهم ببيته الحرام، ويبدون عوراتهم هنالك من مشركى العرب ، والمحرِّمين منهم أكل مالم يحرِّمه الله عليهم من حلال رزقه، تبرُّراً عند نفسه لربه :« يا بنى آدم خذوا زينتكم»، من الكساء واللباس=« عند كل مسجد وكلوا »،من طيبات ما رزقتكم، وحللته لكم = « واشربوا » ، من حلال الأشربة ، ولاتحرِّموا إلا ما حرمت عليكم فى كتابى أو على لسان رسولى محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٠٣ — حدثنا يحيى بن حبيب بن عربى قال، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا شعبة ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : إن النساء كنّ يطفن بالبيت عراة = وقال فى موضع آخر : بغير ثياب = إلاأن تجعل المرأة على فرجها خِرقة ،فيما وُصِف إن شاء الله ، وتقول :[1]

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْــهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

قال : فنزلت هذه الآية : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .[1]

(١) الأثر : ١٤٥٠٣ — حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، رواه أبو جعفر من ثلاث طرق ، سأخرجها فى هذا الموضع .

« يحيى بن حبيب بن عربى الشيبانى » ، أبو زكرياء ، ثقة ، مضى برقم : ٧٨١٨ ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٣٧/٢/٤ .

« خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمى » ، ثقة ثبت إمام . مضى برقم : ٧٥٠٧ ، ٧٨١٨ ، ٩٨٧٨ .

١٤٥٠٤ — حدثنا عمرو بن علي قال : حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون عراة ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

فقال الله : « خذوا زينتكم » .[١]

١٤٥٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الثياب .

١١٩/٨

١٤٥٠٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر ووهب بن جرير ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل قال : سمعت مسلماً البطين يحدث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة = قال غندر : وهي عريانة = قال ، وهب : كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرَها وما هنالك = قال غندر : وتقول : «من يعيرني تِطْوافاً!» ، [٢] تجعله على فرْجها وتقول :

و « سلمة » ، هو « سلمة بن كهيل » ، مضى مراراً .

و « مسلم البطين » هو « مسلم بن عمران » ، ثقة روى له الجماعة .

وهذا الخبر ، رواه مسلم في صحيحه ١٨ : ١٦٢ ، من طريق غندر ، عن شعبة (وهو الآتي رقم : ١٤٥٠٦) .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠ من طريق أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، بنحوه ، ولكن قال : « نزلت هذه الآية : قل من حرم زينة الله » ، ثم قال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

(١) الأثر : ١٤٥٠٤ — مكرر الأثر السالف ، وهناك تخريجه .

(٢) « تطواف » (بكسر التاء) : ثوب كانوا يتخذونه للطواف ، قال النووي : « وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة ، ويرمون ثيابهم ويتركونها ملقاة على الأرض ، ولا يأخذونها أبداً ، ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى ، ويسمى : اللقاء — حتى جاء الإسلام ، فأمر الله بستر العورة فقال تعالى : خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يطوف بالبيت عريان » . [illegible] « تطواف » (بفتح التاء) ، وفسروه بأنه « ذا تطواف » ، على حذف المضاف .

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فأنزل الله : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » .(١)

١٤٥٠٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعرّوا .

١٤٥٠٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله بالزينة = و « الزينة » ، اللباس ، وهو ما يوارى السوأة ، وما سوى ذلك من جيِّد البزّ والمتاع = فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد .

١٤٥٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « خذوا زينتكم » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمروا أن يلبسوا ثيابهم .

١٤٥١٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، بنحوه .

١٤٥١١ — حدثنى عمرو قال ، حدثنا يحيى قال ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، البسوا ثيابكم .

١٤٥١٢ — حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : كان ناس يطوفون بالبيت عراة ، فنهوا عن ذلك

١٤٥١٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمروا أن يلبسوا الثياب .

---

(١) الأثر : ١٤٥٠٦ — مكرر الأثرين السالفين : ١٤٥٠٣ ، ١٤٥٠٤ ، سلف تخريجه فى أولها . وهذا نص حديث مسلم .

١٤٥١٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيي بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : « خذوا زينتكم عند كل مسجد »، قال : ما وارى العورة، ولو عَبَاءة .

١٤٥١٥ — حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيي بن سعيد وأبو عاصم وعبد الله ابن داود ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد في قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : ما يوارى عورتك ، ولو عباءة .

١٤٥١٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، في قريش ، لتركهم الثياب في الطواف .

١٤٥١٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٥١٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا سفيان ،عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الثياب .

١٤٥١٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الشَّمْلة من الزينة .[١]

١٤٥٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا ابن عيينة ،عن عمرو ،عن طاوس: « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الثياب .

١٤٥٢١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد وأبو أسامة، عن حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ،

---

(١) « الشملة » (بفتح فسكون) : كساء دون القطيفة ، سمى بذلك لأنه يشمل البدن . ومنه ما نهى رسول الله عنه في الصلاة ، وهو « اشتمال الصماء » ، وهو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل جسده كله ، ولا يرفع منه جانباً فيكون فيه فرجة تخرج منها يده .

١٢٠/٨

فطافت امرأة بالبيت وهى عريانة فقالت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

١٤٥٢٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : كان حى من أهل اليمن ، كان أحدهم إذا قدم حاجًّا أو معتمراً يقول : « لا ينبغى أن أطوف فى ثوب قد دَنِسْتُ فيه » ،[1] فيقول : « من يعيرنى مِئزراً ؟ » ، فإن قدر على ذلك ، وإلا طاف عرياناً ، فأنزل الله فيه ما تسمعون : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

١٤٥٢٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال الله : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، يقول : ما يوارى العورة عند كل مسجد .

١٤٥٢٤ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الحُمْس ، قريش وأحلافهم . فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف فى ثياب أحمس ، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه . فإن لم يجد من يعيره من الحمس ، فإنه يلقى ثيابه ويطوف عرياناً . وإن طاف فى ثياب نفسه ، ألقاها إذا قضى طوافه ، يحرِّمها ، فيجعلها حراماً عليه . فلذلك قال الله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .[2]

١٤٥٢٥ — وبه عن معمر قال ، قال ابن طاوس ، عن أبيه : الشَّملة ، من الزينة .[3]

١٤٥٢٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا

---

(١) « الدنس » فى الثياب ، لطخ الوسخ ونحوه ، حتى فى الأخلاق . وعنى بقوله : « دنست فيه » ، أى أتيت فيه ما يشين ويعيب من المعاصى .

(٢) انظر تفسير « الحمس » فيما سلف ص : ٣٧٨ ، تعليق : ١ .

(٣) الأثر : ١٤٥٢٥ — انظر الأثر رقم : ١٤٥١٩ .

عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، الآية ، كان ناسٌ من أهل اليمن والأعراب إذا حجوا البيت يطوفون به عُراة ليلاً ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ، ولا يتعرّوا فى المسجد .

١٤٥٢٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، قال ابن زيد : « خذوا زينتكم » ، قال : زينتهم ، ثيابهم التى كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرّون .

١٤٥٢٨ — وحدثنى به مرة أخرى بإسناده عن ابن زيد فى قوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ، قال : كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به ، حرمت عليهم ثيابهم التى طافوا فيها . فإن وجدوا من يُعيرهم ثياباً ، وإلا طافوا بالبيت عراة . فقال : « من حرم زينة الله » ، قال : ثياب الله التى أخرج لعباده ، الآية .

* * *

وكالذى قلنا أيضاً قالوا فى تأويل قوله : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٢٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أحل الله الأكل والشرب ، ما لم يكن سَرَفاً أو مَخِيلة .(١)

١٤٥٣٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، فى الطعام والشراب .

١٤٥٣١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) « السرف » (بفتحتين) : وهو الإسراف ، ومجاوزة القصد . و « المخيلة » (بفتح الميم وكسر الخاء) : الاختيال والكبر ، وحديث ابن عباس المعروف : « كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خلتان : سرف ومخيلة » ، رواه البخارى .

حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرّمون عليهم الوَدَك ما أقاموا بالموسم،[1] فقال الله لهم : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، يقول : لا تسرفوا فى التحريم .

١٤٥٣٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، قال : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله .

١٤٥٣٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تسرفوا » ، لا تأكلوا حراماً ، ذلك الإسراف .

* * *

وقوله : « إنه لا يحب المسرفين » ، يقول : إن الله لا يحب المتعدّين حدّه فى حلال أو حرام، الغالين فيما أحلّ الله أو حرم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال ،[2] ولكنه يحبّ أن يحلّل ما أحل ويحرّم ما حرم ، وذلك العدل الذى أمر به . ١٢١/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرّون عند طوافهم بالبيت ، ويحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق : من حرّم ، أيها القوم ، عليكم زينة الله التى خلقها لعباده أن تتزيّنوا بها وتتجملوا بلباسها ، والحلال من رزق الله

---

(١) « الودك » : دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه . و « الموسم » مجتمع الناس فى أيام الحج .

(٢) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف : ص : ١٧٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الذى رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم .[١]

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بـ « الطيبات من الرزق » ، بعد إجماعهم على أن « الزينة » ما قلنا .

فقال بعضهم : « الطيبات من الرزق » فى هذا الموضع ، اللحم . وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه فى حال إحرامهم .

* ذكر من قال ذلك منهم :

١٤٥٣٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، وهو الودَك .[٢]

١٤٥٣٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، الذى حرموا على أنفسهم . قال : كانوا إذا حجُّوا أو اعتمروا ، حرموا الشاة عليهم وما يخرج منها .

١٤٥٣٦ — وحدثنى به يونس مرة أخرى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل من حرم زينة الله » إلى آخر الآية ، قال : كان قوم يحرِّمون ما يخرج من الشاة ، لبنها وسمنها ولحمها ، فقال الله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، قال : والزينة من الثياب .

١٤٥٣٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن قال : لما بعث الله محمداً فقال :

---

(١) انظر تفسير « الزينة » فيما سلف قريباً ص : ٣٨٩ ، وما بعدها — وتفسير « الطيبات » فيما سلف من فهارس اللغة (طيب) .

(٢) « الودك » سلف تفسيره فى ص : ٣٩٥ ، تعليق : ١ .

« هذا نبي ، هذا خياري ، استنّوا به » ، خذوا فى سَنَنه وسبيله ،[1] لم تغلق دونه الأبواب ، ولم تُقَمْ دونه الحَجَبَة ،[2] ولم يُغْدَ عليه بالجفان ، ولم يُرْجع عليه بها ،[3] وكان يجلس بالأرض ، ويأكل طعامه بالأرض ، ويلعق يده ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويُرْدِف بعده ،[4] وكان يقول : « من رغب عن سنتي فليس مني » . قال الحسن : فما أكثر الراغبين عن سنته ، التاركين لها ! ثم إنّ عُلُوجاً فُسَّاقاً أكلة الربا والغُلول ،[5] قد سفَّههم ربي ومقتهم ، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا ، وزخرفوا هذه البيوت ، يتأوّلون هذه الآية : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان ، قد جعلها ملاعبَ لبطنه وفرجه[6] = من كلام لم يحفظه سفيان .[7]

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرم من البحائر والسوائب .

---

(١) فى المطبوعة : « فى سنته » ، وقراءتها فى المخطوطة ما أثبت . « السنن » (بفتحتين) الطريقة : يقال : « امض على سننك » ، و « استقام فلان على سننه » ، أى طريقته .

(٢) « الحجبة » جمع « حاجب » ، وهو الذى يحول بين الناس والملك أن يدخلوا عليه .

(٣) فى المطبوعة : « ولم يغد عليه بالجبار » ، وعلق عليها أنه فى نسخه « بالجباب » ، وفى المخطوطة : « بالحمان » غير منقوطة ، وهى خطأ ، وصواب قراءتها ما أثبت ، كما وردت على الصواب فى حلية الأولياء لأبى نعيم ٢ : ١٥٣ .

و « الجفان » جمع « جفنة » ، وهى قصعة الطعام العظيمة . ونص أبى نعيم : « أما والله ما كان يغدى عليه بالجفان ولا يراح » ، وهو أجود .

(٤) فى المطبوعة : « ويردف عبده » ، غير ما فى المخطوطة ، وفى أبى نعيم : « ويردف خلفه » ، وهو بمعنى ما رواه الطبرى . أى : يردف خلفه على الدابة رديفاً .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « ثم علوجاً » بإسقاط « إن » ، والصواب من حلية الأولياء .

و « الغلول » : هو الخيانة فى المغنم ، والسرقة من الغنيمة .

(٦) يعنى قد جعل الآية بما تأولها به ، لعباً يلعب بتأويله ، ليفتح الباب لكل شهوة من شهوات بطنه وفرجه .

(٧) الأثر : ١٤٥٣٧ — الذى لم يحفظه سفيان ، حفظه غيره ، رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٢ : ١٥٣ ، ١٥٤ من طريق محمد بن محمد ، عن الحسن بن أحمد بن محمد ، عن أبى زرعة ، عن مالك بن إسماعيل ، عن مسلمة بن جعفر ، عن الحسن ، بنحو هذا اللفظ ، وهى صفة تحفظ ، وموعظة تهدى إلى طغاتنا فى زماننا ، من الناطقين بغير معرفة ولا علم فى فتوى الناس بالباطل الذى زخرفته لهم شياطينهم .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٥٣٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، وهو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم : البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

١٤٥٣٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، قال : إن الجاهلية كانوا يحرمون أشياءَ أحلها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾ ،[سورة يونس : ٥٩]، وهو هذا، فأنزل الله: « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد = لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم: « من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق »، إذ عَيُّوا بالجواب ،[١] فلم يدروا ما يجيبونك = : زينة الله التي أخرج لعباده وطيبات رزقه ، للذين صدّقوا الله ورسوله ، واتبعوا ما أنزل إليك من ربك ، في الدنيا، وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف

١٢٢/٨

(١) « عي بالجواب » : إذا عجز عنه، وأشكل عليه ، ولم يهتد إلى صوابه .

أمر ربه ، وهى للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة ، لا يشركهم فى ذلك يومئذ أحدٌ كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه .[١]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٤٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة » ، يقول : شارك المسلمون الكفار فى الطيبات ، فأكلوا من طيبات طعامها ، ولبسوا من خِيار ثيابها ، ونكحوا من صالح نسائها ، وخلصوا بها يوم القيامة .

١٤٥٤١ — وحدثنى به المثنى مرة أخرى بهذا الإسناد بعينه، عن ابن عباس فقال : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا »، يعنى : يشارك المسلمون المشركين فى الطيبات فى الحياة الدنيا ، ثم يُخلِّص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شىء .

١٤٥٤٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قال : قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، يقول : قل هى فى الآخرة خالصة لمن آمن بى فى الدنيا ، لا يشركهم فيها أحدٌ فى الآخرة .[٢] وذلك أن الزينة فى الدنيا لكل بنى آدم ، فجعلها خالصة لأوليائه فى الآخرة .

١٤٥٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن سلمة بن نبيط ، عن

---

(١) انظر تفسير « خالصة » فيما سلف ٢ : ١٢/٣٦٥ : ١٤٨ ، ١٤٩

(٢) أسقطت المطبوعة : « فى الآخرة » من آخر هذه الجملة .

الضحاك : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، قال: اليهود والنصاري يشركونكم فيها فى الدنيا ، وهى للذين آمنوا خالصة يوم القيامة .

١٤٥٤٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »، خالصةً للمؤمنين فى الآخرة ، لايشاركهم فيها الكفار . فأما فى الدنيا فقد شاركوهم .

١٤٥٤٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، من عمل بالإيمان فى الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة ، ومن ترك الإيمان فى الدنيا قَدِم على ربّه لاعذرَ له .

١٤٥٤٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا » ، يشترك فيها معهم المشركون = « خالصة يوم القيامة » ، للذين آمنوا .

١٤٥٤٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، يقول : المشركون يشاركون المؤمنين فى الدنيا فى اللباس والطعام والشراب ، ويوم القيامة يَخْلُص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين ، وليس للمشركين فى شيء من ذلك نصيبٌ .

١٤٥٤٨ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ، ويخلص خيرُ الآخرة للمؤمنين ، وليس للكافر فيها نصيب .

١٤٥٤٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، قال : هذه يوم

القيامة للذين آمنوا ، لا يشركهم فيها أهل الكفر ، ويشركونهم فيها فى الدنيا . وإذا كان يوم القيامة ، فليس لهم فيها قليل ولا كثير .

* * *

وقال سعيد بن جبير فى ذلك بما : —

١٤٥٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسمعيل بن أبان ، وحبويه الرازى أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن سعيد بن جبير : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، قال: ينتفعون بها فى الدنيا، ولا يتبعهم إثمها .(١)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « خالصة » .

فقرأ ذلك بعض قرأة المدينة :﴿ خَالِصَةٌ ﴾، برفعها ، بمعنى : قل هى خالصة للذين آمنوا .

* * *

وقرأه سائر قرأة الأمصار﴿ خَالِصَةً ﴾،بنصبها على الحال من «لهم»، وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاءً منها بدلالة الظاهر عليها ،على ما قد وصفت فى تأويل الكلام أن معنى الكلام: قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدينا مشتركة،وهى لهم فى الآخرة خالصة . ومن قال ذلك بالنصب ،جعل خبر«هى» فى قوله : «للذين آمنوا».(٢) ١٢٣/٨

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصحة ، قراءة من قرأ نصباً ، لإيثار العرب النصبَ فى الفعل إذا تأخر بعد الاسم والصفة ،(٣) وإن كان الرفع جائزاً ، غير أن ذلك أكثر فى كلامهم .

* * *

(١) الأثر : ١٤٥٥٠ — « إسماعيل بن أبان الوراق الأزدى ، أبو إسحق » ، شيعى ، ثقة صدوق فى الرواية . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٣٤٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/١٦٠ .
و « حبويه الرازى » ، أبو يزيد ، مضت ترجمته برقم : ١٤٣٦٥ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٣) « الفعل » ، يعنى المصدر . و « الاسم » ، هو المشتق . و « الصفة » ، حرف الجر والظرف . انظر فهارس المصطلحات . وقد أسلف أبو جعفر فى ٢ : ٣٦٥ أن « خالصة » مصدر مثل « العافية » .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كما بينت لكم الواجب عليكم فى اللباس والزينة ، والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها ، وميزت بين ذلك لكم ، أيها الناس ، كذلك أبيِّن جميع أدلتى وحججى ، وأعلامَ حلالى وحرامى وأحكامى ،[1] لقوم يعلمون ما يُبَيَّن لهم ، ويفقهون ما يُمَيَّز لهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين الذين يتجرّدون من ثيابهم للطواف بالبيت ، ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه : أيها القوم ، إن الله لم يحرّم ما تحرمونه ، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيَّبه لهم ، وإنما حرم ربِّى القبائح من الأشياء = وهى « الفواحش »[2] = « ما ظهر منها » ، فكان علانية = « وما بطن » ، منها فكان سرًّا فى خفاء .[3]

* * *

وقد روي عن مجاهد فى ذلك ما : —

١٤٥٥١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنى عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد

---

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ٢٣٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

(٢) انظر تفسير « الفاحشة » فيما سلف ص : ٣٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « ظهر » و « بطن » فيما سلف ص : ٢١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

قال : سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « ما ظهر منها وما بطن » ، قال : « ما ظهر منها » ، طوافُ أهل الجاهلية عراة = « وما بطن » ، الزنا

* * *

وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك بالروايات فيما مضى ، فكرهت إعادته.[1]

* * *

وأما « الإثم » ، فإنه المعصية = « والبغى » ، الاستطالة على الناس.[2]

* * *

يقول تعالى ذكره : إنما حرم ربى الفواحش مع الإثم والبغى على الناس .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٥٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والإثم والبغى »، أما « الإثم » فالمعصية = و«البغى»، أن يبغى على الناس بغير الحق .

١٤٥٥٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً فى قوله : « ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى »، قال : نهى عن « الإثم » ، وهى المعاصى كلها = وأخبر أن الباغىَ بَغْيُهُ كائنٌ على نفسه .[3]

* * *

---

(١) انظر ما سلف ص ٢١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإثم » فيما سلف من فهارس اللغة (أثم) .

= وتفسير « البغى » فيما سلف ٢ : ٣/٣٤٢ : ٤/٣٢٢ : ٦/٢٨١ : ٢٧٦ .

(٣) فى المخطوطة : « أن اكتفى بغيه كائن على نفسه » ، وهو شىء لا يقرأ ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : إنما حرم ربى الفواحش والشرك به ، أن تعبدوا مع الله إلهاً غيره = « ما لم ينزل به سلطاناً » ، يقول : حرم ربكم عليكم أن تجعلوا معه فى عبادته شِرْكاً لشىء لم يجعل لكم فى إشراككم إياه فى عبادته حجة ولا برهاناً = وهو « السلطان »[1] = « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، يقول : وأن تقولوا إن الله أمركم بالتعرِّى والتجرُّد للطواف بالبيت ، وحرم عليكم أكل هذه الأنعام التى حرمتموها وسيَّبتموها وجعلتموها وصائل وحوامى ، وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرّمه ، أو أمر به ، أو أباحه ، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحَظْره والأمر به ، فإن ذلك هو الذى حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه ، أو تقولون إن الله أمركم به ، جهلاً منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه إلى الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : تهدُّداً للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا : « وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها »[2] = ووعيداً منه لهم على كذبهم عليه ، وعلى إصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم = ومذكراً لهم ما أحلّ بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم = : « ولكل أمة أجل » ،

(١) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف ١١ : ٤٩٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « مهدداً للمشركين » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو ألصق بالسياق .

يقول : ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رُسل الله ،[1] وردّ نصائحهم ، والشرك بالله ، مع متابعة ربهم حججه عليهم = « أجل » ، يعني : وقت لحلول العقوبات بساحتهم، ونزول المثُلات بهم على شركهم[2]= « فإذا جاء أجلهم »، يقول : فإذا جاء الوقت الذى وقّته الله لهلاكهم ، وحلول العقاب بهم = « لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »، يقول: لا يتأخرون بالبقاء فى الدنيا،ولا يُمتَّعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ،[3] ساعة من ساعات الزمان = « ولا يستقدمون » ، يقول : ولا يتقدّمون بذلك أيضاً عن الوقت الذى جعله الله لهم وقتاً للهلاك . ١٢٤/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره معرّفاً خلقه ما أعدّ لحزبه وأهل طاعته والإيمان به وبرسوله ، وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله : « يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم »،يقول : إن يجئكم رسلى الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعتى ، والانتهاء إلى أمرى ونهيى = « منكم »، يعنى :من أنفسكم ومن عشائركم وقبائلكم = « يقصون عليكم آياتى »، يقول : يتلون عايكم آيات كتابى ، ويعرّفونكم أدلتى وأعلامى على صدق ما جاؤوكم به من عندى ، وحقيقة

(١) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف ص : ٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ص : ١١٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « يتمتعون » ، والصواب من المخطوطة .

ما دعوكم إليه من توحيدى[1] = « فمن اتقى وأصلح » ، يقول : فمن آمن منكم بما أتاه به رُسلى مما قص عليه من آياتى وصدّق، واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله = « وأصلح » ، يقول : وأصلح أعماله التى كان لها مفسداً قبل ذلك من معاصى الله بالتحوُّب منها[2] = « فلا خوف عليهم » ، يقول : فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه = « ولا هم يحزنون » ، على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها ، وشهواتهم التى تجنّبوها ، اتباعاً منهم لنهى الله عنها، إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك .[3]

١٤٥٥٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا هشام أبو عبد الله قال ، حدثنا هياج قال، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، عن أبى سيّار السُّلَمى قال : إن الله جعل آدم وذريته فى كفّه فقال : « يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ثم نظر إلى الرسل فقال : ﴿ يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾، [سورة المؤمنون : ٥١، ٥٢] ،ثم بثّهم .[4]

* * *

فإن قال قائل : ما جواب قوله : « إما يأتينكم رسل منكم » ؟

---

(١) انظر تفسير « قص » فيما سلف ص : ١٢٠ ، ٣٠٧
= وتفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

(٢) « تحوب من إثمه » ، أى : تأثم منه ، أى : ترك الإثم وتوقاه .
= وانظر تفسير « أصلح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٣) انظر تفسير « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فى نظائرها فيما سلف (خوف) (حزن) من فهارس اللغة .

(٤) الأثر : ١٤٥٥٤ — هذا إسناد مبهم لم أستطع تفسيره .
« أبو سيار السلمى » لم أعرف من يكون ، فمن أجل ذلك لم أستطع أن أميز من يكون : « عبد الرحمن ابن زياد » ، ولا « هياج » .
والأثر ، ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٢ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك .

فقال بعضهم في ذلك : الجوابُ مضمرٌ ، يدل عليه ما ظهر من الكلام ، وذلك قوله : « فمن اتقى وأصلح » . وذلك لأنه حين قال : « فمن اتقى وأصلح » ، كأنه قال : فأطيعوهم .

* * *

وقال آخرون منهم : الجواب : « فمن اتقى » ، لأن معناه : فمن اتقى منكم وأصلح . قال : ويدل على أنّ ذلك كذلك ، تبعيضه الكلام . فكان فى التبعيض اكتفاء من ذكر « منكم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه: وأما من كذّب بإيتاء رسلى التى أرسلتها إليه ، وجحد توحيدى ، وكفر بما جاء به رسلى ،واستكبر عن تصديق حُجَجى وأدلّتى = « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ، يقول: هم فى نار جهنم ماكثون لا يخرجون منها أبداً .(١)

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فمن أخطأ فعلاً ، وأجهلُ قولاً ، وأبعد ذهاباً عن الحق والصواب[١] = « ممن افترى على الله كذباً » ، يقول : ممن اختلق على الله زُوراً من القول ، فقال إذا فعل فاحشة : إن الله أمرنا بها[٢] = « أو كذب بآياته » ، يقول : أو كذب بأدلته وأعلامه الدالّة على وحدانيته ونبوّة أنبيائه ، فجحد حقيقتها ودافع صحتها = « أولئك » ، يقول : من فعل ذلك ، فافترى على الله الكذب وكذب بآياته = « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، يقول : يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم فى اللوح المحفوظ .[٣]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك « النصيب » ، الذى لهم فى « الكتاب » ، وما هو ؟

فقال بعضهم : هو عذاب الله الذى أعدّه لأهل الكفر به .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٥٥ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا مروان ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، أى : من العذاب .

١٤٥٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير « افترى » فيما سلف ص : ١٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « نال » فيما سلف ٣ : ٢٠/٦ : ٥٨٧ .
= وتفسير « نصيب » فيما سلف ص : ١٣١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٤٥٥٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، يقول : ما كتب لهم من العذاب . ١٢٥/٨

١٤٥٥٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن فى قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : من العذاب .

١٤٥٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن جويبر ، عن أبي سهل ، عن الحسن قال : من العذاب .

١٤٥٦٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن رجل ، ، عن الحسن قال : من العذاب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة .

• ذكر من قال ذلك:

١٤٥٦١ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سعيد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب»، قال : من الشِّقوة والسعادة .

١٤٥٦٢ — حدثنا ابن حميد قال،حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد: « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، كشقى وسعيد .[1]

١٤٥٦٣ — حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن فضيل ، عن الحسن بن عمرو الفقيمى ، عن الحكم قال : سمعت مجاهداً يقول : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : هو ما سبق .

١٤٥٦٤ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) يعنى كقوله تعالى فى [سورة هود : ١٠٥] : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة .

١٤٥٦٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة ، كشقي وسعيد .

١٤٥٦٦ — ....قال حدثنا ابن المبارك،عن شريك،عن جابر ،عن مجاهد، عن ابن عباس : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، من الشقاوة والسعادة .

١٤٥٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير وابن إدريس ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب» ، قال : ما قد سبق من الكتاب .

١٤٥٦٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما سبق لهم فى الكتاب .

١٤٥٦٩ — ....قال،حدثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « أولئك ينالهم نصيبهم » ، قال : من الشقاوة والسعادة .

١٤٥٧٠ — ....قال حدثنا أبو معاوية،عن سفيان،عن ابن أبي نجيح،عن مجاهد قال : ما قُضى أو قُدِّر عليهم .

١٤٥٧١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، ينالهم الذى كتب عليهم من الأعمال .

١٤٥٧٢ — حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا مروان بن معاوية ، عن إسمعيل بن سميع ، عن بكر الطويل ، عن مجاهد فى قول الله : « أولئك

ينالهم نصيبهم من الكتاب» ، قال : قوم يعملون أعمالاً لا بُدَّ لهم من أن يعملوها .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذى كتب لهم أو عليهم ، بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا من خير وشر .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، يقول : نصيبهم من الأعمال ، من عمل خيرًا جُزِى به ، ومن عمل شرًّا جزى به .

١٤٥٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : من أحكام الكتاب ، على قدر أعمالهم .

١٤٥٧٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ينالهم نصيبهم فى الآخرة من أعمالهم التى عملوا وأسْلَفوا .

١٤٥٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، أى : أعمالهم ، أعمال السوء التى عملوها وأسلفوها .

١٤٥٧٧ — حدثنى أحمد بن المقدام قال ، حدثنا المعتمر قال ، قال أبى : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، زعم قتادة : من أعمالهم التى عملوا .

١٤٥٧٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، ١٢٦/٨ حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ،

---

(١) الأثر : ١٤٥٧٢ — « إسماعيل بن سميع الحنفى » ، مضى برقم : ٤٧٩١ ، ٤٧٩٣ .
و « بكر الطويل » كأنه هو « بكر بن يزيد الطويل الحمصى » ، روى عن أبى هريرة الحمصى ، روى عنه أبو سعيد الأشج ، مترجم فى ابن أبى حاتم ٣٩٤/١/١ .

يقول : ينالهم نصيبهم من العمل . يقول : إن عمل من ذلك نصيبٌ خير جُزِى خيراً ، وإن عمل شراً جُزِى مثله .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : ينالهم نصيبهم مما وُعِدوا في الكتاب من خير أو شرّ .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٥٧٩ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في هذه الآية : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : من الخير والشر .

١٤٥٨٠ — . . . قال حدثنا زيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : ما وُعدوا .

١٤٥٨١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما وعدوا .

١٤٥٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

١٤٥٨٣ — . . . قال حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ليث ، عن ابن عباس : : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما ما وُعِدوا مثله .

١٤٥٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : ما وُعِدوا فيه من خير أو شر .

١٤٥٨٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما وُعِدوا فيه .

١٤٥٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من « الكتاب » ، قال : ما وعدوا من خير أو شر .

١٤٥٨٧ — حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم، عن مجاهد فى قول الله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ينالهم ما سبق لهم من الكتاب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذى كتبه الله على من افترى عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٨٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، يقول : ينالهم ما كتب عليهم . يقول : قد كتب لمن يفترى على الله أنّ وجهه مسوَدٌّ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس: « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، مما كتب لهم من الرزق .

١٤٥٩٠ — . . . قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب، عن ابن لهيعة ، عن أبى صخر ، عن القرظى : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب» ، قال : عمله ورزقه وعمره .

١٤٥٩١ ــ حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »، قال : من الأعمال والأرزاق والأعمار، فإذا فنى هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ، وقد فرغوا من هذه الأشياء كلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ، مما كتب لهم من خير وشر فى الدنيا ، ورزق وعمل وأجل . وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله : « حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله » ، فأبان بإتباعه ذلك قولَه : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، أن الذى ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيًّا عليهم فى الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسلَه لتقبض أرواحهم . ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب ، أو مما قد أعدّ لهم فى الآخرة ، لم يكن محدوداً بأنه ينالهم إلى مجىء رسل الله لوفاتهم ، لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة فى الآخرة ، وأن عذابهم فى الآخرة لا آخر له ولا انقضاء ، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه . فبيِّنٌ بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « حتى إذا جاءتهم رسلنا » ، إلى أن جاءتهم رسلنا . يقول جل ثناؤه : وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب ، أو كذبوا بآيات ربهم ، ينالهم حظوظهم التى كتب الله لهم ، وسبق فى علمه لهم

١٢٧/٨

من رزق وعمل وأجل وخير وشر فى الدنيا ، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم . فإذا جاءتهم رسلنا ، يعنى ملك الموت وجنده = « يتوفونهم » ، يقول : يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة[١] = «قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله » ، يقول : قالت الرسل : أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم ، لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم ، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء ؟ وهلا يُغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه ؟ فأجابهم الأشقياء فقالوا : ضَلَّ عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله . يعنى بقوله : « ضلوا » ، جاروا وأخذوا غير طريقنا ، وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا .[٢] يقول الله جل ثناؤه : وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله ، جاحدين وحدانيته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه ، المكذبين آياته يوم القيامة . يقول تعالى ذكره ، قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة ، ادخلوا ، أيها المفترون على ربكم ، المكذبون رسله ، فى جماعات من ضُرَبائكم[٣] = « قد خلت من قبلكم » ، يقول : قد سلفت من قبلكم[٤] = « من الجن والإنس فى النار » ، ومعنى ذلك : ادخلوا فى أمم هى فى النار ، قد خلت

(١) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف : ١١ : ٤٠٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٣) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ٤٠٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ٣ : ١٠٠ ، ٤/١٢٨ : ٧/٢٨٩ : ٢٢٨ .

من قبلكم من الجن والإنس = وإنما يعنى بـ « الأمم » ، الأحزابَ وأهلَ الملل الكافرة = « كلما دخلت أمة لعنت أختها » ، يقول جل ثناؤه : كلما دخلت النارَ جماعةٌ من أهل ملة = « لعنت أختها »، يقول : شتمت الجماعة الأخرى من أهل ملتها ، تبرّياً منها .[١]

وإنما عنى بـ « الأخت » ، الأخوّة فى الدين والملة ، وقيل : « أختها » ، ولم يقل : « أخاها » ، لأنه عنى بها « أمة » وجماعة أخرى ، كأنه قيل : كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٩٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كلما دخلت أمة لعنت أختها » ، يقول : كلما دخل أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين ،[٣] يلعن المشركون المشركين ، واليهود اليهود ، والنصارى النصارى ، والصابئون الصابئين ، والمجوس المجوس ، تلعن الآخرةُ الأولى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : حتى إذا تداركت الأمم فى النار جميعاً ، يعنى اجتمعت فيها .

* * *

(١) انظر تفسير « اللعن » فيما سلف ١٠ : ٤٨٩ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٨ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كلما دخلت أهل ملة » ، والصواب ما أثبت .

يقال : « قد ادّاركوا » ، و « تداركوا » ، إذا اجتمعوا .(١)

* * *

يقول : اجتمع فيها الأوّلون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة . يقول الله تعالى ذكره : فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة فى النار فادّاركوا ، قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار = الذين كانوا فى الدنيا بعد أولى منهم تقدّمتها وكانت لها سلفاً وإماماً فى الضلالة والكفر = لأولاها الذين كانوا قبلهم فى الدنيا : ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ، ودعونا إلى عبادة غيرك ، وزيّنوا لنا طاعة الشيطان ، فآتهم اليوم من عذابك الضعفَ على عذابنا ، كما : —

١٤٥٩٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قالت أخراهم » ، الذين كانوا فى آخر الزمان = « لأولاهم » ، الذين شرعوا لهم ذلك الدين = « ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » .

* * *

وأما قوله : « قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » ، فإنه خبر من الله عن جوابه

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٤ ، وفى نصه زيادة حسنة : « ويقال : تدارك لى عليه شىء ، أى اجتمع لى عنده شىء . وهو مدغم التاء فى الدال ، فثقلت الدال » .

لهم . يقول : قال الله للذين يدعونه فيقولون : « ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » =: لكلكم ، أوَّلكم وآخركم، وتابعوكم ومُتَّبَعوكم = «ضعف »، يقول : مكرر عليه العذاب .

* * *

و « ضعف الشيء » ، مثله مرة .

* * *

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما :—

١٤٥٩٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قول الله. «عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف » ، مضعّف .

١٤٥٩٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . ١٢٨/٨

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٩٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال الله: « لكل ضعف » ، للأولى ، وللآخرة ضعف .

١٤٥٩٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان قال ، حدثنى غير واحد ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله : « ضعفاً من النار »، قال : أفاعى .

١٤٥٩٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله : « فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » ، قال : حيّات وأفاعى .

* * *

وقيل : إن « المضعَّف » ، فى كلام العرب ، ما كان ضعفين،[١] و « المضاعف » ، ما كان أكثر من ذلك .

* * *

وقوله : « ولكن لا تعلمون » ، يقول : ولكنكم ، يا معشر أهل النار ، لا تعلمون ما قدْرُ ما أعدّ الله لكم من العذاب ، فلذلك تسأل الضعفَ منه الأمةُ الكافرةَ الأخرى لأختها الأولى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وقالت أولى كل أمة وملة سبقت فى الدنيا ، لأخراها الذين جاؤوا من بعدهم ، وحدَثوا بعد زمانهم فيها ، فسلكوا سبيلهم واستنوا سنتهم : « فما كان لكم علينا من فضل » ، وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله جل ثناؤه بمعصيتنا إياه وكفرنا بآياته ، بعدما جاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر ،[٢] فهل أنَبْتم إلى طاعة الله ،[٣] وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم ؟ فانقضت حجة القوم وخُصِموا ولم يطيقوا جواباً بأن يقولوا : « فضّلنا عليكم إذ اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدقنا رسله » ،[٤] قال الله لجميعهم : فذوقوا جميعكم ، أيها الكفرة ، عذابَ

(١) فى المطبوعة : « الضعف ، فى كلام العرب » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وكفرنا به وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل » ، وفى المخطوطة : « وكفرنا به ما جاءتنا وجاءتكم » ، وهو غير مستقيم ، صوابه إن شاء الله ما أثبت . وهو سياق الآيات قبلها . هكذا استظهرته من تفسير الآيات السالفة .

(٣) فى المطبوعة : « هل انتهيتم » ، وفى المخطوطة : « هل أسم » ، وهذا صواب قراءتها ، وزدت الفاء فى أول « هل » ، لاقتضاء سياق الكلام إثباتها .

(٤) فى المطبوعة : « إنا اعتبرنا بكم » ، وفى المخطوطة : « إذا اعتبرنا بكم » ، والصواب ما أثبت .

جهنم ،[١] بما كنتم فى الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصى ، وتجترحون من الذنوب والإجرام .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٩٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت عمران ، عن أبى مجلز : « وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » ، قال : يقول : فما فضْلكم علينا ، وقد بين لكم ما صنع بنا ، وحُذِّرتم ؟

١٤٦٠٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل » ، فقد ضللتم كما ضللنا .

* * *

وكان مجاهد يقول فى هذا بما : —

١٤٦٠١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما كان لكم علينا من فضل » ، قال : من التخفيف من العذاب .

١٤٦٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما كان لكم علينا من فضل » ، قال : من تخفيف .

* * *

وهذا القول الذى ذكرناه عن مجاهد ، قولٌ لا معنى له . لأن قول القائلين :

---

(١) انظر تفسير : « ذوقوا العذاب » فيما سلف ١١ : ٤٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

« فما كان لكم علينا من فضل » لمن قالوا ذلك ، إنما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال، يدل على ذلك دخول « كان » فى الكلام . ولو كان ذلك منهم توبيخاً لهم على قيلهم الذى قالوا لربهم : « آتهم عذاباً ضعفاً من النار » ، لكان التوبيخ أن يقال : « فما لكم علينا من فضل » فى تخفيف العذاب عنكم، وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا » ، ولم يقل : « فما كان لكم علينا من فضل » .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها، ولم يتبعوا رسلنا[١] = « واستكبروا عنها »، يقول: وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبراً[٢] = لا تفتح لهم، لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم = « أبواب السماء » ، ولا يصعد لهم فى حياتهم إلى الله قول ولا عمل ، لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يُرْفع الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالح ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [سورة فاطر : ١٠] .

• • •

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء » .

فقال بعضهم : معناه : لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يعلى ، عن أبى سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : عنى بها الكفار، ١٢٩/٨

---

(١) انظر تفسير « الأبة » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .

(٢) انظر تفسير « الاستكبار » فيما سلف ١١ : ٥٤٠ .

أنّ السماء لا تفتح لأرواحهم ، وتفتح لأرواح المؤمنين .

١٤٦٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن أبي سنان ، عن الضحاك قال ، قال ابن عباس : تُفتح السماء لروح المؤمن ، ولا تفتح لروح الكافر .

١٤٦٠٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : إن الكافر إذا أُخِذ روحُه ، ضربته ملائكة الأرض حتى يرتفع إلى السماء ، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط ، فضربته ملائكة الأرض فارتفع ، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط إلى أسفل الأرضين . وإذا كان مؤمناً نفخ روحه ،[1] وفتحت له أبواب السماء ، فلا يمرّ بملك إلا حيَّاه وسلم عليه ، حتى ينتهى إلى الله ، فيعطيه حاجته ، ثم يقول الله : ردّوا روحَ عبدى فيه إلى الأرض ، فإنى قضيتُ من التراب خلقه ، وإلى التراب يعود ، ومنه يخرج .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك أنه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاءٌ إلى الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٠٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ليث ، عن عطاء، عن ابن عباس : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، لا يصعد لهم قولٌ ولا عمل .

١٤٦٠٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء » ، يعنى : لا يصعد إلى الله من عملهم شيء .

١٤٦٠٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبي قال ، حدثنى عمى

---

(١) فى المطبوعة : « وإذا كان مؤمناً أخذ روحه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، يقول : لا تفتح لخير يعملون .

١٤٦٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يصعد لهم كلامٌ ولا عمل .

١٤٦١٠ — حدثنا مطر بن محمد الضبى قال ، حدثنا عبد الله بن داود قال ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء .[1]

١٤٦١١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء .

١٤٦١٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال : حدثنا شريك ، عن سعيد : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يرفع لهم عملٌ صالح ولا دعاء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦١٣ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « لا تفتح لهم أبواب السماء » قال : لأرواحهم ولا لأعمالهم .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا فى تأويل ذلك ما اخترنا من القول ، لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم . ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم فى شىء ، فذلك على ما عمّه خبر الله تعالى ذكره بأنها لا تفتح لهم فى شىء ، مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا فى ذلك ، وذلك ما : —

---

(١) الأثر : ١٤٦١٠ — « مطر بن محمد الضبى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ترجمة ، ومضى أيضاً برقم : ١٢١٩٨ .

١٤٦١٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبضَ روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرّون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : « ما هذا الروح الخبيث » ؟ فيقولون : « فلان » ، بأقبح أسمائه التي كان يُدعى بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء ، فيستفتحون له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » .[1]

١٤٦١٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الميت تحضره الملائكة ، فإذا

---

(١) الأثر : ١٤٦١٤ — « المنهال » هو « المنهال بن عمرو الأسدى » ، ثقة ، رجح أخى توثيقه فى المسند رقم : ٧١٤ ، وفيما سلف رقم : ٣٣٧ ، ٧٩٩ .

و « زاذان » هو « أبو عبد الله » ، ويقال « أبو عمر » الكوفى الضرير . تابعى ثقة ، مضى أيضاً برقم : ٩٥٠٨ ، ١٣٠١٧ ، ١٣٠١٨ .

وهذا الخبر مختصراً رواه أحمد مطولا ومختصراً فى مسنده ٤ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، من طريقين ، و ٢٩٧ ، كلها من طريق الأعمش ، عن المنهال . ورواه أيضا ٤ : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، من طريقين . أحدهما من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال ، والآخر من طريق أبى الربيع ، عن حماد بن زيد ، عن يونس بن خباب .

ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ١٠٢ ، مطولا من طريق أبى عوانة ، عن الأعمش .

ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ٢٨٩ ، رقم : ٣٢١٢ مختصراً ، ورواه مطولا ٤ : ٣٣٠ رقم : ٤٧٥٣ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧ — ٤٠ ، من طرق ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا جميعا بالمنهال بن عمرو ، وزاذان أبى عمر الكندى . وفى هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة ، وقمع المبتدعة ، ولم يخرجاه بطوله » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، وقال : « رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، من طرق عن المنهال بن عمرو به » ثم ساق حديث أحمد فى المسند .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٨٣ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة وهناد بن السرى ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، والبيهقى فى كتاب عذاب القبر .

كان الرجلَ الصالحَ قالوا : « اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة ، وأبشرى برَوْح وريحان ، وربٍّ غير غضبان » ، قال : فيقولون ذلك حتى يُعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : « من هذا »؟ فيقولون : « فلان » . فيقال : « مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ،[1] ادخلى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان » ، فيقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله . وإذا كان الرجلَ السَّوْءَ قال : « اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة ، وأبشرى بحميم وغسَّاق ، وآخر من شكله أزواج » ، فيقولون ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : « من هذا » ؟ فيقولون : « فلان » ، فيقولون : « لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، ارجعى ذميمة ، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء » ،[2] فترسل بين السماء والأرض ، فتصير إلى القبر .[3] ٨/١٣٠

١٤٦١٦ — حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا ابن أبى فديك قال ، حدثنى ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد ابن يسار ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « بالنفس الطيبة التى كانت . . . » ، والظاهر أنها زيادة من الناسخ ، فإن روايتهم جميعا اتفقت على ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « لا تفتح لك أبواب السماء » ، وفى المخطوطة : « لم تفتح » بغير « لك » ، وأثبت ما فى تفسير ابن كثير . وفى ابن ماجة : « لا تفتح لك » .

(٣) الأثر : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦ — « عبد الرحمن بن عثمان بن أمية الثقفى » « أبو بحر البكراوى » ، ضعيف متكلم فيه ، قال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٦٤ .

و « ابن أبى ذئب » ، هو « محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب » ، ثقة حافظ ، مضى برقم : ٢٩٩٥ .

و « محمد بن عمرو بن عطاء القرشى العامرى » ، ثقة روى له الجماعة .

و « سعيد بن يسار » أبو الحباب المدنى ، تابعى ثقة لا يختلفون فى توثيقه . روى له الجماعة .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الكوفة : ﴿ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ ، بالياء من « يفتح » ، وتخفيف « التاء » منها ، بمعنى : لا يفتح لهم جميعها بمرة واحدة وفتحة واحدة .

• • •

وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين : ﴿ لَا تُفَتَّحُ ﴾ ، بالتاء وتشديد التاء الثانية ، بمعنى : لا يفتح لهم باب بعد باب ، وشىء بعد شىء .

• • •

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك عندى من القول أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى . وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبوابُ السماء بمرة واحدة ، ولا مرة بعد مرة ، وباب بعد باب . فكلا المعنيين فى ذلك صحيح .

وكذلك « الياء » ، و « التاء » فى « يفتح » ، و « تفتح » ، لأن « الياء » بناء على فعل الواحد للتوحيد ، و « التاء » لأن « الأبواب » جماعة ، فيخبر عنها خبر الجماعة .[1]

• • •

وهذا خبر صحيح ، رواه عن ابن أبى ذئب غير « عبد الرحمن بن عثمان » . وسيأتى بإسناد ليس فيه ضعف ، فى الأثر التالى .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة ص : ١٤٢٣ رقم : ٤٢٦٢ .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٧٥ ، ونسبه إلى أحمد ، والنسائى وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٣ ، وزاد نسبته إلى ابن حبان ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى البعث .

والأثر رقم : ١٤٦١٦ . هو إسناد صحيح للخبر السالف .

« ابن أبى فديك » ، هو « محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٤٣١٩ ، ٩٤٨٢ ، ٩٨٧٦ .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، الجنةَ التى أعدّها الله لأوليائه المؤمنين أبداً ، كما لا يلج الجمل فى سم الخياط أبداً ، وذلك ثَقب الإبرة .

* * *

وكل ثقب فى عين أو أنف أو غير ذلك ، فإن العرب تسميه « سَمًّا » وتجمعه « سموماً » ، و « السِّمام » ، فى جمع « السَّم » القاتل ، أشهر وأفصح من « السموم » . وهو فى جمع « السَّم » الذى هو بمعنى الثقب أفصح . وكلاهما فى العرب مستفيض . وقد يقال لواحد « السموم » التى هى الثقوب « سَمٌّ » و « سُمٌّ » ، بفتح السين وضمها ، ومن « السَّم » الذى بمعنى الثقب قول الفرزدق :

فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتَّى تَنَفَّسَا وَقُلْتُ لَهُ: لَا تَخْشَ شَيْئاً وَرَائِيَا[1]

يعنى بسميه ، ثقبى أنفه .

* * *

---

(١) ديوانه : ٨٩٥ ، النقائض : ١٦٩ ، واللسان (سمم) ، من أول قصيدة هاجى بها جريراً ، ونصر البعيث وهجاه معا . وكان الذى هاج الهجاء بين جرير والفرزدق ، أن البعيث المجاشعى ، سرقت إبله ، سرقها ناس من بنى يربوع ، من رهط جرير ، فطلبها البعيث حتى وجدها فى أيديهم ، فأرسل لسانه فى بنى يربوع ، فاعترضه جرير ، فهجاه ، فانبعث الشر بالبعيث ، فانطلق الفرزدق بعد قليل ينصره ، فقال هذه القصيدة يهجو جريراً ، وينصر البعيث ويهجوه ، فيقول للبعيث :

دَعَانِى ٱبْنُ حَمْرَاءِ العِجَانِ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ إِذْ دَعَا ، مُسْتَأْخَرًا عَنْ دُعَائِيَا
فَنَفَّسْتُ عن سَمَّيْهِ . . . .

« نفس عنه » ، فرج عنه كربته إذ أطبق عليه جرير ، فاستنقذه من تحت وطأته . فاستطاع أن يتنفس . وقوله : « لا تخش شيئا ورائيا » ، أى : لا تخش شيئا ما دمت درعاً لك وأنت من ورائى تحتمى بلسانى وهجائى جريراً . وأما قول أبى عبيدة : « أى لا تخش شيئاً يأتيك من خلفى » ، فليس عندى بشىء .

وكان فى المطبوعة : « شيئاً ورامنا » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

وأما « الخياط » فإنه « المِخْيط »، وهى الإبرة . قيل لها : « خِيَاط » و« مِخْيَط »، كما قيل : « قِناع » و« مِقْنع »، و« إزاز» و« مِئْزر »، و« قِرام » و« مِقْرَم » ، و « لحاف » و « مِلْحف » .

وأما القرأة من جميع الأمصار فإنها قرأت قوله : ﴿ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾، بفتح «السين»، وأجمعت على قراءة : ﴿ الْجَمَلُ ﴾ بفتح « الجيم »، و « الميم» وتخفيف ذلك .

* * *

وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ، فإنه حكى عنهم أنهم كانوا يقرأون ذلك : ﴿ الْجُمَّلُ ﴾ ، بضم « الجيم» وتشديد «الميم» ، على اختلاف فى ذلك عن سعيد وابن عباس .

* * *

فأما الذين قرأوه بالفتح من الحرفين والتخفيف ، فإنهم وجهوا تأويله إلى « الجمل » المعروف ، وكذلك فسروه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦١٧ — حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن مغيرة ، عن إبراهيم، عن عبد الله فى قوله : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط »، قال : الجمل ابن الناقة ، أو : زوج الناقة .

١٤٦١٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن أبى حصين ، عن إبراهيم، عن عبد الله: « حتى يلج الجمل فى سم الخياط»، قال : « الجمل » ، زوج الناقة .

١٤٦١٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن أبى حصين عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

١٤٦٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : « الجمل »، زوج الناقة .

١٤٦٢١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

١٤٦٢٢ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا قرة قال : سمعت الحسن يقول : « الجمل » ، الذى يقوم فى المِرْبَد .[١]

١٤٦٢٣ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : حتى يدخل البعير فى خُرت الإبرة .[٢] ١٣١/٨

١٤٦٢٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى، عن هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن قال : هو الجمل ! فلما أكثروا عليه قال : هو الأشتر .[٣]

١٤٦٢٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، مثله .

١٤٦٢٦ - حدثنا المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن يحيى قال : كان الحسن يقرؤها : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : فذهب بعضهم يستفهمه ، قال : أشتر ، أشتر .[٣]

١٤٦٢٧ - حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أبى العالية : « حتى يلج الجمل » ، قال : الجمل الذى له أربع قوائم .

١٤٦٢٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن أبى حصين = أو : حصين = ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود فى

---

(١) « المربد » (بكسر فسكون) : هو المكان الذى تحبس فيه الإبل ، يقال : « ربد الإبل يربدها ربداً » ، حبسها . ويقال : «مربد الغنم» أيضاً . وبه سمى « مربد البصرة » ، لأنه كان موضع سوق الإبل .

(٢) « خرت الإبرة » (بضم الخاء أو فتحها ، وسكون الراء) : هو ثقبها . وكان فى المطبوعة : « فى خرق » وهى صواب ، والمخطوطة تشبه أن تقرأ هكذا وهكذا .

(٣) « أشتر » ، وهو الجمل ، بالفارسية .

قوله : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : زوج الناقة ، يعنى الجمل .

١٤٦٢٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك أنه كان يقرأ: « الجمل » ، وهو الذى له أربع قوائم .

١٤٦٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد ، عن الضحاك : « حتى يلج الجمل » ، الذى له أربع قوائم .

١٤٦٣١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن الحباب، عن قرة، عن الحسن : « حتى يلج الجمل » ، قال : الذى بالمربد .

١٤٦٣٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن مسعود : أنه كان يقرأ : ﴿ حَتَّى يَلِجَ ٱلْجَمَلُ الأَصْفَرُ ﴾ .

١٤٦٣٣ — حدثنا نصر بن على قال، حدثنا يحيى بن سليم قال ، حدثنا عبد الكريم بن أبى المخارق ، عن الحسن فى قوله : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : الجمل ابن الناقة = أو : بَعْلُ الناقة .

* * *

وأما الذين خالفوا هذه القراءة فإنهم اختلفوا .

فروى عن ابن عباس فى ذلك روايتان : إحداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل .

* ذكروا الرواية بذلك عنه :

١٤٦٣٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط» ، والجمل ذو القوائم .

* * *

وذكر أن ابن مسعود قال ذلك .

١٤٦٣٥ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » ، وهو الجمل العظيم ، لا يدخل في خُرْت الإبرة ، [1] من أجل أنه أعظم منها .

* * *

والرواية الأخرى ما : —

١٤٦٣٦ — حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ قال : هو قَلْس السفينة .[2]

١٤٦٣٧ — حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسمعيل ، عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حنظلة السدوسي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ ، يعني الحبل الغليظ = فذكرت ذلك للحسن فقال: « حتى يلجَ الجمَل » ، قال عبد الأعلى : قال أبو غسان ، قال خالد : يعني : البعير .

١٤٦٣٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن فضيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس: أنه قرأ: ﴿ الْجُمَّلُ ﴾ ، مثقَّلة ، وقال : هو حبل السفينة .

١٤٦٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدي ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الجمَّل » ، حبال السفن .

١٤٦٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن حنظلة، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، قال : الحبل الغليظ .

---

(١) انظر ص : ٤٢٩ ، التعليق : ٢ .

(٢) « القلس » (بفتح فسكون) : هو حبل ضخم غليظ من ليف أو خوص ، وهو من حبال السفن .

١٤٦٤١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، قال : هو الحبل الذى يكون على السفينة .

* * *

واختُلِف عن سعيد بن جبير أيضاً فى ذلك ، فروى عنه روايتان : إحداهما مثل الذى ذكرنا عن ابن عباس : بضم « الجيم » وتثقيل « الميم » .

• ذكر الرواية بذلك عنه :

١٤٦٤٢ — حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا حسين المعلم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : أنه قرأها : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ ﴾ ، يعنى قُلُوس السفن ، يعنى : الحبال الغلاظ .[1]

* * *

والأخرى منهما بضم « الجيم » وتخفيف « الميم » .

• ذكر الرواية بذلك عنه :

١٤٦٤٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عمرو ، عن سالم بن عجلان الأفطس قال ، قرأت على أبى : ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلَ ﴾، فقال : ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجُمَلُ ﴾ خفيفة ، هو حبل السفينة = هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير . ١٣٢/٨

* * *

وأما عكرمة فإنه كان يقرأ ذلك : ﴿ الْجُمَّلُ ﴾ ، بضم « الجيم » وتشديد « الميم » ، ويتأوّله كما : —

١٤٦٤٤ — حدثنى ابن وكيع قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عيسى بن عبيد قال : سمعت عكرمة يقرأ: ﴿ الْجُمَّلُ ﴾ مثقلة ، ويقول: هو الحبل الذى يصعد به إلى النخل .

---

(١) « القلوس » جمع « قلس » ، انظر التعليق السالف .

١٤٦٤٥ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا كعب بن فروخ قال ، حدثنا قتادة ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ، قال : الحبل الغليظ فى خرق الإبرة .[1]

١٤٦٤٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، قال : حبل السفينة فى سمّ الخياط .

١٤٦٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عبد الله بن كثير : سمعت مجاهداً يقول : الحبل من حبال السفن .

* * *

وكأنّ من قرأ ذلك بتخفيف « الميم » وضم « الجيم » ، على ما ذكرنا عن سعيد ابن جبير ، على مثال « الصُّرَد » و « الجُعَل » ، وجهه إلى جماع «جملة» من الحبال جمعت « جُمَلاً » ، كما تجمع « الظلمة » ، « ظُلَماً » ، و « الخُرْبة » « خُرَباً » .

* * *

وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد فى « الميم » ويقول : إنما أراد الراوى « الجُمَل » بالتخفيف ، فلم يفهم ذلك منه فشدّده .

* * *

١٤٦٤٨ — وحدثت عن الفراء، عن الكسائى أنه قال : الذى رواه عن ابن عباس كان أعجمياً .

* * *

وأما من شدد « الميم » وضم « الجيم » فإنه وجهه إلى أنه اسم واحد ، وهو الحبل ، أو الخيط الغليظ .

* * *

(١) الأثر : ١٤٦٤٥ — « كعب بن فروخ ، أبو عبد الله البصرى » ، ثقة . مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/٢/١٦٢ . وسيأتى فى رقم : ١٤٦٥٠ .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، ما عليه قرأة الأمصار ، وهو : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، بفتح « الجيم » و « الميم » من « الجمل » ، وتخفيفها ، وفتح « السين » من « السم » ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار ، وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القراءة .

وكذلك ذلك فى فتح « السين » من قوله : « سَمِّ الخياط » .

* * *

وإذ كان الصواب من القراءة ذلك ، فتأويل الكلام : ولا يدخلون الجنة حتى يلج = و « الولوج » الدخول ، من قولهم : « ولج فلان الدار يلِجَ ولوجاً » ،[1] بمعنى دخل = الجملُ فى سم الإبرة ، وهو ثقبها .

= « وكذلك نجزى المجرمين » ، يقول : وكذلك نثيب الذين أجرَموا فى الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الأليم فى الآخرة .[2]

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله : « سم الخياط » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة وابن مهدى وسويد الكلبى ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن عتيق قال : سألت الحسن عن قوله : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : ثقب الإبرة .[3]

١٤٦٥٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا

(١) انظر تفسير « الولوج » فيما سلف ٦ : ٣٠٢ ، وفيه زيادة فى مصادره .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » ، و « الإجرام » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) (جرم) .

(٣) الأثر : ١٤٦٤٩ — « سويد الكلبى » ، هو : « سويد بن عمرو الكلبى » ، ثقة ثبت ، كان رجلا صالحاً متعبداً . وقال ابن حبان : « كان يقلب الأسانيد ، ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية » ! ! وثقه النسائى وابن معين والعجلى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٤٩ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٣٩ .

و « يحيى بن عتيق الطفاوى البصرى » ، ثقة ، وكان ورعاً متقناً .

مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٩٥ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٦ .

كعب بن فروخ قال ، حدثنا قتادة، عن عكرمة : « فى سم الخياط » ، قال : ثقب الإبرة .[1]

١٤٦٥١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

١٤٦٥٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «فى سم الخياط » ، قال : جُحْر الإبرة .

١٤٦٥٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فى سم الخياط » ، يقول : جُحْر الإبرة .

١٤٦٥٤ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فى سم الخياط » ، قال : فى ثقبه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَهُمْ مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها = « من جهنم مهاد » .

* * *

= وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع ، كالفراش الذى يفرش ، والبساط الذى يبسط .[2]

* * *

= « ومن فوقهم غواش » .

* * *

(١) الأثر : ١٤٦٥٠ — « كعب بن فروخ » ، مضى برقم : ١٤٦٤٥ .
(٢) انظر تفسير « المهاد » فيما سلف ٤ : ٦/٢٤٦ : ٧/٢٢٩ : ٤٩٤ .

وهو جمع « غاشية » ، وذلك ما غَشَّاهم فغطاهم من فوقهم .

* * *

وإنما معنى الكلام: لهم من جهنم مهاد من تحتهم فُرُش، ومن فوقهم منها لُحُف ، وإنهم بين ذلك .

* * *

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن موسى ابن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « لهم من جهنم مهاد» : قال : الفراش = « ومن فوقهم غواش » ، قال : اللُّحُف .

١٤٦٥٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك : « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » ، قال : « المهاد » ، الفُرُش ، و « الغواشي » ، اللحف .

١٤٦٥٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » ، أما « المهاد » كهيئة الفراش = و « الغواشي » ، تتغشاهم من فوقهم .

١٣٣/٨

* * *

وأما قوله : « وكذلك نجزي الظالمين » ، فإنه يقول : وكذلك نثيب ونكافىء من ظلم نفسه ، فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه ، وتكذيبه أنبياءه .[1]

* * *

(١) انظر تفسير « الجزاء » و « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) و (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « والذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بما جاءهم به من وحى الله وتنزيله وشرائع دينه ، وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه ، وتجنبوا ما نهاهم عنه [١]= « لا نكلف نفساً إلا وسعها » ، يقول : لا نكلف نفساً من الأعمال إلا ما يسعها فلا تحرج فيه [٢]= « أولئك » ، يقول : هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات = « أصحاب الجنة » ، يقول : هم أهل الجنة الذين هم أهلها ، دون غيرهم ممن كفر بالله وعمل بسيئاتهم [٣]=« هم فيها خالدون » ، يقول[٤] : هم فى الجنة ماكثون ، دائمٌ فيها مكثهم ، [٥]لا يخرجون منها ، ولا يُسلبون نعيمها.[٦]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أذهبنا من صدور هؤلاء الذين وَصَفَ صفتهم ، وأخبر أنهم أصحاب الجنة ، ما فيها من حقد وغِمْر وعداوة كان من

---

(١) انظر تفسير « الصالحات » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٢) انظر تفسير « التكليف » و « الوسع » فيما سلف ص : ٢٢٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أصحاب الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيها خالدون » ، بغير « هم » ، وأثبت نص التلاوة .

(٥) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا يسلبون نعيمهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

بعضهم فى الدنيا على بعض ،[1] فجعلهم فى الجنة إذا أدخلهموها على سُرُر متقابلين ، لا يحسد بعضهم بعضاً على شىء خص الله به بعضهم وفضّله من كرامته عليه ، تجرى من تحتهم أنهار الجنة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ،عن جويبر ، عن الضحاك : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ، قال : العداوة .

١٤٦٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ، قال : هى الإحَن .

١٤٦٦٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن إسرائيل أبى موسى ، عن الحسن ، عن على قال : فينا والله أهلَ بدر نزلت : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر : ٤٧] .

١٤٦٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن إسرائيل قال : سمعته يقول : قال على عليه السلام : فينا والله أهلَ بدر نزلت : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ .

١٤٦٦٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال ، قال على رضى الله عنه : إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ، من الذين قال الله تعالى ذكره فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى قُلُوبِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ ، رضوان الله عليهم .

١٤٦٦٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

(١) « الغمر » (بكسر فسكون) و « الغمر » (بفتحتين) : الحقد الذى يغمر القلب .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار » ، قال : إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا ، وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان ، فشربوا من إحداهما ، فينزع ما فى صدورهم من غِلّ ، فهو « الشراب الطهور » ، واغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم « نَضْرة النعيم » ، فلم يشعَثُوا ولم يتَّسخوا بعدها أبداً .

١٤٦٦٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن الجريرى ، عن أبى نضرة قال : يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض ، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحداً بقلامة ظُفُرٍ ظلمها إياه . ويحبس أهل النار دون النار ، حتى يقضى لبعضهم من بعض ، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحداً بقُلاَمة ظفر ظلمها إياه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، حين أدخلوا الجنة ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته ، وما صرف عنهم من العذاب المهين الذى ابتلى به أهل النار بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رُسله: « الحمد لله الذى هدانا لهذا » ، يقول : الحمد لله الذى وفقنا للعمل الذى أكسبنا هذا الذى نحن فيه من كرامة الله وفضله ، وصرف عذابه

---

(١) الأثر : ١٤٦٦٤ — « الجريرى » ، « سعيد بن إياس الجريرى » ، مضى برقم : ١٩٦ . و « أبو نضرة » ، هو « المنذر بن مالك بن قطعة العبدى » ، روى عن على . مضى برقم : ٦٣٣٧ .

عنا = « وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الولاالله » ، يقول : وما كنا لنرشد لذلك، لولا أن أرشدنا الله له و وفقنا بمنّه وطَوْله ، كما : — ١٣٤/٨

١٤٦٦٥ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن[أبي سعيد]قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل أهل النار يرى منزله من الجنة ، فيقولون : « لو هدانا الله » ، فتكون عليهم حسرة . وكل أهل الجنة يرى منزله من النار ، فيقولون : « لولا أن هدانا الله » ! فهذا شكرهم .(١)

١٤٦٦٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، قال ، سمعت أبا إسحق يحدِّث ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على قال ، ذكر عمر = لشيء لا أحفظه = ، ثم ذكر الجنة فقال : يدخلون ، فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان . قال : فيغتسلون من إحداهما، فتجرى عليهم نضرة النعيم، فلا تشعَث أشعارهم ، ولا تغبرُّ أبشارهم . ويشربون من الأخرى ، فيخرج كل قذًى وقذر وبأس فى بطونهم .(٢) قال ، ثم يفتح لهم باب الجنة ، فيقال لهم :

---

(١) الأثر : ١٤٦٦٥ — جاء هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « عن أبي سعيد » ، يعنى أبا سعيد الخدرى .

وكأنه خطأ لاشك فيه ، فإنى لم أجد الخبر فى حديث أبي سعيد ، ولأن هذا الخبر معروف فى حديث أبي هريرة ، وبذلك خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٥ ، فقال : « أخرج النسائى ، وابن أبي الدنيا ، وابن جرير فى ذكر الموت ، وابن مردويه عن أبي هريرة » ، وساق الخبر .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٧٧ ، فقال : « روى النسائى وابن مردويه ، واللفظ له ، من حديث أبي بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة » ، وساق الخبر .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٣٩٩ فقال : « عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وساق الخبر بنحوه من طريقين ، ثم قال : « رواه كله أحمد ، ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح » ، ولم أعرف مكانه من المسند .

فهذا كله يوشك أن يقطع بأن ما فى المطبوعة والمخطوطة من قوله : « عن أبي سعيد » ، خطأ ، صوابه : « عن أبي هريرة » ، ولذلك وضعته بين القوسين .

(٢) فى المطبوعة : « قذى وقذر أو شيء فى بطونهم » ، وفى المخطوطة : « أوس » ، غير منقوطة وفوقها حرف (ط) دلالة على الشك والخطأ . وأثبت الصواب من حادى الأرواح لابن القيم ، والدر المنثور .

« سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » . قال : فتستقبلهم الوِلدان، فيحفّون بهم كما تحفّ الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته .[١] ثم يأتون فيبشرون أزواجهم ، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم . فيقلن : أنت رأيته ! قال : فيستخفهنّ الفرَح ، قال : فيجئْن حتى يقفن على أُسْكُفَّة الباب.[٢] قال : فيجيئون فيدخلون، فإذا أسُّ بيوتهم بِجَنْدل اللؤلؤ ، وإذا صُرُوح صفر وخضر وحمر ومن كل لون ، وسُرُر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابِيُّ مبثوثة . فلولا أن الله قدَّرها لهم، لا لْتُمِعَتْ أبصارهم مما يرون فيها .[٣] فيعانقون الأزواج ، ويقعدون على السرر ، ويقولون: « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق » ، الآية .[٤]

* * *

(١) « الحميم » ، ذو القرابة القريب الذى تحبه وتهتم لأمره .

(٢) « أسكفة الباب » (بضم الهمزة ، وسكون السين ، وضم الكاف ، بعدها فاء مشددة مفتوحة) : عتبة الباب التى يوطأ عليها .

(٣) « التمع الشيء » اختلسه وذهب به . و « التمع بصره » بالبناء بالمجهول ، اختلس واختطف فلا يكاد يبصر . ويقال مثله : « التمع لونه » ، ذهب وتغير .

(٤) الأثر : ١٤٦٦٦ – « عاصم بن ضمرة السلولى » ، وثقه ابن سعد وابن المدينى ، والعجلى ، وقال النسائى : « ليس به بأس » . ولكن الجوزجانى وابن عدى ضعفاه ، وقال ابن أبى حاتم : « كان ردىء الحفظ ، فاحش الخطأ ، على أنه أحسن حالا من الحارث – يعنى الأعور » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٤٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٣ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح (إعلام الموقعين) ١ : ٢٣٣ مطولا ، فقال : « وقال على بن الجعد فى الجعديات : أنبأنا زهير بن معاوية ، عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على قال » وليس فيه ذكر « عمر » .

ثم وجدت أبا جعفر قد رواه فى تفسيره (٢٤ : ٢٤ ، بولاق) ، من طريق مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن شريك بن عبد الله ، عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على ، بنحوه .

ثم رواه بعد من طريق أبى إسحق ، عن الحارث الأعور ، عن على ، بنحوه .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٥ : ٣٤٢ ، ونسبه إلى ابن المبارك فى الزهد ، وعبد الرزاق ، وابن أبى شيبة ، وابن راهويه ، وعبد بن حميد ، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة ، والبيهقى فى البعث ، والضياء فى المختارة ، ولم ينسبه لابن جرير . وساقه مطولا .

وساقه ابن كثير فى تفسيره ٧ : ٢٧٣ ، من تفسير ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن أبى غسان

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم يقولون عند دخولهم الجنة ، ورؤيتهم كرامة الله التى أكرمهم بها ، وهو أنّ أعداء الله فى النار : والله لقد جاءتنا فى الدنيا ، وهؤلاء الذين فى النار ، رسل ربنا بالحق من الأخبار عن وعد الله أهلَ طاعته والإيمان به وبرسله ، ووعيده أهلَ معاصيه والكفر به .

* * *

وأما قوله : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » ، فإن معناه : ونادى منادٍ هؤلاء الذين وصف الله صفتهم ، وأخبر عما أعدّ لهم من كرامته : أنْ يا هؤلاء ، هذه تلكم الجنة التى كانت رسلى فى الدنيا تخبركم عنها ، أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله ، لتصديقكم إياهم وطاعتكم ربكم . وذلك هو معنى قوله : « بما كنتم تعملون » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

مالك بن إسماعيل ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على بن أبى طالب ، بنحوه .

وليس فى هذه جميعاً ذكر « عمر » ، فقوله : « قال ذكر عمر ، لشىء لا أحفظه » غريب جداً لم أعرف تأويله ، ولا ما فيه من تحريف ، إلا أن يكون : « قال غندر ، لشىء لا أحفظه » و « غندر » هو « محمد بن جعفر » الراوى عن شعبة ، فيكون قوله « قال غندر » من قول « محمد ابن المثنى » ، والله أعلم .

١٤٦٦٧ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » ، قال : ليس من كافر ولا مؤمن إلاّ وله في الجنة والنار منزل ، فإذا دخل أهل الجنة الجنةَ ، وأهل النارَ النار ، ودخلوا منازلهم ، رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها ، فقيل لهم : « هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله » ، ثم يقال : « يا أهل الجنة، رِثُوهم بما كنتم تعملون » ، فتُقْسم بين أهل الجنة منازلهم .

١٤٦٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن سعد أبو داود الحفرى ، [عن سعيد بن بكير] ، عن سفيان الثورى ، عن أبي إسحق ، عن الأغرّ : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » ، قال : نودوا أنْ صِحُّوا فلا تسقموا ، واخلُدوا فلا تموتوا ، وانعموا فلا تَبْأسوا .(١)

١٤٦٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن الأغر ، عن أبي سعيد : « ونودوا أن تلكم الجنة » ، الآية ، قال : ينادي منادٍ : أن لكم أنْ تصحُّوا فلا تسقموا أبداً .(٢)

* * *

واختلف أهل العربية في « أنْ » التي مع « تلكم » .

---

(١) الأثر : ١٤٦٦٨ – « عمر بن سعد » ، « أبو داود الحفرى » ، ثقة . مضى رقم : ٨٦٣ ، وهو يروى عن « سفيان الثورى » مباشرة ، ولكن جاء هنا « عن سعيد بن بكير » .

وأما « سعيد بن بكير » ، فهو في المطبوعة « سعد بن بكر » ، وأثبت ما في المخطوطة . ولست أدرى من يكون ؟ أو عن أي شيء هو محرف .

و « الأغر » هو « الأغر » ، أبو مسلم المدنى ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد ، وكانا اشتركا في عتقه . روى عنه أبو إسحق السبيعى ، تابعى ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٤٤ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٠٨ .

وهذا الخبر رواه مسلم في صحيحه ١٧ : ١٧٤ ، من طريق عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن أبي إسحق ، عن الأغر ، عن أبي سعيد الخدرى ، وأبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مطولا ، بنحوه . وسيأتي مختصراً في الذي يليه .

(٢) الأثر : ١٤٦٦٩ – هذا مختصر حديث مسلم (١٧ : ١٧٤) الذي خرجته في التعليق السالف .

فقال بعض نحويى البصرة : هى «أنّ» الثقيلة ، خففت وأضمر فيها ، ولا يستقيم أن تجعلها الخفيفة ، لأن بعدها اسماً ، والخفيفة لا تليها الأسماء ، وقد قال الشاعر :[1]

فِى فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ ، قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ[2]

وقال آخر :[3]

أُكَاشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلاَنَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ[4]

قال : فمعناه : أنه كلانا . قال : ويكون كقوله : ﴿ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا ﴾ ، فى موضع «أى» ؛ وقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا ﴾ ، [سورة الشورى : ١٣] ، ولا تكون «أن» التى تعمل

٨/ ١٣٥

---

(١) هو الأعشى .

(٢) ديوانه : ٤٥ ، سيبويه ١ : ٢٨٢ ، ٤٤٠ ، ٤٨٠/٢ : ١٢٣ ، أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢ ، الإنصاف : ٨٩ ، والخزانة ٣ : ٥٤٧/٤ : ٣٥٦ ، وشرح شواهد العينى (بهامش الخزانة) ٢ : ٢٨٧ ، وغيرها .

وهذا البيت هكذا أنشده سيبويه ، وتبعه النحاة فى كتبهم ، وهو بيت ملفق من بيتين ، يقول الأعشى فى قصيدته المشهورة :

إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لاَ نِعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ
فَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّى ثَمَّ مَا يَئِلُ
وَقَدْ أَقُودُ الصِّبَا يَوْماً فَيَتْبَعُنِى وَقَدْ يُصَاحِبُنِى ذُو الشِّرَّةِ الغَزِلُ
وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِى شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
فِى فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ، قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِى الحِيلَةِ الحِيَلُ
نَازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئاً وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ
لاَ يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهْىَ رَاهِنَةٌ إِلاَّ بِهَاتِ ، وَإِنْ عَلُّوا وإِنْ نَهِلُوا

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) سيبويه ١ : ٤٤٠ ، الإنصاف لابن الأنبارى : ٨٩ ، ١٨٣ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٨ ، وغيرها وقوله : « أكاشره » : أضاحكه .

فى الأفعال، لأنك تقول : « غاظنى أن قام »، و« أن ذهب »، فتقع على الأفعال، وإن كانت لا تعمل فيها . وفى كتاب الله : ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا ﴾، [سورة ص :٦]، أى : امشوا .

* * *

وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة ، فقال : غير جائز أن يكون مع « أن » فى هذا الموضع « هاء » مضمرة، لأن « أن » دخلت فى الكلام لتقِىَ ما بعدها. قال : « وأن » هذه التى مع « تلكم » هى الدائرة التى يقع فيها ما ضارع الحكاية ، وليس بلفظ الحكاية ، نحو : « ناديت أنك قائم ، » و «أنْ زيد قائم » و « أنْ قمت» ، فتلى كلَّ الكلام ، وجعلت « أن » وقاية ، لأن النداء يقع على ما بعده ، وسلم ما بعد « أن » كما سلم ما بعد « القول » . ألا ترى أنك تقول : « قلت : زيد قائم » و « قلت : قام »، فتليها ما شئت من الكلام ؟ فلما كان النداء بمعنى « الظن » وما أشبهه من « القول » ، سلم ما بعد « أن » ، ودخلت « أن » وقاية . قال : وأما « أى » ، فإنها لا تكون على « أن » ، لا يكون « أى » جواب الكلام ، و « أن » تكفى من الاسم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ونادى أهلُ الجنة أهلَ النار بعد دخولهموها : يا أهل النار ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فى الدنيا على ألسن رسله ، من الثواب على الإيمان به وبهم ، وعلى طاعته ، فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على

الكفر به وعلى معاصيه من العقاب؟[1] فأجابهم أهل النار : بأنْ نعم ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ، كالذى : —

١٤٦٧٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا قالوا نعم»، قال : وجد أهل الجنة ما وُعدوا من ثواب، وأهلُ النار ما وُعدوا من عقاب.

١٤٦٧١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا » ، وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكلَّ خير علمه الناس أو لم يعلموه ، ووعدَ أهل النار كلَّ خزى وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه ، فذلك قوله : ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ ، [سورة ص : ٥٨] . قال : فنادى أصحاب الجنة أصحابَ النار أنْ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قالوا: نعم . يقول : من الخزى والهوان والعذاب . قال أهل الجنة : فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا من النعيم والكرامة = « فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قالوا نعم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة والبصرة : ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ ، بفتح العين من « نعم » .

* * *

ورُوِى عن بعض الكوفيين أنه قرأ : ﴿ قَالُوا نَعِمْ ﴾ ، بكسر « العين » ، وقد أنشد بيتاً لبنى كلب :

---

(١) انظر تفسير « أصحاب الجنة » و « أصحاب النار » فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

نَعِمْ ، إِذَا قَالَهَا ، مِنْهُ مُحَقَّقَةٌ وَلاَ تَخِيبُ «عَسَى» مِنْهُ وَلاَ قَمَنُ(١)

بكسر « نعم » .

* * *

قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا ﴿ نَعَمْ ﴾ بفتح « العين » ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار ، واللغة المشهورة فى العرب .

* * *

وأما قوله : «فأذن مؤذن بينهم»، يقول : فنادى مناد، وأعلم مُعْلِمٌ بينهم = «أن لعنة الله على الظالمين » ، يقول : غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به.(٢)

* * *

وقد بينا القول فى « أنّ » إذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية ، وليس بصريح الحكاية ، بأنها تشددها العرب أحياناً ، وتوقع الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحياناً ، وتعمل الفعل فيها فتنصبها به ، وتبطل عملها عن الاسم الذى يليها ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٣)

* * *

وإذ كان ذلك كذلك، فسواء شُدِّدت « أن » أو خُفِّفت فى القراءة، إذ كان معنى الكلام بأىّ ذلك قرأ القارئ واحداً ، وكانتا قراءتين مشهورتين فى قرأة الأمصار .

* * *

---

(١) لم أجد البيت ، ولم أعرف قائله . « قمن » ، جدير . يقول : لو قال لك : « عسى أن يكون ما تسأل » أو : « أنت قمن أن تنال ما تطلب » ، فذلك منه إنفاذ لما تسأل ، وتحقيق لما تطلب .

وكان فى المطبوعة : « ولا تجىء عسى » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب . لأنه قال إن العدة بنعم محققة ، وبما هو أقل منها فى الوعد محقق أيضاً لا يخيب معها سائله .

(٢) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ص : ٤١٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر ما سلف قريباً ص ٤٤٣ — ٤٤٥

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : إن المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول : « إنّ لعنة الله على الظالمين » ، الذين كفروا بالله وصدّوا عن سبيله[١] = « ويبغونها عوجاً » ، يقول : حاولوا سبيل الله = وهو دينه[٢] = « أن يغيروه ويبدّلوه عما جعله الله له من استقامته[٣] = « وهم بالآخرة كافرون » ، يقول : وهم لقيام الساعة والبعث فى الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون . ٨ / ١٣٦

* * *

والعرب تقول للميل فى الدّين والطريق « عِوَج » بكسر « العين » ، وفى ميل الرجل على الشىء والعطف عليه : « عاجَ إليه يَعُوج عِياجاً وعَوَجاً وعِوَجاً » ، بالكسر من « العين » والفتح ،[٤] كما قال الشاعر :[٥]

قِفَا نَسْأَلْ مَنَازِلَ آلِ لَيْلَى ... عَلَى عِوَجٍ إلَيْهَا وَانْثِنَاءِ[٦]

ذكر الفراء أن أبا الجرّاح أنشده إياه بكسر العين من « عوج » ، فأما ما كان خلقة فى الإنسان ، فإنه يقال فيه : « عَوَج ساقه » ، بفتح العين .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٠ : ٥٦٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « العوج » فيما سلف ٧ : ٥٣ ، ٥٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٩٨ .

(٥) لم أعرف قائلة .

(٦) اللسان (عوج) ، وروايته :

* مَتَى عِوَجٌ إلَيْهَا وَانْثِنَاءُ *

وفى المطبوعة : « قفا نبكى » ، وهو من سوء قراءة الناشر للمخطوطة ، وصوابه ما أثبت كما فى رواية اللسان أيضاً .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وبينهما حجاب » ، وبين الجنة والنار حجاب ، يقول : حاجز ، وهو : السور الذى ذكره الله تعالى فقال : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، [سورة الحديد : ١٣] .وهو « الأعراف » التى يقول الله فيها : « وعلى الأعراف رجال »، كذلك .

١٤٦٧١ م — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج قال : بلغنى عن مجاهد قال : « الأعراف » ، حجاب بين الجنة والنار .

١٤٦٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وبينهما حجاب » ، وهو « السور »، وهو « الأعراف » .

* * *

وأما قوله : « وعلى الأعراف رجال »، فإن « الأعراف » جمع ، واحدها « عُرْف »، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو « عُرْف »، وإنما قيل لعُرف الديك « عرف »، لارتفاعه على ما سواه من جسده ، ومنه قول الشماخ بن ضرار :

وَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَعَالَى ، كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ(١)

(١) ديوانه : ٥٣ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٥ ، ورواية ديوانه وغيره « وظلت تعالى باليفاع كأنها » . وهذا البيت من آخر القصيدة فى صفة حمر الوحش ، بعد أن عادت من رحلتها الطويلة العجيبة فى طلب الماء ، يقودها العير ، فوصفه ووصفهن ، فقال :

مُحَامٍ على عَوْرَاتِهَا لاَ يَرُوعُها خَيَالٌ ، وَلاَ رَامِى الوُحُوشِ المُنَاهِزُ
وأصْبَحَ فَوْقَ النَّشْزِ ، نَشْزِ حَمَامَةٍ ، لَهُ مَرْكَضٌ فِى مُسْتَوَى الأَرْضِ بَارِزُ

يعنى بقوله : « بأعراف » ، بنشوز من الأرض ، ومنه قول الآخر:[١]

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ كَالْعَلَمِ المُوفِي عَلَى الأَعْرَافِ[٢]

* * *

وكان السدى يقول : إنما سمى « الأعراف » أعرافاً ، لأن أصحابه يعرفون الناس .

١٤٦٧٢م — حدثني بذلك محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٧٣ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عبيدالله بن أبى يزيد، سمع ابن عباس يقول : « الأعراف » ، هو الشيء المشرف .[٣]

١٤٦٧٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرناعبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبى يزيد قال : سمعت ابن عباس يقول ، مثله .[٤]

١٤٦٧٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنى أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الأعراف » ، سور كعرف الديك .

١٤٦٧٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن

وَظلَّتْ تَعَالَى بِاليَفَاعِ . . . .

و « تعالى الحمر » احتكاك بعضها ببعض . يصف ضمور حمر الوحش ، كأنها رماح مائلة تستقبل مهب الرياح . وكان فى المطبوعة : « تعالى » ، وهو خطأ . وفى المخطوطة هكذا : « وظلت بأعراف تعالى كأنها رماح وجهه راكز » ، صوابه ما أثبت .

(١) لم أعرف قائله .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٥ ، اللسان (نوف) ، « الكناز » المجتمع اللحم القويه . و « النياف » ، الطويل ، يصف جملا . و « العلم » الجبل .

(٣) الأثر : ١٤٦٧٣ — « عبيد الله بن أبى يزيد المكى » ، روى عن ابن عباس ، مضى برقم : ٣٧٧٨ . وكان فى المطبوعة « عبيد الله بن يزيد » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) الأثر : ١٤٦٧٤ — « عبيد الله بن أبى يزيد » ، المذكور آنفاً ، فى المطبوعة والمخطوطة هنا « عبيد الله بن يزيد » .

جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

١٤٦٧٧ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الأعراف » ، حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب = قال أبو موسى : وحدثني عبيدالله بن أبي يزيد : أنه سمع ابن عباس يقول : إن الأعراف تَلٌّ بين الجنة والنار ، حُبِس عليه ناسٌ من أهل الذنوب بين الجنة والنار (١)

١٤٦٧٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الأعراف » ، حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب .

١٤٦٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس قال : « الأعراف»، سور بين الجنة والنار .

١٤٦٨٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : « الأعراف » ، سور بين الجنة والنار .

١٤٦٨١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وعلى الأعراف رجال » ، يعني بالأعراف : السور الذي ذكر الله في القرآن ، (٢) وهو بين الجنة والنار .

---

(١) الأثر : ١٤٦٧٧ — « عيسى » ، هو « عيسى بن ميمون المكي » صاحب التفسير ، مضى مئات من المرات ، وترجم في رقم : ٢٧٨ ، ٣٣٤٧ ، وكنيته « أبو موسى » فهو الراوي هنا عن « عبيد الله بن أبي يزيد » .

وكان في المطبوعة هنا أيضاً « عبيد الله بن يزيد » ، والصواب من المخطوطة . انظر التعليقين السالفين .

(٢) هو المذكور في آية سورة الحديد : ١٣ ، والمذكور آنفاً في الآثار السالفة .

١٤٦٨٢ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الأعراف »، سور له عُرْف كعرف الديك .

١٣٧/٨

١٤٦٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « الأعراف » ، سور بين الجنة والنار .

١٤٦٨٤ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثني عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « الأعراف » ، السور الذى بين الجنة والنار .

* * *

واختلف أهل التأويل فى صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم على الأعراف ، وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك ؟

فقال بعضهم : هم قوم من بنى آدم ، استوت حسناتهم وسيّئاتهم ، فجعلوا هنالك إلى أن يقضى الله فيهم ما يشاء ، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٨٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيي بن واضح قال ، حدثنا يونس بن أبي إسحق قال ، قال الشعبي : أرسل إلىّ عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش ، وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكراً ليس كما ذكرا، فقلت لهما : إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة ، فقالا : هات! فقلت : إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة ، فإذا صُرفت أبصارُهم تلقاء أصحاب النار قالوا : « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » . فبيناهم كذلك ، اطّلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال : اذهبوا وادخلوا الجنة ، فإنى قد غفرت لكم .[1]

---

(١) الأثر : ١٤٦٨٥ – « عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى » ، وهو « الأعرج » ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة ، وكان أبو الزناد كاتباً له . ثقة ، روى له

١٤٦٨٦ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة : أنه سئل عن أصحاب الأعراف ، قال فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلّفت بهم حسناتهم عن النار . قال : فوُقِفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم .

١٤٦٨٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير وعمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عامر ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قومٌ كانت لهم ذنوب وحسنات ، فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، فهم كذلك حتى يقضي الله بين خلقه ، فينفذ فيهم أمره .

١٤٦٨٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فيقول : ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي ، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون .

١٤٦٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن يونس بن أبي إسحق ، عن عامر ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف ، قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة .

١٤٦٩٠ — حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي قال : قال سعيد بن جبير ، وهو يحدّث ذلك عن ابن مسعود قال : يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار . ثم قرأ قول الله : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ، [سورة الأعراف : ٨، ٧] . ثم قال : إن الميزان يخفّ

الجماعة مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٥/١/٢ ، ونسب قريش : ٣٦٣ .
و « أبو الزناد » ، « عبد الله بن ذكوان » مولى على قريش » ، مضى برقم : ١١٨١٣ .

بمثقال حبة ويرجح . قال : فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : « سلام عليكم » ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار قالوا : ﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٤٨] ، فيتعوذون بالله من منازلهم ، قال : فأما أصحاب الحسنات ، فإنهم يعطون نوراً فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً ، وكل أمَة نوراً . فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة . فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون ،(١) قالوا : «ربنا أتمم لنا نورنا» . وأما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان فى أيديهم فلم ينزع من أيديهم ، فهنالك يقول الله : ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ، فكان الطمع دخولاً . قال : فقال ابن مسعود : على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة . ثم يقول : هلك من غلب وُحْدَانُه أعشارَه .(٢)

١٤٦٩١ ــ حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال ، أخبرنى ابن وهب قال ، أخبرنى عيسى الحنّاط ، عن الشعبى ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار ، وهم آخر من يدخل الجنة ، قد عرَفوا أهل الجنة وأهل النار .(٣) ١٣٨/٨

---

(١) فى المخطوطة : « فلما رأوا أهل الجنة » ، وهو جائز .

(٢) الأثر : ١٤٦٩٠ - « أبو بكر الهذلى » ، ليس بثقة ، ولا يحتج بحديثه . وقال غندر : « كان إمامنا ، وكان يكذب » . مضى برقم : ٥٩٧ ، ٨٣٧٦ ، ١٣٠٥٤ ، ١٤٣٩٨ .
و « الوحدان » بضم الواو ، جمع « واحد » . و « الأعشار » جمع « عشر » .

(٣) الأثر : ١٤٦٩١ - ، الوليد بن شجاع بن الوليد السكونى » ، « أبو همام » ، شيخ الطبرى ، تكلموا فيه ، وقال ابن معين : « لا بأس به ، ليس هو ممن يكذب » ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٧/٢/٤ .
و « عيسى الحناط » ، هو « عيسى بن أبى عيسى الحناط الغفارى » ، وهو « عيسى بن ميسرة » ضعيف مضطرب الحديث لا يكتب حديثه . كان « خياطاً » ، ثم ترك ذلك وصار « حناطا » ، ثم ترك ذلك وصار يبيع الخبط . قال ابن سعد : « كان يقول : أنا خباط ، حناط ، خياط ،

١٤٦٩٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا همام ، عن قتادة قال ، قال ابن عباس : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ، ولا سيئاتهم على حسناتهم .

١٤٦٩٣ — حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : « الأعراف » ، سور بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بذلك المكان ، حتى إذا بَدَا الله أن يعافيهم ، انْطُلِق بهم إلى نهر يقال له : « الحياة » ، [1] حافتاه قَصَبُ الذهب ، مكلَّل باللؤلؤ ، ترابه المسك ، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ، ويبدوا فى نحورهم شامَةٌ بيضاء يعرفون بها ، حتى إذا صلحت ألوانهم ، أتى بهم الرحمنُ فقال : تمنوا ما شئتم ! قال : فيتمنون ، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم : لكم الذى تمنيتم ومثله سبعين مرة ! فيدخلون الجنة وفى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ، يسمَّون مساكين الجنة . [2]

١٤٦٩٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث قال : أصحاب الأعراف ، يؤمر بهم إلى نهر يقال له : « الحياة » ، ترابه الوَرْس والزعفران ، وحافتاه قَصَبُ اللؤلؤ = قال : وأحسبه قال : مكلل باللؤلؤ = وقال : فيغتسلون فيه ، فتبدو فى نحورهم شامة بيضاء ، فيقال لهم : تمنوا ! فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفاً !

كلا قد عالجت » . وكان فى المطبوعة هنا « الخياط » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كان صواباً ما فى المطبوعة .

مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٨٩ .

(١) فى ابن كثير ٣ : ٤٨١ « يقال له نهر الحياة » . وانظر الأثر التالى . و « قصب الذهب » ، أنابيب من الذهب ، مجوفة مستطيلة . وفى المطبوعة هنا وفيما يلى « قضب » ، بالضاد .

(٢) الأثر : ١٤٦٩٣ — سيرويه موقوفاً على عبد الله بن الحارث فى الأثر التالى ، قال ابن كثير بعد أن ذكر الخبرين : « وعن عبد الله بن الحارث من قوله ، وهذا أصح » ، التفسير ٣ : ٤٨٢ .

وإنهم مساكين أهل الجنة = قال حبيب : وحدثني رجل : أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

١٤٦٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث قال : أصحاب الأعراف، ينتهى بهم إلى نهر يقال له: « الحياة » ، حافتاه قصَب من ذهب = قال سفيان : أراه قال : مكلل باللؤلؤ = قال : فيغتسلون منه اغتسالةً فتبدو فى نحورهم شامة بيضاء ، ثم يعودون فيغتسلون ، فيزدادون . فكلما اغتسلوا ازدادت بياضاً ، فيقال لهم : تمنوا ما شئتم! فيتمنون ما شاؤوا، فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفاً ! قال : فهم مساكين أهل الجنة .

١٤٦٩٦ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فهم على سور بين الجنة والنار : « لم يدخلوها وهم يطمعون » .

١٤٦٩٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان ابن عباس يقول : « الأعراف » ، بين الجنة والنار ، حبس عليه أقوام بأعمالهم . وكان يقول : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ، ولا سيئاتهم على حسناتهم .

١٤٦٩٨ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال ، قال ابن عباس : أهل الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

١٤٦٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

١٤٧٠٠ — . . . . وقال حدثنا يحيي بن يمان، عن شريك ، عن منصور ،

عن سعيد بن جبير قال : أصحاب الأعراف ، استوت أعمالهم .

١٤٧٠١ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فوُقِفوا هنالك على السور .

١٤٧٠٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سفيع ، أو : سميع = قال أبو جعفر : كذا وجدت في كتاب « سفيع »[١] = ، عن أبي علقمة قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .[٢]

* * *

وقال آخرون : كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان، عن أبي مسعر ، عن شرحبيل بن سعد قال : هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم .

١٤٧٠٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني خالد ، عن سعيد ، عن يحيى بن شبل : أن رجلاً من بني النضير أخبره ، عن رجل من بني هلال : أن أباه أخبره : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال : هم قوم غزوا في سبيل الله عصاةً لآبائهم ، فقتلوا، فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله ، وحُبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم ، فهم آخر من يدخل الجنة .[٣] ١٣٩/٨

---

(١) في المخطوطة : « كتابي » ، ثم ضرب على « بي » ، وكتب بعدها « ب » ، وأخشى أن يكون الذى ضرب عليه الناسخ هو الصواب .

(٢) الأثر : ١٤٧٠٢ — « سفيع » ، لم أجد من ذكره .

وأما « سميع » الراوى عن ابن عباس ، فهو « سميع الزيات » « أبو صالح » ، ثقة مترجم في الكبير ٢/٢/١٩٠ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٠٥ .

(٣) الأثر : ١٤٧٠٤ — « يحيى بن شبل » ، « مولى بنى هاشم » لم أعرف حاله ، ترجم

١٤٧٠٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن أبي معشر ، عن يحيي بن شبل مولى بني هاشم ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : قوم قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم ، فمنعهم قتلهم فى سبيل الله عن النار ، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة .(١)

* * *

وقال آخرون : بل هم قوم صالحون فقهاء علماء .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٠٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : أصحاب الأعراف ، قوم صالحون فقهاء علماء .

* * *

له ابن أبي حاتم ٤/٢/١٥٧ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، والبخارى فى الكبير ٤/٢/٢٨٢ ، وذكره فى التهذيب إلحاقاً فقال : « وهم ، يحيى بن شبل شيخ آخر مدنى ، أقدم من هذا ، يروى عنه أبو معشر حديثاً فى أصحاب الأعراف » .

واقتصر البخارى على أنه يروى عنه سعيد بن أبي هلال . وأما ابن أبي حاتم ، فذكر أنه روى عن « عمر بن عبد الرحمن المزنى ، وعن جده بن حسين (؟ ؟) عن على رضى الله عنه » ثم قال : « روى عنه سعيد بن أبي هلال ، وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، وأبو معشر ، وموسى ابن عبيدة الربذى ، وابن أبي سبرة » .

وزادنا أبو جعفر فى الأثر التالى أنه « مولى بنى هاشم » ، ولم أجد لذلك ذكراً فى الكتب التى بأيدينا .

وهذا خبر ضعيف ، لما فيه من المجاهيل ، ولأن « أبا معشر » نفسه ، قد تكلموا فيه ، وضعفوه . وانظر التعليق على الأثر التالى ، ففيه التخريج .

(١) الأثر : ١٤٧٠٥ — « يحيى بن شبل ، مولى بنى هاشم » ، انظر الأثر السالف . و « محمد بن عبد الرحمن المزنى » ، لم أجد له ترجمة مفردة ، ويقال أيضاً « عمر بن عبد الرحمن المزنى » ، ويقال : « عمرو بن عبد الرحمن » ، إن صلح ما فى ترجمة أبيه فى أسد الغابة .

وأبوه « عبد الرحمن المزنى » ، ويقال « عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن » ، وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب : « وقد قيل : اسم أبيه محمد ، وهو الصواب إن شاء الله » .

وترجم له ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٣٩٩ ، وابن الأثير فى أسد الغابة فى موضعين ٣ : ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، وابن حجر فى الإصابة فى موضعين : فى « عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن الهلالى » وفى « عبد الرحمن المزنى » ، ولم يشر إلى ذلك فى واحدة من الترجمتين ، وهو عجيب ! ! واختلفوا فى تسمية ولده ، فقال ابن حجر : « والد عمر ، ويقال : والد محمد » ، وقال ابن عبد البر : « وله

وقال آخرون : بل هم ملائكة ، وليسوا ببنى آدم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٠٧ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي مجلز قوله : « وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : هم رجال من الملائكة ، يعرفون أهل الجنة وأهل النار ، قال : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم » ، إلى قوله : « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » ، قال : فنادى أصحاب الأعراف رجالاً فى النار يعرفونهم بسيماهم : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة » ، قال : فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة: « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٠٨ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت عمران قال : قلت لأبى مجلز : يقول الله : « وعلى الأعراف رجال » ، وتزعم أنتَ أنهم الملائكة ؟ قال فقال : إنهم ذكور ، وليسوا بإناث .

١٤٧٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز : « وعلى الأعراف رجال » ، قال : رجال من الملائكة ، يعرفون الفريقين جميعاً بسيماهم ، أهل النار وأهل الجنة ، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة .

ولد آخر يقال له : « عبد الرحمن » . أما ابن الأثير ، ففيه أن ولده « عمرو » ، وأن كنية « عبد الرحمن المزنى » هى « أبو عمرو » .

وأما قوله فى الأثر السالف: « أن رجلا من بنى النضير » ، فهكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة . وفى المراجع الأخرى : « أن رجلا من بنى نضر » ، ولا أدرى أهو بالضاد المعجمة أم الصاد المهملة . وأما « عن رجل من بنى هلال » فكأنه يعنى من « بنى هلال بن رئاب » من « بنى عمرو بن أد » ، وهم مزينة ، ومن بنى هلال بن رئاب « إياس بن معاوية المزنى » القاضى المشهور . انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ١٩٢ . ويدل على ذلك أن ابن حجر ترجم له فى « عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن الهلالى » وفى « عبد الرحمن المزنى » ، وذكر فيهما حديثه فى الأعراف .

وهذا الخبر ذكروه جميعاً من طرق مختلفة ، وكلها مضطرب ، وقد جمع الكلام فيه الحافظ ابن حجر فى الإصابة فى الموضعين ، ولكنه لم يستوفه .

ومهما يكن من شىء ، فهو حديث ضعيف لضعف أبى معشر ، ولما يحيط به من الجهالة كما أسلفت فى التعليق على الأثر السالف .

١٤٧١٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن أبي عدى ، عن التيمى ، عن أبي مجلز ، بنحوه .

١٤٧١١ — . . . وقال ، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان ، عن التيمى ، عن أبي مجلز قال : أصحاب الأعراف ، الملائكة .

١٤٧١٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا يعلى بن أسد قال ، حدثنا خالد قال ، أخبرنا التيمى ، عن أبي مجلز : « وعلى الأعراف رجال» ، قال : هم الملائكة.

١٤٧١٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز : « وعلى الأعراف رجال » ، قال : هم الملائكة . قلت : يا أبا مجلز ، يقول الله تبارك وتعالى : « رجال » ، وأنت تقول : ملائكة ؟ قال : إنهم ذُكران ليسوا بإناث .

١٤٧١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز فى قوله : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم »، قال : الملائكة . قال قلت : يقول الله : « رجال » ؟ قال : الملائكة ذكور .[1]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم : هم رجال يعرفون كُلاًّ من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ، ولا أنه متفق على تأويلها ، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة .

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان ذلك لا يدرك قياساً ، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن « الرجال » اسم يجمع ذكور بنى آدم دون إناثهم ودون سائر

---

(١) فى المخطوطة : « الملائكة » دون صفتهم « ذكور » ، كأنه قطع الكلام بالإثبات . وإن كان يخشى أيضاً أن يكون الناسخ أسقط ما ثبت فى المطبوعة .

الخلق غيرهم، كان بيِّناً أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة ، قولٌ لامعنى له ، وأن الصحيح من القول فى ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك من الأخبار ، وإن كان فى أسانيدها ما فيها ، وقد : —

١٤٧١٥ — حدثنى القاسم قال، حدثنى الحسين قال ، حدثنى جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال : هم آخر من يفصل بينهم من العباد ، وإذا فرغ ربُّ العالمين من فصله بين العباد قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ، ولم تدخلكم الجنة ،وأنتم عُتَقائى ، فأرعوا من الجنة حيث شئتم.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم، ٨/١٤٠ وذلك بياض وجوههم ، ونضرةُ النعيم عليها = ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم ، وذلك سواد وجوههم ، وزرقة أعينهم . فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم : « سلام عليكم ».

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) الأثر : ١٤٧١٥ — « عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ .

و « أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى » ، ثقة ، روى له الجماعة مضى كثيراً ، آخرها أيضاً رقم : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « أبو زرعة ، عن عمرو ابن جرير » ، وهو خطأ .

وهذا خبر مرسل حسن، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٧ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر. ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٨٢ .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧١٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم » ، قال : يعرفون أهل النار بسواد الوجوه ، وأهل الجنة ببياض الوجوه .

١٤٧١٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم » ، قال : أنزلهم الله بتلك المنزلة ، ليعرفوا من في الجنة والنار ، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ، ويتعوَّذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين . وهم في ذلك يحيّون أهل الجنة بالسلام، لم يدخلوها ، وهم يطمعون أن يدخلوها ، وهم داخلوها إن شاء الله .

١٤٧١٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بسيماهم » ، قال : بسواد الوجوه وزُرقة العيون .

١٤٧١٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم » ، الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون ، وسيما أهل الجنة مبيَضّة وجوههم .

١٤٧٢٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرَفوهم ببياض الوجوه ، وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه .

١٤٧٢١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : إن أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوبٌ عِظام ، وكان حَسْمُ أمرهم لله، فأقيموا ذلك المقام ، إذا

نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ، فقالوا : « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين »، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه، فذلك قوله : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » .

١٤٧٢٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك في قوله: « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم »، زعموا أن أصحاب الأعراف رجال من أهل الذنوب ، أصابوا ذنوباً ، وكان حَسْمُ أمرهم لله ، فجعلهم الله على الأعراف . فإذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ، فتعوذوا بالله من النار . وإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم: « أن سلام عليكم »، قال الله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » . قال : وهذا قول ابن عباس .

١٤٧٢٣ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، يعرفون الناس بسيماهم ، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، وأهل الجنة ببياض وجوههم .

١٤٧٢٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم، وأهل الجنة ببياض وجوههم .

١٤٧٢٥ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : أهل الجنة بسيماهم . بيض الوجوه = وأهل النار بسيماهم ، سود الوجوه . قال : وقوله : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : أصحاب الجنة وأصحاب النار = « ونادوا أصحاب الجنة » ، قال : حين رأوا وجوههم قد ابيضت .

١٤٧٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : بسواد الوجوه .

١٤٧٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن مبارك ، عن

الحسن ، « بسيماهم » ، قال : بسوادِ الوجوه وزرقة العيون .

* * *

و « السيماء » ، العلامة الدالة على الشيء ، في كلام العرب . وأصله من « السِّمَة » ، نقلت واوها التي هي فاء الفعل ، إلى موضع العين ، كما يقال : « اضمحلّ » ، و « امضحلّ » . وذكر سماعاً عن بعض بني عقيل : « هي أرض خامة » ، يعني « وَخِمة » . ومنه قولهم : « له جاه عند الناس » ، بمعنى « وجه » ، نقلت واوه إلى موضع عين الفعل .[1] وفيها لغات ثلاث : « سيما » مقصورة ، و « سيماء » ، ممدودة ، و « سيمياء » ، بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ، ومدها ، على مثال « الكبرياء » ،[2] كما قال الشاعر :[3]

٨/١٤١

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ إذْ رَمَى لَهُ سِيمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ[4]

* * *

وأما قوله : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » ، أي : حلت عليكم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه .[5]

* * *

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » .

فقال بعضهم : هذا خبر من الله عن أهل الأعراف : أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الأعراف ، غير أنهم قالوه وهم يطمعون في دخولها .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٢٨ ــ حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أهل الأعراف يعرفون الناسَ ، فإذا مرُّوا عليهم

---

(١) انظر « جاه » فيما سلف ٦ : ٤١٥ .
(٢) انظر تفسير « سيما » فيما سلف ٥ : ٥٩٤ – ٧/٥٩٧ : ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٣) هو أسيد بن عنقاء الفزاري .
(٤) سلف البيت وتخريجه فيما سلف ٥ : ٧/٥٩٥ : ١٨٩ .
(٥) انظر تفسير « سلام » فيما سلف ص : ١١٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بزُمْرة يُذْهب بها إلى الجنة قالوا : « سلام عليكم ». يقول الله لأهل الأعراف : لم يدخلوها ، وهم يطمعون أن يدخلوها .

١٤٧٢٩ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، تلا الحسن : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم ، إلا لكرامة يريدها بهم .

١٤٧٣٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : أنبأكم الله بمكانهم من الطمع .

١٤٧٣١ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي قال ، قال سعيد بن جبير ، وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال : أما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان في أيديهم ، فانتزع من أيديهم،[1] يقول الله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : في دخولها . قال ابن عباس : فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة .

١٤٧٣٢ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قالا: في دخولها .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بذلك أهلَ الجنة ، وأن أصحاب الأعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة:« سلام عليكم » ، وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها ، ولم يدخلوها بعدُ .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٣٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا وكيع قال ، حدثنا جرير، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : الملائكة ، يعرفون الفريقين جميعاً بسياهم . وهذا قبل أن

(١) في المطبوعة : « ما انتزع » ، والصواب من المخطوطة .

يدخل أهل الجنة الجنة، أصحاب الأعراف ينادون أصحابَ الجنة: أنْ سلام عليكم، لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وإذا صرفت أبصارُ أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار= يعنى: حِيالَهم ووِجاههم= فنظروا إلى تشويه الله لهم= «قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين»، الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه.

١٤٧٣٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال: وإذا مروا بهم= يعنى بأصحاب الأعراف= بزمرة يُذهب بها إلى النار، قالوا: «ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين».

١٤٧٣٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم، قالوا: «ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين».

١٤٧٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن أبى مكين، عن أخيه، عن عكرمة: «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار»، قال: تحرد وجوههم للنار، فإذا رأوا أهل الجنة ذهبَ ذلك عنهم.[1]

---

(١) الأثر ١٤٧٣٦ — «أبو مكين»، هو «نوح بن ربيعة الأنصارى»، مضى برقم: ٩٧٤٢، ٩٨٣٩ وكان وكيع يهم فيقول: «أبو مكين» هو «نوح بن أبان»، أخو «الحكم بن أبان»، ونبهوا على هذا الوهم انظر ترجمة «نوح بن ربيعة» فى التهذيب وابن أبى حاتم ٤/١/٤٨٢.

١٤٧٣٧ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار »، فرأوا وجوههم مسودّة ، وأعينهم مزرقّة ، = « قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً »، من أهل الأرض = « يعرفونهم بسياهم »، سيما أهل النار = « قالوا ما أغنى عنكم جمعكم » ، ما كنتم تجمعون من الأموال والعَدَد في الدنيا = « وما كنتم تستكبرون »، يقول : وتكبُّركم الذي كنتم تتكبرون فيها ،(١) كما : — ١٤٢/٨

١٤٧٣٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : فرّ بهم = يعني بأصحاب الأعراف = ناس من الجبّارين عرفوهم بسياهم . قال يقول : قال أصحاب الأعراف : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » .

١٤٧٣٩ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً » ، قال : في النار = « يعرفونهم بسياهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم » ،

وأخوه ، يعني وكيع : « الحكم بن أبان العدني » ، وهو يروى عن طاوس وعكرمة ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٣٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١١٣ .

(١) انظر تفسير « الاستكبار » فيما سلف ١١ : ٥٤٠ / ١٢ : ٤٢١

وما كنتم تستكبرون» ، وتكبركم .[١]

١٤٧٤٠ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون »، قال: هذا حين دخل أهل الجنة الجنة ،= « أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة »، الآية ، قلت لأبي مجلز : عن ابن عباس ؟ قال : لا ، بل عن غيره .

١٤٧٤١ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم » ، قال : نادت الملائكة رجالاً فى النار يعرفونهم بسيماهم = « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة»، قال : هذا حين دخل أهل الجنة الجنة = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم » ، فالرجال ، عظماء من أهل الدنيا . قال : فبهذه الصفة عرَف أهلُ الأعراف أهلَ الجنة من أهل النار . وإنما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ورئيس أهل الشر يوم القيامة = قال : وقال ابن زيد فى قوله : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » ، قال : على أهل طاعة الله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « . . . جمعكم وتكبركم وما كنتم تستكبرون » ، وهو كذلك فى المخطوطة ، إلا أنه وضع فوق « وتكبركم » حرف (م) دلالة على أنه مقدم عن مكانه ، فرددته إلى الأصل ، وهو الصواب .

القول فى تأويل قوله : ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنيِّين بهذا الكلام .

فقال بعضهم : هذا قِيل الله لأهل النار ، توبيخاً على ما كان من قِيلهم فى الدنيا ، لأهل الأعراف ، عند إدخاله أصحابَ الأعراف الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٤٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : « أصحاب الأعراف » ، رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان حَسْم أمرهم لله ، يقومون على الأعراف ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها ، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوَّذوا بالله منها ، فأدخلوا الجنة . فذلك قوله تعالى : « أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة » ، يعنى أصحابَ الأعراف = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك قال ، قال ابن عباس : إن الله أدخل أصحابَ الأعراف الجنة لقوله : « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قال الله لأهل التكبر والأموال : « أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة » ، يعنى أصحاب الأعراف = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أهؤلاء » ، الضعفاء = « الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة

ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » ، قال : فقال حذيفة : «أصحاب الأعراف » ، قوم تكافأت أعمالهم ، فقصَّرت بهم حسناتهم عن الجنة ، وقصَّرت بهم سيئاتهم عن النار ، فجعلوا على الأعراف ، يعرفون الناس بسيماهم . فلما قُضِي بين العباد، أذن لهم فى طلب الشفاعة ، فأتوا آدم عليه السلام ، فقالوا : يا آدم ، أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك ! فقال : هل تعلمون أحداً خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسبقت رحمته إليه غضبه ، [1] وسجدت له الملائكة ، غيرى؟ فيقولون : ١٤٣/٨ لا ! قال : فيقول : ما علمت كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم ، [2] ولكن ائتوا ابنى إبراهيم ! قال : فيأتون إبراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه ، فيقول : هل تعلمون من أحدٍ اتخذه الله خليلاً ؟ هل تعلمون أحداً أحرقه قومه فى النار فى الله ، غيرى ؟ فيقولون : لا ! فيقول : ما عملت فيه كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم ، [3] ولكن ائتوا ابنى موسى ! فيأتون موسى عليه السلام ، فيقول : هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليماً ، وقرّبه نجيًّا ، غيرى؟ فيقولون : لا ! فيقول : ما عملت فيه كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا عيسى ! فيأتونه فيقولون : اشفع لنا عند ربك ! فيقول : هل تعلمون أحداً خلقه الله من غير أب ، غيرى؟ فيقولون : لا ! فيقول : هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله غيرى ؟ قال : فيقولون : لا ! قال : فيقول : أنا حجيجُ نفسى ، ما عملت فيه كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم ، [4] ولكن ائتوا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم !

---

(١) فى المطبوعة : « رحمة الله إليه غضبه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « كنه الشيء » قدره ونهايته وغايته وحقيقته ، يريد : ما علمت ما يبلغ بى مرتبة الشفاعة لكم . وفى المطبوعة : « ما علمت » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى تفسير ابن كثير ، نقلا عن هذا الموضع من التفسير : « ما علمت كنهه ما أستطيع » ، والصواب ما فى مخطوطة الطبرى .

(٣) فى المطبوعة هنا أيضاً : « ما علمت » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى المخطوطة : « ما عملت فيه ما أستطيع » ، بإسقاط « كنه » سهواً من الناسخ على الأرجح .

(٤) فى المطبوعة : « ما علمت كنه ما أستطيع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، كما ذكرت فى التعليقين السالفين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتونى ، فأضرب بيدى على صدرى ، ثم أقول : أنا لها ! ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش ، فأثنى على ربى ، فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قطُّ ، ثم أسجد فيقال لى : يا محمد ، ارفع رأسك، سل تُعطَه ، واشفع تُشَفَّع ! فأرفع رأسى فأقول : رب ، أمتى ! فيقال : هم لك ، فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرَّب إلا غَبَطَنى يومئذ بذلك المقام ، وهو المقام المحمود . قال : فآتى بهم باب الجنة ، فأستفتح فيفتح لى ولهم ، فيُذهب بهم إلى نهر يقال له : « نهر الحيوان » ، [1] حافتاه قَصَب من ذهب مكلل باللؤلؤ ، [2] ترابه المسك ، وحصباؤه الياقوت ، فيغتسلون منه ، فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة ، [3] ويصيرون كأنهم الكواكب الدرّية ، ويبقى فى صدورهم شامات بيض يعرفون بها ، يقال لهم : « مساكين أهل الجنة » .

١٤٧٤٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك قال : إن الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة ، وهو قوله : « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » ، يعنى أصحاب الأعراف . وهذا قول ابن عباس .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام على هذا التأويل الذى ذكرنا عن ابن عباس ، ومن ذكرنا قوله فيه = : قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله، والإذعان لطاعته وطاعة رسله ، الجامعين فى الدنيا الأموال مكاثرة ورياء : أيها الجبابرة

---

(١) فى المطبوعة : « نهر الحياة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى تفسير ابن كثير .

(٢) « القصب » أنابيب مستطيلة مجوفة من الجوهر ، أو الذهب أو الفضة . وكان فى المطبوعة كما سلف آنفاً ص : ٤٥٥ ، تعليق : ١ ، « قضب » بالضاد ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وغيرها من المراجع .

(٣) فى المخطوطة : « وريح » ، بإسقاط « أهل الجنة » . وفى المطبوعة : « وريحهم » ، وأثبت ما فى تفسير ابن كثير ٣ : ٤٨٥ ، نقلا عن هذا الموضع من تفسير الطبرى .

كانوا فى الدنيا ، [1] أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم فى الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قال : قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلى ورحمتى ، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم فى الدنيا من الآثام والأجرام ، ولا أنتم تحزنون على شىء فاتكم فى دنياكم .

* * *

وقال أبو مجلز : بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لأهل النار ، بعد ما دخلوا النار ، تعييراً منهم لهم على ما كانوا يقولون فى الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته . وأما قوله : « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » ، فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها .

١٤٧٤٨ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز قال : نادت الملائكة رجالاً فى النار يعرفونهم بسيماهم : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة »، قال : فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنةَ = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة ، عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع ، عقوبةً من الله لهم

(١) فى المطبوعة : « أيها الجبابرة الذين كانوا فى الدنيا » ، زاد « الذين » ، وليست فى المخطوطة ، والذى فى المخطوطة حق الصواب .

على ما سلف منهم فى الدنيا من ترك طاعة الله ، وأداء ما كان فرض عليهم فيها فى أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة .

يقول تعالى ذكره : « ونادى أصحاب النار » ، بعد ما دخلوها = « أصحاب الجنة » ، بعد ما سكنوها = « أن » ، يا أهل الجنة = « أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، أى : أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام ، كما : —

١٤٤/٨

١٤٧٤٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : من الطعام .

١٤٧٥٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : يستطعمونهم ويستسقونهم .

* * *

= فأجابهم أهل الجنة ، إن الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده ، وكذبوا فى الدنيا رسله .

* * *

و « الهاء والميم » فى قوله : « إن الله حرّمهما » ، عائدتان على « الماء » وعلى « ما » التى فى قوله : « أو مما رزقكم الله » .

* * *

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٥١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن عثمان الثقفى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : ينادى الرجلُ أخاه وأباه

فيقول : « قد احترقت ، أفض عليّ من الماء ! » ، فيقال لهم : أجيبوهم ! فيقولون : « إن الله حرمهما على الكافرين » .

١٤٧٥٢ - وحدثني المثنى قال ، حدثنا ابن دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن عثمان ، عن سعيد بن جبير : « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : ينادي الرجل أخاه : يا أخي ، قد احترقتُ فأغثني ! فيقول : « إن الله حرمهما على الكافرين » .(١)

١٤٧٥٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قالوا إن الله حرمهما على الكافرين » ، قال : طعامُ أهل الجنة وشرابُها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين .

يقول تعالى ذكره : فأجاب أهلُ الجنة أهلَ النار : « إن الله حرمهما على الكافرين » ، الذين كفروا بالله ورسله ، الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله به لهواً ولعباً ، يقول : سخرية ولعباً .(٢)

* * *

وروي عن ابن عباس في ذلك ما : —

(١) الأثر : ١٤٧٥٢ — « ابن دكين » ، هو « الفضل بن دكين التيمي » ، مضى مراراً ، منها : ٢٥٥٤ ، ٣٠٣٥ ، ٨٥٣٥ .

(٢) انظر تفسير « اللهو » فيما سلف ١١ : ٤٤١ .

= وتفسير « اللعب » فيما سلف ١١ : ٤٤١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٤٧٥٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله : « الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً »، الآية ، قال : وذلك أنهم كانوا إذا دُعوا إلى الإيمان سخِروا ممن دعاهم إليه وهزأوا به ، اغتراراً بالله .

* * *

= « وغرتهم الحياة الدنيا » ، يقول : وخدعهم عاجلُ ما هم فيه من العيش والخفض والدَّعة ، عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة ، حتى أتتهم المنية[1] = يقول الله جل ثناؤه : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، أي فني هذا اليوم ، وذلك يوم القيامة =«ننساهم » ، يقول : نتركهم في العذاب المبين جياعاً عطاشاً بغير طعام ولا شراب ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، ورفضوا الاستعداد له بإتعاب أبدانهم في طاعة الله .

* * *

وقد بينا معنى قوله : « ننساهم »، بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد : « فاليوم ننساهم » ، قال : نسوا في العذاب .

١٤٧٥٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فاليوم ننساهم » ، قال : نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا .

١٤٧٥٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله: « ننساهم » ، قال : نتركهم في النار .

---

(١) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ص : ٣٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ١١ : ٣٥٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٤٧٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ،عن علي ، عن ابن عباس : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا »، قال : نتركهم من الرحمة ، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا .

١٤٧٥٩ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، الآية ، يقول : نسيهم الله من الخير ، ولم ينسهم من الشرّ .

١٤٧٦٠ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً في قوله : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، قال : نؤخرهم في النار .

* * *

وأما قوله : « وما كانوا بآياتنا يجحدون » ، فإن معناه : « اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، وكما كانوا بآياتنا يجحدون .

* * *

ف« ما » التي في قوله : « وما كانوا » معطوفة على « ما » التي في قوله : « كما نسوا » .

* * *

١٤٥/٨ قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : فاليوم نتركهم في العذاب ، كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة ، وكما كانوا بآيات الله يجحدون = وهي حججه التي احتج بها عليهم ، من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك[1]= « يجحدون » ، يكذبون ولا يصدقون بشيء من ذلك .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .
(٢) انظر تفسير « الجحد » فيما سلف ١١ : ٣٣٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أقسم ، يا محمد ، لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب = يعنى القرآن الذى أنزله إليه . يقول : لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن ، مفصَّلاً مبيَّناً فيه الحق من الباطل = « على علم »، يقول : على علم منا بحقّ ما فُصِّل فيه ، من الباطل الذى مَيَّز فيه بينه وبين الحق[١] = « هدى ورحمة »، يقول : بيناه ليُهْدَى ويُرْحَم به قومٌ يصدقون به ، وبما فيه من أمر الله ونهيه، وأخباره ، ووعده ووعيده ، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى .

وهذه الآية مردودة على قوله : ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف ٢] = « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم » .

* * *

و « الهدى » فى موضع نصب على القطع من « الهاء » التى فى قوله : « فصلناه »، [٢] ولو نصب على فعل « فصلناه »، [٣] فيكون المعنى : فصلنا الكتاب كذلك = كان صحيحاً .

ولو كان قرئ : « هدى ورحمةٍ » كان فى الإعراب فصيحاً ، وكان خفض ذلك بالردّ على « الكتاب » . [٤]

* * *

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ٤٠٢ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

(٢) « القطع » ، الحال ، وانظر فهارس المصطلحات .

(٣) نصبه على « الفعل » ، أى : هو مفعول مطلق ، من غير فعله ، كأنه قال : فصلناه تفصيلا .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « هل ينظرون إلا تأويله » ، هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه = « إلا تأويله » ، يقول : إلا ما يؤول إليه أمرهم ، من ورودهم على عذاب الله ، وصِلِيِّهم جحيمه ، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به .

* * *

وقد بينا معنى « التأويل » فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٦١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هل ينظرون إلا تأويله » ، أى : ثوابه = « يوم يأتى تأويله » ، أى : ثوابه .

١٤٧٦٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله » ، قال : « تأويله » ، عاقبته .

١٤٧٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن

---

(١) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ٦ : ١٩٩ — ٨/٢٠٦ : ٥٠٦ .

أبي نجيح : عن مجاهد ، « هل ينظرون إلا تأويله » ، قال : جزاءه = « يوم يأتي تأويله » ، قال : جزاؤه .

١٤٧٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٧٦٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : « هل ينظرون إلا تأويله »، أما « تأويله » ، فعواقبه، مثل وقعة بدر ، والقيامة ، وما وعد فيها من موعد .[1]

١٤٧٦٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق » ، فلا يزال يقع من تأويله أمرٌ بعد أمر ، حتى يتم تأويله يوم القيامة، ففي ذلك أنزل : « هل ينظرون إلا تأويله»،حيث أثابَ الله تبارك وتعالى أولياءَه وأعداءه ثواب أعمالهم. يقول يومئذ الذين نسوه من قبل : « قد جاءت رسل ربنا بالحق » ، الآية .

١٤٧٦٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله » ، قال : يوم القيامة .

١٤٧٦٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « يوم يأتي تأويله » ، قال : يوم يأتي حقيقته ،[2] وقرأ قول الله تعالى : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾، [سورة يوسف : ١٠٠] .قال : هذا تحقيقها . وقرأ قول الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾، [سورة آل عمران : ٧] ، قال : ما يعلم

(١) في المطبوعة : « وما وعد فيه » وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « يوم يأتي تحقيقه » وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

حقيقته ومتى يأتى ، إلا الله تعالى .

* * *

وأما قوله : « يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل » ، فإن معناه : يوم يجىء ما يؤول إليه أمرهم من عقاب الله = « يقول الذين نسوه من قبل » ، أى : يقول الذين ضيَّعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب ، من قبل ذلك فى الدنيا = « لقد جاءت رسل ربنا بالحق » ، أقسم المساكين حين عاينوا البلاءَ وحلّ بهم العقاب : أنّ رسل الله التى أتتهم بالنِّذارة وبلغتهم عن الله الرسالة ،[1] قد كانت نصحت لهم وصَدَقتهم عن الله ، وذلك حين لا ينفعهم التصديق . ولا ينجيهم من سَخَط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل.

١٤٦/٨

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٦٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق » ، أما « الذين نسوه » ، فتركوه ، فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم ، استيقنوا فقالوا : « قد جاءت رسل ربنا بالحق » .

١٤٧٧٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يقول الذين نسوه » ، قال : أعرضوا عنه.

١٤٧٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

(١) «النذارة» بكسر النون ، كالإنذار ، على وزن «الرسالة» ، وانظر ما كتبته آنفاً ١٠ : ٥٧٥ ، تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم ، أنهم يقولون عند حلول سَخَطَ الله بهم ، وورودهم أليمَ عذابه ، ومعاينتهم تأويل ما كانت رسلُ الله تعِدهم : هل لنا من أصدقاءَ وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا ، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا فى الدنيا[1]= أو نردّ إلى الدنيا مرة أخرى، فنعمل فيها بما يرضيه ويُعْتِبُه من أنفسنا؟[2] قال هذا القولَ المساكينُ هنالك ، لأنهم كانوا عهدوا فى الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم فى حاجاتهم ، فيذكروا ذلك فى وقت لا خُلة فيه لهم ولا شفاعة .

يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : «قدْ خسروا أنفسهم»،[3] يقول : غَبَنوا أنفسهم حظوظها ، ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم ، بالخسيس من عَرَض الدنيا الزائل = « وضل عنهم ما كانوا يفترون » ، يقول : وأسلمهم لعذاب الله ، وحار عنهم أولياؤهم ،[4] الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ،[5] ويزعمون كذباً وافتراء أنهم أربابهم من دون الله .[6]

١٤٧٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « قد خسروا أنفسهم » ، يقول : شروها بخسران .

* * *

(١) انظر تفسير « الشفاعة » فيما سلف ١١ : ٥٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) « أعتبه من نفسه » ، أعطاه العتبى — وهى الرضا — ورجع إلى مسرته .
(٣) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص : ٣٥٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : « وحاد » بالدال ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى صواب .
(٥) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٦) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ٤٠٨ تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

وإنما رفع قوله : « أو نردُّ » ولم ينصب عطفاً على قوله : « فيشفعوا لنا » ، لأن المعنى : هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا = أو هل نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ؟ = ولم يرد به العطف على قوله : « فيشفعوا لنا » .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن سيدكم ومصلح أموركم ، أيها الناس ، هو المعبود الذى له العبادة من كل شىء[٢] = « الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » ، وذلك يوم الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، كما : —

١٤٧٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد قال : بدءُ الخلق العرشُ والماء والهواء ، وخلقت الأرض من الماء . وكان بدء الخلق يوم الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، وجُمع الخلق فى يوم الجمعة ، وتهوَّدت اليهودُ يوم السبت . ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون .

* * *

= « ثم استوى على العرش » .

* * *

---

(١) فى المخطوطة خلط وتكرار فى هذه الجملة ، وصوابها ما فى المطبوعة . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٠ .

(٢) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ — ١٤٣/١٢ : ٢٨٦ .

وقد ذكرنا معنى « الاستواء » واختلاف الناس فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[١]

* * *

وأما قوله : « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً » ، فإنه يقول : يورد الليل على النهار فيلبسه إياه ، حتى يذهب نضرته ونوره[٢] = « يطلبه » ، يقول : يطلب الليل النهار = « حثيثاً » ، يعنى : سريعاً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٧٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يطلبه حثيثاً » ، يقول : سريعاً .

١٤٧٧٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً » ، قال : يغشى الليل النهارَ فيذهب بضوئه ، ويطلبه سريعاً حتى يدركه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ، كلّ ذلك بأمره ، أمرهن الله فأطعن أمرَه ، ألا لله

---

(١) انظر تفسير « الاستواء » فيما سلف ١ : ٤٢٨ — ٤٣١ .

(٢) انظر تفسير « الغشاوة » فيما سلف ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

الخلق كله ، والأمرُ الذى لا يخالف ولا يردّ أمره ، دون ما سواه من الأشياء كلها ، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التى لا تضر ولا تنفع ، ولا تخلق ولا تأمر ، تبارك الله معبودُنا الذى له عبادة كل شىء ، ربُّ العالمين .[1]

١٤٧/٨

١٤٧٧٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام أبو عبد الرحمن قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال ، حدثنى عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصارى ، عن عبد العزيز الشامى ، عن أبيه ، وكانت له صحبة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه ، قلّ شكره ، وحبِط عمله . ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه ، لقوله : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « تبارك » فيما سلف ص : ٢٣٨ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « رب » فيما سلف قريباً ص ٤٨٢ ، تعليق : ٢ والمراجع هناك .
= وتفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

(٢) الأثر : ١٤٧٧٦ — « عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصارى » ، هكذا جاء هنا فى المخطوطة والمطبوعة ، وهكذا نقله الحافظ ابن حجر عن هذا الموضع من التفسير فى ترجمة (أبو عبد العزيز) من الإصابة ، وهكذا نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٨٩ .

ولكن الذى أطبقت عليه كتب التراجم ، والأسانيد الأخرى التى نقلها الحافظ ابن حجر ، فى موضع آخر من الإصابة أنه :

« عبد الغفور بن عبد العزيز » ، وكنوه « أبو الصباح » ، ونسبوه « الواسطى » ، وهو مترجم فى لسان الميزان ٤ : ٤٣ ، ٤٤ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٥٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ١٤٢ ، وهو ضعيف منكر الحديث ، وأخرجه البخارى فى الضعفاء .

وأبوه هو : « عبد العزيز الشامى » ، ولم أجد له ذكراً ، إلا فى أثناء هذه الأسانيد .

وأبوه ، الذى له صحبة يقال اسمه « سعيد الشامى » ، وهو مترجم بذلك فى الإصابة ، وكنيته « أبو عبد العزيز » ، وهو مترجم أيضاً فى باب الكنى من الإصابة ، وفى أسد الغابة ٥ : ٢٤٧ .

وهذا الخبر ، رواه الحافظ ابن حجر فى الموضعين من ترجمة « أبى عبد العزيز » و « سعيد » ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٥ : ٢٤٧ ، وابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٨٩ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٩٢ .

وهو خبر ضعيف هالك الإسناد . و « بقية بن الوليد » كما قال ابن المبارك : « كان صدوقاً ، ولكنه يكتب عن أقبل وأدبر » . وقال أحمد : « إذا حدث عن قوم ليسوا بمعروفين فلا تقبلوه » .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ادعوا، أيها الناس، ربَّكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام = « تضرعاً »، يقول: تذلُّلاً واستكانة لطاعته[1] = « وخفية »، يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهاراً ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله، [2] كما: —

١٤٧٧٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: إنْ كانَ الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعرُ جارُه. وإن كان الرجل لقد فَقُه الفقهَ الكثير، وما يشعرُ به الناس. وإن كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزَّوْر، [3] وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السرّ، فيكون علانية أبداً! ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلاّ همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية »، وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً فرضى فعله فقال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾، [سورة مريم : ٣].

وقال يحيى بن معين : « كان يحدث عن الضعفاء بمئة حديث قبل أن يحدث عن الثقات » . وقال أبو زرعة : « بقية عجب !! إذا روى عن الثقات فهو ثقة» . وذكر قول ابن المبارك الذى تقدم ، ثم قال : « وقد أصاب ابن المبارك فى ذلك . ثم قال: هذا فى الثقات، فأما فى المجهولين ، فيحدث عن قوم لا يعرفون ولا يضبطون » .

(١) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ١١ : ٣٥٥ ، ٤١٤ .

(٢) انظر تفسير « خفية » فيما سلف ١١ : ٤١٤ .

(٣) « الزور » (بفتح فسكون) جمع « زائر » ، مثل « صاحب » و « صحب » . وفى المخطوطة : « الزور » مضبوطة بالقلم بضم الزاى وتشديد الواو مفتوحة ، وهو صواب أيضاً .

١٤٧٧٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدى ، عن أبي موسى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، [١] فأشرفوا على وادٍ يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم ، فقال : أيها الناس ، اربَعُوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ! إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم . [٢]

١٤٧٧٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » ، قال : السر .

* * *

وأما قوله : « إنه لا يحب المعتدين » ، فإن معناه : إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حدَّه الذى حدَّه لعباده فى دعائه ومسألته ربَّه ، ورفعه صوته فوق الحد الذى حدّ لهم فى دعائهم إياه ، ومسألتهم ، وفى غير ذلك من الأمور ، [٣] كما :—

١٤٧٨٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا معتمر بن سليمان قال ، أنبأنا إسمعيل بن حماد بن أبى سليمان ، عن عباد بن عباد ، عن علقمة ، عن أبى مجلز : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » ، قال : لا يسأل منازلَ الأنبياء عليهم السلام .

١٤٧٨١ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « إنه لا يحب المعتدين » ،

---

(١) هذه الغزاة ، هى غزوة خيبر .

(٢) الأثر : ١٤٧٧٨ — رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٧ : ٣٦٣) ، ومسلم فى صحيحه ١٧ : ٢٥ من هذه الطريق ، مطولا .

وقوله : « اربعوا على أنفسكم » ، أى : ارفقوا بأنفسكم ، واخفضوا أصواتكم . وفى المخطوطة : « سميعا قريبا اما معكم » غير منقوطة ، وأثبت ما فى الصحيحين ، وفى المطبوعة ، حذف ما فى المخطوطة ، ولم يزد « وهو » التى زدتها .

(٣) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا) .

فى الدعاء ولا فى غيره = قال ابن جريج : إن من الدعاء اعتداءً، يُكره رفعُ الصوتِ والنداءُ والصياحُ بالدعاء ، ويُؤمر بالتضرُّع والاستكانة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها » ، لا تشركوا بالله فى الأرض ولا تعصوه فيها ، وذلك هو الفساد فيها .

* * *

وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى ، وبينا معناه بشواهده .[1]

* * *

= « بعد إصلاحها » يقول : بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته ، بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحق ، وإيضاحه حججه لهم [2] = « وادعوه خوفاً وطمعاً » ، يقول : وأخلصوا له الدعاء والعمل ، ولا تشركوا فى عملكم له شيئاً غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك ، وليكن ما يكون منكم فى ذلك خوفاً من عقابه ، وطمعاً فى ثوابه . وإنّ مَن كان دعاؤه إياه على غير ذلك ، فهو بالآخرة من المكذبين ، لأنّ من لم يخف عقابَ الله ولم يرجُ ثوابه ، لم يبال ما ركب من أمر يسخَطه الله ولا يرضاه = « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، يقول تعالى ذكره : إن ثواب الله الذى وعد المحسنين على إحسانهم فى الدنيا ، قريب منهم ، وذلك هو رحمته ، [3]

---

(١) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف ١ : ٢٨٧ ، ٤١٦ ، ومواضع أخرى آخرها ١٠ : ٤٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإصلاح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٣) انظر تفسير « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم)

= وتفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

١٤٨/٨ لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدّ لهم من كرامته إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم .

* * *

ولذلك من المعنى ذُكِّر قوله : « قريب » ، وهو من خبر « الرحمة » ، و « الرحمة » مؤنثة ، لأنه أريد به القرب فى الوقت لا فى النَّسب ، والأوقات بذلك المعنى إذا وقعت أخباراً للأسماء ،[1] أجرتها العرب مجرى الحال ، فوحّدتها مع الواحد والاثنين والجميع ، وذكّرتها مع المؤنث ، فقالوا : « كرامة الله بعيد من فلان » ، و « هى قريب من فلان » ، كما يقولون : « هند قريب منا » ، و « الهندان منا قريب » ، و « الهندات منا قريب » ، لأن معنى ذلك : هى فى مكان قريب منا . فإذا حذفوا المكان وجعلوا « القريب » خلفاً منه ، ذكّروه ووحّدوه فى الجمع ، كما كان المكان مذكراً وموحداً فى الجمع . وأما إذا أنثوه ، أخرجوه مثنى مع الاثنين ، ومجموعاً مع الجميع ، فقالوا : « هى قريبة منا » ، و « هما منّا قريبتان » ، كما قال عروة [ابن الورد] :[2]

عَشِيَّةَ لاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو ، وَلاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ[3]

فأنث « قريبة » ، وذكر « بعيداً » ، على ما وصفت . ولو كان « القريب » من « القرابة » فى النسب ، لم يكن مع المؤنث إلاّ مؤنثاً ، ومع الجميع إلا مجموعاً.[4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « إذا رفعت أخباراً » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٢) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة ، والصواب أنه « عروة بن حزام » ، كما سترى فى التخريج ، وكأنه سهو من الناسخ وزيادة منه ، فإن هذا كله تابع فيه أبو جعفر ، الفراء فى معانى القرآن ، والفراء لم يذكر سوى « عروة » ، فزاد الناسخ سهواً « بن الورد » .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨١ ، على ما ذكره أبو جعفر ، وهو نقله عنه . والبيت فى ديوان عروة بن حزام ، وفى تزيين الأسواق ١ : ٨٤ ، والبكرى فى شرح الأمالى : ٤٠١ ، من شعر له صواب إنشاده على الباء :

عَشِيَّةَ لاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدَةٌ فَتَسْلُو ، وَلاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبُ
وَإِنِّى لَتَغْشَانِى لِذِكْرَاكِ فَتْرَةٌ لَهَا بَيْنَ جِلْدِى وَالْعِظَامِ دبيبُ

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٦ ، ٢١٧ .

وكان بعض نحويي البصرة يقول : ذكَّر « قريب » وهو صفة لـ « الرحمة » ، وذلك كقول العرب : « ريح خريق » ،[1] و « ملحفَة جديد » ،[2] و « شاة سديس » .[3] قال : وإن شئت قلت : تفسير « الرحمة » ههنا ، المطر ونحوه ، فلذلك ذكر ، كما قال : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا ﴾ ، [سورة الأعراف : ٨٧] ، فذكَّر ، لأنه أراد الناس . وإن شئت جعلته كبعض ما يذكرون من المؤنث ، كقول الشاعر :[4]

* وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا *[5]

* * *

وقد أنكر ذلك من قيله بعضُ أهل العربية ، ورأى أنه يلزمه إن جاز أن يذكِّر « قريباً » ، توجيهاً منه للرحمة إلى معنى المطر ، أن يقول : « هند قام » ، توجيهاً منه لـ « هند » وهي امرأة ، إلى معنى : « إنسان » ، ورأى أن ما شبَّه به قوله : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، بقوله : « وإن كان طائفة منكم آمنوا » ، غير مُشْبِهِه . وذلك أن « الطائفة » فيما زعم مصدر ، بمعنى « الطيف » ، كما « الصيحة » و « الصياح » ، بمعنًى ، ولذلك قيل : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ ، [سورة هود : ٦٧] .

* * *

---

(١) « ريح خريق » : شديدة ، وقيل : لينة سهلة . ضد .

(٢) في المطبوعة : « وساحفة حديد » ، وفي المخطوطة : « وماحقه جديد » ، غير منقوطة والصواب ما أثبت ، وهو المثل الذي ضرب في هذا الباب . قال ابن سيده : « ملحفة جديد ، وجديدة » ، وقال سيبويه : وقد قالوا ملحفة جديدة ، وهي قليلة .

(٣) « شاة سديس » : أتت عليها السنة السادسة .

(٤) عامر بن جوين الطائي .

(٥) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ١ : ٤٣٢ ، ونسيت أن أذكر هناك أنه سيأتي في هذا الموضع من التفسير ، ثم في ١٨ : ١١٨ (بولاق) ، وصدر البيت :

* فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، هو الذى يرسل الرياح نشراً بين يدى رحمته .(١)

* * *

و « النشر» بفتح« النون » وسكون « الشين » ، (١) فى كلام العرب ، من الرياح ، الطيبة اللينة الهبوب ، التى تنشئ السحاب . وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهى « نشر » ، ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ (١)

* * *

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين ، خلا عاصم بن أبى النجود ، فإنه كان يقرؤه : « بشرًا » على اختلاف عنه فيه .

* * *

(١) القراءة التى أثبتها أبو جعفر فى تفسير الآية « نشرا » ، ولكنى أثبت فى الآية قراءتنا فى مصحفنا ، وسأثبتها فى سائر المواضع بقراءة أبى جعفر بالنون .

(١) ديوانه : ٧٩ ، واللسان (نشر) من قصيدة له طويلة ، وهذا البيت فى ذكر « هر » صاحبته وهذا البيت فى صفة رائحة ثغرها عند الصباح ، حين تتغير أفواه الناس ، يقول بعده :

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرْ

و « القطر» (بضمتين) : هو العود الذى يتبخر به . و « صوب الغمام » ، وقعه حيث يقع . و « يعل » يسقى بالمدام مرة بعد مرة . و « الطائر المستحر » ، الديك إذا صوت عند السحر . يصفها بطيب رائحة فمها ، حين تتغير الأفواه بعد النوم .

فروى ذلك بعضهم عنه: ﴿ بُشْراً ﴾، بالباء وضمها، وسكون الشين .

وبعضهم ، بالباء وضمها وضم الشين .

وكان يتأوّل فى قراءته ذلك كذلك قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ [سورة الروم : ٤٦] ، تبشر بالمطر، وأنه جمع « بشير » يبشر بالمطر، جُمِع « بُشُراً » ، كما يجمع « النذير » « نُذُراً » .(١)

* * *

وأما قرأة المدينة وعامة المكيين والبصريين ، فإنهم قرأوا ذلك: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُراً ﴾، بضم « النون » ، و« الشين » بمعنى جمع « نَشور » جمع « نشراً » ، كما يجمع « الصبور » « صُبُراً » ، و « الشكور» « شُكُراً » .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : معناها إذا قرئت كذلك : أنها الريح التى تهبّ من كل ناحية ، وتجىء من كل وجه .(٢)

* * *

وكان بعضهم يقول : إذا قرئت بضم النون ، فينبغى أن تسكن شينها ، لأن ذلك لغة بمعنى « النَّشْر » بالفتح . وقال: العرب تضم النون من « النُّشْر » أحياناً، وتفتح أحياناً بمعنى واحد .قال : فاختلاف القرأة فى ذلك على قدر اختلافها فى لغتها فيه . وكان يقول : هو نظير « الْخَسْف» ، « والْخُسْف » ، بفتح الخاء وضمها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قراءة من قرأ ذلك: ﴿ نَشْراً ﴾ و ﴿ نُشُراً ﴾، بفتح « النون » وسكون « الشين » ، وبضم « النون » و« الشين» قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار .

---

(١) فى المطبوعة : « وأنه جمع بشير بشراً ، كما يجمع النذير نذراً » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٧ .

. . . .

. . . .

١٤٩/٨ فلا أحب القراءة بها ، وإن كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم فى المعنى والإعراب ، لما ذكرنا من العلة .[١]

* * *

وأما قوله : « بين يدى رحمته » ، فإنه يقول : قدام رحمته وأمامها .

* * *

والعرب كذلك تقول لكل شيء حدث قدام شيء وأمامه : « جاء بين يديه » ، لأن ذلك من كلامهم جرى فى أخبارهم عن بنى آدم ، وكثر استعماله فيهم ، حتى قالوا ذلك فى غير ابن آدم وما لا يَدَ له .[٢]

* * *

و « الرحمة » التى ذكرها جل ثناؤها فى هذا الموضع ، المطر .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : والله الذى يرسل الرياح ليّناً هبوبها ، طيباً نسيمها ، أمام غيْثه الذى يسوقه بها إلى خلقه ، فينشئ بها سحاباً ثقالاً حتى إذا أقلتها = و «الإقلال» بها ، حملها ، كما يقال : « استقلّ البعير بحمله » ، و « أقله » ، إذا حمله فقام به = ساقه الله لإحياء بلد ميت ، قد تعفّت مزارعه ، ودَرَست مشاربه ، وأجدب أهلُه ،[٣] فأنزل به المطر ، وأخرج به من كل الثمرات .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٨٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) فى موضع هذه النقط سقط لاشك فيه ، ذكر فيه العلة التى سيشير إليها بعد . ولم أستطع أن أجد نقلا عن أبى جعفر يهدى إلى ما يسد هذا الخرم .

(٢) انظر تفسير « بين يديه » فيما سلف ٦ : ١٦٠ ، ٤٣٨ .

(٣) انظر تفسير « ميت » و « موت الأرض » فيما سلف ٣ : ٢٧٤/٥ : ٤٤٦ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهو الذى يرسل الرياح نشراً بين يدى رحمته » إلى قوله : « لعلكم تذكرون » ، قال : إن الله يرسل الريح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين ، طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان ، فيخرجه من ثَمَّ ، ثم ينشره فيبسطه فى السماء كيف يشاء ، ثم يفتح أبواب السماء ، فيسيل الماء على السحاب ، ثم يمطر السحاب بعد ذلك . وأما « رحمته » ، فهو المطر .

* * *

وأما قوله : « كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » ، فإنه يقول تعالى ذكره : كما نحيي هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذى ننزله من السحاب ، فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقُحُوط أهله ، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم ودروس آثارهم = « لعلكم تذكرون » ، يقول تعالى ذكرُه للمشركين به من عبدة الأصنام ، المكذبين بالبعث بعد الممات ، المنكرين للثواب والعقاب : ضربتُ لكم ، أيها القوم ، هذا المثل الذى ذكرت لكم : من إحياء البلد الميت بقَطْر المطر الذى يأتى به السحاب الذى تنشره الرياح التى وصفت صفتها ، لتعتبروا فتذكّروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته ، فيسيرٌ فى قدرته إحياء الموتى بعد فنائها ، وإعادتها خلقاً سويًّا بعد دُرُوسها .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٨٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » ، وكذلك تخرجون ، وكذلك النشور ، كما نخرج الزرع بالماء .

* * *

١٤٧٨٤ — وقال أبو هريرة : إن الناس إذا ماتوا فى النفخة الأولى ، أمطر

---

(١) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف ص : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

عليهم من ماء تحت العرش يُدعى « ماء الحيوان » أربعين سنة، فينبتون كما ينبت الزرع من الماء . حتى إذا استكملت أجسادهم، نفخ فيهم الروح، ثم تُلقى عليهم نَوْمة فينامون فى قبورهم . فإذا نفخ فى الصور الثانية عاشوا، وهم يجدون طعم النوم فى رؤوسهم وأعينهم، كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون : ﴿يَاوَيلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا﴾، فناداهم المنادى : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[سورة يس : ٥٢] . (١)

* * *

١٤٧٨٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : «كذلك نخرج الموتى»، قال : إذا أراد الله أن يخرج الموتى ، أمطر السماء حتى تتشقق عنهم الأرض ، ثم يرسل الأرواح ، فتعود كل روح إلى جسدها ، فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كإحيائه الأرض .

* * *

(١) الأثر : ١٤٧٨٤ — هذا الخبر عن أبى هريرة ، رواه بغير إسناد ، وكنت أظنه من رواية السدى فى الأثر السالف ، ولكنى شككت فى ذلك ، فآثرت أن أضع له رقماً مستقلا . وأيا ما كان ، فإنى لم أجد نص هذا الخبر فى شىء من مراجعى . وحديث أبى هريرة فى البعث ، رواه مسلم فى صحيحه ١٨ : ٩١ ، قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين النفختين أربعون. قالوا : يا أبا هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبَيْتُ. قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيتُ . قالوا: أربعون سنة ؟ قال : أبيتُ ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينْبُتون كما يَنْبُتُ البَقْل . وليس من الإنسانِ شىء إلاّ يَبْلَى، إلا عظماً واحدًا ، وهو عَجْبُ الذنب ، ومنه يُرَكَّبُ الخلقُ يوم القيامة » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والبلدُ الطيبة تربته، العذبةُ مشاربه ، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا ، بإذنه، طيباً ثمرُه فى حينه ووقته. والذى خَبُثَ فردؤت تربته ، وملحت مشاربه ، لا يخرج نباته إلا نكداً =

* * *

= يقول : إلا عَسِرًا فى شدة ، كما قال الشاعر :(١)

لاَ تُنْجِزُ الوعْدَ ،إنْ وَعَدْتَ ،وإن أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهاً نَكِدَا(٢) ٨/١٥٠

يعنى بـ « التافه » ، القليل، وبـ « النكد » العسر. يقال منه : « نكِد يَنْكَدَ نكَداً، ونكْداً = فهو نَكَدٌ ونَكِدٌ » ، والنُّكْد ، المصدر. ومن أمثالهم : « نكْداً وجحداً » ، و« نُكدًا وجُحْدا » . و« الجحد » ، الشدة والضيق. ويقال : « إذا شُفِه وسئل :(٣) قد نَكَدوه ينكَدُونه نَكْداً » ، كما قال الشاعر :(٤)

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّباً ، لاَ خَيْرَ فِى المَنْكُودِ والنَّاكِدِ(٥)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعض أهل المدينة : ﴿ إِلاَّ نَكَدًا ﴾ ، بفتح الكاف .

* * *

(١) لم أعرف قائله .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٧ ولسان العرب (تفه) .

(٣) « شفه الرجل » (بالبناء للمجهول) ، إذا كثر سؤال الناس إياه فأعطى حتى نفد ما عنده فأفنى ماله . « فهو مشفوه » ومثله « منكود ، ومثمود ، ومعروك ، ومعجوز ، ومصفوف ، ومكثور عليه » . ويقال : « ماء مشفوه » ، كثير الشاربة ، وكذلك الماء والطعام .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) اللسان (نكد) ، وقد ذكرت البيت آنفاً ١ : ٤٤٢ ، تعليق : ١ .

وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف : ﴿ نَكْدًا ﴾ .

* * *

وخالفهما بعد سائر القرأة فى الأمصار ، فقرأوه : ﴿ إلاَّ نَكِدًا ﴾ ، بكسر الكاف .

* * *

كأن من قرأه : « نكَدًا » بنصب الكاف أراد المصدر .

وكأنَّ من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها ، فسكنها على لغة من قال : « هذه فِخْذ وكِبْد » ، وكان الذى يجب عليه إذا أراد ذلك أن يكسر « النون » من « نكد » حتى يكون قد أصاب القياس .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءةُ من قرأه : ﴿ نَكِدًا ﴾ ، بفتح « النون » وكسر « الكاف » ، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار عليه .

* * *

وقوله : « كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » ، يقول : كذلك : نُبين آية بعد آية ، وندلى بحجة بعد حجة ، ونضرب مثلاً بعد مثل ،[1] لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية ، وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة ، باتباعهم ما أمرَهم باتباعه ، وتجنُّبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة . وهذا مثل ضَرَبه الله للمؤمن والكافر ، فالبلد الطيب الذى يخرج نباته بإذن ربه ، مثلٌ للمؤمن = والذى خَبُثَ فلا يخرج نباته إلا نكدًا ، مثلٌ للكافر .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « والبلد الطيب يخرج نباته

---

(١) انظر تفسير « التصريف » فيما سلف ٣: ٢٧٥ ، ١١/٢٧٦: ٣٥٦ ، ١٢/٤٣٣: ٢٥ = وتفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكداً » ، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن . يقول : هو طيب ، وعمله طيب ، كما البلد الطيب ثمره طيب . ثم ضرب مثلَ الكافر كالبلدة السَّبِخة المالحة التى يخرج منها النَّزُّ ،[1] فالكافر هو الخبيث ، وعمله خبيث .

١٤٧٨٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « والبلد الطيب » ، و « الذى خبث » قال : كل ذلك من الأرض السِّباخ وغيرها ، مثل آدم وذريته ، فيهم طيب وخبيث .

١٤٧٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٧٨٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكداً » ، قال : هذا مثل ضربه الله فى الكافر والمؤمن .

١٤٧٩٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد = يعنى ابن المفضل = قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث » ، هى السبخة لا يخرج نباتها إلا نكداً = و « النكد » ، الشىء القليل الذى لا ينفع . فكذلك القلوب لما نزل القرآن ، فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الإيمان فيه ، والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشىء ينفعه ، ولم يثبت فيه من الإيمان شىء إلا ما لا ينفع ، كما لم يُخْرِج هذا البلد إلاّ ما لا ينفع من النبات .

---

(١) فى المطبوعة : « التى لا تخرج منها البركة » ، زاد « لا » ، وليست فى المخطوطة اتباعا لما فى الدر المنثور ٣ : ٩٣ . وفى المخطوطة مثلها إلا أنه كتب « البرله » غير منقوطة . وهو غير مفهوم إذا قرئ : « تخرج منها البركة » . وصفة الأرض « السبخة » أنها أرض ذات ملح ونز ، وهو الماء تتحلب عنه الأرض ، فيصير مناقع . ومن أجل ذلك صار راجحا عندى أن ما أثبته هو الصواب ، وأن ما فى المخطوطة من فعل الناسخ .

١٤٧٩١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدًا » ، قال : الطيب ينفعه المطر فينبت ، « والذى خبث » السباخُ ، لا ينفعه المطر ، لا يخرج نباته إلا نكداً . قال : هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم ، إنما خلقوا من نفس واحدة ، فمنهم من آمن بالله وكتابه ، فطابَ . ومنهم من كفر بالله وكتابه ، فخَبُثَ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية : أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، منذرَهم بأسَه ، ومخوِّفَهم سَخَطه ، على عبادتهم غيره ، فقال لمن كفر منهم : يا قوم ، اعبدوا الله الذى له العبادة ، وذِلُّوا له بالطاعة ، واخضعوا له بالاستكانة ، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادةَ غيرُه ، فإنى أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك « عذابَ يوم عظيم » ، يعنى : عذابَ يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخَط ربِّكم .

١٥١/٨

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « غيره » .

فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ﴾ ، بخفض « غير » على النعت لـ « الإله » .

* * *

وقرأه جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه ﴾ ،

برفع « غير » ، ردًّا لها على موضع « من » ، لأن موضعها رفع ، لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعاً ، وقيل : «ما لكم إله غيرُ الله» .[1] فالعرب [لما وصفت من أن المعلوم بالكلام][2] أدخلت «من» فيه أو أخرجت ، وأنها تدخلها أحياناً فى مثل هذا من الكلام ، وتخرجها منه أحياناً ، تردّ ما نعتت به الاسم الذى عملت فيه على لفظه ، فإذا خفضت ، فعلى كلام واحد ، لأنها نعت لـ « الإله » . وأما إذا رفعت ، فعلى كلامين : «ما لكم غيره من إله » ، وهذا قول يستضعفه أهل العربية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه ، عن جواب مشركى قوم نوح لنوح ، وهم « الملأ » = و « الملأ » ، الجماعة من الرجال ، لا امرأة فيهم[3] = أنهم قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له : « إنا لنراك » ، يا نوح = « فى ضلال مبين » ،[4] يعنون فى أمر زائل عن الحق ، مبين زوالهُ عن قصد الحقّ لمن تأمله .[5]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) هكذا جاءت العبارة فى المطبوعة والمخطوطة ، وفى الكلام سقط لاشك فيه ، لم أستطع أن أرده إلى أصله ، ولذلك وضعت هذه العبارة بين القوسين . والظاهر أن السقط طويل ، لأن أبا جعفر خالف هنا فى هذا السياق ما درج عليه من ذكر أولى القراءتين بالصواب عنده .

(٣) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ٥ : ٢٩١ ، وقد فسره هناك بما فسرته كتب اللغة ، أنهم وجوه القوم ورؤساؤهم وأشرافهم . وأما التفسير الذى هنا ، فلم يرد فيها ، وهو شىء ينبغى أن يقيد . وهذا نص الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٨٣ .

(٤) انظر تفسير « الضلال » و « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) و (بين) .

(٥) فى المطبوعة : « عن قصد الحد » ، وهو لا معنى له ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة ، وهذا صواب قراءتها . وانظر تفسير الآية التالية .

القول فى تأويل ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال : نوح لقومه مجيباً لهم: يا قوم ، لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة ، زوالاً منى عن محجة الحقّ ، وضلالاً لسبيل الصواب ، وما بى ما تظنون من الضلال ، ولكنّى رسول إليكم من رب العالمين بما أمرتكم به: من إفراده بالطاعة ، والإقرار له بالوحدانية ، والبراءة من الأنداد والآلهة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه : « ولكنى رسول من رب العالمين » ، أرسلنى إليكم ، فأنا أبلغكم رسالات ربى ، وأنصح لكم فى تحذيرى إياكم عقابَ الله على كفركم به ، وتكذيبكم إياى ، وردّكم نصيحتى = « وأعلم من الله ما لا تعلمون» ، من أن عقابه لا يردُّ عن القوم المجرمين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً خبر من الله عز ذكره عن قِيل نوح لقومه أنه قال لهم، إذ ردُّوا عليه النصيحة فى الله، وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيًّا، وقالوا له: ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ ، [سورة هود : ٢٧] =: « أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم »، يقول: أو عجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعِظة، يذكركم بما أنزل ربكم = « على رجل منكم»، قيل: معنى قوله: « على رجل منكم » ، مع رجل منكم [1] = « لينذركم » ، يقول : لينذركم بأس الله ويخوِّفكم عقابهَ على كفركم به [2] = « ولتتقوا » ، يقول : وكى تتقوا عقابَ الله وبأسه ، بتوحيده وإخلاص الإيمان به ، والعمل بطاعته = « ولعلكم ترحمون » ، يقول : وليرحمكم ربكم إن اتقيتم الله ، وخفتموه وحذِرتم بأسه .

* * *

وفتحت « الواو » من قوله : « أو عجبتم » ، لأنها واو عطف ، دخلت عليها ألف استفهام .[3]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٣ .
(٢) انظر تفسير « الإنذار » فيما سلف من فهارس اللغة (نذر) .
(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فكذب نوحاً قومه إذ أخبرهم أنه لله رسولٌ إليهم ، يأمرهم بخلع الأنداد ، والإقرار بوحدانية الله ، والعمل بطاعته ، وخالفوا أمر ربهم ، ولجُّوا فى طغيانهم يعمهون ، فأنجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به ، وكانوا بنوح عليه السلام أنفساً عشرة ،[1] فيما : —

١٤٧٩٢ — حدثنى به ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : نوح ، وبنوه الثلاثة سامٌ وحام ويافث ، وأزواجهم ، وستة أناسىَّ ممن كان آمن به .

* * *

وكان حمل معه فى الفلك من كل زوجين اثنين ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [سوره هود : ٤٠].

* * *

و « الفلك » ، هو السفينة .

* * *

٨/ ١٥٢ « وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا » ، يقول: وأغرق الله الذين كذبوا بحججه ، ولم يتبعوا رسله ، ولم يقبلوا نصيحته إياهم فى الله بالطوفان .

= « إنهم كانوا قوماً عمين »، يقول : عمين عن الحق ، كما : —

١٤٧٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : «عمين»، قال: عن الحق .

---

(١) فى المخطوطة ما أثبت ، ولكن ناشر المطبوعة اجتهد فكتب « وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة » ، وهو تصرف معيب ، فإن خبر ابن إسحق هذا سيأتى فى تفسير « سورة هود » ١٢ : ٢٦ (بولاق) ، وفيه : « فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم »، فنوح وبنوه أربعة، وستة أناسى ، فهذه عشرة . أما الأزواج فإنه لم يدخلهن فى العدة كما ترى ، وإنما عنى عدد الرجال دون النساء .

١٤٧٩٤ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قوماً عمين » ، قال : العَمِىّ ، العامى عن الحق .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً = ولذلك نصب « هوداً » ، لأنه معطوف به على « نوح » عليهما السلام = قال هود : ياقوم ، اعبدوا الله فأفردوا له العبادة ، ولا تجعلوا معه إلهاً غيره ، فإنه ليس لكم إله غيره = « أفلا تتقون » ، ربكم فتحذرونه ، وتخافون عقابه بعبادتكم غيره ، وهو خالقكم ورازقكم دون كل ما سواه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مخبراً عما أجاب هوداً به قومُه الذين كفروا بالله : « قال الملأ الذين كفروا » ، يعنى : الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا رسالة الله هوداً إليهم[2] = « إنا لنراك » ، ياهود « فى سفاهة » ، يعنون : فى ضلالة عن الحق والصواب

(١) انظر تفسير « العمى » فيما سلف ١١ : ٣٧٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف قريباً ص : ٤٩٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

بتركك ديننا وعبادة آلهتنا[١] = « وإنا لنظنك من الكاذبين »، فى قيلك : « إنّى رسول من رب العالمين » = قال : « يا قوم ليس بى سفاهة » ، يقول : أى ضلالة عن الحق والصواب = « ولكنى رسول من رب العالمين » ، أرسلنى ، فأنا أبلغكم رسالات ربى ، وأؤدّيها إليكم كما أمرنى أن أؤدّيَها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله: « أبلغكم رسالات ربّى »، أؤدى ذلك إليكم، أيها القوم[٢]= « وأنا لكم ناصح »، يقول : وأنا لكم فى أمرى إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة، ودعائكم إلى تصديقى فيما جئتكم به من عند الله، ناصحٌ، فاقبلوا نصيحتى ، فإنى أمين على وحى الله ، وعلى ما ائتمننى الله عليه من الرسالة ، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدّل ، بل أبلغ ما أمرت كما أمرت = « أو عجبتم أن ما جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم »، يقول : أو عجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة ، على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوّفكم عقابه[٣]= « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم

(١) انظر تفسير « السفاهة » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البلاغ » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ / ١١ : ٩
(٣) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف قريبا : ص ٥٠١

نوح » ، يقول : فاتقوا الله فى أنفسكم ، واذكروا ما حلّ بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم ، وكفروا بربهم ، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء فى الأرض منهم ، لمّا أهلكهم أبدلكم منهم فيها ،[1] فاتقوا الله أن يحلّ بكم نظير ما حل بهم من العقوبة ، فيهلككم ويبدل منكم غيركم ، سنّته فى قوم نوح قبلكم ، على معصيتكم إياه وكفركم به = « وزادكم فى الخلق بسطة » ، زاد فى أجسامكم طولاً وعِظَماً على أجسام قوم نوح ،[2] وفى قواكم على قواهم ،[3] نعمة منه بذلك عليكم ، فاذكروا نعمه وفضله الذى فضلكم به عليهم فى أجسامكم وقُوَاكم ،[4] واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له ، وترك الإشراك به ، وهجر الأوثان والأنداد = « لعلكم تفلحون » ، يقول : كى تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء فى النعيم فى الآخرة ، وتنجحوا فى طلباتكم عنده .[5]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٩٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » ، يقول : ذهب بقوم نوح ، واستخلفكم من بعدهم .

١٤٧٩٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » ، أى : ساكنى الأرض بعد قوم نوح .

* * *

(١) انظر تفسير « خليفة » فيما سلف ١ : ٤٤٩/ ١٢ : ٢٨٨

(٢) انظر تفسير « البسطة » فيما سلف ٥ : ٣١٣ .

(٣) فى المطبوعة : « وفى قوامكم على قوامهم » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة أيضا : « وقوامكم » ، صوابه من المخطوطة .

(٥) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ٣١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا أيضاً قالوا فى تأويل قوله : « بسطة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٩٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وزادكم فى الخلق بسطة » ، قال : ما لقوّة قوم عاد.[1]

١٥٣/٨

* * *

وأما « الآلاء » ، فإنها جمع ، واحدها « إلّى » بكسر « الألف » فى تقدير « مِعًى » ، ويقال : « ألَى » فى تقدير : « قَفًا » بفتح « الألف » . وقد حكى سماعاً من العرب : « إلْى » مثل « حِسْى » . و « الآلاء » ، النعم .

* * *

وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فاذكروا آلاء الله » ، أى : نعم الله .

١٤٧٩٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « آلاء الله » ، فنعم الله .

١٤٨٠٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فاذكروا آلاء الله » ، قال : آلاؤه ، نعمه .

* * *

قال أبو جعفر : و « عاد » ، هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم ، وبعث إليهم هوداً يدعوهم إلى توحيد الله ، واتّباع ما أتاهم به من عنده ، هم ، فيما : —

١٤٨٠١ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

* * *

(١) فى المطبوعة : « ما لقوام قوم عاد » ، والصواب ما فى المخطوطة .

وكانت مساكنهم الشِّحْر ، من أرض اليمن وما وَالى بلاد حضرموت إلى عُمَان ، كما :

١٤٨٠٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: أن عادًا قوم كانوا باليمن ، بالأحقاف .

١٤٨٠٣ — حدثنا ابن حميد قال،حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق ، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعى ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، قال : سمعت على بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيباً أحمر تخالطه مَدَرَةٌ حمراء ، (١)ذا أَرَاك وسِدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، (٢)هل رأيته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! والله إنك لتنعته نعتَ رجل قد رآه ! قال : لا ، ولكنى قد حُدِّثت عنه . فقال الحضرمى : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبرُ هود صلوات الله عليه . (٣)

١٤٨٠٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم ، حين بعث الله فيهم هوداً ، الأحقاف . قال : و«الأحقاف»، الرملُ ، فيما بين عُمان إلى حضر موت ،فاليمن كله . (٤) وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الأرض كلِّها ، وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التى آتاهم الله. وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله : صنم يقال له « صُداء » ، وصنم يقال له « صَمُود » ، وصنم

---

(١) « المدرة » ، الطين العلك الذى لا رمل فيه .

(٢) « الأراك » و « السدر » نبتان .

(٣) الأثر : ١٤٨٠٣ — « محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى » ، ترجم له البخارى فى الكبير ١/١/١٣٥ ، وساق الخبر ، بنحوه ، مطولا ، ولم يذكر فيه جرحاً . وابن أبى حاتم ٢٩٧/٢/٣ .

« أبو الطفيل » ، « عامر بن واثلة الكنانى » ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو شاب ، ثبتت رؤيته رسول الله ، ولم يثبت سماعه منه . قالوا : كان آخر من مات من الصحابة سنة مئة ، أو ما بعدها .

(٤) فى المطبوعة : « باليمن » ، وأسقط « كله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

يقال له « الهباء » . فبعث الله إليهم هوداً ، وهو من أوْسطهم نسباً ، وأفضلهم موضعاً ، فأمرهم أن يوحّدوا الله ولا يجعلوا معه إلهاً غيره ، وأن يكفُّوا عن ظلم الناس . لم يأمرهم فيما يذكر ، والله أعلم ، بغير ذلك . فأبوا عليه وكذبوه . وقالوا : « من أشدّ منا قوّة ! » . واتبعه منهم ناسٌ ، وهم يسيرٌ مكتتمون بإيمانهم.[1] وكان ممن آمن به وصدّقه رجلٌ من عاد يقال له : « مرثد بن سعد بن عفير » ، وكان يكتم إيمانه . فلما عتوا على الله تبارك وتعالى وكذبوا نبيهم ، وأكثروا فى الأرض الفساد ، وتجبّروا وبنوا بكل ريع آية عبثاً بغير نفع ، كلمهم هود فقال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [سورة الشعراء : ١٢٨ - ١٣١] ، ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ ، أى : ما هذا الذى جئتنا به إلا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التى تعيب = ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة هود : ٥٣ - ٥٦] . فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السّماء ثلاث سنين ، فيما يزعمون ، حتى جهدهم ذلك . وكان الناس فى ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جَهْد ، فطلبوا إلى الله الفرج منه ، كانت طَلِبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة ، مسلمهم ومشركهم ، فيجتمع بمكة ناس كثيرٌ شتى مختلفةٌ أديانُهم ، وكلهم معظّم لمكة ، يعرف حُرْمَتها ومكانَها من الله .

= قال ابن إسحق : وكان البيت فى ذلك الزمان معروفاً مكانه ،[2] والحرم قائم فيما يذكرون ، وأهل مكة يومئذ العماليق = وإنما سموا « العماليق » ، لأن

(١) فى المطبوعة : « يكتمون إيمانهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « وكان البيت فى زمان معروفاً مكانه » ، غير مستقيم ، والذى فى المطبوعة أقوم على السياق .

أباهم: «عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح» = وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة، فيما يزعمون رجلاً، يقال له معاوية بن بكر، وكان أبوه حيًّا فى ذلك الزمان، ولكنه كان قد كبر، وكان ابنه يرأس قومه. وكان السؤدد والشرف من العماليق، فيما يزعمون، فى أهل ذلك البيت. وكانت أم معاوية بن بكر، كلهدة ابنة الخيبرى، رجل من عاد، فلما قَحَطَ المطر عن عاد وجُهِدوا، [1] قالوا: جهزوا منكم وفداً إلى مكة فليستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم! فبعثوا قيل بن عنز، [2] ولقيم بن هزّال بن هزيل، [3] وعتيل بن صُدّ بن عاد الأكبر، [4] ومرثد بن سعد بن عفير، وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجُلْهُمَة بن الخيبرى، خال معاوية بن بكر أخو أمه. ثم بعثوا لقمان ابن عاد بن فلان بن فلان بن صُدّ بن عاد الأكبر. فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه، حتى بلغ عدّة وفدهم سبعين رجلاً. فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر، وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وصِهْرَه. [5]

٨/١٠٤

= فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر، أقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر، وتغنّيهم الجرادتان = قينتان لمعاوية بن بكر. وكان مسيرهم شهرًا، ومقامهم شهرًا. فلما رأى معاوية بن بكر طُول مقامهم، وقد بعثهم قومهم يتعوّذون بهم من البلاء الذى أصابهم، [6] شقّ ذلك عليه، فقال: هلك أخوالى وأصهارى! وهؤلاء مقيمون

---

(١) «قحط المطر» (بفتحتين) و«قحط» (بالبناء للمجهول): احتبس. و«القحطة» احتباس المطر، ولما كان احتباس المطر معقباً للجدب، سمو الجدب قحطاً.

(٢) فى المطبوعة «بن عنز»، وفى المخطوطة: «عتر»، وفى التاريخ «عثر» وسيأتى بعد فى التاريخ «عنز».

(٣) فى المطبوعة: «من هذيل»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مطابق لما فى تاريخ الطبرى.

(٤) فى المطبوعة: «وعقيل بن صد»، وأثبت ما فى المخطوطة، مطابقاً لما فى التاريخ، وإن الذى فى التاريخ هكذا: «ولقيم بن هزال بن هزيل بن عتيل بن ضد ...» و«ضد» بالضاد فى التاريخ، وأظن الصاد أصح.

(٥) فى المطبوعة: «وأصهاره»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مطابق لما فى التاريخ.

(٦) «يتغوثون» فى المطبوعة والتاريخ، وفى المخطوطة: «يتعوذون»، غير منقوطة، وهى صحيحة، فأثبتها.

عندى ، وهمْ ضيفى نازلون علىّ ! والله ما أدرى كيف أصنع بهم ؟ أستحى أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا له ،[1] فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندى ، وقد هلك مَنْ وراءهم من قومهم جَهْداً وَعطَشاً !! أو كما قال . فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعرًا نُغنّيهم به ، لا يدرون من قاله ، لعل ذلك أن يحرّكهم ! فقال معاوية بن بكر ، حين أشارتا عليه بذلك :

أَلاَ يَا قَيْلَ ، وَيْحَكَ ! قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللهَ يُصْبِحُنَا غَمَاماَ[2]

فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ ، إِنَّ عَادًا ... قَدَ اَمْسَوْا لاَ يُبِينُونَ الْـكَلاَمَا

مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ ، فَلَيْسَ نَرْجُو ... بِهِ الشَّيْخَ الْـكَبِيرَ وَلاَ الْغُلاَمَا

وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمْ عَيَامَى[3]

وَإِنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جِهَارًا ... وَلاَ تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَامَا

وَأَنْتُمْ هَهُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ ... نَهَارَكُمْ وَلَيْلَـكُمُ التَّمَامَا

فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ ... وَلاَ لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّـلاَمَا

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنتهم به الجرادتان . فلما سمع القوم ما غنّتا به ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنما بعثكم قومُكم يتعوّذون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم ،[4] وقد أبطأتم عليهم ! فادخلوا هذا الحرمَ واستسقوا لقومكم !

---

(١) فى المطبوعة : « إن أمرتهم بالخروج » وفى المخطوطة : « أن آمرهم بالخروج » ، فصح أنه قد سقط من الكلام ما أثبته من التاريخ .

(٢) الأبيات فى التاريخ ، وفى البداية والنهاية ١ : ١٢٦ . وفى التاريخ « يسقينا الغماما » ، وكذلك كانت فى المطبوعة ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وفى البداية والنهاية : « يمنحنا » .

(٣) فى المخطوطة : « نساؤهم عراما » ، والصواب ما فى التاريخ والمطبوعة ، « أعام القوم » هلكت إبلهم فلم يجدوا لبناً . و « العيمة » شدة شهوة اللبن . و « عام القوم » قل لبنهم من القحط . «رجل عيمان ، وامرأة عيمى» ، والجمع « عيام » و « عيامى » . وفى البداية والنهاية « نساؤهم أيامى » ، جمع « أيم » ، التى هلك زوجها .

(٤) فى المخطوطة : « سعودون » غير منقوطة ، وفى التاريخ والمطبوعة : « يتغوثون » ، وانظر التعليق السالف ص : ٥٠٩ ، رقم : ٦ .

فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير : إنكم والله لا تُسْقَون بدعائكم ، ولكن إن أطعتم نبيّكم ، وأنبتم إليه ، سُقِيتم ! فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جُلْهُمة بن الخيبريّ ، خال معاوية بن بكر ، حين سمع قوله ، وعرف أنه قد اتّبع دين هودٍ وآمن به :

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ ذَوِى كَرَمٍ وَأُمُّكَ مِنْ ثَمُودِ[1]
فَإِنَّا لَنْ نُطِيعَكَ مَابَقِينَا وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ[2]
أَتَأْمُرنَا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ وَرَمْلَ وَآلَ صُدٍّ والعَبُودِ[3]
وَنَتْرُكَ دِينَ آباءٍ كِرَامٍ ذَوِى رَأْيٍ وَنَتْبَعَ دِينَ هُودِ

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكرٍ : احبِسَا عَنَّا مرثد بن سعد، فلا يقدمنّ معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود ، وترك دينَنَا ! ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد . فلما ولّوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بها ، قبل أن يدعوا الله بشىء مما خرجوا له . [4] فلما انتهى إليهم ، قام يدعو الله بمكة ، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعُون ، يقول : « اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شىء مما يدعوك به وفدُ عاد » ! وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد . وقال وفد عاد : « اللهمّ أعطِ قَيْلاً ما سألك ، واجعل سؤلَنا مع سُؤله»! وكان قد

---

(١) الأبيات فى تاريخ الطبرى ١ : ١١٢ .

(٢) فى المطبوعة : « لا نطيعك » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، مطابقاً لما فى التاريخ .

(٣) فى المخطوطة : « أتأمرنا بالسرك » ، غير منقوطة ، وفوقها حرف (ط) دلالة على الشك والخطأ ، والصواب ما فى المطبوعة ، مطابقاً لما فى التاريخ . وفى المطبوعة : « دين وفد ، ورمل والصداء مع الصمود » ، غير ما فى المخطوطة تغييراً تاماً . والذى أثبته من المخطوطة ، مطابق لما فى التاريخ .

قال أبو جعفر فى هذا الخبر ، بعد هذه الأبيات فى تاريخه : « ورفد ، ورمل ، وضد ، قبائل من عاد ، والعبود منهم » .

(٤) فى المطبوعة : « فقال : لا أدعو الله بشىء مما خرجوا له » ، زاد من عنده ما لا يحل له . وفى المخطوطة : « فقال أن يدعو الله بشىء مما خرجوا له » ، والصواب من تاريخ الطبرى .

تخلّف عن وفد عاد حين دعا ، لقمانُ بن عاد ، وكان سيِّد عادٍ . حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام فقال : « اللهم إنى جئتك وحدى فى حاجتى ، فأعطنى سؤلى » ! وقال قيل بن عنز حين دعا : « يا إلهنا ، إن كان هود صادقاً فاسقنا ، فإنّا قد هلكنا » ! فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثاً : بيضاء ، وحمراء ، وسوداء . ثم ناداه منادٍ من السحاب : « يا قيل ، اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب » . فقال : « اخترت السحابة السوداء ، فإنها أكثر السحاب ماءً » ! فناداه منادٍ : « اخترت رَمَاداً ، رِمْدِداً ،[1] لا تُبقى من آل عاد أحداً ،[2] لا والداً تترك ولا ولداً ، إلا جعلته هَمِداً ،[3] إلا بنى اللَّوذيّة المُهَدَّى » = و « بنو اللوذية » ، بنو لقيم بن هزّال بن هزيلة بن بكر ،[4] وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم ، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عادٌ الآخرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقُوا من عاد .

= وساق الله السحابة السوداء ، فيما يذكرون ، التى اختارها قَيْل بن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى خرجت عليهم من وادٍ يقال له : « المغيث » . فلما رأوها استبشروا بها ، وقالوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ ، يقول الله : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٤ ، ٢٥] ، أى : كلّ شيء أُمِرَتْ به . وكان أوّل من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح ، فيما يذكرون ، امرأة من عاد يقال لها « مَهْدَد » . فلما تيقنت ما فيها صاحت ،[5] ثم صَعِقت . فلما أن أفاقت قالوا : ماذا رأيت يا مهدد ؟ قالت : رأيتُ ريحاً فيها كشُهُب النار ، أمامها رجالٌ يقودُونها ! فسخَّرها الله عليهم سبع

١٥٥/٨

---

(١) « رماد رمدد » ، متناه فى الاحتراق والدقة . يقال : « رماد أرمد » و « رمدد » بكسر الراء وسكون الميم وكسر الدال و « رمدد » (بكسر الراء ، وسكون الميم ، وفتح الدال) .

(٢) فى المطبوعة : « لا تبق » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٣) « هامد ، وهمد ، وهميد » ، ميت هالك . « همد ، همودا » ، مات وهلك .

(٤) فى التاريخ : « . . . هزال بن هزيل بن هزيلة بن بكر » ، وكأنه الصواب .

(٥) فى التاريخ « فلما تبينت » ، وكأنها أرجح .

ليال وثمانية أيام حسوماً، كما قال الله[1] =و« الحسوم »، الدائمة= فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك . فاعتزل هُود ، فيما ذكر لى ، ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ، ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود، وتَلتذُّ الأنفس ،[2] وإنها لتمرُّ على عاد بالطَّعن بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة . وخرج وفد عاد من مكّة حتى مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ،[3] فنزلوا عليه . فبينما هم عنده ، إذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمِرة مُمْسَى ثالثةٍ من مُصاب عادٍ ،[4] فأخبرهم الخبر ، فقالوا له : أين فارقت هوداً وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر . فكأنهم شكُّوا فيما حدّثهم به، فقالت هزيلة بنت بكر :[5] صدَق وربِّ الكعبة![6]

١٤٨٠٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا عاصم ، عن الحارث بن حسّان البكرى قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت بامرأة بالرَّبَذَة ،[7] فقالت : هل أنت حاملى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت: نعم! فحملتها حتى قدِمت المدينة ، فدخلتُ المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلالٌ متقلّدَ السيف ، وإذا رايات سُودٌ . قال قلت : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره ، أتيته فأستأذنتُ ، فأذن لى ، فقلت : يا رسول الله ، إن بالباب امرأة من بنى تميم، وقد سألتنى أن أحملها إليك.

---

(١) سورة الحاقة : ٧ .

(٢) فى المطبوعة : « وتلتذ به » ، زاد ما ليس فى المخطوطة ولا التاريخ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وابنه » ، والصواب من التاريخ ، ومن أول الخبر .

(٤) « الممسى » (بضم فسكون) ، المساء ، كالصبح والصباح . وفى المطبوعة والتاريخ : « مساء ثالثة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « هذيلة » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٦) الأثر : ١٤٨٠٤ — هذا الخبر رواه الطبرى فى تاريخه ، مختصراً فى أوله ، مطولا بعد هذا فى آخره ١ : ١١١ — ١١٣ .

(٧) فى المطبوعة : « على امرأة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قال : يا بلال ، ائذن لها . قال : فدخلتْ ، فلما جلست قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بينكم وبين تميم شيء ؟ قلت : نعم! وكانت الدَّبَرَة عليهم[(١)] = فإن رأيت أن تجعل الدَّهنا بيننا وبينهم حاجزاً فعلت! قال : تقول المرأة : فأين تضطرُّ مُضَرَكَ ، يارسول الله؟[(٢)] قال قلت : مَثَلي مَثَل مِعزى حملت حتْفاً![(٣)] قال قلت : وحملتُكِ تكونين عليَّ خَصْماً ! أعوذ بالله أن أكون كوافدِ عاد! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وافدُ عاد؟ قال قلت : على الخبير سقطتَ ! إنّ عاداً قَحَطت فبعثت من يستسقي لها، فبعثُوا رجالاً ، فمرُّوا على بكر بن معاوية، فسقاهم الخمر وتغنَّتهم الجرادتان شهرًا ، ثم بعث من عنده رجلاً حتى أتى جبالَ مَهْرة،[(٤)] فدعَوْا ، فجاءت سحابات. قال : وكلما جاءت سحابة قال : اذهبي إلى كذا ! حتى جاءت سحابة ، فنودي منها[(٥)] : « خذها رَماداً رِمدداً » لا

---

(١) في المطبوعة : « وكانت لنا الدائرة عليهم » ، غير وزاد على ما في المخطوطة ، وهو عبث بالنص ، والصواب من المخطوطة . « الدبرة » (بفتح الدال ، وسكون الباء أو فتحها) : الهزيمة لهم ، والدولة والظفر للآخرين .

(٢) في المطبوعة : « فإلى أين يضطر مضطرك يا رسول الله » ، تصرف تصرفاً معيباً مشيناً وأساء غاية الإساءة . والصواب ما في المخطوطة . « مضر » هو جذم العرب وهو « مضر بن نزار بن معد بن عدنان » ، ومنه تفرعت ، قريش وبنو تميم ، ولذلك قالت المرأة من تميم لرسول الله « مضرك » ، لأنه جده وجدها .

(٣) في المطبوعة : « مثلي مثل ما قال الأول: معزى حملت حتفها » ، زاد هذا من غير هذه الرواية، وهي إساءة شديدة، وجعل : « حتفاً » ، « حتفها » ، فأثبت ما طابق روايته في التاريخ وقوله : « معزى حملت حتفاً » ، أي حملت منيتها ، مثل لمن يحمل ما فيه هلاكه . وهو غير موجود في كتب الأمثال .

(٤) « مهرة » (بفتح فسكون) ، حي عظيم ، وهو أبو قبيلة : « مهرة بن حيدان بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة » ، وبلاد مهرة ، في ناحية الشحر من اليمن ، ببلاد العنبر على ساحل البحر .

وكان في المطبوعة والمخطوطة : «ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة»، وهذه جملة يختل بها سياق الخبر اختلالا شديداً ، وتختلف الضمائر ، ولا يصبح للخبر رباط يمسكه ، وكأنه عبث من الناسخ ، فإن أبا جعفر روى هذا الخبر في التاريخ بإسناده ولفظه ، فأثبت منه نص الخبر ، إذ هو الذي يستقيم به الكلام .

(٥) في المطبوعة حذف « منها » ، لغير علة ظاهرة .

تدعُ من عادٍ أحداً » . قال : فسمعه وكتمهم حتى جاءهم العذاب [1] = قال أبو كريب : قال أبو بكر بعد ذلك فى حديث عادٍ ، قال : فأقبل الذى أتاهم ، فأتى جبال مهرة ، [2] فصعد فقال : اللهم إنى لم أجئك لأسير فأفاديه، ولا لمريض فأشفيه ، فأسْقِ عاداً ما كنتَ مُسْقِيه ! قال : فرفعت له سحاباتٌ ، قال : فنودى منها : اختَرْ ! قال : فجعل يقول : اذهبى إلى بنى فلان ، اذهبى إلى بنى فلان . قال : فمرّت آخرَها سحابةٌ سوداء ، فقال : اذهبى إلى عاد ! فنودى منها : « خُذْها رماداً رِمْدداً ، لا تدع من عاد أحداً » . قال : وكتمهم ، [3] والقوم عند بكر بن معاوية ، يشربون . قال : وكره بكر بن معاوية أن يقولَ لهم ، من أجل أنهم عنده ، وأنهم فى طعامه . قال : فأخذَ فى الغناء وذكَّرهم . [4]

١٠٦/٨

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فسمعهم وكلمهم » ، والصواب من التاريخ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « الذين أتاهم » ، والصواب من التاريخ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكلمهم » ، والصواب من التاريخ .

(٤) الأثر : ١٤٨٠٥ — « أبو بكر بن عياش » ، ثقة ، كان من العباد الحفاظ المتقنين ، إلا أنه لما كبر ساء حفظه ، فكان يهم إذا روى . والخطأ والوهم شيئان لا ينفك عنهما البشر ، فمن كان لا يكثر ذلك منه ، فلا يستحق ترك حديثه ، بعد تقدم عدالته — هكذا قال ابن حبان ، وصدق . مضى برقم : ٢١٥٠ ، ٣٠٠٠ ، ٥٧٢٥ ، ٨٠٩٨ .

و « عاصم » ، هو « عاصم بن بهدلة » ، « عاصم بن أبى النجود » ، ثقة جليل مشهور ، مضى مراراً كثيرة .

وأما « الحارث بن حسان البكرى » ، فيقال فيه : « الحارث بن يزيد البكرى »، ويقال اسمه : « حريث » ، وصحح ابن عبد البر أنه اسمه « الحارث بن حسان » ، فقال : « والأكثر يقولون الحارث بن حسان البكرى ، وهو الصحيح إن شاء الله » ، ولكن العجيب أن الحافظ ابن حجر قال فى التهذيب : « وصحح ابن عبد البر أن اسمه حريث » ، فوهم وهماً شديداً ، والذى نقلته نص ابن عبد البر فى الاستيعاب !! فليصحح ما فى التهذيب .

و « الحارث بن حسان البكرى » ، مترجم فى ابن سعد ٦ : ٢٢ ، والكبير للبخارى ١/٢/٢٥٩ ، والاستيعاب : ١٠٩ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٧١ ، وأسد الغابة ١ : ٣٢٣ ، والإصابة فى ترجمته ، والتهذيب . روى عنه أبو وائل ، وسماك بن حرب .

وسيأتى خبر « الحارث البكرى » ، بإسناد آخر : « عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن الحارث ابن يزيد البكرى » .

وأما هذا الإسناد « عاصم ، عن الحارث بن حسان البكرى » ، ليس بينهما « أبو وائل » ، فقد قال ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة « الحارث » : « ورواه أحمد بن حنبل أيضاً ، وسعيد الأموى ، ويحيى الحمانى ، وعبد الحميد بن صالح ، وأبو بكر بن شيبة ، كلهم : عن أبى بكر

١٤٨٠٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنا سلام أبو المنذر النحوى قال ، حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن يزيد البكرى قال : خرجت لأشكوَ العلاء بن الحضرمىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمررت بالربَذَة ، فإذا عجوزٌ منقَطعٌ بها ،[1] من بنى تميم، فقالت : يا عبد الله ، إنّ لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجةً ، فهل أنت مبلغى إليه ؟ قال : فحملتها ، فقدمت المدينة . قال : فإذا رايات ،[2] قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث بعمرو بن العاص وجهاً .[3] قال : فجلست حتى فرغ. قال : فدخل منزله = أو قال : رَحْله = فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت فقعدت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين

ابن عياش ، عن عاصم ، عن الحارث ، ولم يذكر أبا وائل » . قال الحافظ ابن حجر فى التهذيب فى ترجمة « الحارث » : « وروى عنه عاصم بن بهدلة » ، والصحيح : عنه ، عن أبي وائل ، عن الحارث » .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب : « واختلف فى حديثه : منهم من يجعله عن عاصم ابن بهدلة ، عن الحارث بن حسان ، لا يذكر فيه أبا وائل ، والصحيح فيه : عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان » . وكذا قال غيرهما .

وهذا الخبر بهذا الإسناد ، رواه أبو جعفر مرة أخرى فى تاريخه ١ : ١١٠ ، وروى صدره أحمد فى مسنده ٣ : ٤٨١ ، « عن أبي بكر بن عياش قال ، حدثنا عاصم بن أبي الفزر (؟؟) ، عن الحارث بن حسان البكرى » ، مختصراً ، وهو صدر الخبر . وأما ما جاء فى مطبوعة المسند « عاصم بن أبي الفزر » ، فأرجح أنه تحريف « عاصم بن أبي النجود » ، فالحديث حديثه ، ولم أعلم أنه يقال له : « عاصم بن أبي الفزر » .

ورواه من هذه الطريق نفسها مختصراً ، ابن ماجة فى سننه ص : ٩٤١ ، رقم : ٢٨١٦ ، بنحو لفظ أحمد .

وسيأتى تخريج خبر « الحارث » هذا ، فى الأثر التالى .

(١) « منقطع بها » (بضم الميم ، وفتح القاف والطاء) . يقال : « قطع بالرجل ، فهو مقطوع به » ، و « انقطع به ، فهو منقطع به » (كله بالبناء للمجهول) : إذا كان مسافراً ، فعطبت راحلته ، وذهب زاده وماله ، أو أتاه أمر لا يقدر معه على أن يتحرك .

(٢) عند هذا الموضع قال أبو جعفر ، فى روايته فى التاريخ : « قال أبو جعفر : أظنه قال : فإذا رايات سود » .

(٣) فى المطبوعة : « عمرو بن العاص » ، حذف الباء ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، وفى رواية الخبر فى التاريخ .

تميم شيء ؟ قلت : نعم ! وكانت الدَّبَرة عليهم ،[١] وقد مررت بالربذة ، فإذا عجوز منهم مُنقطَعٌ بها ، فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب . فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدَّهنا حاجزاً ، فحميت العجوزُ واستوفزت ،[٢] وقالت : فأين تضطرُّ مُضَرَك يا رسول الله ؟[٣] قال، قلت : أنا كما قال الأول : «معزى حملت حتفها»![٤] حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً ! أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ! قال : وما وافدُ عادٍ ؟ قلت[٥] : على الخبير سقطتَ ! قال : وهو يستطعمني الحديثَ.[٦] قلت : إن عاداً قُحِطوا فبعثوا «قَيْلاً» وافداً ، فنزل على بكرٍ، فسقاه الخمرَ شهرًا وتغنّيه جاريتان يقال لهما «الجرادتان» ،[٧] فخرج إلى جبال مهرة، فنادى : « إني لم أجيء لمريض فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، اللهم فأسقِ عاداً

---

(١) في المطبوعة : «وكانت لنا الدائرة عليهم» ، وفي المخطوطة : «وكانت الدارة عليهم» ، غير منقوطة ، وأثبت رواية أبي جعفر في التاريخ ، ورواية أحمد في مسنده . وانظر التعليق السالف ص : ٥١٤ ، تعليق : ١ .

(٢) «حميت» : غضبت ،وأخذتها الحمية والأنفة والغيظ . و «استوفز الرجل في قعدته» ، إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن ، ولم يستو قائماً ، كالمتهيء للوثوب ، وذلك عند الشر والخصام والجدال والمماحكة .

(٣) في المطبوعة : «فإلى أين يضطر مضطرك» ، وهو تغير لما في المخطوطة وزيادة عما فيها ، كما فعل فيما سلف ص : ٥١٤، تعليق :٢ .

(٤) في المطبوعة : «حتفها» ، وهي مطابقة لرواية أحمد في مسنده ، ولكن ما أثبته هو ما جاء في المخطوطة والتاريخ ، إلا أن في التاريخ : «حيفا» ، خطأ ، صوابه ما أثبت . انظر ما سلف ص : ٥١٤، تعليق : ٣ .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : «قال : على الخبير سقطت» ، وأثبت ما في التاريخ .

(٦) «استطعمه الحديث» ، أي أغراه أن يحدثه ، كأنه يريد أن يذيقه طعم حديثه . يقال ذلك إذا استدرجه ، وهو أعلم بالحديث منه ، وجاء تفسيره في خبر أحمد في مسنده : «وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه» . وشرح هذا اللفظ في كتب اللغة غير واف ، فقيده هناك .

(٧) في المطبوعة : «وغنته جاريتان» ، غير ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في التفسير ومسند أحمد .

ما كانت تُسْقِيه»![1] فمرت به سحابات سُودٌ ، فنودي منها[2]: «خذها رماداً رِمْدِداً ، لاتبق من عادٍ أحداً». قال: فكانت المرأة تقول: «لاتكن كوافد عادٍ»! فما بَلَغَني أنه ما أرسل عليهم من الريح ، يا رسول الله، إلا قَدْرُ مايجرى فى خاتمى[3] = قال أبو وائل : فكذلك بلغنى .[4]

---

(١) فى المطبوعة وتاريخ الطبرى : «اللهم أسق» وأثبت ما فى المخطوطة . وبقية الجملة محولة من مكانها فى المخطوطة ، وذلك قوله : «ما كنت تسقيه» ، وهى ثابته فى التاريخ ، ولكن جعلها فى المطبوعة والمخطوطة : «مسقيه» ، كما فى الأثر السالف ، ولكن «تسقيه» هى رواية أبى جعفر فى التاريخ ، ورواية أحمد أيضاً .

(٢) بعد قوله «فنودى منها» ، وضع «ما كنت مسقيه» ، كما أسلفت فى التعليق الماضى .

(٣) فى المطبوعة : «ففيما بلغنى» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لرواية أبى جعفر فى التاريخ ، ورواية أحمد فى المسند .

(٤) الأثر : ١٤٨٠٦ — هذا إسناد آخر للأثر السالف ، وهو الإسناد الذى أشرت إليه هناك أن فيه «أبا وائل» بين «عاصم بن بهدلة» و «الحارث بن حسان البكرى» ، وأنه هو الصحيح .

و «الحارث بن يزيد البكرى» ، هو «الحارث بن حسان البكرى» ، مختلف فى ذلك ، كما قلت فى التعليق على رقم : ١٤٨٠٥ .

و «سلام ، أبو المنذر النحوى» هو «سلام بن سليمان المزنى» ، قال يحيى بن معين : «لا شىء» ، وقال أبو حاتم : «صدوق ، صالح الحديث» . وقال الساجى : «صدوق ، يهم ، ليس بمتقن الحديث» . وقال ابن معين مرة أخرى : «يحتمل لصدقه» . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٣٥ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٥٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٠٠ .

وأما «أبو وائل» ، فهو «شقيق بن سلمة الأسدى» ، ثقة إمام، مضى مراراً . أما المرأة المذكورة فى هذا الخبر ، والخبر السالف ، فهى :

«قيلة بنت مخرمة التميمية» ، من بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، ويذكر فى بعض الكتب «الغنوية» ، وهو تصحيف «العنبرية» . وحديث «قيلة» حديث طويل ، فيه غريب كثير ، ذكره ابن حجر فى ترجمتها فى الإصابة .

وفى تحقيق خبرها ، وخبر «الحارث بن حسان البكرى» أو «حريث بن حسان الشيبانى» ، وافد بكر بن وائل (كما فى ترجمتها فى ابن سعد ٨ : ٢٢٨)، فضل كلام ليس هذا موضعه .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر فى تاريخه بهذا الإسناد نفسه . ورواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٨١ ، ٤٨٢ ، من طريقين : من طريق عفان ، عن سلام أبى المنذر ، عن عاصم = ثم رواه من طريق زيد بن الحباب ، عن أبى المنذر سلام بن سليمان النحوى ، عن عاصم بن أبى النجود ، بنحوه .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٢٢ من طريق عفان ، عن سلام أبى المنذر ، مختصراً .

وروى البخارى صدره فى الكبير ١/٢/٢٥٩ .

١٤٨٠٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»، أنّ عاداً أتاهم هود، فوعظهم وذكّرهم بما قصّ الله في القرآن، فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب، فقال لهم: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٣]. وإن عاداً أصابهم حين كفروا قُحوطُ المطر، [1] حتى جَهِدوا لذلك جَهْداً شديداً. وذلك أن هوداً دعا عليهم، فبعث الله عليهم الريح العقيم، وهي الريح التي لا تُلقِح الشجرَ. فلما نظروا إليها قالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [سورة الأحقاف: ٢٤]. فلما دنت منهم، نظروا إلى الإبل والرجال تطيرُ بهم الريحُ بين السماء والأرض. فلما رأوها تبادَروا إلى البيوت، [2] فلما دخلوا البيوت، دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم

ورواه ابن الأثير في ترجمة «الحارث» في أسد الغابة، وابن عبد البر في الاستيعاب مختصراً، وابن حجر في الإصابة. ورواه ابن كثير في تفسيره ٣: ٤٧٠ = ٧/٥٠٢، من طريق أحمد في مسنده. ورواه أيضاً في البداية والنهاية ١: ١٢٧، ١٢٨، وقال: «ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن زيد بن حباب، به. ووقع عنده: عن الحارث بن يزيد البكري، فذكره. ورواه أيضاً، عن أبي كريب، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن الحارث بن حسان البكري، فذكره. ولم أر في النسخة: أبا وائل، والله أعلم». قلت: يعني الأثر السالف، انظر التعليق هناك.

وقال ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية: «رواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن زيد بن الحباب، به. ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر، عن عاصم بن بهدلة. ومن طريقه رواه ابن ماجة. وهكذا أورد هذا الحديث، وهذه القصة، عند تفسير هذه القصة غير واحد، من المفسرين، كابن جرير وغيره. وقد يكون هذا السياق لإهلاك عاد الآخرة، فإ فيها ذكره ابن إسحق وغيره ذكر لمكة، ولم تبن إلا بعد إبراهيم الخليل، حين أسكن فيها هاجر وابنه إسماعيل، فنزلت جرهم عندهم، كما سيأتي. وعاد الأولى قبل الخليل. وفيه ذكر «معاوية بن بكر» وشعره، وهو من الشعر المتأخر عن زمان عاد الأولى، لا يشبه كلام المتقدمين. وفيه: أن في تلك السحابة شرر نار، وعاد الأولى إنما أهلكوا بريح صرصر عاتية».

وهذا نقد جيد جداً، لهذه الأخبار السالفة جميعاً، والخبر الآتي بعد هذا.

(١) في التاريخ: «قحط من المطر».

(٢) في المطبوعة والمخطوطة: «تنادوا البيوت»، وهو لا معنى له، صوابه من التاريخ «تبادروا»، أسرعوا.

من البيوت، فأصابتهم « فى يوم نحس » = والنحس، هو الشؤم = و« مستمرّ » ، استمر عليهم بالعذاب « سبعَ ليال وثمانية أيامٍ حُسوماً »[1] = حَسَمت كل شيء مرّت به ، [2] فلما أخرجتهم من البيوت قال الله : ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ ﴾ من البيوت ، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ ، [سورة القمر : ٢٠] =انقعر من أصوله = « خاوية » ، خوت فسقطت . [3] فلما أهلكهم الله ، أرسل عليهم طيراً سوداً ، [4] فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه ، فذلك قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ ﴾ سورة الأحقاف : ٢٥]. ولم تخرج ريحٌ قط إلا بمكيال ، إلا يومئذ ، فإنها عَتَتْ على الخَزَنة فغلبتهم ، فلم يعلموا كم كان مكيالها ، وذلك قوله : ﴿ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ ، [سورة الحاقة : ٦] = و « الصرصر » ، ذات الصوت الشديد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٧٠)

١٠٧/٨

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت عاد له [5] : أجئتنا تتوعَّدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين ، كى نعبد الله وحده ، وندين له بالطاعة

---

(١) فى المطبوعة : « استمر عليهم العذاب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى التاريخ .

(٢) هذا تفسير الآيات ، من « سورة القمر » : ١٩ ، و « سورة الحاقة » : ٧ .

(٣) هذا تفسير آية « سورة الحاقة » : ٧ = « كأنهم أعجاز نخل خاوية » .

(٤) فى المطبوعة : « أرسل إليهم » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٥) فى المخطوطة : « قالت هود له » ، وهو ظاهر الخطأ ، صححه فى المطبوعة : « قالت عاد لهود » ، وأثبت ما دل عليه سهو الناسخ .

خالصاً ، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التى كان آباؤنا يعبدونها ، ونتبرأ منها ؟ فلسنا فاعِلى ذلك ، ولا نحن متبعوك على ما تدعونا إليه ، [١] فائتنا بما تعدنا من العقابِ والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله ، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان ، إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعِدُ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال هود لقومه : قد حَلّ بكم عذابٌ وغضبٌ من الله .

* * *

وكان أبو عمرو بن العلاء = فيما ذكر لنا عنه = يزعم أن « الرجز » و« الرجس » بمعنى واحد ، وأنها مقلوبة ، قلبت السين زاياً ، كما قلبت « ستّ » وهى من « سداس » بسين ، [٢] وكما قالوا « قَرَبُوس » و« قَرَبُوت » [٣] ، وكما قال الراجز : [٤]

---

(١) فى المطبوعة : « ولا متبعيك » ، وفى المخطوطة : « ولا متبعوك » ، أسقط الناسخ « نحن » فأثبتها .

(٢) فى المطبوعة : « كما قلبت : شتز ، وهى من : شنس » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب ما أثبت ، يدل عليه شاهد الرجز الذى بعده .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقربوز » بالزاى (وهى فى المخطوطة غير منقوطة) ، والصواب المحكى عنه بالتاء . و « القربوس » حنو السرج » وهو بقاف وراء مفتوحتان ، بعدهما باء مضمومة .

(٤) هو علباء بن أرقم اليشكرى .

أَلاَ لَحَى اللهُ بَنِي السِّعْلاَتِ عَمْرَو بْنَ يَرْبُوعٍ لِئَامَ النَّاتِ
لَيْسُوا بِأَعْفَافٍ وَلاَ أَكْيَاتِ (١)

يريد « الناس » ، و « أكياس » ، فقلبت السين تاء ، كما قال رؤبة :

كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ عَدِيدٍ مُبْزِى حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرِّجْزِ (٢)

* * *

روى عن ابن عباس أنه كان يقول : « الرجس » ، السَّخط .(٣)

١٤٨٠٨ — حدثني بذلك المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قد وقع عليكم من ربكم رجس » ، يقول: سَخَط

* * *

(١) نوادر أبي زيد : ١٠٤ ، ١٤٧ ، الحيوان ١ : ١٨٧/٦ : ١٦١ ، وفيه تخريج الأبيات ، وغيرها كثير . و « السعلاة » اسم الواحدة من نساء الجن، إذا لم تتغول لتفتن السفار . وزعموا أن عمرو بن يربوع تزوج السعلاة ، وأولدها ، وأنها أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالى ، حنت وطارت إليهم ، فقال عمرو بن يربوع :

أَلاَ لِلّهِ ضَيْفُكِ ، يا أُمَامَا . . . .

ولا يعرف تمام البيت كما قال أبو زيد في نوادره : ١٤٦ .

رَأَى بَرْقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ فَلاَ ، بِكِ ، ما أَسَالَ وما أَغَامَا

وقوله : « ليسوا بأعفاف » ، هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة . ورواية أبي زيد وغيره : « ليسو أعفاء » ، وهي القياس ، جمع « عفيف » ، وكأن « أعفاف » جمع « عف » ، وقد نصوا على أنهم لم يجمعوا « عفا » ، أو يكون كما جمع « شريف » على « أشراف » ، في غير المضعف .

(٢) ديوانه : ٦٤ ، وهكذا جاء البيت الأول في المخطوطة والمطبوعة . وهو لا يكاد يصح ، ورواية الديوان .

مَا رَامَنَا من ذى عَدِيدٍ مُبْزِى

يقال : « أبزى فلان بفلان » ، إذا غلبه وقهاه . و « وقم عدوه » ، أذله وقهره .

(٣) في المطبوعة : « الرجز » مكان « الرجس » ، وبين أن الصواب ما أثبت .
= وانظر تفسير « الرجس » فيما سلف ١٠ : ٥٦٥ / ١٢ : ١١١ ، ١١٢ ، ١٩٤

وأما قوله : « أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم » ، فإنه يقول : أتخاصموننى فى أسماء سمَّيتموها أصناماً ، لا تضر ولا تنفع[1] = « أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان » ، يقول : ما جعل الله لكم فى عبادتكم إياها من حجة تحتجُّون بها ، ولا معذرة تعتذرون بها ،[2] لأن العبادة إنما هى لمن ضرَّ ونفع ، وأثابَ على الطاعة وعاقب على المعصية ، ورزق ومنَع . فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس ، فإنه لا نفع فيه ولا ضرّ ، إلا أن تتخذ منه آلةٌ ، ولا حجة لعابد عبده من دون الله فى عبادته إياه ، لأن الله لم يأذن بذلك ، فيعتذر من عبدَه بأنه يعبده اتباعاً منه أمرَ الله فى عبادته إياه .[3] ولا هو = إذ كان الله لم يأذن فى عبادته = مما يرجى نفعه ، أو يخاف ضرّه، فى عاجل أو آجل ، فيعبد رَجاء نفعه ، أو دفع ضره — « فانتظروا إنى معكم من المنتظرين » ، يقول : فانتظروا حكمَ الله فينا وفيكم =« إنى معكم من المنتظرين»، حكمَه وفصل قضائه فينا وفيكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأنجينا نوحاً والذين معه من أتباعه على الإيمانبه والتصديق به وبما دعا إليه ، من توحيد الله ، وهجر الآلهة والأوثان = «برحمة منّا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا »، يقول : وأهلكنا الذين كذّبوا من قوم هود بحججنا جميعاً عن آخرهم ، فلم نبق منهم أحداً ، كما :—

---

(١) انظر تفسير « المجادلة » فيما سلف ص: ٨٩ ، تعليق ٤ . ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « سلطان » فيما سلف ص: ٤٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيعذر من عبده » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

١٤٨٠٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « وقطعنا دابرَ الذين كذبوا بآياتنا » ، قال : استأصلناهم .

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى قوله: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ، [سورة الأنعام : ٤٥] ، بشواهده ، بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

=« وما كانوا مؤمنين » ، يقول : لم يكونوا مصدّقين بالله ولا برسوله هود .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً .

* * *

و« ثمود » ، هو ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخو جَدِيس ابن غاثر ، (٢) وكانت مساكنهما الحِجْر ، بين الحجاز والشأم ، إلى وادى القُرَى وما حوله .

* * *

ومعنى الكلام : وإلى بنى ثمود أخاهم صالحاً .

* * *

(١) انظر تفسير « قطع دابرهم » فيما سلف ١١ : ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٢) فى المطبوعة فى الموضعين « ثمود بن عابر » ، و « جديس بن عابر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو كذلك فى تاريخ الطبرى ١ : ١٠٣ « غاثر » بالغين والثاء ، إلا أنه جاء فى التاريخ ١ : ١١٥ « جاثر » بالجيم والثاء ، وكأن الأول هو الأصل ، وأن الآخر على القلب عن الغين ، هذا إذا لم يكن خطأ .

وإنما منع « ثمود » ، لأن « ثمود » قبيلة ، كما « بكر » قبيلة ، وكذلك « تميم » .

* * *

« قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » ، يقول : قال صالح لثمود : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ، فما لكم إله يجوزُ لكم أن تعبدوه غيره ، وقد جاءتكم حُجَّة وبرهان على صدق ما أقول ، [1] وحقيقةما إليه أدعو ، من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالعبادة دون ما سواه ، وتصديقي على أني له رسول . وبيِّنتي على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي ، وحجتي عليه ، هذه الناقة التي أخرجَها الله من هذه الهَضْبة ، دليلاً على نبوّتي وصدق مقالتي ، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحدٌ إلا الله . ١٥٨/٨

* * *

وإنما استشهد صالح ، فيما بلغني ، على صحة نبوّته عند قومه ثمود بالناقة ، لأنهم سألُوه إياها آيةً ودلالة على حقيقةِ قوله .

* ذكر من قال ذلك ، وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة :

١٤٨١٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي الطفيل قال : قالت ثمود لصالح : ائتنا بآية إن كنت من الصادقين ! قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هَضْبةٍ من الأرض ! فخرجوا ، فإذا هي تَتَمَخَّض كما تتمخَّض الحامل ، ثم إنها انفرجت فخرجت من وسَطها الناقة ، فقال صالح : «هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسُّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم» = ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٥] . فلما ملُّوها عقروها ، فقال لهم : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ ، [سورة هود : ٦٥] = قال عبد العزيز : وحدثني رجل آخر : أنّ صالحاً قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمْراً ، واليوم الثاني

---

(١) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

صُفْراً، واليوم الثالث سُوداً . قال: فصبَّحهم العذاب، فلما رأوا ذلك تحنَّطُوا واستعدُّوا .[١]

١٤٨١٢ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «وإلى ثمود أخاهم صالحاً»، قال: إن الله بعث صالحاً إلى ثمود، فدعاهم فكذّبوه، فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن، فسألوه أن يأتيهم بآية، فجاءهم بالناقة، لها شِرْب ولهم شِرْبُ يومٍ معلوم. وقال: «ذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء». فأقرُّوا بها جميعاً، فذلك قوله: ﴿ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾، [سورة فصلت: ١٧]. وكانوا قد أقرُّوا به على وجه النفاق والتقيَّة، وكانت الناقة لها شِرْبٌ، فيومَ تشرب فيه الماء تمرّ بين جبلين فيرحمانها،[٢] ففيهما أثرُها حتى الساعة، ثم تأتى فتقف لهم حتى يحلُبوا اللبنَ، فيرويهم، إنما تصبُّ صبَّاً،[٣] ويوم يشربون الماءَ لا تأتيهم. وكان معها فصيل لها، فقال لهم صالح: إنه يولدُ فى شهركم هذا غلامٌ يكون هلاككم على يديه! فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم وُلد للعاشر فأبَى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك شيء. فكان ابن العاشر أزْرَق أحمرَ، فنبت نباتاً سريعاً، فإذا مرَّ بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياءَ كانوا مثل هذا! فغضب التِّسعة على صالح، لأنه أمرهم بذبح أبنائهم = ﴿ فَتَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

---

(١) الأثر: ١٤٨١٠ — «عبد العزيز بن رفيع الأسدى»، تابعى ثقة، روى له الجماعة. روى عن أنس، وابن الزبير، وابن عباس، وابن عمر، وأبى الطفيل. مترجم فى التهذيب.
و «أبو الطفيل»، هو: «عامر بن واثلة الليثى»، مضى برقم: ٩١٩٦.
وقوله: «تحنطوا»، أى اتخذوا الحنوط، كما يفعلون بالميت: و «الحنوط»، هو ذريرة من مسك أو عنبر أو كافور أو صندل مدقوق، أو صبر، يتخذ للميت حتى لا يجيف ولا ينتن، أو لا تظهر رائحته للحى. وسقط من الترقيم: «١٤٨١١»: سهواً منى.
(٢) فى المطبوعة: «فيرجمونها، ففيها أثرها ...»، والصواب من المخطوطة.
(٣) فى المطبوعة: «فكانت تصب اللبن صباً»، غير ما فى المخطوطة وبدله.

[سورة النمل : ٤٩] . قالوا : نخرج فيرى الناس أنّا قد خرجنا إلى سفر ، فنأتى الغار فنكون فيه ، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى المسجد، أتيناه فقتلناه ، ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه، ثم رجعنا فقلنا : « ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون » ، يصدقوننا ، يعلمون أنّا قد خرجنا إلى سفر ! فانطلقوا ، فلما دخلوا الغارَ أرادوا أن يخرجوا من الليل ، فسقط عليهم الغارُ فقتلهم ، فذلك قوله : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ حتى بلغ ههنا : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة النمل : ٤٨ – ٥١] .

= وكبر الغلام ابن العاشر ، ونبت نباتاً عجباً من السرعة ، فجلس مع قوم يصيبون من الشَّراب ، فأرادُوا ماءً يمزجون به شرابهم ، وكان ذلك اليوم يوم شِرب الناقة ، فوجدوا الماء قد شربته الناقةُ ، فاشتدَّ ذلك عليهم ، وقالوا فى شأن الناقة : ما نَصْنع نحن باللبن ؟ لو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشربه هذه الناقة فنُسْقيه أنعامنا وحروثنا ، كان خيراً لنا ! فقال الغلام ابن العاشر : هل لكم فى أن أعْقِرَها لكم ؟ قالوا : نعم ! فأظهروا دينَهم ، فأتاها الغلام ، فلما بَصُرت به شدَّت عليه ، فهرب منها ، فلما رأى ذلك ، دخل خلف صخرةٍ على طريقها فاستتر بها ، فقال : أحيشوها علىَّ ! فأحَاشوها عليه، [1] فلما جازت به نادوه : عليك ! [2] فتناولها فعقرها ، فسقطت ، فذلك قوله : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ [سورة القمر : ٢٩] . وأظهروا حينئذٍ أمرهم ، وعقروا الناقة ، وعَتَوْا عن أمر ربهم ، وقالوا : يا صالحُ ائتنا بما تعِدنا . وفزع ناسٌ منهم إلى صالح ، وأخبروه أن الناقة قد عُقِرت ، فقال : علىَّ بالفصيل ! فطلبوا الفَصيل فوجدوه على رَابية من الأرض ، فطلبوه، فارتفعت به حتى حلَّقت به فى السماء ، فلم يقدروا عليه . ثم رَغَا [3] الفصيلُ ١٥٩/٨

(١) فى المطبوعة : « أجيشوها . . . فأجاشوها » بالجيم ، والصواب بالحاء . « حاش عليه الصيد حوشاً وحياشاً » و « أحاشه عليه » ، إذا نفره نحوه ، وساقه إليه ، وجمعه عليه .

(٢) « عليك » ، إغراء ، بمعنى : خذه .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ثم دعا » ، والصواب ما أثبت . من « رغاء الناقة » ، وهو صوتها إذا ضجت .

إلى الله، فأوحى الله إلى صالح : أنْ مُرْهم فليتمتَّعوا فى دارهم ثلاثة أيام ! فقال لهم صالح : تَمتَّعوا فى داركم ثلاثة أيام، وآية ذلك أن تُصبح وجوهكم أوّل يوم مصفرّة، والثانى محمرّة، واليوم الثالث مسودّة، واليومُ الرابعُ فيه العذاب. فلما رأوا العلامات تكفّنوا وتحنّطوا ولطّخوا أنفسهم بالمرّ، ولبسوا الأنْطاع، وحفروا الأسراب فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة، حتى جاءهم العذاب فهلكوا. فذلك قوله: ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

١٤٨١٣ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما أهلك الله عاداً وتقضَّى أمرها ، عَمِرتْ ثمود بعدَها واستُخْلِفوا فى الأرض، [١] فنزلوا فيها وانتشروا ، ثم عتوا على الله . فلما ظهر فسادهم وعبدوا غيرَ الله ، بعث إليهم صالحاً = وكانوا قوماً عرَباً ، وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً =[٢] رسولاً ، [٣] وكانت منازلهم الحِجر إلى قُرْح ، [٤] وهو وادى القرى ، وبين ذلك ثمانية عشر ميلاً فيما بين الحجاز والشأم ! فبعث الله إليهم غلاماً شابّاً فدعاهم إلى الله حتى شَمِط وكبر ، [٥] لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعَفون . فلما ألحّ عليهم صالح بالدعاء ، وأكثر لهم التحذير ، وخوّفهم من الله العذاب والنقمة ، سألوه أن يُريهم آية تكون مِصداقاً لما يقول فيما يدعوهم إليه، فقال لهم : أىّ آية تريدون؟ قالوا : تخرج معنا إلى عيدِنا هذا = وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله ، فى يوم معلوم من السنة = فتدعو إلهك وندْعُو آلهتنا ، فإن

---

(١) « عمر يعمر » (نحو: فرح يفرح) و « عمر يعمر » (نحو : نصر ينصر) : عاش وبقى زماناً طويلا .

(٢) فى المطبوعة : « وكانوا قوماً عزباً » ، وفى المخطوطة : « وكانوا قوماً عربا وهم من أوسطهم » والصواب ما أثبت .

(٣) السياق : « بعث إليهم صالحاً . . . رسولا » .

(٤) « قرح » (بضم فسكون) ، وهو سوق وادى القرى .

(٥) « شمط » : ابيض شعره .

استجيب لك اتَّبعناك ، وإن استجيب لنا اتَّبعتنا ! فقال لهم صالح : نعم ! فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك ، وخرج صالح معهم إلى الله فدعَوْا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شىء ممّا يدعو به . ثم قال له جندع بن عمرو بن جواس ابن عمرو بن الدميل،[١] وكان يومئذٍ سيّد ثمود وعظيمَهم : يا صالح ،أخرج لنا من هذه الصخرةِ = لصخرة منفردة فى ناحية الحِجْر ، يقال لها الكاثِبة = ناقةً مخترجة جَوْفاء وَبْرَاء = و « المخترجة » ،ما شاكلت البُخْت من الإبل.[٢] وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو = فإن فعلت آمنَّا بك وصَدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ! وأخذ عليهم صالح مواثيقهم : لئن فعلتُ وفعَل الله لتصدّقُنّى ولتؤمنُنّ بى ! قالوا : نعم ! فأعطوه على ذلك عهودَهم . فدعا صالح ربَّه بأن يخرجَها لهم من تلك الهَضْبة ، كما وصفوا .

= فحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه حدّث أنَّهم نظروا إلى الهضبة ، حين دعا الله صالح بما دعا به ، تتمخَّض بالناقة تمخُّض النَّتُوج بولدها ،[٣] فتحركت الهضبة ، ثم انتفضت بالناقة ،[٤] فانصدعت عن ناقة ، كما وصفوا ، جوفاءَ وَبْرَاء نَتُوج ، ما بين جنبيها لا يعلمه إلاّ الله عِظماً ، فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه ، وأراد أشرافُ ثمود أن يؤمنوا به ويصدّقوا ، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد ، والحباب صاحبُ أوثانهم ، ورباب بن صمعر بن جلهس ، وكانوا

---

(١) فى المطبوعة « حراش » ، ولعل ما فى المخطوطة يقرأ كما أثبته ، وكما سيأتى فى نسب آخر بعد قليل .

(٢) شرح « المخترجة » ، لم أجده فى غير هذا الخبر ، وهو بمثله فى قصص الأنبياء للثعلبى . و « البخت » من الإبل ، جمال طوال الأعناق ، وهى الإبل الخراسانية ، تنتج من بين عربية وفالج .

(٣) « النتوج » (بفتح النون) : الحامل .

(٤) فى المطبوعة : « ثم أسقطت الناقة » غير ما فى المخطوطة ، وفيها : « ثم اسمصت الساه » كل ذلك غير منقوطة ، فرأيت صواب قراءتها ما أثبت .

من أشراف ثمود ، فردُّوا أشرافَها عن الإسلام والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرَّحمة والنجاة ،[1] وكان لجندع ابن عم يقال له : « شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس » ، فأراد أن يسلم ، فنهاه أولئك الرهط عن ذلك ، فأطاعهم ، وكان من أشرا ثمود وأفاضلها ، فقال رجل من ثمود يقال له : « مهوس بن عنمة ابن الدَّميل » ، وكان مسلماً :

وَكَانَتْ عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرٍو ... إلَى دِينِ النَّبِيِّ دَعَوْا شِهَابَا[2]

عَزِيزَ ثَمُودَ كُلِّهِمُ جَمِيعاً ... فَهَمَّ بِأَنْ يُجِيبَ وَلَوْ أَجَابَا

لَأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينَا عَزِيزًا ... وَمَا عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَابَا

وَلٰكِنَّ الغُوَاةَ مِنَ آلِ حُجْرٍ ... تَوَلَّوْا بَعْدَ رُشْدِهِمْ ذُبَابَا[3]

١٦٠/٨ فمكثت الناقة التي أخرجها الله لهم معها سَقْبها في أرض ثمودَ ترعى الشجر وتشرب الماء ، فقال لهم صالح عليه السلام : « هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم » ، وقال الله لصالح : إن الماء قسمةٌ بينهم ، كُلّ شِرْب مُحْتَضَر = أى : إن الماء نصفان ، لهم يوم ، ولها يوم وهي محتضرة ، فيومها لا تدع شربها .[4] وقال : ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٥] . فكانت ، فيما بلغنى والله أعلم ، إذا وردت ، وكانت تَرِد غِبًّا ،[5] وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها « بئر الناقة » ، فيزعمون أنها منها كانت تشرب إذا وردت ، تضع رأسَها فيها فما ترْفَعه حتى تشرب كل قطرة ماء فى الوادى ، ثم

---

(١) فى المطبوعة : « ورددوا أشرافها » بالواو ، والأجود ما فى المخطوطة .

(٢) الأبيات فى البداية والنهاية لابن كثير ١ : ١٣٤ ، وقصص الأنبياء الثعلبى : ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) فى المطبوعة : « ذئابا » ، وفى البداية والنهاية « ذآبا » ، وكأن الصواب ما فى قصص الأنبياء ، وهو ما أثبته . والمخطوطة غير منقوطة .

(٤) هذا تفسير آية « سورة القمر » : ٢٨ .

(٥) « غبا » (بكسر الغين) ، أى : ترد يوماً ، وتدع يوماً ، ثم ترد .

ترفع رأسها فتفشَّج [١] = يعني : تفحَّج لهم [٢]= فيحتلبون ما شاؤوا من لبن ، فيشربون ويدّخرون ، حتى يملأوا كل آنيتهم ، ثم تصدر من غير الفجّ الذى منه وردت ، لا تقدِرُ على أن تصدر من حيث ترِدُ لضيقِه عنها ، فلا ترجع منه . حتى إذا كان الغدُ ، كان يومهم ، فيشربون ما شاؤوا من الماء ، ويدّخرون ما شاؤوا ليوم الناقة ، فهم من ذلك فى سعة . وكانت الناقة ، فيما يذكرون ، تَصِيف إذا كان الحرّ ظَهْرَ الوادى ، [٣] فتهرب منها المواشى ، أغنامُهم وأبقارهم وإبلُهم ، فتهبط إلى بطن الوادى فى حرِّه وجَدْبه = وذلك أن المواشى تنفِرُ منها إذا رأتها = وتشتو فى بطن الوادى إذا كان الشتاء ، فتهرب مَواشيهم إلى ظهر الوادى فى البرد والجدْب ، فأضرّ ذلك بمواشيهم ، للبلاءِ والاختبار . وكانت مرابعُها ، [٤] فيما يزعمون ، الحبابُ وحِسْمَى ، كل ذلك ترعى مع وادى الحِجر ، فكبر ذلك عليهم ، فعتوا عن أمر ربهم ، وأجمعوا فى عقر الناقة رأيَهم .

= وكانت امرأة من ثمودَ يقال لها : « عنيزة بنت غنم بن مجلز » ، تكنى بأم غنم ، وهى من بنى عبيد بن المهل ، أخى رُميل بن المهل ، [٥] وكانت امرأةَ ذؤاب ابن عمرو ، وكانت عجوزاً مسنة ، وكانت ذات بناتٍ حسان ، وكانت ذات مال من إبلٍ وبقر وغنم = وامرأة أخرى يقال لها : « صدوف بنت المحيا بن دهر بن المحيا » ، [٦] سيد بنى عبيد وصاحب أوثانهم فى الزمن الأول ، وكان الوادى يقال

---

(١) فى المطبوعة : « تفسح » ، والصواب ما أثبت ، « تفشجت الناقة » (بالجيم) ، تفاجت ، وذلك أن تباعد بين رجليها ، ومثله « تفشحت » بالحاء المهملة .

(٢) « تفحجت » ، باعدت بين رجليها .

(٣) فى المطبوعة : « بظهر الوادى » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « الظهر » ما غلظ وارتفع من الوادى . و « البطن » ، ما لان وسهل ورق واطمأن .

(٤) فى المطبوعة : « مراتعها » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « دميل » ، وفى المخطوطة ما أثبته ظاهر « الراء » . وقد مضى آنفاً فى أنساب هذا الخبر « الدميل » ، فلا أدرى أهما واحد ، أم هما اسمان مختلفان .

(٦) فى المطبوعة : « بنت المحيا بن زهير » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وفى قصص الأنبياء : « مهر » .

له : « وادى المحيا »، وهو المحيَّا الأكبر ، جد المحيَّا الأصغر أبى صدوف = وكانت « صدوف » من أحسن الناس، وكانت غنيَّة ، ذات مالٍ من إبل وغنم وبقر = وكانتا من أشدّ امرأتين فى ثمود عداوةً لصالح ، وأعظمِه به كفراً ،[١] وكانتا تَحْتالان أن تُعْقَر الناقة مع كفرهما به،[٢] لما أضرّت به من مواشيهما. وكانت صدوف عند ابن خالٍ لها يقال له : « صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف » ، من بنى هليل ، فأسلم فحسن إسلامه ، وكانت صدوفُ قد فوَّضت إليه مالها ، فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح ، حتى رَقّ المال . فاطّلعت على ذلك من إسلامه صدوفُ ، فعاتبته على ذلك ، فأظهر لها دينه ، ودعاها إلى الله وإلى الإسلام ، فأبت عليه وبيَّتتْ له ،[٣] فأخذت بنيه وبناته منه فغيّبتهم فى بنى عبيد بطنِها الذى هى منه . وكان صنتم زوجُها من بنى هليل ، وكان ابنَ خالها ، فقال لها : ردّى علىّ ولدى ! فقالت : حتى أنافِرك إلى بنى صنعان بن عبيد ، أو إلى بنى جندع بن عبيد ! فقال لها صنتم : بل أنافرك إلى بنى مرداس بن عبيد ![٤] وذلك أن بنى مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا فى الإسلام ، وأبطأ عنه الآخرون . فقالت : لا أنافرك إلاّ إلى من دعوتك إليه ! فقال بنو مرداس : والله لتعطِنَّه ولده

(١) فى المطبوعة : « وأعظمهم به كفراً » ، كأنه استنكر ما فى المخطوطة ، وهو صريح العربية : أن يعاد الضمير بعد أفعل التفضيل بالإفراد والتذكير ، مثل ما جاء فى حديث نساء قريش : « خير نساء ركبن الإبل صوالح قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » ، وكما قال ذو الرمة :

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيداً وَسَالِفَةً ، وَأَحْسَنُهُ قَذَالاَ

وقد مضى ذكر ذلك فى الأجزاء السالفة ٥ : ٤٤٨ ، تعليق : ٢ وص : ٥٥٧ ، تعليق : ٦/١ : ٣٩٥ ، تعليق : ٧/١ : ٨٧ ، تعليق : ٤ .

(٢) فى المطبوعة : « وكانتا تحبان أن تعقر . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى قصص القرآن للثعلبى .

(٣) فى المطبوعة : « وسبت ولده » ، وهو عبث محض ، وفى المخطوطة : « وسب له » غير منقوطة ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت . « بيتت له » : فكرت فى الأمر وخمرته ودبرته ليلا .

(٤) فى المطبوعة : « بل أنا أقول إلى بنى مرداس » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لسوء كتابتها ، فأتى بكلام غث .

طائعةً أو كارهة ! فلما رأت ذلك أعطته إياهم .

=ثم إن صدوف وُعنيزة مَحَلَتا فى عقر الناقة،[1] للشقاء الذى نزل. فدعت صدوف رجلاً من ثمود يقال له: «الحباب»، لعقر الناقة، وعرضت عليه نفسها بذلك إن هو فعل، فأبىَ عليها . فدعت ابن عم لها يقال له : « مصدع بنِ مهرج بن المحيَّا » ، وجعلت له نفسها ، على أن يعقر الناقة ، وكانت من أحسن الناسِ ، وكانت غنية كثيرة المال ، فأجابها إلى ذلك .

=ودعت عنيزة بنت غنم، « قدارَ بن سالف بن جندع »، رجلاً من أهل قُرْح. وكان قُدار رجلاً أحمرَ أزرقَ قصيراً ، يزعمون أنه كان لزَنْيَةٍ، من رجل يقال له: « صهياد » ، ولم يكن لأبيه « سالف » الذى يدعى إليه ، ولكنه قد ولد على فراش « سالف » ، وكان يدعى له وينسب إليه . فقالت : أعطيتك أىَّ بناتى شئتَ على أن تعقر الناقة ! وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود ، وكان زوجها ذؤاب ابن عمرو ، من أشراف رجال ثمود . وكان قدار عزيزاً منيعاً فى قومه . فانطلق ١٦١/٨ قدار بن سالف ، ومصدع بن مهرج ، فاستنفرَا غُواةً من ثمود ، فاتّبعهما سبعة نفر ، فكانوا تسعة نفر ، أحدُ النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له : « هويل بن ميلغ » ، خال قدار بن سالف، أخو أمّه لأبيها وأمها ، ، وكان عزيزاً من أهل حجر = و « دعير بن غنم بن داعر » ، وهو من بنى خلاوة بن المهل = و « دأب بن مهرج » ، أخو مصدع بن مهرج ، وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم . . . .[2] فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، وقد كمن لها قُدار فى أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع فى أصل أخرى . فمرت على مصدع فرماها بسهم ، فانتظَم به

---

(١) فى المطبوعة : « تحيلا فى عقر الناقة » ، وهو كلام هالك ، والصواب ما فى المخطوطة ولكن الناشر لم يعرف معناه . « محل به » : كاده ، واحتال فى المكر به حتى يوقعه فى الهلكة .

(٢) مكان النقط بياض فى المخطوطة إلى آخر السطر ، وفى الهامش حرف (ط) ، دلالة على الشك والخطأ .

عضَلةَ ساقها . وخرجت أم غنم عنيزة ، وأمرت ابنتها ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، فأسفرت لقدار وأرته إياه ،[١] ثم ذمَّرته ،[٢] فشدّ على الناقة بالسيف فخشَفَ عُرْقوبها ،[٣] فخرَّت ورغت رَغَاةً واحدة تحذّرُ سَقْبها ،[٤] ثم طعن فى لبَّتها فنحرّها ، وانطلق سقبها حتى أتى جبلاً مُنيفاً ،[٥] ثم أتى صخرة فى رأس الجبل فزعاً ولاذ بها[٦]= واسم الجبل فيما يزعمون « صنو » ،[٧]= فأتاهم صالح ، فلما رأى الناقة قد عقرت ،[٨] ثم قال : انتهكتم حرمة الله ، فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته ! فاتّبع السقبَ أربعةُ نفر من التّسعة الذين عقرُوا الناقة ، وفيهم « مصدع بن مهرج » ، فرماه مصدع بسهم ، فانتظَم قلبَه ، ثم جرَّ برجله فأنزله ، ثم ألقوا لحمَه مع لحم أمه .

=فلما قال لهم صالح : « أبشروا بعذاب الله ونقمته » ، قالوا له وهم يهزأون به : ومتى ذلك يا صالح ؟ وما آية ذلك ؟ = وكانوا يسمون الأيام فيهم : الأحد « أول » والاثنين « أهون » ، والثلاثاء « دبار » ، والأربعاء « جبار » ، والخميس « مؤنس » ، والجمعة « العروبة » ، والسبت « شيار » ، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء = فقال لهم صالح حين قالوا ذلك : تصبحون غداة يوم مؤنس ، يعنى يوم الخميس ،

---

(١) فى المطبوعة : « فأسفرت عنه » بالزيادة وليست فى المخطوطة ، ولا ضرورة لها .

(٢) « ذمرته » : شجعته وحثته وحرضته .

(٣) فى المطبوعة : « فكشف عرقوبها » ، وأثبت ما فى المخطوطة : « خشف رأسه بالحجر » ، شدخه . وكل ما شدخ ، فقد خشف . وقيل : « سيف خاشف ، وخشيف ، وخشوف » ، ماض . و « فحسف » ، هكذا غير منقوطة فى المخطوطة .

(٤) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « رغاة واحدة » ، ولم تذكره كتب اللغة ، بل قالوا : المرة الواحدة من « الرغاء » « رغوة » ، والذى فى الطبرى جائز مثله فى العربية .

(٥) فى المطبوعة : « منيعا » ، وأثبت ما فى المخطوطة . « والمنيف » العالى .

(٦) فى المطبوعة : « فرغا ولاذ بها » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، وأرجح أن صواب قراءتها هنا ما أثبت

(٧) فى المطبوعة : « صور » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كنت فى شك منه .

(٨) فى المطبوعة ، حذف « ثم » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

ووجوهكم مصفرّة ، ثم تصبحون يوم العروبة ، يعنى يوم الجمعة ، ووجوهكم محمرّة ، ثم تصبحون يوم شيار ، يعنى يوم السبت ، ووجوهكم مسودّة ، ثم يصبحكم العذاب يوم الأول ، يعنى يوم الأحد . فلما قال لهم صالح ذلك ، قال التسعة الذين عقروا الناقة : هلمّ فلنقتل صالحاً ،[١] إن كان صادقاً عجّلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً يكون قد ألحقناه بناقته ! فأتوه ليلاً ليبيّتوه فى أهله ، فدمَغَتهم الملائكة بالحجارة . فلما أبطأوا على أصحابهم ، أتوا منزلَ صالح فوجدوهم مشدّخين قد رُضِخوا بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ! ثم همُّوا به ، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاحَ وقالوا لهم : والله لا تقتلونه أبداً ، فقد وعدكم أنّ العذاب نازل بكم فى ثلاث ، فإن كان صادقاً لم تزيدوا ربّكم عليكم إلا غضباً ، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون ! فانصرفوا عنهم ليلتَهم تلك ، والنفر الذين رَضَختهم الملائكة بالحجارة ، التسعةُ الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى : ﴿وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ إلى قوله : ﴿لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ، [سورة النمل : ٤٨ - ٥٢] .

=فأصبحوا من تلك الليلة التى انصرفوا فيها عن صالح ، وجوههم مصفرّة ، فأيقنوا بالعذاب ، وعرفوا أن صالحاً قد صدَقهم ، فطلبوه ليقتلوه . وخرج صالح هارباً منهم ، حتى لجأ إلى بطن من ثمود يقال لهم : « بنو غنم » ، فنزل على سيّدهم رجلٍ منهم يقال له : « نفيل » ، يكنى بأبى هدب ، وهو مشرك ، فغيّبه ، فلم يقدروا عليه . فغدوا على أصحاب صالح فعذّبوهم ليدلُّوهم عليه ، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له « ميدع بن هرم » : يانبى الله ، إنهم ليعذبوننا لندلُّهم عليك ، أفتدلُّهم عليك ! قال : نعم ؟ فدلهم عليه « ميدع بن هرم » ، فلما علموا بمكان صالح ، أتوا أبا هُدْب فكلموه ، فقال لهم : عندى صالح ، وليس لكم إليه سبيل ! فأعرضوا عنه وتركوه ، وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه . فجعل

---

(١) فى المطبوعة : « هلموا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

بعضهم يخبر بعضاً بما يرون فى وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس ، وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرَّة ، ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمَّرة ، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودّة ، حتى إذا كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشأم ، فنزل رملة فلسطين ، وتخلّف رجل من أصحابه يقال له : « ميدع بن هرم» ، فنزل قُرْح = وهى وادى القرى ، وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلاً = فنزل على سيِّدِهم رجلٍ يقال له: « عمرو بن غنم »، وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يَشْرَكْ فى قتلها ، فقال له ميدع بن هرم : يا عمرو بن غنم ، اخرج من هذا البلد ، فإن صالحاً قال : « من أقام فيه هلك ، ومن خرج منه نجا » ، فقال عمرو : ما شرِكت فى عَقْرها ، وما رضيت ما صُنع بها ! فلما كانت صبيحة الأحد، أخذتهم الصيحة، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلاّ هلك، إلا جارية مقعدة يقال لها : « الزُّرَيْعَة » ، وهى الكلبة ابنة السِّلق ،[1] كانت كافرة شديدةَ العداوة لصالح ، فأطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذابَ أجمعَ ، فخرجت كأسرع ما يُرَى شىءٌ قط ، حتى أتت أهل قُرْحٍ فأخبرتهم بما عاينتْ من العذاب وما أصاب ثمود منه ،[2] ثم استسقت من الماء فسُقِيت ، فلما شربت ماتت .

١٦٢/٨

١٤٨١٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ، أخبرنى من سمع الحسن يقول : لما عقرت ثمود الناقة ، ذهبَ فصيلها حتى صعد تلاًّ فقال : يا رب ، أين أمى ؟ ثم رغا رَغوةً ، فنزلت الصيحةُ فأخمدتهم .

---

(١) فى المطبوعة : « الذريعة ، وهى كليبة ابنة السلق » ، وفى المخطوطة « الذريعة وهى الكلبة ابنة السلق » ، وقرأتها كما أثبتها . و « السلق » ، الذئب ، ويزعمون أن الذئب يستولد الكلبة ، وأن ولدها منها يقال له « الديسم » ، ويقال للكلاب « أولاد زارع » ، فرجحت أن صواب قراءتها « الزريعة » بالتصغير ، وأن الذى بعدها تفسير لها ، كما هو ظاهر .

و « السلق » (بكسر السين ، وسكون اللام) .

(٢) فى المطبوعة : « حتى أتت حيا من الأحياء ، فأخبرتهم » ، غير ما فى المخطوطة ، مع أن الصواب هو الذى فيها . و « قرح » سوق وادى القرى ، كما مر آنفاً .

١٤٨١٥ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن، بنحوه = إلا أنه قال : أصعد تلاً .

١٤٨١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : أن صالحاً قال لهم حين عقروا الناقة : تمتَّعوا ثلاثة أيام ! وقال لهم : آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرَّة، ثم تصبح اليومَ الثانى محمرَّة ، ثم تصبح اليوم الثالث مسودَّة ، فأصبحت كذلك . فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك، تكفَّنوا وتحنَّطوا، ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم = قال قتادة : قال عاقر الناقة لهم : لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين ! فجعلوا يدخلون على المرأة فى حِجْرها فيقولون: (١)أترضين ؟ فتقول : نعم ! = والصبيّ ، حتى رضوا أجمعين ، فعقرها .

١٤٨١٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال: لما مرّ النبى صلى الله عليه وسلم بالحِجر، قال : لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قومُ صالح ، فكانت ترد من هذا الفجّ ،(٢) وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم ، فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ، ويشربون لبنها يوماً . فعقروها ، فأخذتهم الصيحة : أهمد الله مَنْ تحت أديم السماء منهم، إلاّ رجلاً واحداً كان فى حرَم الله ، قيل : من هو ؟ قال : أبو رِغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه .(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « فى خدرها » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « الحجر » (بكسر الحاء وفتحها ، وسكون الجيم) : الستر والحفظ ، يعنى حيث تستتر . ولو قرىء : « فى حجرها » جمع « حجرة » ، وهو البيت لكان حسناً جداً .

(٢) قوله : « وكانت ترد . . . » ، يعنى الناقة .

(٣) الأثر : ١٤٨١٧ — « عبد الله بن عثمان بن خثيم » القارئ ، تابعى ثقة . مضى برقم : ٤٣٤١ ، ٥٣٨٨ ، ٧٨٣١ ، ٩٦٤٢ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى المسند ٣ : ٢٩٦، من هذه الطريق نفسها بلفظه .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٠٥ ، وفى البداية والنهاية ١ : ١٣٧ ، وقال : « وهذا

١٤٨١٨ — .... قال عبد الرزاق ، قال معمر ، وأخبرنى إسمعيل بن أمية : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبر أبى رِغال ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : هذا قبر أبى رِغال ؟ قالوا : فمن أبو رِغال ؟ قال : رجل من ثمود ، كان فى حرم الله ، فمنعه حرم الله عذابَ الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن ههنا ، ودفن معه غصن من ذهب ! فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم ، فبحثوا عليه ، فاستخرجوا الغصن .(١)

١٤٨١٩ — ... قال عبد الرزاق ، قال معمر ، قال الزهرى : أبو رِغال ، أبو ثقيف .

١٤٨٢٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن جابر قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر = ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : قالوا : من هو يا رسول

الحديث على شرط مسلم ، وهو ليس فى شىء من الكتب الستة » .

وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦ : ٢٧٠) ، وقال : « وروى أحمد والحاكم بإسناد حسن ، عن جابر » ، وذكر الخبر .

وسيأتى بإسناد آخر رقم : ١٤٨٢٠ .

(١) الأثر : ١٤٨١٨ — هذا خبر مرسل .

« إسماعيل بن أمية الأموى » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٦١٥ ، ٨٤٥٨ .

وهذا الخبر رواه أبو داود فى سننه ٣ : ٢٤٥ رقم : ٣٠٨٨ ، موصولا من حديث محمد ابن إسحق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبى بجير ، قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول ، حين خرجنا إلى الطائف ، فمررنا بقبر » .

وذكر ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٠٨ ، والبداية ١ : ١٣٧ ، حديث أبى داود هذا ، ثم قال : « هكذا رواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، به . قال شيخنا أبو الحجاج المزى : وهو حديث حسن عزيز . قلت : تفرد بوصله بجير بن أبى بجير هذا ، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث . قال يحيى بن معين : ولم أسمع أحداً روى عنه غير إسماعيل بن أمية . قلت [القائل ابن كثير] : وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم فى رفع هذا الحديث ، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو مما أخذه من الزاملتين . قال شيخنا أبو الحجاج ، بعد أن عرضت عليه ذلك : وهذا متحمل ، والله أعلم » .

وسيأتى بإسناد آخر رقم : ١٤٨٢٣ .

الله ؟ قال : أبو رِغال .[١]

١٤٨٢١ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبي ، عن قتادة قال : كان يقال إنّ أحمرَ ثمود الذى عقر الناقة كان ولد زَنْية .

١٤٨٢٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحق قال ، قال أبو موسى : أتيت أرض ثمود ، فذرعت مَصْدرَ الناقة ، فوجدته ستين ذراعاً .

١٤٨٢٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وأخبرنى إسمعيل بن أمية بنحو هذا = يعنى بنحو حديث عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، عن جابر = قال : ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رِغال ، قالوا : ومن أبو رِغال ؟ قال : أبو ثقيف ، كان فى الحرم لما أهلك الله قومه ، منعه حرم الله من عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن ههنا ، ودفن معه غصن من ذهب . قال : فابتدره القوم يبحثون عنه ، حتى استخرجوا ذلك الغصن .

= وقال الحسن : كان للناقة يوم ولهم يومٌ، فأضرّ بهم .[٢]

١٤٨٢٣ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن الزهرى قال : لما مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، أنْ يصيبكم مثل الذى أصابهم ! ثم قال : هذا وادى النَّفَر ![٣] ثم قَنَّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادى .[٤] ١٦٣/٨

* * *

(١) الأثر : ١٤٨٢٠ — هذا إسناد آخر للخبر السالف رقم : ١٤٨١٧

(٢) الأثر : ١٤٨٢٢ — هذا إسناد آخر للأثر رقم : ١٤٨١٨ .
وأما كلمة الحسن البصرى الأخيرة ، فلا أدرى من قائلها .

(٣) « وادى النفر » ، كأنه يعنى التسعة من ثمود الذين كانوا يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، واللذين اجتمعوا على قتل صالح عليه السلام ، فدمر الله عليهم .

(٤) الأثر : ١٤٨٢٣ — حديث الزهرى هذا ، رواه البخارى فى مواضع من صحيحه (الفتح

وأما قوله : « ولا تمسوها بسوء » ، فإنه يقول : ولا تمسوا ناقة الله بعقرٍ ولا نحر[1] = « فيأخذكم عذابٌ أليم » ، يعنى : موجع .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل صالح لقومه ، واعظاً لهم : واذكروا، أيها القوم ، نعمة الله عليكم = « إذ جعلكم خلفاء » ، يقول : تخلفون عاداً فى الأرض بعد هلاكها .

* * *

« وخلفاء » جمع « خليفة » . وإنما جمع « خليفة » « خلفاء » ، و « فُعلاء »

٦ : ٢٧٠) من طريق محمد بن مقاتل ، عن عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن عمر = ثم رواه بعد من طريق يونس ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر . ثم رواه (الفتح ٨ : ٩٥) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر .

ورواه مسلم فى صحيحه ١٨ : ١١١ ، من طريق يونس ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر .

وليس فى روايتهما ذكر « وادى النفر » .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « ثم رفع رأسه » ، وهو تحريف بلا شك ، والصواب ما أثبت من رواية البخارى (الفتح ٨ : ٩٥) . و « قنع رأسه » ، غطاها بالقناع . وفى رواية البخارى الأخرى (الفتح ٦ : ٢٧٠) : « ثم تقنع بردائه وهو على الرحل » .

وقوله : « أجاز الوادى » ، أى قطعه وخلفه وراءه .

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف : ١١ : ٣٧٠ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

إنما هى جمع « فعيل »، كما « الشركاء » جمع « شريك »، و« العلماء » جمع « عليم »، « والحلماء »، جمع « حليم »، لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل، فكأن واحدهم « خليف » ثم جمع « خلفاء »، فأما لو جمعت « الخليفة »، على أنها نظيرة « كريمة » و « حليلة » و « رغيبة »، قيل « خلائف »، كما يقال : « كرائم » و « حلائل » و « رغائب »، إذ كانت من صفات الإناث . وإنما جمعت « الخليفة » على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن، لأنها جمعت مرّة على لفظها، ومرة على معناها.[1]

* * *

وأما قوله : « وبوأكم فى الأرض »، فإنه يقول : وأنزلكم فى الأرض، وجعل لكم فيها مساكن وأزواجاً،[2] = « تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً »، ذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن، كما :—

١٤٨٢٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « وتنحتون الجبال بيوتاً »، كانوا ينقبون فى الجبال البيوت.

* * *

وقوله : « فاذكروا آلاء الله »، يقول : فاذكروا نعمة الله التى أنعم بها عليكم[3] = « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك ما :—

١٤٨٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد،

---

(١) انظر تفسير « خليفة » فيما سلف ١ : ٤٤٩ – ٤٥٣/١٢ : ٢٨٨، ٥٠٥ وقد استوفى هنا مالم يذكره هناك .

(٢) انظر تفسير « بوأ » فيما سلف ص ٤ : ١٦٤ .

(٣) انظر تفسير « الآلاء » فيما سلف ص : ٥٠٦ .

وكان فى المطبوعة : « التى أنعمها »، وأثبت ما فى المخطوطة، ولا أدرى لم تصرف الناشر فى مثل هذا !!

عن قتادة قوله : « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » ، يقول : لا تسيروا فى الأرض مفسدين .

* * *

وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «قال الملأ الذين استكبروا من قومه » ، قال : الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والإيمان بالله وبه[2]= « للذين استضعفوا » ، يعنى : لأهل المسكنة من تبّاع صالح والمؤمنين به منهم ، دون ذوى شرفهم وأهل السُّؤدد منهم = « أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه » ، أرسله الله إلينا وإليكم ، قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم : إنا بما أرسل الله به صالحاً من الحقّ والهدى مؤمنون ، يقول : مصدّقون مقرّون أنه من عند الله ، وأن الله أمر به ، وعن أمر الله دعانا صالح إليه = « قال الذين استكبروا » ، عن أمر الله وأمر رسوله صالحٌ — « إنا » ، أيها القوم ، « بالذى

---

(١) انظر تفسير « عثا » فيما سلف ٢ : ١٢٣ ، ٥/١٢٤ : ٤٩٩ .
= وتفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف: ٤٨٧ ، تعليق:١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ٥ : ١٢/٢٩١ : ٤٩٩ ، ٥٠٣ .
= وتفسير « الاستكبار » فيما سلف : ١١ : ٥٤٠ /١٢ : ٤٢١ ، ٤٦٧ .

آمنتم به » ، يقول : صدقتم به من نبوّة صالح ، وأن الذى جاء به حق من عند الله = « كافرون » ، يقول : جاحدون منكرون ، لا نصدّق به ولا نقرّ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فعقرت ثمودُ الناقةَ التى جعلها الله لهم آية = « وعتوا عن أمر ربهم » ، يقول : تكبروا وتجبروا عن اتباع الله ، واستعلوا عن الحق ، كما :ــ

١٤٨٢٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وعتوا » ، علوا عن الحق ، لا يبصرون .(١)

١٤٨٢٧ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « عتوا عن أمر ربهم » ، علوا فى الباطل .

١٤٨٢٨ ــ حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد فى قوله : « وعتوا عن أمر ربهم » ، قال : عتوا فى الباطل وتركوا الحق .

١٤٨٢٩ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وعتوا عن أمر ربهم » ، قال : علوا فى الباطل .

* * *

وهو من قولهم : « جبّار عاتٍ »، إذا كان عالياً فى تجبُّره .

* * *

= « وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدُنا »،يقول : قالوا: جئنا، يا صالح، بما تعدنا ١٦٤/٨

(١) فى المطبوعة : « لا يبصرونه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

من عذاب الله ونقمته ، استعجالاً منهم للعذاب = « إن كنت من المرسلين » ، يقول : إن كنت لله رسولاً إلينا ، فإن الله ينصر رسله على أعدائه ، فعجِّل ذلك لهم كما استعجلوه، يقول جل ثناؤه : « فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين».

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأخذت الذين عقروا الناقةَ من ثمود = « الرجفة » ، وهى الصيحة .

* * *

و« الرجفة » ، «الفعلة »من قول القائل: « رجَف بفلان كذا يرجُفُ رجْفًا » ، وذلك إذا حرّكه وزعزعه ، كما قال الأخطل :

إمَّا تَرَيْنِي حَنَانِى الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ ... كَالنَّسْرِ أَرْجُفُ،وَالإِنْسَانُ مَهْدُودُ[1]

* * *

(١) ديوانه : ١٤٦ من قصيدة له جيدة ، قالها فى يزيد بن معاوية ، وذكر فيها الشباب ذكراً عجباً ، وقد رأى إعراض الغوانى عنه من أجله ، يقول بعده :

وَقَدْ يَكُونُ الصَّبِىَ مِنِّى بِمَنْزِلَةٍ ... يَوْماً ، وتَقْتَادُنِى الهِيفُ الرَّعَادِيدُ

يَا قَلَّ خَيْرُ الغَوَانِى، كيف رُغْنَ بِهِ ... فَشُرْبُهُ وَشَلٌ فِيهِنَّ تَصْرِيدُ

أَعْرَضْنَ مِنْ شَمَطٍ فى الرَّأْسِ لَاحَ بهِ ... فَهُنَّ مِنْهُ ، إذا أَبْصَرْنَهُ ، حِيدُ

قَدْ كُنَّ يَعْهَدْنَ مِنِّى مَضْحَكاً حَسَناً ... وَمَفْرِقاً حَسَرَتْ عَنْهُ العَنَاقِيدُ

فَهُنَّ يَشْدُونَ مِنِّى بَعْضَ مَعْرِفَةٍ ، ... وَهُنَّ بالوُدِّ ، لاَ بُخْلٌ ولا جُودُ

قَدْ كَانَ عَهْدِى جَدِيداً، فَاسْتُبِدَّ بِهِ، ... وَالعَهْدُ مُتَّبَعٌ مَا فِيه ، مَنْشُودُ

يَقُلْنَ : لاَ أَنْتَ بَعْلٌ يُسْتَقَادُ لَهُ، ... وَلاَ الشَّبَابُ الَّذِى قَدْ فَاتَ مَرْدُودُ

وإنما عنى بـ « الرجفة »، ههنا الصيحة التى زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة ، فيما ذكر أهل العلم .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٣٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « الرجفة »، قال : الصيحة.

١٤٨٣١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٨٣٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فأخذتهم الرجفة » ، وهى الصيحة .

١٤٨٣٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « فأخذتهم الرجفة » ، قال : الصيحة .

* * *

وقوله : « فأصبحوا فى دارهم جاثمين » ، يقول : فأصبح الذين أهلك الله من ثمود = « فى دارهم » ، يعنى فى أرضهم التى هلكوا فيها وبلدتهم .

* * *

ولذلك وحَّد « الدار » ولم يجمعها فيقول : « فى دورهم » = وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور، ولكن وجَّه بالواحدة إلى الجميع ، كما قيل : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [سورة العصر : ١، ٢] .

* * *

هَلْ لِلشَّبَابِ الذى قَدْ فاتَ مَرْدُودُ ؟ ... أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ ؟
لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شُبَّانًا، وَلَنْ يَجِدُوا ... عِدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ ، مَا أَوْرَقَ العُودُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَمَحْمُودٌ بَشَاشَتُهُ ... والشَّيْبُ مُنْصَرِفٌ عَنْهُ ومَصْدُودُ

وهى أبيات ملئت عاطفة وحزناً وحسرة ، فاحفظها .

وقوله : « جاثمين » يعني : سقوطاً صرعَى لا يتحركون ، لأنهم لا أرواح فيهم ، قد هلكوا . والعرب تقول للبارك على الركبة : « جاثم » ، ومنه قول جرير :

عَرَفْتُ الْمُنْتَأَى ، وَعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا الْقِدْرِ كَالْحِدَإِ الْجُثُومِ [(1)]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٣٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فأصبحوا فى دارهم جاثمين » ، قال : ميتين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله ، خارجاً عن أرضهم من بين أظهرهم ، [(2)] لأن الله تعالى ذكره أوحَى إليه : إنِّى مهلكهم بعد ثالثة . [(3)]

---

(١) ديوانه : ٥٠٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢١٨ ، من قصيدته فى هشام بن عبد الملك ، مضى منها بيت فيما سلف ١ : ١٧٠ .

يقول قبله :

وَقَفْتُ عَلَى الدِّيَارِ ، وَمَا ذَكَرْنَا كَدَارٍ بَيْنَ تَلْعَةَ وَالنَّظِيمِ

و « المنتأى » ، حفير النؤى حول البيت . و « مطايا القدر » ، أثافيها ، تركبها القدر فهى لها مطية . وجعلها كالحدإ الجثوم ، لسوادها من سخام النار .

وكان فى المخطوطة : « عرفت الصاى » ، غير منقوطة ، وخطأ ، صوابه ما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « بعد ثلاثة » ، والصواب المحض ما أثبت من المخطوطة .

وقيل : إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرُها .[١]

فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم ، فقال : « فتولى عنهم » صالح = وقال لقومه ثمود = « لقد أبلغتكم رسالة ربى » ، وأدّيت إليكم ما أمرنى بأدائه إليكم ربّى من أمره ونهيه[٢] = « ونصحت لكم » ، فى أدائى رسالة الله إليكم ، فى تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان = « ولكن لا تحبون الناصحين » ، لكم فى الله ، الناهين لكم عن اتباع أهوائكم ، الصادّين لكم عن شهوات أنفسكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا لوطاً .

* * *

ولو قيل: معناه: واذكر لوطاً ، يا محمد ، « إذ قال لقومه » = إذ لم يكن فى الكلام صلة « الرسالة » ، كما كان فى ذكر عاد وثمود = كان مذهباً .

* * *

وقوله : « إذ قال لقومه » ، يقول : حين قال لقومه من سَدُوم ، وإليهم كان أرسل لوط = « أتأتون الفاحشة » ، وكانت فاحشتهم التى كانوا يأتونها ، التى عاقبهم الله عليها ، إتيان الذكور[٣] = « ما سبقكم بها من أحد من العالمين » ، يقول : ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين ، وذلك كالذى : ــ

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٥ .
(٢) انظر تفسير « الإبلاغ » فيما سلف : ١٠ : ٥٧٥/١١ : ٩٥/١٢ : ٥٠٤ .
(٣) انظر تفسير « الفاحشة » فيما سلف : ص : ٤٠٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٤٨٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسمعيل بن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن عمرو بن دينار قوله : « ما سبقكم بها أحد من العالمين » ، قال : ما رُؤى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط .

١٦٥/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه ، توبيخاً منه لهم على فعلهم : إنكم ،أيها القوم ، لتأتون الرجال فى أدبارهم ، شهوة منكم لذلك،من دون الذى أباحه الله لكم وأحلَّه من النساء = « بل أنتم قوم مسرفون » ، يقول : إنكم لقوم تأتون ما حرَّم الله عليكم ، وتعصونه بفعلكم هذا .

* * *

وذلك هو « الإسراف » ، فى هذا الموضع .[1]

* * *

و « الشهوة» ، « الفَعْلة » ، وهى مصدر من قول القائل : « شَهِيتُ هذا الشىء أشهاه شهوة » ، ومن ذلك قول الشاعر :[2]

وَأَشْعَثَ يَشْهَى النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ: ارْتَحِلْ! ... إذَا مَا النُّجُومُ أَعْرَضَتْ وَاسْبَطَرَّتِ[3]

فَقَامَ يَجُرُّ البُرْدَ ، لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ ... يُقَالُ لَهُ: خُذْهَا بِكَفَّيْكَ! اخَرَّتِ[4]

---

(١) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف : ص: ٣٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) البيت الأول فى اللسان (شهى) ، ورواية اللسان : « واسْبَكَرَّتْ » .

وقوله : « وأشعث » ، يعنى رفيقه فى السفر ، طال عليه السفر ، فاغبر رأسه ، وتفرق شعره من ترك الأدهان . و « اسبطرت النجوم » ، امتدت واستقامت وأسرعت فى مسبحها . و « اسبكرت » ، مثلها .

(٤) « خرت » ، أى سقطت وتقوضت وهوت ، وكان فى المطبوعة : « جرت » بالجيم ، وهو خطأ صرف .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما كان جواب قوم لُوط للوط ، إذ وبّخهم على فعلهم القبيح ، وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث ، إلا أن قال بعضهم لبعض : أخرجوا لوطاً وأهله = ولذلك قيل : « أخرجوهم » ، فجمع ، وقد جرى قبل ذكر « لوط » وحده دون غيره .

* * *

وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى : أخرجوا لوطاً ومن كان على دينه من قريتكم = فاكتفى بذكر « لوط » فى أول الكلام عن ذكر أتباعه ، ثم جمع فى آخر الكلام كما قيل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾، [سورة الطلاق : ١] .

* * *

وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

= « إنهم أناس يتطهرون » ، يقول : إن لوطاً ومن تبعه ، أناس يتنزهون عما نفعله نحنُ من إتيان الرجال فى الأدبار .(٢)

* * *

وهذا البيت الثانى ، ورد مثله فى شعر الأخطل ، قال :

وَأَبْيَضَ لاَ نِكْسٍ وَلاَ وَاهِنِ القُوَى ... سَقَيْنَا ، إِذَا أُولَى العَصَافِيرِ صَرَّتِ

حَبَسْتُ عَلَيْهِ الكَأْسَ غَيْرَ بَطِيئَةٍ ... مِنَ اللَّيْلِ ، حَتَّى هَرَّهَا وَأَهَرَّتِ

فَقَامَ يَجُرُّ البُرْدَ ، لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ ... بِكَفَّيْهِ مِنْ رَدِّ الحُمَيَّا لَخَرَّتِ

وَأَدْبَرَ ، لَوْ قِيلَ: أَتَّقِ السَّيْفَ !لَمْ تَخَلْ ... ذُؤَابَتُهُ مِنْ خَشْيَةٍ إِقْشَعَرَّتِ

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٥ — ٤٨٧ ، وغيرها .

(٢) انظر تفسير « التطهر » فيما سلف ١٠ : ٣١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا هانئ بن سعيد النخعى ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : من أدبار الرجال وأدبار النساء . [1]

١٤٨٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن مجاهد : « إنهم أناس يتطهرون » ، من أدبار الرجال وأدبار النساء .

١٤٨٣٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : يتطهرون من أدبار الرجال والنساء .

١٤٨٣٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : من أدبار الرجال ومن أدبار النساء .

١٤٨٤٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : يتحرَّجون .

١٤٨٤١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنهم أناس يتطهرون » ، يقول : عابوهم بغير عَيْب ، وذمُّوهم بغير ذَمّ .

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٨٣٦ — « هانئ بن سعيد النخعى » ، صالح الحديث ، مضى برقم : ١٣١٥٩ ، ١٣٩٦٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما أبى قوم لوط = مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة ، وإبلاغه إياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم = إلاّ التمادى فى غيّهم، أنجينا لوطاً وأهله المؤمنين به ، إلاّ امرأته، فإنها كانت للوط خائنة ، وبالله كافرة .

* * *

وقوله : « من الغابرين » ، يقول : من الباقين .

وقيل : « من الغابرين » ، ولم يقل « الغابرات » ، لأنه أريد أنها ممن بقى مع الرجال ، [١] فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قيل : « من الغابرين » . [٢]

* * *

والفعل منه : « غَبَرَ يَغْبُرُ غُبُوراً، وغَبْراً » ، [٣] وذلك إذا بقى ، كما قال الأعشى :

عَضَّ بِمَا أَبْقَى المَوَاسِى لَهُ ... مِنْ أُمَةٍ فِى الزَّمَنِ الغَابِرِ [٤]

وكما قال الآخر : [٥]

---

(١) فى المطبوعة : « لأنه يريد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣) قوله : « وغبرا » ، ضبطته بفتح فسكون ، ولم يرد هذا المصدر فى شىء من كتب اللغة ، اقتصروا على المصدر الأول .

(٤) ديوانه : ١٠٦ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٩ ، من قصيدته التى هجا بها علقمة ، ومدح عامراً ، كما أسلفت فى تخريج أبيات مضت من القصيدة ، وفى المطبوعة ومجاز القرآن « من أمه » ، وأثبت ما فى الديوان ، قال أبو عبيدة ، بعد البيت : « لم يختن فيما مضى ، فبقى من الزمن الغابر ، أى الباقى . ألا ترى أنه قال :

وَكُنَّ قَدْ أَبْقَيْنَ مِنْهَا أَذًى ... عِنْدَ المَلاَقِى وَافِىَ الشَّافِرِ

وهو هجاء لأم علقمة قبيح .

(٥) هو يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى .

وَأَبِى الَّذِى فَتَحَ البِلَادَ بِسَيْفِهِ فَأَذَلَّهَا لِبَنِى أَبَانَ الغَابِرِ [1]

يعنى : الباقى .

* * *

فإن قال قائل : فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذى هلك به قوم لوط ؟

١٦٦/٨ قيل : لا ، بل كانت فيمن هلك .

فإن قال : فكيف قيل : « إلا امرأته كانت من الغابرين » ، وقد قلت إن معنى « الغابر » ، الباقى ؟ فقد وجب أن تكون قد بقيت ؟

قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبتَ إليه ، وإنما عنى بذلك، إلا امرأته

(١) خزانة الأدب ١ : ٥٥ ، وكان يزيد شريفاً عزيزاً ، وأبوه الحكم بن أبى العاصى الثقفى ، أحد أصحاب الفتوح الكثيرة فى فارس وغيرها ، وكذلك عمه عثمان بن أبى العاص صاحب رسول الله ، فدعاه الحجاج بن يوسف الثقفى ، فولاه فارس ، فلما جاء يأخذ عهده ، قال له الحجاج : يا يزيد ، أنشدنى بعض شعرك ، وإنما أراد أن ينشده مديحاً له ، فأنشده قصيدة يفخر فيها ، يقول :

وَأَبِى الَّذِى فَتَحَ البِلادَ بِسَيْفِهِ فَأَذَلَّهـا لِبَـنِى أَبَانَ الغَابِرِ
وأَبِى الَّذِى سَلَبَ ابْنَ كِسْرَى رايةً بيضاءَ تَخْفِقُ كالعُقابِ الكَاسِرِ
وَإِذَا فَخَرْتُ فَخَرْتُ غَيْرَ مُكَذَّبٍ فَخْرًا أَدُقُّ به فَخَارَ الفَاخِرِ

فنهض الحجاج مغضباً ، وخرج يزيد من غير أن يودعه . فأرسل الحجاج حاجبه وراءه يرتجع منه العهد ، ويقول له : أيهما خير لك ، ما ورثك أبوك أم هذا ؟ فقال يزيد : قل له :

وَرِثْتُ جَدِّى مَجْدَهُ وَفَعَالَهُ وَوَرِثْتَ جَدَّكَ أَعْنُزًا بالطائفِ

ثم سار ولحق بسليمان بن عبد الملك وهو ولى العهد ، فضمه إليه وجعله من خاصته .
وروى صاحب الخزانة : « لبنى الزمان الغابر » ، وأما رواية أبى جعفر « لبنى أبان » ، فإنه يعنى عشيرته ورهطه ، فإن جده هو « أبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان ابن يسار الثقفى » .
وقوله « وأبى الذى سلب ابن كسرى راية » ، يعنى أباه الحكم فى فتح فارس ، وإصطخر سنة ٢٣ من الهجرة . (انظر تاريخ الطبرى ٥ : ٦ / وفتوح البلدان : ٣٩٣ ، ٣٩٤) .

كانت من الباقين قبلَ الهلاك ، والمعمَّرين الذين قد أتى عليهم دهرٌ كبيرٌ ، ومرَّ بهم زمن كثيرٌ ، حتى هرِمت فيمن هرِم من الناس ، فكانت ممن غبرَ الدهرَ الطويلَ قبل هلاك القوم ، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب .

* * *

وقيل : معنى ذلك : من الباقين فى عذاب الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٤٢ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ إِلَّا عَجُوزاً فِى الْغَابِرِينَ ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٧١/سورة الصافات : ١٣٥] ، فى عذاب الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطاً ولم يؤمنوا به ، مطرًا من حجارة من سجّيل أهلكناهم به = « فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » ، يقول جل ثناؤه : فانظر ، يا محمد، إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط ، فاجترموا معاصىَ الله ، وركبوا الفواحش ، واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال ، كيف كانت ؟ وإلى أى شىء صارت ؟ هل كانت إلاّ البوار والهلاك ؟ فإنّ ذلك أو نظيرَه من العقوبة ، عاقبةُ من كذبك واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك إن لم يتوبوا ، من قومك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ولد مدين = و « مدين »، هم ولدُه مديان بن إبراهيم خليل الرحمن ،(١) فيما : —

١٤٨٤٣ — حدثنا به ابن حميد قال،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق .

* * *

فإن كان الأمر كما قال : ف« مدين »، قبيلة كتَميم .

* * *

= وزعم أيضاً ابن إسحق : أن شعيباً الذى ذكر الله أنه أرسله إليهم، من ولد مدين هذا ، وأنه « شعيب بن ميكيل بن يشجر » ، قال : واسمه بالسريانية ، « يثرون » .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام = على ما قاله ابن إسحق : ولقد أرسلنا إلى ولد مدين ، أخاهم شعيب بن ميكيل ، يدعوهم إلى طاعة الله ، والانتهاء إلى أمره ، وترك السعى فى الأرض بالفساد ، والصدّ عن سبيله ، فقال لهم شعيب : يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له ، ما لكم من إله يستوجب عليكم العبادة

---

(١) فى المطبوعة : « مدين بن إبراهيم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى تاريخ الطبرى ١ : ١٥٩ .

(٢) فى المخطوطة : « ىىروب » ، غير منقوطة ، بالباء ، وهذه أسماء لا أستطيع الآن ضبطها ، وانظر تاريخ الطبرى ١ : ١٦٧ ، والبداية والنهاية ١ : ١٨٥ .

غير الإله الذى خلقكم ، وبيده نفعكم وضركم = « قد جاءتكم بينة من ربكم » ، يقول : قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول ، وصدق ما أدعوكم إليه [(١)]= « فأوفوا الكيل والميزان » ، يقول : أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذى تكيلون به ، وبالوزن الذى تزنون به [(٢)]= « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، يقول : ولا تظلموا الناس حقوقهم ، ولا تنقصوهم إياها . [(٣)]

= ومن ذلك قولهم : « تَحْسَبُها حَمْقَاءَ وهى بَاخِسَةٌ » ، [(٤)] بمعنى : ظالمة = ومنه قول الله : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ، [سورة يوسف : ٢٠] ، يعنى به : ردىء .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٤٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، يقول : لا تظلموا الناس أشياءهم .

١٤٨٤٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، قال : لا تظلموا الناس أشياءهم .

* * *

وقوله : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها » ، يقول : ولا تعملوا فى أرض

---

(١) انظر تفسير « بينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .
(٢) انظر تفسير « إيفاء الكيل والميزان » فيما سلف ص ٢٢٤
(٣) انظر تفسير « البخس » فيما سلف ٦ : ٥٦ .
(٤) هذا مثل ، انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٣ ، ٢١٩ ، وأمثال الميدانى ١ : ١٠٨ ، وجمهرة الأمثال : ٦٨ ، واللسان (بخس) ، وروايتهم : « وهى باخس » ، بمعنى : ذات بخس ، على النسب . يضرب المثل لمن يتباله وفيه دهاء . وذلك أن رجلا من بنى العنبر بن عمرو ابن تميم ، جاورته امرأة فحسبها حمقاء ، لا تعقل ، ولا تحفظ مالها . فقال لها : ألا أخلط مالى ومالك ؟ يريد أن يخلط ثم يقاسمها ، فيأخذ الجيد ويدع لها الردىء . فلما فعل وجاء يقاسمها ، نازعته ، فلم يخلص منها حتى افتدى منها بما أرادت . فلما عوتب فى اختداعه المرأة على ضعفها قال : « تحسبها حمقاء وهى باخس » .

الله بمعاصيه ، وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه ، من عبادة غير الله ، والإشراك به ، وبخس الناس فى الكيل والوزن[1] = « بعد إصلاحها » ، يقول بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم ، ينهاكم عما لا يحل لكم ، وما يكرهه الله لكم[2] = « ذلكم خيرلكم » ، يقول : هذا الذى ذكرت لكم وأمرتكم به ، من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن ، وترك الفساد فى الأرض ، خيرٌ لكم فى عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدقيَّ فيما أقول لكم ، وأؤدّى إليكم عن الله من أمره ونهيه .

* * *

١٦٧/٨

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، ولا تجلسوا بكل طريق = وهو « الصراط » = توعدون المؤمنين بالقتل .[3]

* * *

وكانوا ، فيما ذكر ، يقعدون على طريق من قصد شعيباً وأراده ليؤمن به ، فيتوعّدونه ويخوّفونه ، ويقولون : إنه كذاب !

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٤٦ ـــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

(١) انظر تفسير « الإفساد فى الأرض » فيما سلف ص٥٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الإصلاح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .
(٣) انظر تفسير « الصراط » فيما سلف ١ : ١٧٠ – ١٧٧ ، ثم فهارس اللغة (سرط) .

عن قتادة : « بكل صراط توعدون »، قال : كانوا يوعدون من أتى شعيباً وغشيَه فأراد الإسلام .

١٤٨٤٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، و « الصراط » ، الطريق ، يخوِّفون الناس أن يأتوا شعيباً .

١٤٨٤٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله » ، قال : كانوا يجلسون في الطريق ، فيخبرون من أتى عليهم : أن شعيباً عليه السلام كذاب ، فلا يفتنكم عن دينكم .

١٤٨٤٩ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : « بكل صراط »، قال : طريق = « توعدون » ، بكل سبيل حق .[1]

١٤٨٥٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٤٨٥١ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين .

١٤٨٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن السدي : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، قال : العشَّارُون .

١٤٨٥٣ — حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة أو غيره = شك

---

(١) في المطبوعة : حذف « قال : طريق » ، وغير سائر العبارة فكتب : « توعدون كل سبيل حق » ، فأفسد الكلام إفساداً ! ! والصواب من المخطوطة .

أبو جعفر الرازى = قال : أتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسْرِى به على خشبة على الطريق ، لا يمرُّ بها ثوبٌ إلاّ شقته ، ولا شيء إلاّ خرقته ، قال : ما وهذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ! ثم تلا : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون » .[1]

* * *

وهذا الخبر الذى ذكرناه عن أبى هريرة ، يدلّ على أن معناه كان عند أبى هريرة : أن نبي الله شعيباً إنما نهى قومه بقوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، عن قطع الطريق ، وأنهم كانوا قُطَّاع الطريق .

* * *

وقيل : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، ولو قيل فى غير القرآن : « لا تقعدوا فى كلّ صراط » ، كان جائزاً فصيحاً فى الكلام ، وإنما جاز ذلك لأن الطريق ليس بالمكان المعلوم ، فجاز ذلك كما جاز أن يقال : « قعد له بمكان كذا ، وعلى مكان كذا ، وفى مكان كذا » .

* * *

وقال : « توعدون » ، ولم يقل : « تَعِدُون » ، لأن العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد . تقول : « أوعدته » بالألف ، « وتقدّم منى إليه

---

(١) الأثر : ١٤٨٥٣ — هذا مختصر من أثر طويل ، سيرويه أبو جعفر بهذا الإسناد فى تفسير « سورة الإسراء » ١٥ : ٦ (بولاق) ، وسيأتى تخريجه هناك .

و « أبو جعفر الرازى » و « الربيع بن أنس » ، و « أبو العالية » ، ثقات جميعاً ، ومضوا فى مواضع مختلفة .

وهذا الخبر ذكره الهيثمى مطولا فى مجمع الزوائد ١ : ٦٧ — ٧٢ وقال : « رواه البزار ورجاله موثقون ، إلا أن الربيع بن أنس قال : عن أبى العالية أو غيره ، فتابعيه مجهول » .

ولكن نص أبى جعفر هنا وهناك ، يدل على أن أبا جعفر الرازى شك فى أنه عن أبى هريرة أو غيره من الصحابة ، فلعل ما فى رواية البزار مخالف لما فى رواية أبى جعفر الطبرى .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ١٤٤ مطولا ، ونسبه إلى البزار ، وأبى يعلى ، وابن جرير ، ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة ، وابن أبى حاتم ، وابن عدى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وعيد » ، فإذا بينت عما أوعدت وأفصحت به ،[1] قالت : « وعدته خيراً » ، و « وعدته شرًّا » ، بغير ألف ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ،[سورة الحج : ٧٢].

* * *

وأما قوله : « وتصدون عن سبيل الله من آمن به »، فإنه يقول : وتردُّون عن طريق الله، وهو الردُّ عن الإيمان بالله والعمل بطاعته[2] = « من آمن به »، يقول : تردُّون عن طريق الله من صدق بالله ووحّده = « وتبغونها عوجاً »، يقول : وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته[3] = « عوجاً »، عن القصد والحق، إلى الزيغ والضلال ،[4] كما :—

١٤٨٥٤ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وتصدون عن سبيل الله » ، قال : أهلها = « وتبغونها عوجاً » ، تلتمسون لها الزيغ .

١٤٨٥٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٨٥٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وتبغونها عوجاً » ، قال : تبغون السبيل عن الحق عوجاً .

١٤٨٥٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتصدون عن سبيل الله » ، عن الإسلام = تبغون السبيل = « عوجاً » ، هلاكاً .

١٦٨/٨

* * *

(١) فى المخطوطة : « فإذا نصب عما أوعدت » غير منقوطة ، ولم أحسن توجيه قراءتها ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله، إذ كان صواباً واضحاً . ١ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٥.

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ٤٤٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ص : ٤٤٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « العوج » فيما سلف ٧ : ٥٤/١٢ : ٤٤٨ .

وقوله : « واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم »، يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثّر جماعتهم بعد أن كانوا قليلاً عددهم، وأنْ رَفعهم من الذلة والخساسة ، يقول لهم : فاشكروا الله الذى أنعم عليكم بذلك ، وأخلصوا له العبادة ، واتقوا عقوبته بالطاعة ، واحذروا نقمته بترك المعصية ، = « وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين » ، يقول : وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله ، من المَثُلات والنقمات ، وكيف وجدوا عقبى عصيانهم إياه ؟[1] ألم يُهلك بعضهم غرقاً بالطوفان، وبعضهم رجماً بالحجارة، وبعضهم بالصيحة ؟

* * *

و« الإفساد»، فى هذا الموضع ، معناه : معصية الله.[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « وإن كان طائفة منكم » ، وإن كانت جماعة منكم وفرقة[3]= « آمنوا »، يقول : صدّقوا بالذى أرسلتُ به من إخلاص العبادة لله ، وترك معاصيه، وظلم الناس، وبخسهم فى المكاييل والموازين ، فاتّبعونى على ذلك = « وطائفة لم يؤمنوا »، يقول : وجماعة أخرى لم يصدّقوا بذلك ولم يتبعونى عليه = « فاصبروا حتى يحكم الله بيننا » ، يقول : فاحتبسوا على قضاء

---

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١١ : ٢٧٢، ٢٧٣ / ١٢ : ١٢٩

(٢) انظر تفسير « الإفساد » فيما سلف ص : ٥٥٦، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف ٦ : ٥٠٠ / ٩ : ١٤١ / ١٢ : ٢٤٠ .

الله الفاصل بيننا وبينكم [١]= « وهو خير الحاكمين » ، يقول : والله خيرُ من يفصل وأعدل من يقضى ، لأنه لا يقع فى حكمه مَيْلٌ إلى أحدٍ ، ولا محاباة لأحدٍ .

* * *

٩/٢

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قال الملأ الذين استكبروا » ، يعنى بالملأ ، الجماعة من الرجال[٢]= ويعنى بالذين استكبروا ، الذين تكبروا عن الإيمان بالله ، والانتهاء إلى أمره ، واتباع رسوله شعيب ، لما حذرهم شعيبٌ بأسَ الله ، على خلافهم أمرَ ربهم ، وكفرهم به[٣] = « لنخرجنك يا شعيب » ، ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك = « من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا » ، يقول : لترجعن أنت وهم فى ديننا وما نحن عليه[٤]= قال شعيب مجيباً لهم : « أولو كنا كارهين » .

ومعنى الكلام : أن شعيباً قال لقومه : أتخرجوننا من قريتكم ، وتصدّوننا عن سبيل الله ، ولو كنا كارهين لذلك ؟ = ثم أدخلت « ألف » الاستفهام على « واو » « ولو » .

* * *

(١) انظر تفسير « الصبر » فيما سلف ٧ ٥٠٨ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الحكم » فيما سلف ٩ ١٧٥ ، ٣٢٤ ، ١١/٤٦٢ : ٤١٣

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص : ٥٤٢، تعليق ٢ ، والمراجع هناك

(٣) انظر تفسير « استكبر » فيما سلف ص ٥٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الملة » فيما سلف ص ٢٨٢، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال شعيب لقومه إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم، والدخول فيها ، وتوعَّدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم : « قد افترينا على الله كذباً » ، يقول : قد اختلقنا على الله كذباً ،(١) وتخرّصنا عليه من القول باطلاً =إن نحن عدنا فى ملتكم، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها ، بأن بصَّرنا خطأها وصوابَ الهدى الذي نحن عليه = وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها ، ونترك الحق الذي نحن عليه = « إلا أن يشاء الله ربنا » ، إلا أن يكون سبق لنا فى علم الله أنّا نعود فيها ، فيمضى فينا حينئذ قضاء الله ، فينفذ مشيئته علينا =« وسع ربنا كل شيء علماً » ، يقول : فإن علم ربنا وسع كل شيء فأحاط به ، فلا يخفى عليه شيء كان ، ولا شيء هو كائن . (٢) فإن يكن سبق لنا فى علمه أنّا نعود فى ملتكم، ولا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن، (٣) فلا بد من أن يكون ما قد سبق فى علمه، وإلاّ فإنا غير عائدين فى ملّتكم . ٣/٩

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٥٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال،حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص:٤٨١، تعليق : ٦، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير «وسع » فيما سلف ص : ٢٠٧، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : «فلا يخفى» بالفاء ، ومثلها فى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب بالواو .

حدثنا أسباط ، عن السدى : «قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعودَ فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، يقول : ما ينبغى لنا أن نعود فى شرككم بعد إذ نجانا الله منها ،إلا أن يشاء الله ربنا، فالله لا يشاء الشرك ، ولكن نقول : إلاّ أن يكون الله قد علم شيئاً ، فإنه وسع كل شيء علماً .

* * *

وقوله : « على الله توكلنا » ، يقول : على الله نعتمد فى أمورنا ، وإليه نستند فيما تعِدوننا به من شرِّكم، أيها القوم ، فإنه الكافى من توكّل عليه .[1]

* * *

ثم فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه = إذ أيس من فلاحهم ، وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة ، والإقرار له بالرسالة ، وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمنى قومه من فَسَقَتهم العطبَ والهلكة =[2] بتعجيل النقمة، فقال : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، يقول : احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذى لا جور فيه ولا حَيْف ولا ظلم ، ولكنه عدل وحق = « وأنت خير الفاتحين » ، يعنى : خير الحاكمين .[3]

* * *

ذكر الفرّاء أنّ أهلَ عُمان يسمون القاضى « الفاتح » و« الفتّاح » .[4]

وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب : أنه من لغة مراد ،[5] وأنشد لبعضهم بيتاً وهو :[6]

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ٧ : ٣٤٦/٨ : ٥٦٦/١٠ : ١٠٨ ، ١٨٤ .
(٢) السياق : « . . . بالدعاء على قومه . . . بتعجيل النقمة » .
(٣) انظر تفسير « الفتح » فيما سلف ٢ : ٢٥٤/١٠ : ٤٠٥ .
(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٥ .
(٥) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٦) هو الأسعر الجعفى ، أو محمد بن حمران بن أبى حمران .

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِى عُصْمٍ رَسُولاً ... بِأَنِّى عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِىُّ (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : ما كنت أدرى ما قوله : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول : « تعالَ أفاتحك » ، تعنى : أقاضيك .

١٤٨٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، يقول : اقض بيننا وبين قومنا .

١٤٨٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا ابن دكين قال ، حدثنا مسعر قال ، سمعت قتادة يقول ، قال ابن عباس : ما كنت أدرى ما قوله : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، حتى سمعت ابنةَ ذى يزن تقول : « تعالَ أفاتحك » .

١٤٨٦٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، أى : اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

١٤٨٦٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

١٤٨٦٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « افتح بيننا » ، فيقول : احكم بيننا .

---

(١) سلف البيت وتخريجه ٢ : ٢٥٤ ، ولم أنسبه هناك إلى هذا الموضع من تفسير الطبرى ، فقيده ، ويزاد أنه فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « فإنى عن فتاحتكم » ، والصواب ما سلف ، وما فى المخطوطة هناك .

١٤٨٦٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال الحسن البصرى : « افتح احكم بيننا وبين قومنا » ، و﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾[سورة الفتح : ١] ، حكمنا لك حكماً مبيناً .

١٤٨٦٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « افتح » ، اقض .

١٤٨٦٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير قال ، حدثنا مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : لم أكن أدرى ما « افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها: « انطلق أُفاتحك » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب = وهم « الملأ »[١] =الذين جحدوا آيات الله، وكذبوا رسوله، وتمادوا فى غيِّهم، لآخرين منهم : لئن أنتم اتبعتم شُعَيباً على ما يقول، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى أمره ونهيه، وأقررتم بنبوَّته = « إنكم إذاً لخاسرون »، يقول : لمغبونون فى فعلكم ، وترككم ملتكم التى أنتم عليها مقيمون ، إلى دينه الذى يدعوكم إليه = وهالِكُون بذلك من فعلكم .[٢]

٤/٩

* * *

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص ٥٦١، تعليق : ٢٢ والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص:٤٨١، تعليق : ٣، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول : فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب ، الرجفة .

وقد بيّنت معنى « الرجفة » قبل ، وأنها الزلزلة المحركة العذاب الله .(١)

* * *

« فأصبحوا فى دارهم جاثمين » ، على ركبهم ، موتَى هلكى .(٢)

* * *

وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به ، كما :—

١٤٨٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإلى مدين أخاهم شعيباً » ، قال : إن الله بعث شعيباً إلى مدين ، وإلى أصحاب الأيكة = و« الأيكة » ، هى الغيضة من الشجر = وكانوا مع كفرهم يبخَسون الكيل والميزان ، فدعاهم فكذبوه ، فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن ، وما ردُّوا عليه . فلما عتوا وكذبوه ، سألوه العذابَ ، ففتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم ، فأهلكهم الحرّ منه ، فلم ينفعهم ظلٌّ ولا ماء . ثم إنه بعثَ سحابةً فيها ريحٌ طيبة ، فوجدوا بَرْدَ الرّيح وطيبها ، فتنادوا : «الظُّلّةَ ، عليكم بها » ! فلما اجتمعوا تحت السحابة رجَالهم ونساؤهم وصبيانهم ، انطبقت عليهم فأهلكتهم ، فهو قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٨٩] .

١٤٨٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان من خبر قصّة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله فى القرآن . كانوا أهلَ بخسٍ للناس فى مكاييلهم وموازينهم ، مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم نبيَّهم . وكان يدعوهم

(١) انظر تفسير « الرجفة » فيما سلف ص : ٥٤٤ ، ٥٤٥

(٢) انظر تفسير « الجثوم » فيما سلف : ص : ٥٤٥ ، ٥٤٦

إلى الله وعبادته ، وترك ظلم الناس وبخسهم فى مكاييلهم وموازينهم ، فقال نُصْحاً لهم ، وكان صادقاً : ﴿ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : ٨٨] .قال ابن إسحق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم=فيما ذكر لى يعقوب ابن أبى سلمة = إذا ذكر شعيباً قال : « ذاك خطيب الأنبياء » ! لحسن مراجعته قومه فيما يرادُ بهم.فلما كذَّبوه وتوعَّدوه بالرَّجْم والنفى من بلادهم،وعتوا على الله،أخذهُم عذاب يوم الظُّلّة ،إنه كان عذاب يوم عظيم . فبلغنى أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء ، لما رآها قال :

يَا قَوْمِ ، إنَّ شُعَيْباً مُرْسَلٌ فَذَرُوا ... عنكم سُمَيْرًا وَعِمْرَانَ بْنَ شَدَّادِ
إِنِّى أَرَى غَبْيَةً يَا قَوْمِ قَدْ طَلَعَتْ ... تَدْعُو بِصَوْتٍ عَلَى صَمَّانَةِ الْوَادِى (١)
وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا فِيهَا ضَحَاءَ غَدٍ ... إلاَّ الرَّقِيمَ يُمَشِّى بَيْنَ أَنْجَادِ (٢)

و« سمير » و « عمران » ، كاهناهم=و « الرقيم » ، كلبهم . (٣)

١٤٨٧٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال،حدثنى ابن إسحق (٤) قال : فبلغنى ، والله أعلم ، أنَّ الله سلط عليهم الحرَّ حتى أنضجهم ، ثم أنشأ لهم

---

(١) فى المطبوعة : « إنى أرى غيمة » ، وهى كذلك فى قصص الأنبياء ، وفى المخطوطة ما أثبت ، وهى فى الدر المنثور « عينة » خطأ ، صوابه ما أثبت .

و « الغبية » (بفتح فسكون) : الدفعة الشديدة من المطر ، وقيل : هى المطرة ليست بالكثيرة . وأراد بها هنا سحابة ذات غبية . و « الصمانة » ، و « الصمان » ، أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإنكم إن تروا » ، والصواب ما أثبت ، وفى قصص الأنبياء : « فإنه لن يرى فيها » ، وفى الدر المنثور : « فإنه لا يرى» . وكان فى المطبوعة : « ما فيها إلا الرقيم . . . » زيادة مفسدة للوزن ، ليست فى المخطوطة ، ولعلها من الطباعة . و « الأنجاد » جمع « نجد » ، وهى الأرض المرتفعة . و « الضحاء » بفتح الضاد ، ممدوداً ، مثل « الضحى » (بضم الضاد) ، وهو إذا امتد النهار وقارب أن ينتصف . وكان فى المطبوعة : « ضحاة غد » .

(٣) الأثر : ١٤٨٦٩ — الدر المنثور ٣ : ١٠٣ ، وقصص الأنبياء للثعلبى : ١٤٤ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبو سحق » ، وهو خطأ ظاهر .

الظُّلَّة كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدرُوها يستغيثون ببَرْدها مما هم فيه من الحر، حتى إذا دَخلوا تحتها، أطبقت عليهم، فهلكوا جميعاً، ونجى الله شعيباً والذين آمنوا معه برحمته.

١٤٨٧١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى أبو عبد الله البجلى قال: «أبو جاد» و «هوّز» و «حُطّى»، «وكلمون» و «سعفص» و «قرشت»، أسماء ملوك مدين، وكان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب «كلمون»، فقالت أخت كلمون تبكيه:

كَلَمُونٌ(١) هَدَّ رُكْنِى ... هُلْكُهُ وَسْطَ المَحَلَّهْ
سَيِّدُ القَوْمِ أَتَاهُ الْـ ... ـحَتْفُ نَاراً وَسْطَ ظُلَّهْ
جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ، ... دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّهْ(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «كلمون»، هكذا، وفى التاريخ ١: ٩٩، وسائر الكتب «كلمن»، فتركتها على حالها هنا.

(٢) الأثر: ١٤٨٧١ — «أبو عبد الله البجلى»، لم أجد من يكنى بها، ولكن روى أبو جعفر فى تاريخه مثل هذا الخبر، فى ذكر هؤلاء الملوك (١: ٩٩)، وإسناد يفسر هذا الإسناد قال:

«حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل، عن يحيى بن العلاء، عن القاسم بن سلمان، عن الشعبى قال: أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن، وسعفص، وقرشت، كانوا ملوكاً جبابرة...»

و «يحيى بن العلاء البجلى»، كنيته «أبو سلمة»، ويقال «أبو عمرو». ولم أجد كنيته «أبو عبد الله»، ولكن ظاهر هذا الإسناد يرجح أن «أبا عبد الله البجلى»، هو نفسه «يحيى ابن العلاء البجلى»، والله أعلم.

و «يحيى بن العلاء البجلى»، قال أحمد: «كذاب يضع الحديث. مترجم فى التهذيب، والكبير ٤/٢/٢٩٧، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٩.

وهذا الخبر رواه البغوى (هامش تفسير ابن كثير ٣: ٥٢٠)، وقصص الأنبياء للثعلبى: ١٤٤، عن أبى عبد الله البجلى، وفيها جميعاً «كلمن»، وزدت منها ما بين القوسين، ولكنى كتبته كأخواته فى المخطوطة.

وروى فى البغوى: «كلمن قد هد ركنى»، وفى قصص الأنبياء: «كلمن أهدد ركنى»، ولا أدرى ما هذا!!

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٩٢)

٥/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأهلك الذين كذبوا شعيباً فلم يؤمنوا به ، فأبادَهم ، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاءً = « كأن لم يغنوا فيها » ، يقول : كأن لم ينزلوا قطّ ولم يعيشوا بها حين هلكوا .

* * *

يقال : « غَنِيَ فلان بمكان كذا ، فهو يَغْنَى به غِنًى وغُنِيًّا » ،[1] إذا نزل به وكان به ، كما قال الشاعر :[2]

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهَا جِيرَانُكِ الْ مُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ[3]

---

(١) هذا المصدر الثانى « غنيا » ليس فى شىء من مراجع اللغة ، فيما عرفت ، وضبطته بضم الغين وكسر النون وتشديد الياء ، على زنة « فعول » وهكذا استظهرت . ولا أدرى أيصح ذلك أم لا يصح .

(٢) هو عبيد بن الأبرص .

(٣) ديوانه : ٥٨ ، مختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٧ ، والخصائص لابن جنى ٢ : ٢٥٥ والمنصف لابن جنى ١ : ٦٦ ، والخزانة ٣ : ٢٣٧ ، وهى القصيدة الفاخرة التى لم يتجشم فيها إلا ما فى نهضته ووسعه ، عن غير اغتصاب واستكراه أجاءه إليه ، فقاد القصيدة كلها على أن آخر مصراع كل بيت منها منته إلى (ال) التعريف ، كما قال ابن جنى فى الخصائص ، وأولها :

يَا خَلِيلَىَّ ارْبَعَا وَاسْتَخْبِرَا الْ مَنْزِلَ الدَّارِسَ مِنْ أَهْلِ الحِلَالِ

مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عَفَّى بَعْدَكِ الْ قَطْرُ مَغْنَاهُ ، وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرَانُكِ الْ مُمْسِكُو مِنْكِ بِأَسْبَابِ الوِصَالِ

واستمر بها على ذلك النهج . وكان فى المطبوعة : « المستمسكو » ، وهو تغيير لما فى المخطوطة ، والرواية معاً . وقوله : « الممسكو » يعنى « الممسكون » ، فحذف النون لطول الاسم ، لا للإضافة . وهكذا تفعل العرب أحياناً ، كما قال الأنصارى :

الْحَافِظُو عَوْرَةَ العَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمُ مِنْ وَرَائِنَا نَطَفُ

وقول الأخطل :

أَبَنِى كُلَيْبٍ ، إِنَّ عَمَّىَّ اللَّذَا قَتَلَا المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلَالَا

وقال رؤبة :

* وَعَهْدُ مَغْنَى دِمْنَةٍ بِضَلْفَعَا * (١)

إنما هو « مفعل » من « غنى » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « كأن لم يغنوا فيها » ، كأن لم يعيشوا ، كأن لم ينعموا .

١٤٨٧٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس : « كأن لم يغنوا فيها »، يقول: كأن لم يعيشوا فيها .

١٤٨٧٤ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « كأن لم يغنوا فيها » ، كأن لم يكونوا فيها قطّ .

* * *

وقوله : « الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » ، يقول تعالى ذكره : لم يكن الذين اتّبعوا شعيباً الخاسرين، بل الذين كذّبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين. (٢) لأنه أخبر عنهم جل ثناؤه : أن الذين كذبوا شعيباً قالوا للذين أرادُوا اتباعه : « لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون »، فكذبهم الله بما أحلّ بهم من عاجل نكاله ، ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما خسر تُبَّاع شعيب، بل كان الذين كذبوا شعيباً لما جاءت عقوبة الله ، هم الخاسرين ، دون الذين صدّقوا وآمنوا به .

* * *

---

(١) ديوانه : ٨٧ ، ومضى منها بيت فيما سلف ٢ : ٥٤٠ فى مديح قومه بنى تميم ، يقول :

هَاجَتْ ، وَمِثْلِى نَوْلُهُ أَنْ يَرْبَعَا حَمَامَةٌ هَاجَتْ حَمَامًا سُجَّعَا

أَبْكَتْ أَبَا الشَّعْثَاءِ وَالسَّمَيْدَعَا وعَهْدُ مَغْنَى دِمْنَةٍ بِضَلْفَعَا

بَادَتْ وَأَمْسَى خَيْمُهَا تَذَعْذَعَا

و « أبو الشعثاء » يعنى نفسه . و « ضلفع » ، اسم موضع .

انظر سيبويه ١ : ٩٥ ، والمنصف ١ : ٦٧ .

(٢) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف ص: ٥٦٥، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأدبر شعيب عنهم ، شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله ،[١] وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذّبوه ، حزناً عليهم : « يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى » ، وأدّيت إليكم ما بعثنى به إليكم ،[٢] من تحذيركم غضبَه على إقامتكم على الكفر به ، وظلم الناس أشياءهم = « ونصحت لكم » ، بأمرى إياكم بطاعة الله ، ونهيكم عن معصيته — « فكيف آسى » ، يقول : فكيف أحزن على قوم جَحَدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله ، وأتوجَّع لهلاكهم ؟[٣]

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فكيف آسى » ، يعنى : فكيف أحزن .

١٤٨٧٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فكيف آسى » ، يقول : فكيف أحزن .

١٤٨٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ص : ٥٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البلاغ » فيما سلف ص : ٥٤٧ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأسى » فيما سلف ١٠ : ٢٠٠ ، ٤٧٥ .

أصاب شعيباً على قومه حُزْن ، لما يرى بهم من نقمة الله ، ثم قال يعزى نفسه ، فيما ذكر الله عنه : « يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ ﴿٩٤﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، معرِّفَه سنّته فى الأمم التى قد خلَت من قبل أمته ، ومذكّرَ من كفر به من قريش ، لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله ، والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلنا فى قرية من نبى » ، قبلك = « إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء » ، وهو البؤس وشَظَف المعيشة وضيقها = و « الضراء » ، وهى الضُّرُّ وسوء الحال فى أسباب دُنياهم = « لعلهم يضرعون » ، يقول : فعلنا ذلك ليتضرّعوا إلى ربهم ، ويستكينوا إليه ، وينيبوا ،[1] بالإقلاع عن كفرهم ، والتوبة من تكذيب أنبيائِهم.

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أخذنا أهلها بالبأساء والضراء » ، يقول : بالفقر والجوع . ٦/٩

* * *

(١) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ١١ : ٣٤٥ ، ٤١٤/١٢ : ٤٨٥ .

وقد ذكرنا فيما مضى الشواهدَ على صحّة القول بما قلنا فى معنى : « البأساء » ، و « الضراء » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقيل : « يضرّعون » ، والمعنى : يتضرعون ، ولكن أدغمت « التاء » فى « الضاد » ، لتقارب مخرجهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «ثم بدّلنا» ، أهلَ القرية التى أخذنا أهلها بالبأساء والضراء = « مكان السيئة » ، وهى البأساء والضراء . وإنما جعل ذلك « سيئة » ، لأنه ممّا يسوء الناس = ولا تسوءهم « الحَسَنة » ، وهى الرخاء والنعمة والسعة فى المعيشة(٢) = « حتى عفوا » ، يقول : حتى كَثُرُوا .

* * *

وكذلك كل شىء كثر فإنه يقال فيه : « قد عفا » ،(٣) كما قال الشاعر :(٤)

ولَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ(٥)

---

(١) انظر تفسير « البأساء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ – ٤/٣٥٣ : ١١/٢٨٨ : ٣٥٤
= وتفسير « الضراء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ – ٤/٣٥٣ : ٧/٢٨٨ : ٢١٤/ ٣٥٥:١١

(٢) انظر تفسير « الضراء » فيما سلف قبل فى التعليق السابق .
= وتفسير « السراء » فيما سلف ٧ : ٢١٣ .
= وتفسير « السيئة » و « الحسنة » ، فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) (حسن) .
= وتفسير « مس » فيما سلف ص : ٥٤٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « عفا » فيما سلف ٣ : ٤/٣٧٠ : ٣٤٣ .

(٤) هو لبيد .

(٥) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٤ : ٣٤٣ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٩ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « مكان السيئة الحسنة » ، قال : مكان الشدة رخاء = « حتى عفوا » .

١٤٨٨٠ ـ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « مكان السيئة الحسنة » ، قال : « السيئة » ، الشر، و « الحسنة »، الرخاء والمالُ والولد .

١٤٨٨١ ـ حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد: « مكان السيئة والحسنة »، قال :« السيئة»، الشر ، و « الحسنة » ،الخير .

١٤٨٨٢ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ،عن على ، عن ابن عباس قوله : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة » ، يقول : مكان الشدة الرّخاء .

١٤٨٨٣ ـ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا »، قال: بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبُّوا فى الدنيا = « حتى عفوا » ، من ذلك العذاب = « وقالوا قد مسّ آباءنا الضراء والسراء » .

* * *

واختلفوا فى تأويل قوله : « حتى عفوا » .

فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٨٤ ـ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: «حتى عفوا»، يقول: حتى كثروا وكثرت أموالهم.

١٤٨٨٥ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: «حتى عفوا»، قال: جَمُّوا.[1]

١٤٨٨٦ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «حتى عفوا»، قال: كثرت أموالهم وأولادهم.

١٤٨٨٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٤٨٨٨ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «حتى عفوا»، حتى كثروا.

١٤٨٨٩ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: «حتى عفوا»، قال: حتى جَمُّوا وكثروا.

١٤٨٩٠ - ... قال، حدثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: «حتى عفوا»، قال: حتى جَمُّوا.

١٤٨٩١ - ... قال، حدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: «حتى عفوا»، يعني: جَمُّوا وكثروا.

١٤٨٩٢ - ... قال، حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن مجاهد: «حتى عفوا»، قال: حتى كثرت أموالهم وأولادهم.

١٤٨٩٣ - حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «حتى عفوا»، كثروا كما يكثر النَّبات والرِّيش،[2] ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يَشْعُرون.

* * *

(١) «جم الشيء»، و«استجم»، كثر. و«مال جم»، كثير.
(٢) «الريش» (بكسر الراء): المتاع والأموال.

وقال آخرون : معنى ذلك : حتى سُرُّوا .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٩٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « حتى عفوا » ، يقول : حتى سُرّوا بذلك .

* * *

٧/٩ قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله قتادة فى معنى : « عفوا » ، تأويلٌ لا وجه له فى كلام العرب . لأنه لا يعرف « العفو » بمعنى السرور ، فى شيء من كلامها ، إلاّ أن يكون أراد : حتى سُرُّوا بكثرتهم وكثرةِ أموالهم ، فيكون ذلك وجهاً ، وإن بَعُد .

* * *

وأما قوله : « وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء » ، فإنه خبرٌ من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم مكان الحسنة السيئة التى كانوا فيها ، استدراجاً وابتلاءً ، أنهم قالوا إذ فعل ذلك بهم : هذه أحوال قد أصابتْ من قبلنا من آبائنا ، ونالت أسلافَنا ، ونحن لا نعدُو أن نكون أمثالَهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة فى المعايش والرخاء فيها = وهى « السراء » ، لأنها تَسرُّ أهلها .[1]

وجهل المساكين شكرَ نعمة الله ، وأغفلوا من جهلهم استدامةَ فضلهِ بالإنابة إلى طاعته ، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة ، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون .

يقول جل جلاله : « فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون » ، يقول : فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة ، أتاهم على غِرّة منهم بمجيئه ،[2] وهم لا يدرون ولا يعلمون أنّه يجيئهم ، بل هُم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويَرَوه .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « السراء » ومراجعه فيما سلف قريباً ص : ٥٧٣ ، تعليق : ١ .
(٢) انظر تفسير « البغتة » فيما سلف ١١ : ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ .
(٣) انظر تفسير « شعر » فيما سلف ص : ٩٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾

سقط تفسير هذه الآيات الثلاث من المطبوعة ، ولم ينبه إليه الناشر . وهو ساقط أيضاً من المخطوطة ، وقد ساق الكلام فيها متصلا ليس بينه بياض ، فسها عن هذه الآيات الثلاث .

والظاهر أن هذا نقص قديم ، لا أدرى أهو من الطبرى نفسه ، أم من ناسخ النسخة العتيقة التى نقلت عنها نسختنا ، أم من ناسخ نسختنا التى بين أيدينا .

والدليل على أنه خرم قديم ، أنى لم أجد أحداً قط نقل شيئاً عن الطبرى وأخباره فى تفسير هذه الآية . لم يذكر ابن كثير شيئاً منسوباً إلى ابن جرير ، ولا السيوطى فى الدر المنثور ، ولا القرطبى ، ولا أبو حيان ، ولا أحد ممن هو مظنة أن ينقل عن أبى جعفر . فهذا يكاد يرجح أن جميع النسخ التى وقعت فى أيديهم كان فيها هذا الخرم ، ولكن لم ينبه أحد منهم إليه . ومن أجل ذلك وضعت الآيات وحدها ، وتركت مكان الخرم بياضاً فى هذه الصفحة والتى تليها .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أفأمن ، يا محمد ، هؤلاء الذين يكذّبون الله ورسوله ، ويجحدون آياته ، استدراجَ الله إيّاهم بما أنعم به عليهم فى دنياهم من صحّة الأبدان ورخاء العيش ، كما استدرج الذين قصّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم ،[1] فإنّ مكر الله لا يأمنه ، يقول : لا يأمن من ذلك أن يكون استدراجاً ، مع مقامهم على كفرهم ، وإصرارهم على معصيتهم = « إلا القوم الخاسرون » ، وهم الهالكون .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول: أوَ لم يتبيّن للّذين يُستَخلفون فى الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانُوا أهلها ،[3] فساروا سيرتهم، وعملوا أعمالهم ، وعتوا عن أمر ربهم = « أنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم » ، يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ، فأخذناهم بذنوبهم، وعجّلنا لهم بأسَنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الأرض، فأهلكناهم بذنوبهم = « ونطبع على قلوبهم »،[4] يقول :

(١) انظر تفسير « المكر » فيما سلف ص : ٩٥ ، ٩٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير «الخسران » فيما سلف ص : ٥٧٠ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٤) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١ : ٢٥٨ – ٩/٢٦١ : ٣٦٤ .

ونختم على قلوبهم = « فهم لا يسمعون » ، موعظةً ولا تذكيراً ، سماعَ منتفع بهما .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٩٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « أولم يهد » ، قال : يبيِّنْ .

١٤٨٩٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٨٩٧ — ... قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أو لم يهد » ، أو لم يُبَيَّنْ .

١٤٨٩٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها » ، يقول : أو لم يتبين لهم .

١٤٨٩٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها » ، يقول : أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها = هم المشركون .

١٤٩٠٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها » ، أولم نُبَيِّنْ لهم = « أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم »، قال: و« الهدى » ، البيان الذى بُعث هادياً لهم ، مبيِّنًا لهم حتى يعرفوا . لولا البيان لم يعرفوا .

* * *

تَمّ الجزء الثانى عشر من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الثالث عشر ، وأوّلُه

القول فى تأويل قوله :

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

تتمة التخريج



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تتمة التخريج

١ – الحديث : ١٣٨٠٩ « سعيد بن سليمان » فى إسناده : هو « سعيد بن سليمان الضبى الواسطى » . وهو ثقة معروف ، مترجم فى التهذيب ، وهو يروى عن شريك بن عبد الله بن أبى شريك القاضى . فليس هناك احتمال أن يكون الاسم محرفاً عن اسم آخر .

٢ – الحديث : ١٣٨٢٥ ذكره ابن كثير ٣ : ٣٨٨ ، من رواية ابن أبى حاتم ، ثم أشار إلى هذه الرواية عند الطبرى وإلى روايته عند البزار أيضاً ، ثم قال : « وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة : أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا . الثانى : أن الآية من الأنعام ، وهى مكية . الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذى عن محمد بن موسى الحرشى ، عن زياد بن عبد الله البكائى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بلفظ : أتى ناس النبىَّ صلى الله عليه وسلم – فذكره ، وقال : حسن غريب ، وروى عن سعيد بن جبير مرسلا » . ثم ذكر روايتين من الطبرانى وأبى داود ، من طريقين عن ابن عباس ، وذكر أن حديث أبى داود رواه أيضاً ابن ماجة وابن أبى حاتم ، وأن إسناده صحيح . ثم قال : « ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس ، وليس فيه ذكر اليهود . فهذا هو المحفوظ ، لأن الآية مكية ، واليهود لا يبيحون الميتة » .

وهذا تعليل صحيح جيد من الحافظ ابن كثير . والظاهر أن الوهم فى ذكر اليهود فى هذا الحديث هو من « عمران بن عيينة » راويه عن عطاء بن السائب .

وعمران هذا: هو أخو سفيان بن عيينة. وهو صالح الحديث – كما قال ابن معين وأبو زرعة، ولكنه كان يخطئ في رواياته، ولذلك جرحه أبو حاتم بأنه «لا يحتج بحديثه، لأنه يأتي بالمناكير».

٣ – الخبر : ١٤١٥٧ هو وإن كان إسناده صحيحاً إلى كعب الأحبار، ولكنه خبر منكر، من الأقوال التي كان يقولها كعب هذا، ثم لا نجد عليها أمارات الصحة فيما ينقل عن كتبهم. فينبغي التحرز من قبول مثل هذه الروايات.

٤ – الحديث : ١٤٢٤٣ الحديثان اللذان رواهما وهب بن جابر الخيواني عن عبد الله بن عمرو – اللذان أشار إليهما أخي السيد محمود في التعليق هنا – هما في الحقيقة جزآن من رواية واحدة رواها وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو، ومعهما جزء ثالث في طلوع الشمس من مغربها. وقد روى الحاكم هذه الروايات في رواية واحدة (٤ : ٥٠٠ – ٥٠١ من المستدرك)، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وقد روى منه قبل ذلك حديث «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» (المستدرك ١ : ٤١٥)، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووهب بن جابر من كبار تابعي الكوفة». ووافقه الذهبي على تصحيحه. وكذلك روى هذا أحمد في المسند : ٦٤٩٥، ٦٨١٩، ٦٨٢٨، ٦٨٤٢. والظاهر الراجح عندي أن الحديث الذي رواه الطبري هنا – هو جزء آخر من ذلك الحديث المطول، ولكني لم أجده متصلا به، وإن كان الراجح عندي اتصاله.

٥ – الحديثان : ١٤٢٤٤، ١٤٢٤٥ هما من رواية جعفر بن عون عن المسعودي، ومن رواية ابن علية عن المسعودي – عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود. فذكر أخي السيد محمود في تعليقه هنا أن «المسعودي» في الإسنادين هو : «عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود».

ثم أشار إلى بيان لي مضى في الحديث : ٥٩١٩ (ج ٨ ص ٣٧٠ –

٣٧١) فى رواية لسفيان بن عيينة « « عن المسعودى عن القاسم » — ذكرت فيه أن « المسعودى » هو : « معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . وجزم بأن الصواب أن « المسعودى » هناك هو « المسعودى » هنا ، أى « عبد الرحمن بن عبد الله » .

وحين قرأت هذا ورجعت إلى بعض التراجم بدا لى أنه هو الصواب ، وكدت أكتبه هنا . ثم رأيت أن أزيد الأمر استيثاقاً ، فعدت إلى التراجم متأنياً ، ومراجعاً إياها فى التهذيب الكبير « تهذيب الكمال » ، فاستيقنت أن ما قلته هناك صحيح ، وأن ما قاله أخى السيد محمود فى الإسنادين اللذين هنا صحيح .

وذلك : أن لقب « المسعودى » ذائع فى كثرة من الرواة ، من أسرة عبد الله بن مسعود ، وأن الأمر يشتبه على المحدثين أحياناً فى تعيين شخص « المسعودى » فى إسناد معين ، إلا بقرائن قوية .

فالإسنادان اللذان هنا فيهما أن « المسعودى » يروى عن « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . والذى يروى عن المسعودى هو « جعفر بن عون » فى أولهما ، و « ابن علية » فى ثانيهما . فعن ذلك يتعين أن يكون المسعودى هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود » ، وهو يروى عن ابن عم أبيه « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . ولكن عبد الرحمن هذا متأخر قليلا ، هو من طبقة شعبة والثورى وابن عيينة ، ومات سنة ١٦٠ . ويروى عنه — جعفر بن عون وطبقته . ومن غير المحتمل أن يكون « المسعودى » فى هذين الإسنادين هو « معن بن عبد الرحمن » ، لأنه قديم لم يدركه جعفر بن عون وطبقته ، بل هو من شيوخ الثورى وطبقته ، ويروى عنه أيضاً « المسعودى عبد الرحمن بن عبد الله » الذى فى هذين الإسنادين .

وأما الإسناد السابق : ٩٥١٩ — الذى أشار إليه أخى السيد محمود — فشىء آخر :

وذلك : أنه مضى (ج ٨ ص ٣٧٠) الإسنادان : ٩٥١٨ ، ٩٥١٩ .
وهما فى الحقيقة ثلاثة أسانيد :

فالأول : من رواية سفيان « عن المسعودى ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه ، عن ابن مسعود » .

والثانى : من رواية سفيان ، عن المسعودى ، عن القاسم » — مرسلا .

والثالث : يقول فيه المسعودى : « فحدثنى جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه » — مرفوعاً ، دون ذكر ابن مسعود .

فلو كان الإسناد الثانى وحده — دون ما قبله وما بعده — لاحتمل أن يكون « المسعودى » هو « عبد الرحمن بن عبد الله » ، وتكون رواية سفيان عنه من رواية الأقران ، وهى كثيرة .

ولكن الإسنادين الأول والثالث ، اللذين فيهما رواية « المسعودى » عن جعفر بن عمرو بن حريث » — يعينان أن « المسعودى » فيهما هو : « معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » وهو أخو « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . وهو معروف بالرواية عن أخيه « القاسم » . وهو المذكور وحده من « المسعوديين » فى الرواة عن « جعفر بن عمرو بن حريث » فى تهذيب التهذيب ، وفى التهذيب الكبير للمزى ، الذى يستوعب فى ترجمة المترجم كل شيوخه وكل الرواة عنه . و « جعفر بن عمرو بن حريث » من طبقة قديمة ، لا أظن أن « المسعودى عبد الرحمن بن عبد الله » أدرك أحداً منها . وإنما يروى عن الرواة عنها ، كابن عم أبيه « معن بن عبد الرحمن » .

وعن ذلك لا يزال الراجح عندى —الشبيه باليقين— أن « المسعودى » فى ذينك الإسنادين السابقين : ٩٥١٨ ، ٩٥١٩ — هو « معن بن عبد الرحمن » ، وهو الصواب إن شاء الله .

٦ — ص ٣٠٨ — ٣٠٩ حديث « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة . . . » . ذكر أخي السيد محمود أن معناه رواه الترمذى فى أبواب صفة القيامة من حديث عدى بن حاتم ، وأنه قال : « هذا حديث حسن صحيح » . وأزيد أنه رواه أيضاً البخارى ومسلم ، كما فى شرح الترمذى للمباركفورى ج ٣ ص ٢٩١ . وفى معناه حديث آخر لابن عمر ، رواه أحمد والشيخان مطولاً . وقد مضى مطولاً ومختصراً : ٦٤٩٦ ، ٦٤٩٧ (ج ٦ ص ١١٩ — ١٢٠) . وفصلنا تخريجه هناك .

٧ — الحديث : ١٤٤٤٥ التابعى « . . . بن عمرو » الراوى عن ابن عباس ، والذى كتب فى مخطوطة الطبرى برسم غير مقروء ، والذى كتب فى مطبوعته « الزباء بن عمرو » ! ، والذى كتب فى مطبوعة ابن كثير « الديال بن عمرو » — هذا التابعى لم أستطع أنا أيضاً أن أعرف من هو ؟ ولا على أى رسم صحيح يرسم اسمه . ومن عجائب المصادفات أن هذا الإسناد بعينه سقط من مخطوطة الأزهر من ابن كثير، مع ثبوته فى مطبوعته . وقد تتبعت أسماء الرواة عن ابن عباس فى التهذيب الكبير للمزى — وهو عادة يذكر الرواة بالاستقراء التام — فلم أجد مايشبه أن يكون تصويباً لهذا الاسم المشكل . وكذلك تتبعت أسماء التابعين القريبى الرسم من هذا الرسم — فى ثقات ابن حبان ، فأعجزنى أن أعرفه .

٨ — الحديث : ١٤٤٤٦ فى لفظه : « ما عمل أحد قط سرًّا إلا ألبسه الله رداء علانية » — فأشار أخي السيد محمود إلى أن اللفظ فى تفسير ابن كثير ، نقلاً عن هذا الموضع من الطبرى : « ما أسر أحد سريرته » وتساءل من أين أتى هذا الاختلاف ؟ ! وقد جاء هذا الاختلاف من تصرف طابع ابن كثير فى غالب الظن ، لأن النص فى المخطوطة الأزهرية من تفسير ابن كثير (ج ٣ ص ١٩٤) موافق لما فى الطبرى هنا .

٩ — الحديث : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦ رواه أحمد فى المسند : ٨٧٥٤ (ج ٢ ص٣٦٤ — ٣٦٥ حلبى) .

١٠ — الحديث : ١٤٦٦٥ هو على اليقين من حديث أبى هريرة ، كما حقق أخى السيد محمود . وما فى الطبرى [عن أبى سعيد] خطأ لاشك فيه . ولم أجده فى مسند أبى سعيد من مسند الإمام أحمد . وهو ثابت فيه من حديث أبى هريرة : ١٠٦٦٠ (ج ٢ ص ٥١٢ حلبى) .

١١ — الحديث : ١٤٦٦٩ هكذا رواه الطبرى مختصراً من حديث أبى سعيد وحده . وهو مطول فى صحيح مسلم (٢ : ٣٥١ طبعة بولاق) ، من حديث أبى سعيد وأبى هريرة معاً ، كما ذكر أخى السيد محمود . وأزيد أنه رواه أيضاً أحمد فى المسند : ٨٢٤١ (ج ٢ ص ٣١٩ حلبى) ، من حديثهما ، كرواية مسلم .

١٢ — الحديث : ١٤٨٠٥ « الحرث بن حسان البكرى » : ترجمه ابن سعد ٦ : ٢٢ باسم « الحرث » ، ثم ترجمه مرة أخرى ٧ / ١ / ٣٩ باسم « حريث بن حسان الشيبانى » ، وأشار إلى قصته مع هذه المرأة التى رافقته فى سفره ، وهى « قيلة بنت مخرمة » . وحديثها فى ترجمتها فى الإصابة ٨ : ١٧١ — ١٧٣ ، والزوائد ٦ : ٨ — ١٢ .

كتبه

أحمد محمد شاكر

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

* * *

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

* * *

فهرس المصطلحات

فهرس الفرق

مباحث العربية والنحو وغيرهما

* * *

* « الجحد » ، العرب ربما أعادت فى الكلام الذى فيه جحد ، جحداً آخر كالاستيثاق والتوكيد له ، نحو :

مَا إنْ رَأَيْنَا مِثْلَهُنّ لِمَعْشَرٍ سُودِ الرؤوس فَوَالجٌ وفُيُولُ

فأعاد على الجحد الذى هو « ما »، جحداً ، وهى « إن » ، فجمعهما للتوكيد : ٣٢٤ ، ٣٢٥

* « الحذف » ، اكتفاء بدلالة الظاهر عما حذف : ٢٢٤

* « حرف الجر » ، حذفه وهو مراد ، نحو : « توجه مكة » أى : إلى مكة ، وقول الشاعر :

كَأَنِّىَ إذْ أَسْعَى لِأَظْفَرَ طَائِراً مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّمَاء يَصُوبُ

بمعنى : لأظفر بطائر : ٣٣٦ ، ٣٣٧

* التفريق بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم ، قبيح فى كلام العرب غير فصيح ، نحو :

فَزَجَجْتُــهُ مُتَمَــكِّنَاً زَجَّ القَلُوصَ أَبِى مَزَادَهْ

أى : زج أبى مزادة القلوص : ١٣٧ ، ١٣٨

* إذا حذف الخافض ، تعلق الفعل بالمخفوض فنصبه : ١٢٥

* غير معلوم فى كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض : ٦٦

* « العدد » الأفعال لا تعدّ ، وإنما تعدّ الأسماء . لا يجوز أن تقول : « عندى عشر صالحات » : ٢٨١

« العطف » على الخبر بالنهى ، نحو قوله :

حَجَّ وَأَوْصَى بِسُلَيْمَى الأَعْبُدَا أَنْ لاَ تَرَى وَلَا تُكَلِّمْ أَحَدَا

وَلَا يَزَلْ شَرَابُهَا مُبَرَّدَا

عطف على « أن لا ترى » . وهو خبر ، بالنهى فقال : « ولا تكلم » ، و « لا يزلْ » : ٢١٥ ، ٢١٦

* إظهار الفاعل بعد الخبر بما لم يسمّ فاعله، نحو: «ضُرِب عبد الله، أخوك»، وأنه جائز فى العربية : ١٣٩

* لا تتبع نكرةٌ معرفة : ٢٣٥

* النكرة إذا كانت نعتاً للمعرفة ، نصبت على الحال : ٣٦

* « الواحد » ، والمراد به « الجميع » ، نحو : « إن الإنسان لفى خسر » : ٥٤٥

* تذكير المؤنث ، نحو : « فلا أرضَ أبقل إبقالها » : ٤٨٩

* الأوقات إذا وقعت أخباراً للأسماء ، أجرتها العرب مجرى الحال ، فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع ، وذكرتها مع المؤنث ، نحو : « كرامة الله بعيدٌ من فلان » و « هندٌ قريبٌ منّا » ، بمعنى : فى مكان قريب : ٤٤٨

* العرب تؤثر النصب فى الفعل (المصدر) ، إذا تأخر بعد الاسم (المشتق) ، والصفة (الظرف) : ٤٠١

* إذا اتفق معنى الفعلين ، كان سواء تقديم أحدهما وتأخير الآخر : نحو : « زرتنى فأكرمتنى » ، أو « أكرمتنى فزرتنى » ، إذ كانت « الزيارة » هنا هى « الكرامة » : ٣٠١

* * *

* « القول » ، حذفه اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه : ١١٥

* « القول » حذفه لدلالة ما ظهر من الكلام عليه : ٢٩٨

* « القول » يليه ما شئت من الكلام ، لأن القول لا يقع على ما بعده نحو : « قلت : قام » ، و « قلت : زيد قائم » : ٤٤٥

* « القياس » ، وأول من قاس إبليس : ٣٢٧

* « الخبر » ، إخراجه عن الجميع ، والمراد به بعض دون بعض ، نحو : « إن فى هذه الدور لشراً » ، والشر فى واحدة منهن : ١٢١

فهرس التفسير

﴿ تَفْسِيرِ سُورَةِ الأَعْرَافِ ﴾